البرتغاليون في بحر عُمان
أَحداث في حوليات
من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد الثالث عشر

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد الثالث عشر

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

اسم الكتاب :
البرتغاليون في بحر عُمان ، أحداث في حوليات ، من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م ، المجلد الثالث عشر .
الدكتور سلطان بن محمد القاسمي (الإمارات) .
....
اسم الناشر : منشورات القاسمي ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة .
سنة الطبع : ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة

التوزيع : منشورات القاسمي
ص . ب : ٦٤٠٠٩ الشارقة ، دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف : ٠٠٩٧١٦٥٠٩٠٠٠٠ — براق : ٠٠٩٧١٦٥٥٢٠٠٧٠
البريد الإلكتروني : Info@aqp .ae
....
الفهرسة الوصفية أثناء النشر :
مكتبة الشارقة العامة ، هيئة الشارقة للكتاب ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة :
٩٥٣،٠٧٥٣
ق س . ب
القاسمي ، سلطان بن محمد بن صقر ، حاكم الشارقة ، ١٩٣٩م- البرتغاليون في بحر عُمان : أحداث في حوليات ١٤٩٧م — ١٧٥٧م / سلطان بن محمد القاسمي .- الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي ، ٢٠٢٥م .
٢١ مج . ؛ ص : ٤٩٢ ؛ ١٥,٥ X ٢٣,٥ سم .
يشتمل على هوامش .
تدمك : ٠-٠١-٧٢٠-٩٩٤٨-٩٧٨
١- عُمان (السلطنة) — تاريخ — العصر الحديث — الاحتلال البرتغالي ٢ - عُمان (السلطنة) — تاريخ — عصر اليعاربة ٣ — دول الخليج العربي — تاريخ — الاحتلال البرتغالي أ — العنوان
....
الترقيم الدولي : ٠-٠١-٧٢٠-٩٩٤٨-٩٧٨
إذن طباعة رقم ٦٤٠٨٦٢٤-٠١-٠٣-MC بتاريخ ١٨/٠٢/٢٠٢٥م ،
مكتب تنظيم الإعلام ، وزارة الثقافة والشباب ، الإمارات العربية المتحدة
الطباعة : AL Bony Printing Press — Sharjah، UAE
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

المحتويات

مقدمة المجلد الثالث عشر ٧

- أحداث عام ١٥٩٣م ٩
- أحداث عام ١٥٩٤م ١٧
- أحداث عام ١٥٩٥م ٢٧
- أحداث عام ١٥٩٦م ٥٥
- أحداث عام ١٥٩٧م ٦٥
- أحداث عام ١٥٩٨م ٨١
- أحداث عام ١٥٩٩م ١٦٣
- أحداث عام ١٦٠٠م ١٨٩
- أحداث عام ١٦٠١م ١٩١
- أحداث عام ١٦٠٢م ٢٠١
- أحداث عام ١٦٠٣م ٢٣٧
- أحداث عام ١٦٠٤م ٣٠١

دليل الباحثين ٤٧١

هوامش المجلد الثالث عشر ٤٨٧

مقدمة المجلد الثالث عشر

يضم هذا المجلد بين دفتيه أحداث اثني عشر عاماً ، وهي من العام ١٥٩٣م إلى العام ١٦٠٤م ، وكانت بداية تلك الأعوام ، أن ملك فارس توقف عن شنّ الحروب على السلطان العثماني ، وكان الوضع لديه هادئاً إلّا من القوات الأوزبكية في شمال فارس ، التي خاض ملك فارس حروباً دائمة معها وشملت الولايات المجاورة لفارس .

أما الأتراك فقد تمّ طرد حاميتهم في مصوع ، وقد قام العرب بثورة ضدّ الأتراك في البحر الأحمر على ساحل الجزيرة العربية ، وكذلك ثارت البصرة على بغداد .

لعبت الوفود الدينية المسيحية دوراً مهماً في إقناع ملك فارس لينضمّ إلى التجمّع الملكي المسيحي ، للحرب ضدّ الأتراك .

في المجلّد ذكرت علاقة البرتغاليين بجزيرة البحرين حيث قد بدأت بحادثة الأمير مقرن الجبري أمير الحسا .

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

أحداث عام ١٥٩٣م

صدور خطاب من الملك إلـى نائب الملك "ماتياس دي البوكيرك" "Mathias de Albuquerque" ، بتاريخ الخامس عشر من شهر فبراير عام ١٥٩٣م ، ويأمر بتحصين القلاع فـي مسقط وهرمز : [١]

مقتطف :

٥. حيث إنّني قد تمّ إبلاغي أنّك سوف تقوم ، وذلك بسبب الضرر الكبير الذي أحدثته عُملة "الأشرفيّ" في الدولة ، بإجراء ترتيبات بحيث لا يكون هناك صرف عند نسبة خمسة عشر في المائة بالنقود الحقيقيّة في عملة "الريال" ، لرؤية مدى الضرر الذي ستحقّقه تلك الضريبة على الأموال القادمة من تجارة الفلفل الأسود .

أنا أكلّفك وآمرك بفرض تلك الضريبة فوراً على الأسهم التي تمّ

(١) رقم الوثيقة والهامش.

أخذها من الهند ، وأن يتمّ إعادة دفع قيمة سعر الصرف من الأصول والعملات المعدنية الأخرى المنتشرة في تلك المناطق ، التي كانوا يتعاملون بها عندما وصلت أنت إلى هناك ، حتّى تبلغني سرّاً عن الأسباب التي مع وضدّ تلك الضريبة .

سوف أكتب إليك ما الذي يجب القيام به كي يكون الأفضل لمصلحتي .

بالنسبة لمسألة إلغاء عُملة "الأشرفيّ" ، فقد أرسلت لك تعليمات في خطاباتي بأنّه لا يجب صكّ العملة سواء بخليط معدنيّ أو بدون ذلك .

إنّني أعهد إليك بتلك المهمّة مرّة أخرى ؛ لأنّني أدركت أنّ الأمر يؤذي مصالحي جدّا ، وكذلك مصلحة سكّان الدولة .

أرجو أن تكتب إليّ وتقول بأنّك قد أصلحت ذلك .

١٩. بعد موت "الشيخ جويت" ، علمت أنّه قد تمّ الترتيب كي تذهب قضيّته إلى محكمة الاستئناف كما أمر هو ، وأنّه لا يزال لديه ابن صغير تتّصل به (بالأب) قضيّته ، وقد كتبت أمّ الطفل أيضاً إليّ حول هذا الموضوع ، وقد أوردت ذلك أيضاً في الوثيقة كي تكون كتعليمات لك .

قد أرسلت خطابات إليك في سفن "القرقور" العام الماضي بأنّه يجب عليك الترتيب لمسألة الخلافة ، والتي تطلبها الأمّ لابنها ، كي تعرض على محكمة الاستئناف في ذلك الإقليم .

يجب عليهم إرسال تقرير حول ممارسة العدالة في مملكة هرمز ، بالإضافة إلى القرار الذي قد اتّخذوه .

سوف تبلغني أيضاً إذا كان ملك هرمز قد تمّ إبلاغه عن الضمان الذي قد أمرت بإعطائه إيّاه .

إذا كان هناك شكّ أنّه قد أعطى تعليمات بوضع سُمّ للصبيّ ، كما ادّعت أمّه في خطابها ، سوف تصرّ على ألاّ يستخدم الملك المذكور ممتلكات الصبيّ .

أنا أيضاً أفوّض إليك أمراً ، وهو إنّك إذا اكتشفت أنّ زوجة "الشيخ جويت" في حاجة ، ولا يوجد من ينقذها ، أن تقدّم لها هديّة باسمي ، من أجل صونها ، وأنا آمرك بذلك مرّة أخرى .

٢٠. إنّ الحاكم الذي قد سبق ذكره ، والذي قد أرسل المهندس المسؤول ، "جواو باتيستا" "Joao Patista" ، إلى هرمز ومسقط ، قد قام أيضاً بالكتابة لي . بعد رؤية القلعة ، خطّط الأخير للعمل وقد قضى بما هو ضروريّ للدفاع عنها ، وقد أمر ببناء معقل صغير على تلّ صغيرة . أمّا القلعة الجديدة في مسقط فملاصقة لها ، يمكن من خلاله إلحاق الضرر عليها من خلال المدفعيّات .

بالرغم من أنّ "جواو باتيستا" قد أرسل لي خطاباً طويلاً عن القلعة الموجودة في تلك الدولة بواسطة "القرقور" الذي يعود تاريخه إلى عام ١٥٩٠م ، فمع ذلك ، للحصول على صورة حقيقيّة وواضحة لما قد تمّ ، وكيف قد تمّ ذلك؟ فقد كانت هناك حاجة لكميّة كبيرة من المعلومات المفصّلة .

لذلك ، قد أرسلت خطابات لك ، بواسطة أساطيل العامين الماضيين ، للإسراع في عمليّة تحصين تلك القلاع ، خاصّة في كلٍّ من هرمز ومسقط .

يجب عليك أيضاً أن ترسل لي خطط كلّ شيء ، كما أمرت بذلك في أوّل تعليمات حصلت عليها ، وأنا أكلّفك بالقيام بذلك مرّة أخرى وبما أنّه قد تمّ إبلاغي بأنّ ما قد تمّ في قلعة مسقط كان ضروريّاً للدفاع عنها ، فسيتوجب عليك إكمالها كلّها بسرعة إن لم يكن ذلك قد حدث .

٢١. قد كتب لي الحاكم أيضاً ، أنّه قد تسلّم خطاباً من "شاه" (ملك) فارس ، وهي نسخة مترجمة ممّا قد أرسله لي ، وقد سأل فيه عن سفير ، وطلب إحياء الصداقة القديمة التي كانت بين أجداده ، وتلك الدولة ، وقد قرّر الحاكم إرسال واحد له باسمي ، بمجرّد أن تتاح له الفرصة للقيام بذلك .

وفي العام نفسه (١٥٩٣م)

صدرت رسالة من الأب "أنطونيو مونسيرات" "Antonio Monserrate" (جمعية يسوع) إلى الأب "كلاوديو أكوافيفا" "Claudio Aquaviva" (جمعية يسوع) الأسقف العام لجمعية يسوع في "روما" ، صنعاء (الجزيرة العربية) ، في الثاني والعشرين من شهر يوليو عام ١٥٩٣م ، ويذكر فيها الاستيلاء على السفينتين البرتغاليتين بعد مغادرة ظفار : (٢)

نصّ مقتطف :

١ـ في العام ١٥٩١م كتبت لنيافتك عبر الإسكندرية(أ) وفي السنة التالية عن طريق الهند(ب) وفي هذه السنة وقبل أيّام قليلة عبر الطريق

(أ) فقدت الرسالة .

(ب) فقدت الرسالة .

---

(٢) رقم الوثيقة والهامش.

نفسه ، عبر الإسكندرية[أ] مقدّماً لك بياناً عن سجننا ، وعن كيفية فهمنا بأنّه سيكون لسنوات عديدة مالم يتمّ تدخّل عن طريق نيافتك ، أو قد يفتح لنا الربّ طريقاً أو وسيلة .

أكتب الشيء نفسه في هذه الرسالة ؛ لأنّه بالرغم من بحث الأسقفّ الأخير في الهند[ب] عن وسيلة وكذلك الأسقفّ الحالي[ت] فهو يبحث عن وسائل ممكنة في أمر حصولنا على حرّيّتنا ، إلاّ أنّها لم تؤدِّ إلى أيّ هدف ، لأنّ الأشخاص المباشرين الذين بيدهم الأمر إمّا مسلمون ، أو وثنيّون .

لا يرغب المسلمون في التصرّف حتّى لا يغضبوا نبيّهم محمّد (صلى الله عليه وسلم) ، أمّا الوثنيّون وبالرغم من إظهارهم للعطف تجاهنا إلاّ أنّهم لا يجرؤون ، وقد خذلونا جرّاء ذلك .

٤ـ عندما غادرت سفينتان من ميناء يسمّى ظفار على ساحل الجزيرة العربية قبل مضيق البحر الأحمر ، تمّ الاستيلاء عليها دون مقاومة ، ولم يجدوا فيها لا سلاحاً ولا رسائل ولا أيّ شيء ضارّ بخدمة السيّد الأعظم[ث] سوى بعض كتب التوراة[ج] ، والزبور[ح] والإنجيل[خ] ، أي ، القانون ، المزامير ، والكتاب المقدّس .

(أ) فقدت الرسالة .

(ب) "بيدرو مارتنز" .

(ت) "فرانسيسكو كابرال" .

(ث) كان السيد الأعظم "مراد الثالث" (١٥٧٤م - ١٥٩٥م) .

(ج) توراة الأحبار .

(ح) زبور "Psater" .في السورة (١٧) ٥٧ من القرآن تقول إنّ الله أعطى داوود الزبور المرجع السابق .

(خ) "Indjil" أو "Andjil" من الأغريق (انجيل / أناجيل من الاغريقية . . .) .

عند الاستيلاء عليها أُرسلت إلى "حسن باشا"(أ) في مدينة صنعاء في منطقة "اليمن" ، وظلّت تحت سيطرته لثلاث سنوات(ب) ؛ لأنّه (حسن باشا) كان يريد الكثير من الأموال منهم ، ولم يكونوا قادرين على الإيفاء بها لفقرهم ، وكانوا يعيشون بين المسيحيّين اعتماداً على الصدقات ، فإنّه لم يطلق سراحهم ، حتّى من أجل الربّ لم يتركهم يذهبوا طلقاء ، بينما الكهنة في الأراضي المسيحيّة يمارسون إنسانيّة عظيمة تجاه العديد من المساجين الأتراك .

سيكون مناسباً أن تحقّق أيّ شيء ، وكان ذلك ممكناً إن كانت ستصل الرسالة إلى أيدينا ، والذي قد يكون له التأثير التالي :

على القنصل الذي بـ "القسطنطينية" أن يبعث بها إلى القنصل في الإسكندرية(ت) . يمكن للأخير أن يبعث بها مع يهوديّ يسمّى "سليمان"(ث) من سكّان هذه المدينة ، ويمكنه أن يبعث بها لنا مع أيّ من أولئك اليهود الآخرين الذين قد يمرّون عبر هذا الطريق مع بضائعهم ، حتّى وإن وصلت الرسالة إلى "الباشا" لا أظنّ أنّ أحداً سيشكّك فينا عند إرسالها للملك .

(أ) الحاكم السيد الأعظم في "صنعاء" نيابة عن السلطان التركي .

(ب) منذ أربع سنوات . انظر بأعلى المذكرة (٦) (مذكرة من نصّ لم تترجم هنا تقرأ منذ ١٥٨٩م) .

(ت) قنصل "البندقيّة" في "الإسكندريّة" في ذلك الوقت كان "فينسنزو داندولو" – انظر :
(F . Antonibon, Le relazioni di ambasciator veneti 41) .

(ث) غير معرف ، لم يسلّط "BECCARI" عليه الضوء . انظر : cf BECCARI XV .

أحداث عام ١٥٩٤م

صدرت رسالة من الملك ، إلى نائب الملك "ماتياس دي البوكيرك" ، "لشبونه" ، في يوم الثالث من شهر فبراير عام ١٥٩٤م ، ويذكر فيها مراسلاته مع ملك فارس : [٣]

مقتطفات : الفقرة الثالثة ، والسادسة ، والعاشرة ، والثالثة عشرة .

٣ـ كنت مسروراً أن أعرف من مكاتبتكم أنّكم بعثتم بالرسائل التي كتبتها إلى "شاه" بلاد فارس مع "الدون جيرونيمو ماسكارينهاس" "Jeronimo de Mascarinhas" حينما ذهب لكي يتسلّم قلعة هرمز ، وأنّه قد تمّ إعلامكم من قِبَله أنّه حوّلها إلى "الشاه" .

لا أعتقد أنّكم يجب أن تكتبوا إلى "الشاه" في هذه الآونة بالذات ، حتّى تتسلّموا ردّه على تلك الرسائل .

كما أخبرتكم في رسالة أخرى ، أنّه بمجرّد أن يكتب إليّ "الشاه" ، أتوقّع أن ترسلوا إليّ الأخبار التي لديكم عنه وعن أموره ، دون تأخير .

---

(٣) رقم الوثيقة والهامش.

٦ـ كنت مسروراً أيضاً أن يتمّ إعلامي أنّكم كنتم تُعدّون أسطولاً ليقوم بأعمال الدوريّة على ساحل "مالندي" ، وليُعزّز جزيرة "مُمبسّا" ، لأنّكم حصلتم على خبر بأنّ اثنتين من سفن "الجالي" وفرقاطة واحدة تمّ القيام بتجهيزها بالمعدّات في مكة .

طبقاً لتقرير ، كانت هذه السفن متوجّهة إلى ذلك الساحل ، ولذلك كنتم حريصين على أن تقدّموا المساعدة للمنطقة التي اعتقدتم أنّهم يذهبون إليها ، فهذا ينسجم مع واجبكم ، ومع الثقة التي لديّ فيكم .

في واحدة أخرى من رسائلي التي تُرافق هذه المكاتبة ، أوضحت أنّ ما قد قرّرته يجب أن يتمّ فعله حول الوضع الراهن ، وتقسيم أراضي هذه الجزيرة .

١٠ـ نظراً لأنّكم أخبرتموني بأنّكم أمرتم "السكرتير" الذي خدم معكم أن ينسخ اتّفاقية دار جمارك هرمز وضرائب أخرى ورسوم . سدّدوها لخزينتي ، ولأنّ الوثيقة كانت طويلة جدّاً ، كان من غير الممكن ، في سفن "كاراك" العام الماضي . إذا لم تصل الأوراق (الوثائق) في تلك السفن المتوقّعة في هذا العام ، فإنّني أكلّفكم أن تُرسلوها إليّ في السفن الأولى التي تُبحر من تلك المنطقة .

١٣ـ بالنسبة لما كتبتموه إليّ بأنّه ، حتّى لو عرفتم القدر الذي كانت فيه ضروريّة لانتشار الديّانة المسيحيّة في تلك المنطقة ، لكي تهدموا جميع المعابد والمساجد التي لدى الهندوس والمسلمين في قلاع تلك الدولة باستثناء مملكة هرمز ، فهذا لا يمكن أن يتمّ فعله في قلعة "ديو" ، لأنّه من الممكن بهذا أن يتمّ إخلاؤها من السكّان بشكل تامّ ، وحرمانها من جميع التجارة .

إنّني آمركم أن تتناولوا هذا المسألة بسرّيّة تامّة مع بعض علماء اللاهوت ومُحامي الكنيسة في تلك المنطقة ، مراجعين ومناقشين الصعوبات التي توجد مع كلّ من المجموعات ، لأنّهم دائماً ما قد أهدوا إليّ المشكلات .

احصلوا على تقرير لما اتّفقوا عليه مُعدّاً وموقّعاً من قِبَلهم . إنّكم سوف ترسلونه إليّ مع نسخ ومع رأيكم .

في غضون ذلك لا يجب أن يُقدم على شيء جديد من قِبَل الدولة في هذه الآونة ، بينما تكون تلك المعابد موجودة في "ديو" ، حتّى أطّلع على التقرير ، وأصدر أوامري فيما يتعلق بما يجب أن يتمّ فعله في خدمتي وخدمة الله .

وفي العام نفسه (١٥٩٤م)

وردت تعليمات خاصّة ، يأمر جلالة الملك بأن تُعطى إلى "الكونت" أمير البحر ، نائب الملك في الهند ، "مدريد" ، في يوم الثالث من شهر مارس عام ١٥٩٤م ، ويذكر فيها أنه سيرسل سفيراً لشاه فارس ، والتهنئة على انتصاره على السلطان التركي : (٤)

مقتطف : الفقرة السادسة ، والثانية عشرة .

٦ـ في واحدة من التعليمات التي تحملونها ، والتي أخبرتكم فيها عن "شاه" بلاد فارس ، أقول بأنّني سوف أحصل على ما أرغب فيه كثيراً في هذه المسألة المدوّنة في أمر آخر ، الذي هو هذا ، إنّني أرغب في أن أرسل سفيراً إلى "الشاه" مع رسائلي وهداياي ، مثل الذي ذهب سابقاً في زمن "الدون سيباستياو" "Don Sebastiao" ابن أخي بعد المعركة البحريّة والنصر على السلطان التركيّ في عام ١٥٧١م .

---

(٤) رقم الوثيقة والهامش.

كتبت إليه عندئذ بواسطة السفير الأسبق ، الذي حمل تعليمات من البابا "بيوس الخامس" "Pope Pius V" إلى الملك الفارسي مُتتبّعاً النجاحات التي قد تمّ تحقيقها على السلطان التركيّ في "أوربّا" ، التي سوف تكون معروفة في آسيا ، فهذه فرصة جيّدة لكي نتقرّب إلى هذا الملك ، وأن نحثّه ونشجّعه لكي يبذل جهوداً جديدة ليسحق السلطان التركيّ في المناطق المتاخمة لأراضيه .

أعتقد أنّه من الأحسن أن نترككم لكي تختاروا هذا السفير ، الذي يجب أن يكون شخصاً ذا منزلة عالية وأهمّيّة ، واضعين نصب أعيننا فيما إذا كان يجب أن يكون رجلاً نبيلاً مثل الشخص الذي أرسله الملك اللورد ابن أخي ، أو شخصاً ما آخر لديه الموهبة والقدرة على تنفيذ هذه المهمّة بصورة جيّدة ، وقادراً على القيام بها بشكل أحسن .

إنّكم سوف ترسلون رسائلي من خلاله ، وكذلك رسائل أخرى منكم ردّاً على تلك الرسائل التي كتبها إلى "ماتياس دي البوكيرك"

لقد علمت أنّ تلك النسخ من هذه الرسائل جاءت بعد أن قد تمّت كتابة التعليمات الأخرى ، التي أخبرتكم فيها أنّني لا أعرف فيما إذا كانت قد وصلت أم لا .

إنّكم سوف تعطون السفير تعليمات عمّا يجب أن يفعله ، الأمر الذي سوف يكون موجّهاً تماماً نحو الغرض الذي سوف تفهمونه من هذه الفقرة ، ومن أيّ شيء آخر في هذا الموضوع ، والذي سوف آمر أن يتمّ إعطاؤه إليكم في أيّة تعليمات أخرى قبل أن تغادروا .

١٢ـ سوف يتمّ إعطاؤكم تقريراً عن الانتصارات التي تمّ إحرازها

ضدّ السلطان التركيّ في "المجر" ، والذي سوف تتجرمونه إلى اللغة الفارسية عندما تكونون في الهند .

إنّكم سوف تقدّمونه إلى السفير الذي يجب عليكم أن ترسلوه إلى تلك المملكة لكي يستطيع أن يظهرها هناك[أ] .

الملك .

"ميجيل دي مورا" "Miguel de Mora" .

(أ) لم تتمّ معرفة شيء عن هذا التقرير .

وفي العام نفسه (١٥٩٤م)

صدرت رسالة من الملك ، إلـى نائب الملك "ماتياس دي البوكيرك" ، "لشبونه" ، في يوم الثالث من شهر مارس عام ١٥٩٤م ، ويذكر فيها المراسلة مع ملك فارس : (٥)

١ـ نائب الملك ، الصديق ، أنا الملك ، أرسل إليكم تحيات عديدة .

على الرغم من أنّني كاتب إليكم في رسالة أخرى من هذه المكاتبة عن مسألة المنافع المنعم بها على أعضاء جمعيّة يسوع المسيح في تلك المنطقة ، مُشيراً إلى ما كتبته عن هذا في يوم السادس من شهر فبراير عام ١٥٨٩م إلى نائب الملك "الدون دوارتي دي مينزيس" "D . Duarte de Meneses" ، رحمه الله .

قرّرت (من أجل توضيح أكثر ، لأنّه من الممكن أنّ تلك الرسالة من غير المستطاع أن توجد ، ونتيجة لذلك ربّما يكون هذا القرار غير واضح) أن أرسل إليكم الجزء الذي يتناول هذا ، متضمّناً في

(٥) رقم الوثيقة والهامش.

هذه الرسالة ، مأخوذاً من نسخة مكاتبة ذلك العام ، التي تشير إلى ما يلي :

(انظر : أرشيف رقم ١ ، رزمة رقم ٣ ، جزء أول ، وثيقة رقم ٥٩) .

ما كتبه "فرانسيسكو بايس" "Francisco Bays" إليّ في رسالة يوم العاشر من شهر أكتوبر عام ١٥٩٢م هو كما يلي :

"يتمّ أيضاً القيام بإرسال وثيقة عن كيف أنّ التبرّعات لم تثمر أكثر من خمسمائة أو ستمائة "باردواس" في العام ، ومُبيّنة أنّ الآباء الرهبان يُقرّون بأنّهم جلبوا لهم ثلاثمائة ألف (...) يجب على جلالتكم أن تُصدروا أوامر من أجل أن يتمّ الحصول على التبرعات (...) ويمكنكم أن تدّخروا ألفاً وخمسمائة "بارداواس" في كلّ عام من أجل خزينتكم ، ومن الممكن أن يتمّ تجنّب الاحتيال الموروث ضدّ دولتكم وعدد كبير من المشكلات الأخرى ضدّ خدمتكم" .

أنا لا أعرف كيف أنّه لم يتمّ تنفيذ ما أمرت به من عام ١٥٨٩م حتّى الآن ، ولذلك فإنّني أكلّفكم ، وكذلك أيضاً ، بالعمل على جعله في موضع التنفيذ دون تأخير ، وبأن تكتشفوا ما يحدث في هذه المسألة ، وأن تُفيدوني بكل شيء .

٢ـ في رسالة ملك هرمز ، التي تناولتها في رسالة أخرى ، أقوم بكتابتها إليكم ، يتمّ ذكر الاحتجاج على المفاتيح الثلاثة التي في صندوق المال ، والتي تمّ تسليم واحد منها إلى مراقب خزانة هرمز بعد منعهم في القلاع ، لا أعرف كيف يوجد مراقب خزانة هناك ، وبعد

لفت انتباهكم إلى ما أمرت به في هذه المسألة ، فإنّكم سوف تقدّمون إليّ تقريراً عنها ، لكي يتمّ تنفيذها بشكل تام بهذه الطريقة .

٣ـ لقد أخبرتكم عن المرسوم الذي أصدرته ، كفضل لابنة عمّي "الدونا كاتارينا" "Dona Catarina" ، وأعهد به إليكم في المكاتبة التي أرسلتها إليكم كلّ عام حول هذه المسألة . كتبت بأنّني أعتمد عليكم ، ولذلك ، استناداً إلى بنود هذا المرسوم ، فإنّكم سوف تُرتّبون لكي تمدّوها بسفينة واحدة مع التفويض اللازم .

إنّكم أيضاً سوف تخبرون مراقب الخزانة في "كوتشين" "Cochin" عن هذا ، نيابة عني .

كتبت في "لشبونه" في يوم الثالث من شهر مارس عام ١٥٩٤م .

الملك ، "ميجيل دي مورا" .

لعناية نائب الملك لدى الهند نسخة ثالثة .

في العنوان : من قِبَل الملك إلى "ماتياس دي البوكيرك" ، عضو مجلسه ، ونائبه في الهند ، نسخة ثالثة .

أحداث عام ١٥٩٥م

صدرت رسالة من الملك ، إلـى نائب الملك "ماتياس دي البوكيرك" ، "لشبونه" في السابع عشر من شهر فبراير عام ١٥٩٥م ، يخبره فيها بأن ملك هرمز لقلة الدخل يطلب منه أن يسمح له باحتلال قلاع قريبة : (٦)

مقتطف : الفقرة الأولـى ، والثانية ، والثالثة ، والرابعة .

١ـ نائب الملك ، والصديق ، أنا ، الملك ، أرسل إليكم تحيّات عديدة .

كنت كتبت إلى "ديوجو لوبيز كوتينهو" "Diogo Lopes Coutinho" ، "قبطان" هرمز ، حينما تسلّم القلعة ، أنّه وجدها في نقص من الجنود ، وفيها عدد كبير من الجنود الكبار في العمر والضعاف ، وأنّهم بسبب المعاملة القاسية التي قد تحمّلوها لم يذهبوا لكي يقضوا هناك فترة الشتاء كالمعتاد .

---

(٦) رقم الوثيقة والهامش.

إنّني كاتب إليه رسالة بغية أن يبعث إليكم تقريراً عن هذا .

إنّني أكلّفكم ، حسب أهمّيّة هذه القلعة ، أن تتأكّدوا أنّه يوجد فيها نقص في الرجال ، وأنّ أولئك الذين يجب عليهم أن يذهبوا ويعيشوا هناك هم قادرون على أن يدافعوا عنها ، ويهتمّوا بأيّ أحداث سيّئة ربّما تقع هناك .

٢ـ لقد أُخبرت أيضاً أنّها قد وقعت في دين كبير بسبب السلوك المهمل من ملك هرمز ، وأنّه في أثناء فترة حياته وزّع مدخولاتها على عدد كبير من الناس . نتيجة لهذا إنّه من غير الممكن أن نحافظ على قلاع تلك المملكة ، ويبدو له "ديوجو لوبيز" أنّه من الصحيح أن يضع يده على تلك الأموال من الأشخاص الذين قد أعطاهم إيّاها .

إنّني أكلّفكم أن تعلموا بأنفسكم ، بالتفصيل الدقيق ، حول هذه القضية ، وتضعوا لها العلاج الذي تحتاجه .

٣ـ علاوة على ذلك ، فقد أُخبرت أنّ التجّار الذين يأتون مع بضائعهم إلى دار الجمارك في تلك القلعة يشكون كثيراً ؛ لأنّ المفتّشين يحتجزون بالقوة خدمهم وعبيدهم لكي يحوّلوهم إلى الديانة المسيحيّة .

على الرغم من أنّني كتبت إليه لكي يُعلم رئيس الأساقفة عن هذا ، بدا لي أنّني يجب أن أعهد إليكم بهذه المسألة ، لكي تتفاوضوا معه وتضعوا العلاج اللازم ، ولكي يتمّ الحصول على النتيجة المقصودة لصالح أولئك الأشخاص ، ويتمّ التحديد بطريقة لا تمنع التجّار من القدوم مع بضائعهم إلى دار جمارك هرمز ، لأنّ هذا يمكن أن يؤدّي إلى خسارة فادحة لخزينتي .

٤ـ يُخبرني ملك هرمز أنّ دخل تلك المملكة يتضاءل ، ويطلب منّي ، كفضلٍ ، الإمداد بالرجال والمدفعيّة لكي يذهب ويستولي بنفسه على "لوستان" "Lostan" وقلاع أخرى مجاورة له .

أخبرته أنّه يجب أن يتكلّم معكم عن هذه المسألة .

يعلمني "ديوجو كوتينهو" أنّه يتمّ الوعد بالإيرادات الكاملة للملك ، وأنّه ، بسبب المبلغ القليل الذي يتلقّاه في يده ، يتخلّى عن جزء كبير من دخله عند السداد .

إنّني آمركم ، حينما تتلقّون المعلومات عن "ديوجو لوبيز" ، أن تضعوا علاجاً ملائماً معاً للأشياء التي يحتاج إليها ، وكذلك بالمثل للفوضى التي يعيش فيها ، حتّى لا يتمّ فقدان مدخولات تلك المملكة بشكل تام .

وفي العام نفسه (١٥٩٥م)

صدر خطاب من الملك إلـى نائب الملك "ماتياس دي البوكيرك" ، "لشبونه" ، الثامن عشر من شهر فبراير عام ١٥٩٥م ، ويأمر فيه بأن مسقط يجب أن تعتمد على هرمز : [٧]

مقتطـف : الفقـرة السادسـة ، والسـابعة ، والثامنة ، والسـابعة والعشرون .

٦ . بالنسبة لقلعة مسقط ، وكنت قد أخبرتني ، بأن ضابطها "أنطونيو دي سوسا فالكاو" "Antonio de Susa Falcao" ، والحصن الذي قد رتّب "دوم جيرونيمو ماسكارينهاس" ، أسكن الله روحه ، كي يتمّ بناؤه بجوارها ، فأنا آمرك بإتمامها كما وجهتك من قبل .

نظرا للأسباب التي قد ذكرتها بأن قلعة مسقط يجب أن تكون معتمدة على قلعة هرمز ، وذلك بسبب عدد العقبات التي قد تمّ

(٧) رقم الوثيقة والهامش.

اقتراحها عليّ ، فأنا أؤمن أنّه في الوقت الحاليّ لا يجب اتّخاذ أيّ إجراءات جديدة .

الأفضل ، إنّه يجب عليك ترتيب كلّ شيء متعلّق بخدمتي ، حدث أو يحتاج لأن يحدث ، في قلعة مسقط ، يجب أن يتمّ إبلاغه لضبّاطها ولضبّاط قلعة هرمز ، وسوف تقوم أيضاً بتحفيزهم بأن يضعوا في اعتبارهم أنّ ذلك هو أحد الأسباب لتحسين عمليّة الدفاع عنها وصيانتها .

لقد أبليت حسناً عندما أبلغت "دوم جيرونيمو" بشكل مباشر عن الأخبار التي استلمتها عن سفن "القادس" ، وبارجات "الفرغاطة" وأنّه قد تمّ تجهيزها في "مكّة .

تفسيراً لما قد قلته لي ، وأنا آمرك أن تهتمّ جيّداً بتلك الأمور لأهمّيّتها .

٧. لقد سررت جدّاً لمعرفة الجهد الذي قد بذلته لتوصيل الخطاب الذي كتبته إلى "الشاه" ، وبسبب أهمّيّة الحفاظ على الصداقة ، والاستمرار بإقناعه وتحفيزه على شنّ الحرب على الأتراك ، كي يوجّه انتباههم إلى ذلك الإقليم ، وألاّ يمضوا وقتهم في تلك المنطقة .

قد قرّرت أن أكتب له الخطاب الذي سيكون مع تلك المراسلة ، وأنا أعهد إليك كي تحاول توصيلها له كي يردّ عليها ، لأنّه بالرغم من أنّني قد كتبت الكثير له في السنوات السابقة ، فإنّني لم أتسلّم منه حتّى الآن ردّاً واحداً .

أخبرني كيف تسير الحرب التي شنّها ضدّ الأعداء ، وإذا كانت الهدنة التي عقدها مع الأتراك ، لتلك الصلة ، لا زالت قائمة .

٨. وفقاً لما تقوله لي ، كان المدعوّ "أجوس كوكا" "Agos Coka" ، وهو ضابط وأخ بالتبنّي لـ "الأكويبار" ، وقد كان مخطّطاً للإبحار إلى مكة خلال فترة حكم ملك "كامباي" "Campay" ، وقد تظاهر أنّه انفصل عن قلعة "ديو" "Diu" كي يبعد الانتباه عن خطّته ، حتّى تصل الرياح الموسميّة ، وقد كتب بالفعل خطابات وقحة إلى "بيرو دي انايا" ، ضابط القلعة ، وطالب بأشياء غير عاديّة .

فجأة! وبدون مقدّمات حاول أيضاً الاستيلاء على القلعة عن طريق أحد الهندوس المقيمين في المدينة ، وعندما تمّ اكتشاف الأخير ، تمّ إحضاره للمحاكمة ، وقد كتب بعد ذلك "أجوس كوكا" طالباً تفويضاً من "بيرو أنايا" "Pero Anaya" بتحميل "القرقور" في القلعة نفسها ، وأن يغادر بها هو وزوجته وأولاده إلى مكة .

ولقد وعد "بيرو أنايا" أنّه سوف يطلق سراح البرتغاليّين الذين قد تمّ سجنهم في "كامباي" مع ممتلكاتهم ، ولقد قام بذلك بالفعل ، وأبحر إلى مكة في اليوم التالي ، في "القرقور" .

يجب أن يستمرّ الإنسان ، دوما باهتمام وحذر شديد ، في الأمور التي تكون عواقبها كذلك ، لأنه يمكن الاعتقاد أنّ المغول سيستاؤون من الخدمة الخاصّة التي منحت إلى "أجوس كوكا" ، وذلك قد يقدّم عذرا لقطع (العلاقات) مع تلك الدولة .

إنّ حاكم الهند قلق دائماً بسبب المشاكل ، لذلك فإنّه من الأفضل المساعدة (فقط) ، وأنا أنصحك ، في مواقف مشابهة ، أن تتصرّف بتروٍ شديد ، وأن تمنحهم كلّ الحماية التي هم في حاجة إليها .

لقد أبليت جيّدا عندما منعت السفن البرتغالية من الذهاب إلى "كامباي" خلال تلك الفترة ، لأنّه إذا حدث انفصال عن "المغول" نتيجة لذلك ، فلن تقع السفن في أيديهم .

إنّ الاحتياط الذي اتّخذته في "دامان" "Daman" كان جيّداً جدّاً أيضاً ؛ حيث إنّ تلك المدينة ميّالة جدّا لاستثارة غضبها من "المغول" ومن مواجهتهم . أنا أتوسّل إليك دائما أن تبدي ذلك الاهتمام للتحصينات وغيرها من العمليّات ؛ إذ إن أهمّيّة المدينة تتطلّب ذلك .

٢٧. لقد سررت عندما أبلغتني أنّ ابن "الشيخ جويت" الذي ادّعى على حكومة هرمز ، قد أصبح مسيحيّاً ، وهو يطلق على نفسه الآن اسم "دوم جيرونيمو" .

أنا أفوّض إليك بأن تصدر تعليمات لتسوية النزاع بينه وبين الملك بخصوص ادّعائه ضدّ تلك المملكة ، مع الافتراض أنّ الملك (دائما) يلتمس الشيء نفسه في قضايا مشابهة .

إذا اتّضح أنّ المملكة تعود إلى "دوم جيرونيمو" سوف ترسل إليّ ، من خلال الطرق (المعتادة) ، نُسَخَ الأحداث والقرارات التي قد تمّ استلامها ، قبل أن يتمّ كتابتها كوثائق قانونيّة ، وقبل أن يتمّ نشرها .

سوف ترسل ما هو في مصلحتي في ذلك الموضوع ؛ لأنّ أهمّيّة تلك المسألة تتطلّب أن يكون أيّ فعل يتمّ اتّخاذه قد تمّ اختباره بحذر شديد ، وأنا أوكل إليك أن تستغلّ كلّ فرصة في مصلحة "دوم جيرونيمو" .

وفي العام نفسه (١٥٩٥م)

صدر مرسوم ملكيّ ، "غوا" ، في يوم الثامن من شهر مارس ١٥٩٥م ، ويذكر فيه أن ملكة فارس امرأة مسيحية ، وهي والدة الملك شاه عباس : (٨)

أنا الملك "فيليب" "Philipe" ، والفاتح ،

أُعلم كلّ أولئك الذين يطّلعون على هذه الرسالة بأنّني مهتمّ بالمبالغ الكبيرة التي يتمّ إنفاقها من قِبَل رعِيّتي المقيمين في مناطق الهند ، سواءً أكانوا نبلاء ، أم فرساناً ، أم خادمين لي ، أم جنوداً ، أم متزوّجين ، أم مواطنين ، على المرافقين الخدم البرتغاليّين .

الذين يحتفظون بهم من أجل المباهاة والتفاخر أكثر من لأنّهم في حاجة إلى خدماتهم ، وليحتفظوا بهم لكي يتشبّهوا بالآخرين ويتنافسوا معهم ، إنّهم يغرقون في الدَّيْن ، وغالباً لا يستطيعون أن

---

(٨) رقم الوثيقة والهامش.

يحقّقوا التزامات أخرى ذات خدمة أعظم لله ولنفسي ، كما أظهرت التجربة على مرّ السنين .

راغباً في أن أؤكّد بأنّ رعيّتي هم قادرون على معونة أنفسهم بتكلفة أقلّ ، ويستطيعون أن يساهموا بشكل ملائم في تعهّداتهم الجديرة بالتقدير ، ولأسباب جيّدة أخرى ، وبعد أن قد تمّت الموافقة من قِبَل قضاة المحكمة العليا لهذه المناطق في اجتماع بحضور "ماتياس دي البوكيرك" ، عضو مجلسي ونائبي في الهند :

إنّها رغبتي وسروري ، وأمرت أن أحرّم ، من تاريخ إعلان هذا المرسوم من الآن فصاعداً ، أنّه يمكن أن يحصل أيّ جندي ، أو رجل غير متزوّج من أيّ درجة على خادم برتغاليّ واحد ، باستثناء النبلاء المحترمين الذين هم غير متزوّجين ، و"قباطنة" كلّ من القلاع والرحلات البحريّة ، حتّى لو لم يكونوا رجالاً نبلاء ، فإنّ كلّ واحد منهم يمكن أن يمتلك حتّى اثنين من الخدم البرتغاليّين وليس أكثر .

يجب أن يطبّق هذا على "قباطنة" السفن طالما هم يقومون بالإبحار فيها كـ "قباطنة" في خدمتي .

يمكن أن يحصل مواطنو أيّ مدينة في تلك المناطق على خادم برتغاليّ واحد ، ويجوز لأيّ فرد من النبلاء الذين يتمّ إرسالهم إلى "قبطانيات" "غوا" ، وهرمز ، و"سوفالا" ، و"مالقا" و"ديو" ، و"تشول" "Chaul" ، و"دامان" ، أن يحمل معه أربعة من الخدم البرتغاليّين ، ويمكن أن يحصل رئيس موظّفي الخزانة و"سكرتير" دولة الهند وقضاة المحكمة العليا على اثنين أو أكثر .

إنّ عقوبة مخالفة قانوني هذا وتحريمي ، هي خمسون "بارداوساً" في المرّة الأولى ، ومائة في المرّة الثانية ، إلى جانب نصف لموجّه الاتّهام ، ونصف لنفقات المحكمة العليا ، بالإضافة فإنّه سوف يتمّ نفيهم إلى "دامان" لمدّة عامين في كلّ مرّة يرتكبون فيها المخالفة ، وسوف يتمّ أخذ الخدم المرافقين كسجناء وتطبّق عليهم أقصى العقوبة المستحقّة التي تحكمهم بها المحكمة العليا ، التي يجب أن تنفّذ أحكامها بشكل تامّ .

إنّني أفصح عن هذا لرئيس قضاة المحكمة الجنائية في دولة الهند ، ولرؤساء القضاة في القلاع والمدن في ذلك الشأن ، وللقضاة الآخرين ، والموظفين والأشخاص الذين يهمّهم الأمر في الحاضر والمستقبل ، وآمرهم أن يطيعوا ويمتثلوا لما هو موضوع في هذا النصّ دون تردّد أو اعتراض .

يجب أن يتمّ إعلانه في الأماكن العامّة في مدينة "غوا" "Goa" ، ويتمّ إدخاله في مكتب المحفوظات العامّة ، ويجب أن يتمّ إرسال نسخ مصادق عليها إلى قلاع ومدن الدولة بالمعنى نفسه ، ويدخل في المجالس البلديّة والوكالات التجاريّة ، لكي يكون معروفاً للجميع أنّ هذا هو أمري وتحريمي للأسباب المعطاة

يجب على الموظّفين الذين ينفّذون هذا أن يشهدوا على ظهر هذه الوثيقة بأنّه قد تمّ تنفيذها .

صدر في "غوا" مدينتي تحت ختم أسلحتي الملكيّة في التاج البرتغاليّ في يوم الحادي عشر من شهر مارس .

أرسل سيّدنا الملك هذا بواسطة "ماتياس دي البوكيرك" ، عضو مجلسه ونائب الملك في دولة الهند ... إلخ .

كتبت بيد "أنطونيو دا كونها" "Antonio da Cunha" في عام ١٥٩٥م .
أمر "لويس دا غاما" "Luis da Gama" بكتابته .
نائب الملك .

الهامش :

"تمّ الاتّفاق في المحكمة العليا أن ينطبق هذا القانون فقط على الجنود الذين لا يجوز لهم أن يحصلوا على مرافقين خدم برتغاليّين تحت طائلة العقوبات المنصوص عليها في هذا الخصوص .

في المحكمة العليا ، في يوم الخامس عشر من شهر مارس ١٥٩٥م .

(الموقّعون) : "دي مورا" "de Mora" "بايس" "Bays" – "ماتشادو" "Machado" – "موريس" "Moris" .

إنّه في خدمة لجلالة الملك ، إنّه على الرغم من قرار المحكمة العليا أعلاه ، يجب أن يتمّ الإذعان بشكل تامّ لهذا الخطاب القانونيّ ، في كلّ شيء يحتوي عليه ، ويجب على المستشار وممثّل الملك أن يصدره من خلال مكتبه .

"غوا" ، في يوم الخامس عشر من شهر مارس عام ١٥٩٨م .
نائب الملك .

إنّني آمر بهذا لأنّ جلالته أصدر أمراً ، وحثّ بأنّني يجب أن أفعل هذا في تعليماته .
نائب الملك .

يمكن أن يجد "الدون اليكسو" "D . Alexo" الهند ومدينة "غوا" نفسها في حالة بائسة حيث :

أ. هناك خلاف شديد بين أعضاء مجلس رهبان الكاتدرائية وعدد كبير من القساوسة سجناء .

ب. مجتمع منتشر فيه الفساد .

ج. جوع وفقر في كلّ مكان : "احتياجات هذه الأرض كثيرة جدّاً ، فلا يمكن أن يتمّ تخيّلها هناك" .

د. إيمان ضعيف جدّاً لدرجة أنّه كان في "غوا" وحدها والجزر المجاورة لها "أكثر من عشرين ألف مسيحيّ مُعمّد يرتكبون الرذيلة (الزنا) .

لم يتراجع الأسقفّ المقدّس في وجه بؤس كهذا ، وأعطاه قلب الرسول المتحمّس القوّة لكي يحمل على عاتقه المهمّة الضخمة لإصلاح الهند .

"إصلاح رجال الدين" :

بذل جهوداً ونجح في مصالحة مجلس رهبان الكاتدرائية وفي القيام بإصلاح رجال الدين : "وجدت عدداً كبيراً من عادات العنف السيّئة هناك ، والشقاق بين القساوسة ، وحينما بدأت على الفور أبذل قصارى جهدي نحو هذا ، عاقبت بعض الفظائع التي قد تمّ ارتكابها على يد بعض رجال الدين وأناس آخرين . بعد وصولي كنت مندهشاً كثيراً من بعض رجال الدين ، وكتبت إلى كلّ مكان من منطقة أسقفيّتي بهذه المعايير ، قد استبعدت كلّ تلك الأفعال المخزية" .

"إصلاح السلوك" :

لكي يواجه التدهور الذي قد كان يقوم بإفساد المجتمع لفترة طويلة

من الزمن ، ويؤدّي إلى سرعة تدمير إمبراطوريتنا ، اتّخذ إجراءات قويّة بالإضافة إلى إدارة الكرسيّ الرسوليّ الأسقفّيّ ، وعيّن لجنة مكوّنة من أربعة رجال دين ، تمّت الموافقة عليها من خلال رسالة ملكيّة مؤرّخة في يوم الثاني عشر من شهر فبراير عام ١٥٩٧م ، لكي تنظر في الأمر ، وتقمع كلّ الإساءات التي كانت مناقضة لمصالح "البرتغال" والكنيسة .

ساد الانحطاط الأخلاقيّ بشكل رئيس بين نساء "غوا" ، اللاتي غالباً ما كنّ فقيرات ومهجورات عندما مات أزواجهنّ وآباؤهنّ ، أو بسبب غيابهم لمدّة أشهر في خدمة الوطن : "من الطبيعيّ للأزواج أن يأخذوا منهنّ معظم الذي يمتلكنه لكي يستخدموه في "البرتغال" ، وللنسوة أن يُصبحن فقيرات ومحطّمات في الحال كثيراً جدّاً لدرجة أنّه حينما تصل سفن "الكاراك" ، يتمّ تركهن مفقودات بشكل تامّ ومهجورات ، والبعض وهنّ زوجات لنبلاء محترمين جداً" .

عندما كنّ مجبرات بواسطة الحرمان ، وقع عدد كبير منهنّ في الانحراف الجنسيّ الذي وصل حدّاً كبيراً لمدّة سنوات حيث كان في مدينة "غوا" وحدها أكثر من خمسين امرأة قد تمّ قتلهن كزانيات من قبل أزواجهنّ .

لكي يتجنّب هذا ، أعطى رئيس الأساقفة أوامره لبناء ثلاثة بيوت : ملجأ "سانتا ماريا مادالينا" "Santa Maria Mdelina" ، وبيت "نوسا سينهورا دا سيرا" "Nosa Senhora da Serra" ، المخصّص لإعادة التأهيل بواسطة "تربية حسنة وخوف من الله ، والبنات اليتامى الشابّات ، وبشكل خاصّ بنات الأشرار ، اللائي في مقدرتهنّ أن يقمن بمخاطرة

على شرفهنّ وتربيتهنّ" ولكي يأوي بمساعدة مخصّصات ماليّة قليلة ، زوجات وبنات الرجال الذين اضطروا إلى أن يجعلوا أنفسهم غائبين عن "غوا" "هذا ممكن أن يمنع المصائب الكبيرة التي تحدث في كل يوم" .

كان "الدون إليكسو دي مينزيس" "Alexo de Meneses" لا يبالي بالتعب في رفع مستويات الهند الأخلاقيّة . حينما كان في "غوا" ألقى مواعظ أثناء أيّام الآحاد السابقة لعيد الميلاد وفي أيّام الصوم الأربعينيّ ، وأيّام الأعياد الرئيسة .

كانت بلاغته مؤثّرة جدّاً لدرجة أنّه استطاع أن يأسر عقول التجمّع الكنسيّ لمدّة ساعتين أو أكثر ، وكان مقنعاً جدّاً لدرجة أنّه نجح في تحويل عدد كبير إلى الديانة المسيحيّة ، فيما بينهم أمير ، وسفير لدى الملك المغوليّ الذي أعطاه الدون "أليكسو دي مينزيس" اسمه حينما عمّده ، بالإضافة إلى بعض الأعضاء من أسرته .

خصّص ساعة واحدة في كلّ يوم لمقابلة الفقراء ، وفي عيد الصوم الأربعينيّ سمع اعترافات عبيد سفينة "الجالي" ومجموعة السجناء الموثقين بالسلاسل ، الذين قدّم لهم المواساة والصدقات .

بهدف إصلاح السلوك نفسه دعا إلى عقد المجمّع الكنسيّ (السنود) الإقليميّ الخامس في "غوا" في العام ١٦٠٦م ، الذي مارس التأثير الأكثر نفعاً في كلّ الشرق ؛ لكنّ النتائج الرائعة التي حقّقها "الدون اليكسو" في إصلاح ناتجه بشكل أكثر عن حياة مثالية وإحسان بلا حدود من تشريعه الحكيم وبلاغته .

"عمل الخير" :

لكي يُقلّل فقر الهند ، كلّف الأخ اليسوعي "لويس لايفاو" "Luis Laifao" لكي يقدّم مسحاً لجميع الفقراء والأشخاص سيئي السمعة .

قدّم مخصّصاً ماليّاً لكلّ شخص فقير ، وذلك الذي دائماً ما دفعه حينما كان في الهند من خلال وساطة الأخ الراهب "لايفاو" ووزّع صدقاته . أعطى الصدقات إلى "القباطنة" المحتاجين والجنود ، وكان لديه قائمة تحتوي على ستّة من الأشخاص الفقراء في كلّ يوم "ممّا يعطيه لي جلالته نأكل يوميّاً أنا والفقراء ، ومن هؤلاء يوجد لديّ نصف دزينة على طاولة إلى جانب طاولتي" .

لقد لجأ الجميع إلى رئيس الأساقفة المحسن المتصدق على الفقراء : "لا يوجد فرد ، أو جنديّ فقير ، أو مسيحيّ مُتخلّىً عنه لا يشعر بذلك إلاّ بإمكانه أن يذهب إليه .

كان الفقر منتشراً بصورة كهذه للحدّ الذي لم يكن فيه راتبه الذي يُقدّر بتسعة آلاف "كروزادوا" كافياً لكي يساعد كلّ فرد : "في هذا العام قدّمت أربعة آلاف "بارداوس" كصدقات ، وحتّى مع هذا لم أكن قادراً على أن أساعد فرداً واحداً بمبلغ مائة منهم" .

على الرغم من العيش في فقر ، لم يمتلك "الدون اليكسو" القلب لكي يرفض الصدقات ، "إنّني أعيش في فقر وبالديون بسبب أنّ احتياجات الأرض كثيرة ومُلحّة جدّاً لدرجة أنّه من الأسهل لي أن أبيع نفسي من أن أوقفهم من المجيء من أجل المساعدة"

هكذا ، حينما لم يكن لديه المال ، ويطلب أو يوزع أشياء أسياسيّة

لا يمكن الاستغناء عنها لاستخدامه مثل المحابر الفضيّة وأغطية من سريره ، كان إحسان رئيس الأساقفة الموقّر بشكل كهذا ، بالإضافة إلى استهلاك الجزء الأكبر من راتبه في الصدقات" لدرجة أنّه ما زال مضطرّاً إلى أن يحصل على دين بمبلغ خمس وأربعين ألف "كروزادوا" لمساعدة العدد الأكبر من الحاجات .

"تدريب المبشّرين الكاثوليك" :

كان "الدون اليكسو مينزيس" رسولاً حقيقيّاً للشرق ، ولا يألو جهداً في أن يحمل الإيمان إلى كلّ مناطق أسقفيّته الواسعة ، وحتّى إلى الحدود الخارجية لـ آسيا وإفريقيا .

كانت البعثات التبشيرية هي همّه الأكبر ، ولذلك فضّل المبشرين اليسوعيّين و"الفرانسيسكان" و"الدومينكان" الذين كرّسوا أنفسهم لتلك الوظيفة الكهنوتية ، وحاول أن يقدّم تعليمات أساسيّة إلى جميع القساوسة .

كان كثير من المبشّرين الأوربيّين جاهلين باللغة القوميّة ، وهذا سبب واحد لماذا وجدوا أنفسهم مضطرّين إلى استخدام المترجمين : "اعتبرت هذا عيباً كبيراً في الآباء الرهبان ألاّ يعرفوا لغة الدولة التي يتدرّبون فيها ، وحتى العدد الكبير من الاعترافات يتمّ سماعها من خلال مترجم ، لأنّه باستثناء أولئك الذين في الجمعيّة ، فنحن الآخرون في حاجة إلى هذه المسألة" .

لكي يعالج هذا العائق الخطير ، بدأ "الدون اليكسو" فصولاً دراسيّة ، على نفقته الخاصّة ، في قصر الأسقفّ نفسه ، هذه التي تمّ الحضور فيها

بشكل جيّد ، حتّى من قِبَل رئيس الأساقفة ، "إنّني أيضاً أتعلّم ، لأنّ هدفي هو أن أكون قادراً على الاعتراف والوعظ باللغة القوميّة" .

بالإضافة إلى هذا ، نشر مرسوماً كان ينصّ على : "لأنه لا يجب أن يتمّ السماح لأيّ كاهن في كنيسة لا يعرف اللغة (...) وأنّه لن يتمّ منح أيّ منصب كنسيّ أو وظيفة قسّيس لأيّ فرد لا يتمّ اختباره أوّلاً في اللغة" .

بفكرة تديب المبشّرين أسّس وساعد في أديرة مختلفة وكليّات لدى طائفة أخـوة القدّيـس "أوغسطين" ، وأيضاً المعروفين بـ "الغرسيانو" "The Gracianos" "المتسامحون" ، الذين ينتمي إليهم رئيس الأساقفة : "يمتلك مجلس التجمّع الكنسيّ أحد عشر ديراً بالإضافة إلى الجاليات المسيحيّة ودور الإقامة في "هوناوار" "Honawar" التي على وشك أن يتمّ تسليمها .

ومن هؤلاء ، اثنتان تمّ التزويد بهم من أجلهم في مسقط و"مومبسّا" و"باسين" "Bassin" مع مقدار صغير من الدخل . إنّ "هوناوار" تمتلك الشيء نفسه ، ولذلك فإنّني أريد الآن أن أبني ديراً من أجل الدراسة هناك .

كان الدير الرئيس للطائفة قائماً في "غوا" ويوجد من طرف "الدون اليكسو" كليّة كبيرة للدراسات المتقدّمة ، مبنيّة بجانبه ، هذه التي نافست الكليّات الأفضل في "البرتغال" : "إنّ دير "غوا" هو بين المباني الأفضل التي تمتلكها الكنيسة (...) والآن فإنّه سوف يكون أكثر حسناً ،

لأنّه بناءً على نصيحتي ، فقد تمّ البدء بدير بجانب الدير الكبير (...) إنّه رائع وسوف يكون أفضل شيء منه" .

هو أيضاً يرعى تأسيس دير صغير وكليّة في بلاد فارس : "على طراز مدرسة أولاد"

بالهدف نفسه ، نشر العقيدة ، أمر بأن يتمّ افتتاح بيوت عديدة ، وبناء عدد كبير من الكنائس : "في هذا العام ، تعبيراً عن فرح المدينة ، تمّ تسليم بيت في "داماه" وأقمت آخر في "هوناوار" (...) إنّهم يظهرون نتائج رائعة على ساحل "مالندي" (...) وأيضاً في الكنائس التي أمرت بأن يتمّ بناؤها في عدد كبير من الأماكن الأخرى" .

"بعثات" :

أرسل بالدرجة الأولى رجال دين من طائفته لكي يُبشّروا بنشر الإنجيل في "كوتشين" "Cochin" الصينيّة ، و"البنغال" ، و"سيلان" ، و"جورجيستان" ، وهرمز ، والصرة ، وبلاد فارس ، وسوقطرة ، وبلاد الحبشة ، وساحل "ممبسّا" بأكمله : "إنّهم بالتأكيد يعملون بين المسيحيّين في "كوتشين" الصينية ، و"البنغال" (...)

على طول ساحل "مالندي" حيث وضعتهم ، ويوجد لديهم دير في "مُمبسّا" ، تمّ تقريباً بناؤه (...) وبالإضافة إلى الكنيسة التي أعطيتها إليهم ، فإنّهم يسافرون من هنا على طول الساحل ، واليوم فإنّهم يمتلكون اثنتين من الكنائس في "باتي" و"زنجبار" وهي مدينة (مسيحية) حيث كان هناك الآباء الرهبان .

لم تكن خطّتي فقط من أجل تحويل الناس هناك إلى (مسيحيين) ولكنّني أيضاً أعطيت أمراً لاثنين من القساوسة لكي يسافرا دون انقطاع من خلال تلك الأماكن على الساحل وهما يقومان بتقديم الاعتراف الدينيّ والترانيم ، وزيادة على ذلك فقد تمّ تعميد كثيرين ، في هذا العام تسلّمت قائمة تحتوي على ستّمائة .

لكي يحافظ على العقيدة على أولئك المسيحيّين الذين مكثوا في بلاد الحبشة في زمن مغامرة "كريستوفاو دا جاما" "Christofao da Gama" البطولية في عام ١٥٤١م ، أرسل رئيس الأساقفة عدّة مبشّرين إلى تلك المملكة ، وفي عام ١٥٩٨م عيَّن ممثّلاً عامّاً ومديراً للمسيحيّين في "إثيوبيا" ، الأب الراهب "بيلشيور دا سيلفا" "Belchior da Silva" ، وهو مواطن من أبناء "غوا" وتلميذ في كليّة القديس "بولو" وراهب منطقة "سانتا آنا" "Santa Ana" في المدينة نفسها .

بقي الأب "بيلشيور" "Belchior" خمسة أعوام في "إثيوبيا" ، التي كتب منها رسائل عديدة إلى "الدون اليكسو" عن المسيحيّين هناك ، في عام ١٦٠٠م خطّط رئيس الأساقفة المتحمّس لكي يحوّل إلى المسيحيّة جزيرة سوقطرة ، ولذلك الغرض قرّر أن يذهب "ويقضي الشتاء في هرمز ، ويزور ، ويتأكّد من المنطقة بأكملها .

يقابلني في سوقطرة التي هي جزيرة حوّلها القديس "توماس" بشكل تامّ إلى المسيحيّة .حتّى اليوم ، فإنّها تمتلك كنيسة ، وصليباً مسيحيّاً بشكل رمزيّ ، ولكن كلّ شيء آخر ينتمي إلى المسلمين الذين يختلطون معهم .

مع ذلك ، ولأنّ تلك الجزيرة كانت على مسافة بعيدة عن "غوا" ، فإنّه كان غير قادر على أن يذهب ويزورها ، لأنّه اضطر إلى أن يتأخّر أكثر من عام ، ولم تسمح له مصالح رئاسة الأسقفيّة ومصالح "البرتغال" بغياب طويل كهذا .

في عام ١٦٠١م ، و١٦٠٢م حاول مرّة ثانية أن يقوم بالرحلة الطويلة والخطيرة ، ولكنّه لم يتمكّن منها لذلك السبب نفسه ، وأيضاً لأنّ الملك قد منعه أن يفعل ذلك : "امتنعت عن الذهاب لأنّ الملك أمرني بشكل واضح في رسائل هذا العام ألاّ أغادر "غوا" ، لأسبابه الخاصّة وبسبب الفراغ التي يمكن أن تحدثه هنا" .

حينما رأى أنّه لا يستطيع أن يقوم بالرحلة البحريّة المرغوبة ، وأنّه قد كان في موقع القيام بها بثلاثمائة مرّة ، أرسل اثنين من الرهبان "الغراسيانو" لكي يقدّما الوعظ لسكّان تلك الجزيرة إلاّ أنّه ، بين الصعوبات الشديدة والخطر على حياتهما ، كان المبشّران مُجبرَين على أن يتخلّيا عن المشروع وينسحبا .

بعد قضاء عدّة أشهر في الوعظ بلا طائل من أولئك البرابرة ، الذين لا يوجد لديهم أقلّ معرفة عن سيّدنا المسيح ، والذين كانوا جميعاً أسوأ من المسلمين : كانوا معادين جدّاً لأشخاصنا ، لدرجة أنّهم لم يكن لديهم الرغبة لكي يستمعوا إليهم" .

لكن "الدون أليسكو" كان مسروراً من مسيحيّي القدّيس "جون" في الصرة ، الذين أرسلوا إليه مبعوثين ليطلبوا قساوسة لكي يعلّموهم كان هؤلاء المسيحيّين مملوئين بأشكال الهرطقة وخاضعين لاستبداد الأتراك .

وجد رئيس الأساقفة أنّه من غير الممكن أن يذهب إلى هناك شخصيّاً ، مثلما قد أراد : "لو لم أكن مشغولاً بالأسقفّيّة هذه لذهبت لمساعدة أولئك الناس الفقراء ، ومن هناك أستمرّ في الذهاب إلى بلاد فارس" ، فأرسل إليهم الرهبان "الفراسياو" ، الذين استطاعوا أن يحوّلوا أولئك الهراطقة إلى العقيدة الكاثوليكية .

"سفارة إلــى بلاد فارس" :

كانت ملكة بلاد فارس امرأة مسيحيّة ، وظهر الملك شاه عباس الأكبر الذي يوجد معه اثنان من اليسوعيّين في بلاطه في أصفهان ، وكان صديقاً جدّاً للراهب الغراسياني "سيماو" "Simao" الذي اتّخذه كأستاذه للفلسفة وعلم الفلك ، الذي أراد أن يتعلّمه ، لأنّه كان أميراً مؤيّداً للكاثولوكية .

لكي ينجح في تحويل ذلك الملك إلى المسيحيّة ويمنع اندلاع الحرب التي تمّ إشاعتها "اتفق الأسقفّ المتحمّس مع نائب الملك "أيريس دي سالدانها" "Aires de Saldanha" على أن يُرسل سفارة (بعثة) إلى "شاه" بلاد فارس المشهور . من أجل هذا ، اختار رجال دين كانوا الأكثر جدارة بالثقة فيما بيننا بدون الرغبة في مظاهر الأبّهة وبهجة الاحتفال ، لأنّه رأى أنّ هذه الدولة كانت غير قادرة على أن ترسل شخصاً لديه مظهر تباه كافٍ ليكون ذا قيمة في بلاط ملك قويّ كهذا" .

عُهد لبعض الرهبان "الفراسيانو" بهذه المهمّة السياسيّة والدينيّة الصعبة : "كان فعلاً الأخ الراهب "جيرونيمو دا كروز" "Jeronimo da Cruz" ، الذي

كان ينظر إليه على أنّه قدّيس في هذه الأرض ، والذي كان توّاقاً إلى المغامرة ، في "كوتشين" في الطريق إلى "البنغال" .

وأيضاً الأخ الراهب "كريستوفاو القشتالي" ، وهو خادم عظيم لله ، ولأنّهم اضطروا أيضاً إلى أن يتناولوا قضايا خطيرة خاصّة بالدولة ، فإنّني اخترت الأخ "أنطونيو دي جوفيا" "Antonio de Govia" ، الذي كان الأكثر احتراماً هنا بسبب التعليم والوعظ وفطنته التجاريّة" .

ألزم "الدون اليكسو دي مينزيس" الأخ الراهب "أنطونيو دي جوفيا" ، أسقفّ "سيرين" "Cerene" في المستقبل ، بأن يزور مدينة هرمز ، بينما كان منتظراً اللحظة المناسبة لكي يرحل إلى بلاد فارس .

لكن ملك بلاد فارس ، الذي قد كان حتّى الآن هو الصديق الأفضل لدى هذه الدولة ، مدفوعاً من قبل الأخوين الإنكليزيين "السير أنطونيو" و"السير روبرت شيرلي" "Robert Cherley" أعلن الحرب على هرمز في عام ١٦٠٢م : "إنّه عمل بعض الإنكليز عنده" الذي جعل مهمّة السفيرين ، اللذين كانا فعلاً في تلك المدينة ، صعبة للغاية .

لكن ، حينما علم "القبطان العامّ ، الذي هو سلطان شيراز أنّهما كانا سفيرين مبعوثين إلى ملكه ، أرسلهما بأمان في طريقهما ، وقدّم إليهما الأشخاص والنفقات والحراسة حتّى وصلا إلى البلاط الملكي" .

بعث "الدون أليكسو دي مينزيس" هدايا ورسائل إلى الملك ، وملكة بلاد فارس ، من خلال السفيرين ، ودعا الملك إلى اعتناق العقيدة الكاثوليكيّة ، عارضاً عليه أن يذهب هو بنفسه لكي يعالج هذه القضية : "كتبت إلى الملكة ومن خلالهما وأرسلت إليها كلّ قطع المذبح التي استطعت أن أجدها .

مذكّراً إيّاها بأنّه قد كانت هناك زوجة لملك آخر في بلاد فارس بالضبط مثلها ، هذه التي قد أقنعت زوجها الكافر بعد جهد كبير أن يطلق سراح رجال الله ويعطف عليهم ، وأنّها يجب أن تفعل الشيء نفسه (...) أرسلت رسالة قصيرة إلى الملك بأنّه إذا شعر بالميل نحو مناقشة أمور تتعلّق بعقيدة المسيح .

إنّه اعتقد بأنّه يمكن أن يفعل هذا معي ، فإنّني بالتأكيد يمكن أن أذهب لكي ألتقي به حينما أتسلّم رسالته ، ويمكنني أن أفعل هذا بدون تقصير ، لو أنّها هي إرادة الله بأن تصلني رسالة كهذه (..) إنّها يمكن أن تعوق بقوّة كلّ هذه الحرب في هرمز ، ولكنّني أشكّ فيما إذا كانت الأمور هناك مرتّبة جيّداً كما يزعمون هنا" .

كانت هذه السفارة (البعثة) متوَّجة بالنجاح الأعظم ، فقد أسّس الأخ "جيرونيمو دا كروز" كنيسة وديراً في أصفهان ؛ حيث كان يقع البلاط الملكي .

استطاع المبشّرون الذين تمّ استقبالهم على أنّهم قديسّون أن يحوِّلوا إلى المسيحيّة عدداً كبيراً من الكفّار وأن يمدّوا نشاطهم إلى حدود "جورجيا" . "لدينا أخبار حسنة جداً من الآباء في بلاد فارس ، إنّه يتمّ استقبالهم على أنّهم قدّيسون ، وبالتأكيد أولئك الذين هم هناك اليوم هم خدم عظماء لله .

يمتلك المسلمون محبّة لهم ، وبخاصّة للأخ "جيرونيمو" وهم يُحضرون إليه كلّ أطفالهم المرضى لكي يضع يديه ، وصور وكتاب الصلوات عليهم ، وهو صوت ودود فيما بينهم ، سوف يعالج الكثير" .

استولى ملك بلاد فارس على "أرمينيا" من الأتراك وبنى مدينة للأرمن بالقرب من أصفهان ؛ حيث استغل الرهبان "الأوغسطينيّين" المناسبة لكي يقدّموا وعظاً لهم عن المذهب الحقيقيّ وفعلوه بجدارة كهذه لدرجة أن بطريرك أرمنيا المنشقّ قدّم ولاءه للكنيسة الرومانيّة ، والذي حصل عليه من بين يديّ لكي أسلّمه إلى البابا" .

بهدف جعل العمل التبشيريّ أكثر تحمّلاً وتأثيراً ، فقد افتتحوا مدرسة لإعداد الرهبان وكليّة للأرمن في الدير : "بعد طريقة مدرسة الأولاد ، بتوجيهات الأخ "جيرونيمو" طلب رئيس الأساقفة من قسّيسه الإقليمي أن يمنح تصريحاً لأبناء الأرمن لكي يتمّ استقبالهم في الطائفة الأوغسطينيّة .

يجعل لهم مدرسة لإعداد الرهبان ، لأنّها يمكن أن تكون مساعدة عظيمة بسبب اللغة ، وقصدي منهم أن يقرأوا الآداب وعلم اللاهوت هناك ، لكي يتمّ بأبناء البلاد الأصليّين أنفسهم انتشار الدين (الكاثوليكي) في جميع أنحاء بلاد فارس وأرمينيا" .

لكي يوقف الأخطاء والطقوس الكاذبة للأرمن ، فكّر الأسقفّ الموقّر في الذهاب إلى بلاد فارس لكي يدعو إلى عقد اجتماع كنسيّ (سنود) ، ولكن ؛ حيث إنّه من غير الممكن أن يحضر شخصيّاً ، فقد أرسل في عام ١٦٠٧م السفير السابق الأخ "أنطونيو دي جوفيا" ، الذي كان في ذلك الوقت أستاذاً أول لعلم اللاهوت في الكليّة الأوغسطينيّة في "غوا" .

كذلك فإنّ "الدون إليكسو" أراد أن يقيم بعثات تبشيريّة في أقطار أخرى ، ولكنّه كان يفتقر إلى المبشّرين الأوربيّين ولم يشعر المواطنون

من أبناء البلاد بالثقة الكبيرة : "لكلّ هذا العمل أمدّنا الإقليم بعمّال قليلين وعدد كبير من أبناء البلاد الأصليّين من هناك الذين اعتادوا على عدم الشعور بالثقة" .

"الزيارات" :

مع ذلك ، لم يكن رئيس الأساقفة ، بما أنّه الرسول المخلّص ، راضياً عن إرسال مبشّرين ، فذهب بنفسه لكي يبحث عن الغنم المتناثرة ، وإذا لم يفعل هذا على الأغلب ، فإنّه كان لأنّ الظروف منعته بشكل تامّ . زار مدينة "غوا" في كلّ عام ، والجزر المجاورة في كلّ عامين : "كلّ عام أقضي ثلاثة أشهر زائراً هذه المدينة مع بعض المساعدين ، والجزر المجاورة مرّة في كلّ عامين" .

زار أيضاً بنفسه ، أو من خلال زائريه ، كلّ كنائس منطقة أسقفيّته وقلاع الشمال والجنوب مرّات عديدة : "لقد زرت كلّ منطقة أسقفيّتي ، الجزء الأكبر بنفسي ، والأطراف الأكثر بعداً من خلال زوّاري ، الذين جاؤوا إليّ في هذا العام (...) وفيما يتعلّق بي .

فإنّني قضيت الجزء الأكبر من هذا العام زائراً القلاع والكنائس التي تمتلكها هذه الدولة في الأراضي الشمالية (...) والآن مع انتهاء الصوم الأربعينيّ ، فإنّني مغادر لكي أزور قلاع الجنوب ؛ حيث أعتقد أنّه يوجد عمل كثير" .

كانت الزيارات للدرجة القصوى ، ومملوءة بالخطر ، وغالباً ما كانت ضروريّة للحصول على مصدر للأسلحة لكي يدافعوا بها عن أنفسهم ضدّ أعدائهم .

اضطرّ رئيس الأساقفة المشهور إلى أن يسافر دون توقّف تحت : "شدّة حرّ شمس الصيف ومطر الشتاء ، مع خطر الموت في البرّ وفي البحر معاً ، حاملاً الأسلحة ضدّ الأعداء في كلّ اتّجاه ، ومنسّقاً القتال مع عدم التأكّد من النتيجة ، بينما كان منتظراً العواصف والرياح والمصائب التي تحل به" .

لكي يحصل على الفائدة الأكبر الممكنة من هذه الزيارات ، لم يدّخر "الدون أليكسو" وسعاً في عمله ، ولكن كانت لديه المواساة في رؤية عمله الشاقّ متوّجاً بالنجاح : "زرت المدن وأوفيت بالتزامات وظيفتي ، التي كانت في الغالب تثبيت ، ووعظ وتعميد كثيرين من الذين يهديهم الله ، الذين هم بعيدون عن إنجيله (...) ولذلك فإنّ النظام الدينيّ الذي حملته معي في الزيارات الرسميّة للكنائس في الخارج هو زيادة على الأشياء العديدة التي يأمر الأسقفّ البابويّ بتناولها في كلّ أسقفّيّات الديانة المسيحيّة .

داعياً الهندوس الذين هم هناك ، ومقدّماً لهم دين المسيح ، وواعظاً إيّاهم ، وجاعلاً من أولئك الذين يريدون أن يعتنقوا الديانة المسيحيّة طلّاباً يتلقّون التعاليم المسيحيّة ، ومُعمّداً بيديَّ أولئك الذين أعتقد أنّهم مستعدّون ، ولذلك كان هناك إبراشيّة تحت رعايتي عمَّدت فيها سبعمائة فرد بيديَّ في اثنتي عشرة جزيرة من جُزر "السالسيت" "Salsete" .

عمَّدت ألفاً ومائتين بنفسي . سوف يصبح بين كلّ هؤلاء أربعمائة من طلبة العلم للديانة المسيحيّة . تثبَّت نيف وسبعة آلاف في الجزيرة نفسها ، وعملت بالطريقة نفسها في كلّ الإبراشيّات التي أحضر فيها

الإله ربّنا البعض إلى عقيدته المقدّسة ، وهذه هي سلوتي الوحيدة في هذه المناطق ، إنها عظيمة جداً ، لأنّ كلّ البقيّة منهم يُسبّبون لي قدراً كبيراً من العناء" .

"تحويل "مالابار" إلـى الديانة المسيحيّة" :

كان عمل "الدون أليكسو دي مينزيس" متوّجاً بشكل باهر بتحويل المسيحيّين الذين من طرف القدّيس "توماس" في "مالابار" ، ويتم معرفة القليل عن التاريخ المبكر لهؤلاء المسيحيّين .

في عام ١٥٠٤م شكّلوا ثلاثين ألف أسرة متفرّقة في جميع أنحاء جبال "مالابار" واتبعوا هرطقة "النيستوريّين" التي قد انتشرت في الشرق بعد مجامع "إفسوس" المسكونيّة في العام ٣٤١م ، والكالدانيّين في عام ٥٤١م .

استمتعوا بعدد كبير من الامتيازات التي منحتهم فئة طبقة أرستقراطيّة على قدم المساواة مع الأمراء الهنود "The Nairs" . كان أساقفتهم ، رؤساء شمامستهم ، وقساوستهم الذين يُعرفون بـ "الكسانيرز" "Cassanares" يدينيون بتبعيّتهم للبطريرك النيستوري في "بغداد" .

احتلفوا بالمناصب الإلهيّة مستخدمين اللغة السيريانيّة والكلدانيّة وكانت مدينتهم الأسقفّيّة هي "أنجامالي" "Anjamali" ، وبالإضافة إلى هذا كان لديهم كنائس في عشرين مدينة من "مالابار" حيث توجد مدنهم الرئيسة : "كرانجانور" ، و"بالور" ، و"كولام" "Kulam" .

حاول الكرسيّ الرسوليّ في "روما" أن يُحوّل هؤلاء المسيحيّين إلى

عقيدته في عدد من المناسبات ، وعندما نتذكّر هذا ، نجد أنّ قداسة البابا الأعلى "جون الثاني والعشرين" أرسل "جوان كاتاليني" "Joan Catalini" الأسقفّ الرئيس الرسميّ في "كولام" إلى "مالابار" في عام ١٣٢٨م ، ولكن مع (...)

أحداث عام ١٥٩٦م

صدر مرسوم من نائب الملك ، "غوا" ، في يوم السابع عشر من شهر يناير عام ١٥٩٦م ، يذكر فيه أن لجنود هرمز مخصصات إضافية على رواتبهم : [٩]

أنا ، "ماتياس دي البوكيرك" ...إلخ ،

أعلم كلّ أولئك الذين يطّلعون على مرسومي هذا ، أنّ فقرة جديدة في قانوني في السجل العام لتلك المناطق في بلاد الهند ، مصادق عليها بواسطة فقرة شرطية من جلالته قد تمّ إعلانها :

لا يجب أن تُدفع أجور الرجال أكثر من أولئك المطلوبين من أجل الحامية التي في كلّ واحدة من القلاع في تلك الدولة .

يجب على كلّ جنديّ أن يُقدّم شهادة صادرة من قبل الكاتب في السجلّ ، مُبيّنة مقدار المبلغ المدفوع .

(٩) رقم الوثيقة والهامش.

لا يجب أن يُعطى الرجال أكثر من العدد المحدّد للحامية التي في كل واحدة من القلاع في هذه الدولة .

يجب على كلّ جنديّ أن يقدّم شهادة من كاتب السجلّ بما يتقاضاه ، وكيف حصل على استحقاقه الحاليّ .

يتمّ مراعاة أمري هذا في قلعة هرمز من قِبَل جميع الجنود الذين تمّ توظيفهم هناك بناء على طلبهم الخاص ، فهم قد أرسلوا لكي يخبروني متى أرسلوا إلى كاتب السجلّ العامّ في هذه المحكمة مطالبين بشهاداتهم لكي يتسلّموا راتبهم ، وطلبوا شهادات أخرى من قاضي هرمز لكي يتماشوا مع وضعهم الحالي في الخدمة ؛ لأنّه لم يتمّ السماح لهم بأن يغادروا القلعة .

لم يتمّ إصدار هذه الشهادات لهم ، السبب المعطيّ هو أنّهم كانوا مدينين بمال من مستحقّاتهم لخزانة جلالته حتّى نهاية عام ١٥٩٣م .

بدون هذه الشهادات لا يمكن أن يدفع لهم الوكيل التجاريّ في هرمز ، وطلب منّي أن أتأكّد من أنّ العدالة قد تمّ تنفيذها في قضيّتهم .

لذلك أمرت أنّه يجب أن يقدّم موظّفو السجلّ معلومات عمّا كان جاريّاً .

أُخبرت أنّها عادة قديمة مستديمة لدى جنود قلعة هرمز أن يتمّ إعطاؤهم مخصّصات مالية بمعدل ستمائة "ريس" في كلّ شهر ، بينما في القلاع الأخرى يتمّ منح مائتين وستّة وستين وثلثين فقط ، ويعني هذا أن مخصّصاتهم أكبر من أجورهم .

على أساس هذه المعلومات ، أمرت أن يُقرّر مجلس الخزانة والمحكمة العليا برئاسة القضاة الرئيسين والموظّفين ما هو الأفضل لمصلحة جلالته ، وأن يتمّ معاملة الجنود في تلك الحامية بشكل عادل .

عندما استعرضوا كلّ هذا ، وافقوا على مراجعة وثائق أولئك الجنود الذين قد كانوا يعيشون في هذه القلعة حتى نهاية عام ١٥٩٣م ، على أساس نفقة ستمائة "ريساً" في كلّ شهر ، حتّى لو كان راتبهم أقلّ .

اتّفقوا أيضاً على أنّه من الآن فصاعداً ، وما هو الأجر الذي يعود إليهم حتّى نهاية عام ١٥٩٣م على أساس ستمائة "ريس" في كلّ شهر .

إذا كان المال وفقاً لمستنداتهم يعود إليهم بشكل قانونيّ ، فسوف يتمّ إصدارهم مع الشهادات .

طبقاً للمعلومات التي قد تمّ إعطاؤها إليّ في القضية ، حتّى لو كان يوجد أمر آخر وقانون على العكس ، فإنّ حرس "القبطان" في "دامان" وأناساً آخرين سوف يتم منحهم المبلغ نفسه من خلال شروط من نوّاب الملك السابقين والحكّام ، من العام ١٦٩٣م حتى الآن سوف يتمّ دفع الأجور حينما يحين موعدها .

إنّني بهذا أُعلم مراقب خزانة جلالته والكاتب في مكتب السجلّ العامّ ، وكذلك بالمثل الموظّفين المسؤولين والأشخاص . آمرهم أن يمتثلوا ، ويحترموا ، ويتأكّدوا من الامتثال الكلّيّ والاحترام كما هو منصوص عليه في هذا دون شكوك أو اعتراضات .

كتب هذا "استيفاو نونيز" "Etefao Nunes" في "غوا" ،

في يوم السابع عشر من شهر يناير عام ١٥٩٦م .

أمر بكتابتها وإعدادها "لويس دا جاما" "Luis da Gama" .

نائب الملك .

وفي العام نفسه (١٥٩٦م)
صدرت رسالة من الملك إلى نائب الملك "الكونت أمير البحر" ، "لشبونه" ، في يوم الثامن والعشرين من شهر يناير عام ١٥٩٦م ، ويذكر فيها اتفاقية سلام من قبل البرتغاليين مع ملك "لار" : [١٠]

مقتطفات :

٦ـ يخبرني أيضاً "ماتياس دي البوكيرك" أنّ بعض البرتغاليّين الذين قد أسرهم الأتراك على ساحل "مالندي" ، وصلوا على ظهر السفن إلى "غوا" من مكة أعطوه أخباراً بأنّه كان هناك اثنتان فقط من سفن "الجالي" مُعطلتان ، واللتان كانتا قديمتين ، وهما عادة ما يتمّ الاحتفاظ بهما في عدن .

أخبروه أيضاً أنّ الأتراك والعرب لديهم خلافات وهم منشغلون جداً بالخسائر التي أحدثوها في "المجر" .

وبما أنّه دائماً ما يكون ذا قيمة بالنسبة لي أن أتلقّى معلومات عمّا

(١٠) رقم الوثيقة والهامش.

يحدث في الخارج هناك ، فإنّني أكلّفكم أن تحصلوا عليها من أجلي ، وأن تكتبوا إليّ في كلّ عام .

عليكم أن تعطوا السلطات في الهند المعلومات التي تحصلون عليها من هناك عن السلطان التركيّ في "أوربّا" .

من رسالة موجّهة إلى "ميجيل دي مورا" من "لويس دي ميندونسا" "Luis de Mindonca" التي سوف يتمّ إعطاؤها إليكم مع رسائل أخرى عن مسيحيّي القدّيس "جون" ، سوف تفهمون كيف استطاع هو أن يحصل على كلّ هذه المعلومات .

سوف يكون شيئاً حسناً إذا ، زيادة على قنوات الاتصال الأخرى التي سوف تأمرون بأن يتمّ وضعها موضع التنفيذ نيابة عنّي لكي تحصلوا على هذه المعلومات ، كلَّفتم "لويس دي ميندونسا" لكي يجد قنوات أخرى .

إنّني سوف آمر أن يتمّ إعادة النظر في مطلبه ، وأن أجعله يجاب عليه لهم قبل مغادرتكم . هذه هي رغبتي .

٧ـ على الرغم من أنّ "ماتياس دي البوكيرك" يخبرني أنّ كلّ شيء هادئ في قلعة مسقط ، فإنّني أوصي بها لعنايتكم بسبب أهمّيّتها ، وأكلّفكم ألاّ يهدأ لكم بال أبداً عندما تتغيّر المواقف إذا أعطت تغيّرات كهذه أسباباً للقلق .

٨ـ إنّه يعلمني أيضاً أنّ الشكاوى من الملك تزداد يوميّاً في قلعة هرمز ، بسبب الفوضى التي يُحدثها ، وهو يخبرني أنّه لم يمتثل للأمر الذي أعطاه

له "الدوم جيرونيمو ماسكارينهاس" ، حينما تسلّم وظيفته هناك ، السبب الذي من أجله يتمّ فقدان الجميع في تلك المملكة .

بما أنّ الملك قد اشتكى "من ماتياس دي البوكيرك" ، فإنّني أكلّفكم أن تعلموني عن كلّ شيء متعلّق بهذه القضايا .

يجب عليكم أن تأمروا بألاّ يجب أن تتمّ مضايقة هذا الملك بشكل غير ضروريّ .

إنّكم أيضاً سوف تكشفون عن شروط المطلب الذي قد أحضره معه خواجا "زويتا" .

سوف تمضون بالطريقة التي أمرت بها في رسائل العام الماضي ، في عام ١٥٩٥م لكي تهتمّوا بما أمرت به في هذه الرسائل والرسائل السابقة ، فقد أعطيت أوامر بأنّه يجب عليكم أن تطّلعوا على هذه المكاتبة في الهند .

يجب عليكم أن تحصلوا على نسخة منها كما سوف تفهمون في نسخة أخرى من تعليماتي .

٩ـ يكتب إليّ "ماتياس دي البوكيرك" أنّ ملك "لار" أرسل سفيره إلى "ديوجو لوبيز كوتينهو" ، "القبطان" في هرمز ، لكي يؤكّد اتّفاقيات السلام التي قد تمّ توقيعها مع "الدوم جيرونيمو" .

صادق عليها وأظهرها للعلن ، كما هي العادة .

إنّكم سوف تعلمون أنفسكم عن اتّفاقيات السلام هذه ، وإذا كانت ضروريّة ، فإنّكم سوف تكلّمونهم ، وترسلون إليّ نسخة منها .

يجب عليكم أن تضعوا نصب أعينكم أنّه عندما يتمّ السلام في تلك الدولة مع الملوك المجاورين ، فإنّه يجب عليكم دائماً أن ترسلوا إليّ نسخة من شروط المعاهدة .

١٠ـ وهو يكتب إليَّ أيضاً أنّه في عام ١٥٩٤م وصل سفير من عند ملك بلاد فارس في مدينة "غوا" حاملاً رسالة ؛ حيث قد أرسل نسخة منها إليّ في المكاتبات ، من المفهوم من خلال هذه الرسالة أنّ ملك بلاد فارس يريد أن يكون صديقاً لدولة الهند ، وأن يبعث إليَّ سفيراً . قال إنّ الشخص الذي أُعيد إليه يجب أن يتمّ استقباله باحتفال كبير ، ويتمّ التعامل معه بأشكال التكريم المناسب .

أخبرني أيضاً أنّ بعض النبلاء يستعدّون للذهاب وزيارته ، وهذا ما فعلوه .

أخبرني أنّه قد أرسل سفيراً آخر إلى الملك "عادل خان" و"المليك" "The Malik" .

أمضى سفيره وقتاً طويلاً في ذلك البلاط أكثر ممّا أراد انتظاراً للتصريح له بالذهاب لمقابلة "عادل خان" ، وتمّ منحه أخيراً التصريح ، على مضض .

استمع إلى نصيحة السفير الذي أرسل إلى هناك ؛ حيث تمّ استقباله بشكل أحسن ممّا توقّع أن يكون .

في نهاية مدّة الثلاثة أشهر ، بعد أن أظهر استياءه ، تسلَّم ردّاً . كانت الرسالة التي أعطاها إلى "ماتياس دي البوكيرك" في الأساس ، مثلما ذكر في الرسالة ، تحتجّ بشدّة على الصداقة التي يمتلكها "الشاه" معي ، وتشير إلى رغبته في وضعها موضع التنفيذ من أجل مصالحي .

(قال الشاه أنّه) لن يبعث برسالة أخرى إلى الملوك المجاورين ، ولكن إلى حدّ ما يزورهم ويقنع "عادل خان" ألاّ يتخلّى عن القانون الذي قد احترمه أسلافه .

على الرغم من أنّ الرسائل القادمة من ملك بلاد فارس لم تصل في مكاتبات العام الماضي ، فإنّني فهمت من رسالة من "ماتياس دي البوكيرك" ومن "القبطان" في هرمز ، التي جاءت برّاً ما هو موقف الملك . يتوجّب علينا أن نأخذ قراراً ملائماً قبل مغادرتكم .

في إحدى التعليمات الأخرى ، سوف تتلقّون معلومات عمّا يجب أن يتمّ فعله من أجل مصالحي .

١٤ـ يكتب إليّ أيضاً "ماتياس دي البوكيرك" أنّ لديه معلومات من خلال الوزير في هرمز أنّه نزولاً عند إصرار "حاجي كوشا" "Agic Coca" ، طلب "باشا جودا" "Juda" من السلطان التركيّ تصريحاً ببناء ألف سفينة "جالي" لكي يواصل الإبحار إلى الهند ويغزو الدولة بأكملها .

عارضاً أن يدفع الجزء الأكبر من نفقاتهم . قال لأنّ شؤون السلطان التركيّ في حالة سيّئة كهذه ، فإنّه لن يؤجّل هذا المطلب ، وحتّى لو لم يفعل كثيراً بقدر ما يقول ، فإنّ أقل من هذا سوف يُسبّب الاضطراب في الهند .

٢٣ـ هو يكتب أيضاً إليّ ، كما أمرته أن يفعل ، أنه كلَّف "قبطان" هرمز أن يمنع ، بدون إساءة ، البنادقة ، والأرمن ، وأجانب آخرين من الإبحار إلى الهند إنّني أعتبر نفسي مخدوماً بصورة حسنة وآمركم أن تواصلوا المُضيّ طبقاً لذلك .

أحداث عام ١٥٩٧م

صدر خطاب من الملك إلـى نائب الملك الكونت الأميرال ، "غوا" ، الخامس من شهر فبراير عام ١٥٩٧م ، يخبر فيه الملك بأن هرمز هادئة وملك "لار" يشن الحرب في عدة مناسبات : [(١١)]

ملخص للفقرات : ١٢ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ :

١٢ . لقد تم إبلاغي من خلال خطاب أنه لم يكن هناك أي اندلاع مفاجئ للحرب في قلعة مسقط ذلك العام . لقد كان الجو هادئا ولقد كانوا يكملون في بناء المعقل الذي قد بدأه "دوم جيرونيمو ماسكارينهاس" .

أنا آمرك بأن تتأكد من أن يتم بناؤه ، إن لم يكن قد تم بالفعل ، وكن حذرا جدا بالنسبة لمسألة الدفاع وحماية القلعة وذلك لأهميتها .

٢٨ . لقد تم إخباري أيضاً أنه قد تم تلقي أخبار بأن مملكة هرمز كانت هادئة ، وإن ملك "لار" قد عاد إلى شن الحرب في عدة مناسبات .

---

(١١) رقم الوثيقة والهامش.

إحدى تلك المرات كانت عندما أجبر رئيس القلعة "الأغسطيني" ، وهو شاب صغير ، وهو أحد أبناء المسلمين ، على أن يصبح مسيحياً ، ولقد تصرف الضابط "ديجو لوبيز كونتينهو" بحكمة في تلك القضية كما هو الحال في قضايا أخرى كانت ضمن مسؤولياته .

وبما أنني أعتبر أنه قد تم خدمتي جيداً إذا ظلت تلك الدولة في سلام ، فأنا أكلفك بأن تبقى في علاقات طيبة مع الملوك الجيران وتلك الدولة .

٢٩. لقد تم إبلاغي أن الضابط المذكور ، "سيماو دا كوستا" "Simao da Costa" والجوازيل ، قد قاما بالكتابة له ، وأن ملك هرمز قد أصبح أكثر سوءاً وأكثر ظلماً ، وأنه سوف يبيع المملكة بأكملها مقابل أي مبلغ من المال يمكن إعطاؤه له لتدميرها ، وأنه لم يأت لمساعدة تلك القلاع على البر الرئيس إلا عندما يكون مجبراً وبعد ذلك تكون هناك مقاومة كبيرة ، ونتيجة لذلك ، فإن تلك القلاع تعد في خطر .

سيكون في مصلحتي أن أعطي أوامري لذلك الملك بأن يتم إحالته على المعاش ، وأن يتولى "الجوازيل" مسؤوليته وحكومته ، حتى يتم تحديد التصرف القانوني لابن الشيخ "جوسيا" "الدوم جيرونيمو" .

أنا أثق بك بأن تعطي التعليمات حول كيفية إنهاء ذلك النزاع مع "دوم جيرونيمو" ، بنفس الطريقة التي ذكرتها في خطاباتي .

٣٠. لقد تم إخباري أيضاً أن ضابط هرمز قد أرسل الخطابات التي قد كتبتها إلى الشاه ، ملك فارس ، عن طريق مسلم موثوق به ، والذي قد قابله في بلدة بالقرب من بحر "القزوين" . أرى من رده ، الذي أرسله مع أول

مجموعة أنه قد رحب بشدة بخطابي ، ومن الخطاب الذي كتبه له الملك ، يرى الضابط أنه يريد أن يحافظ على الصداقة مع تلك الدولة .

قال له إن عليه تجهيز مكان للإقامة لسفيره ، الذي أراد إرساله .

لذلك فإنه إن لم يكن قد أبحر بالفعل إلى البرتغال سواء في سفن "القرقور" تلك أو في الأخرى القادمة ، فعليك أن تبدي له كل كرم وضيافة عندما يصل إلى هناك ، كي يأتي إليّ ؛ لأن ذلك سيحقّق لي الكثير من الرضا .

وفي العام نفسه (١٥٩٧م)

بعث الملك رسالة إلـى نائب الملك الكونت الأميرال ، "غوا" ، الخامس عشر من شهر فبراير عام ١٥٩٧م ، بشأن الخيول القادمة من هرمز : (١٢)

تلقيت معلومات بأن الإيراد المتحقق من الخيول ، التي تأتي من قلعة هرمز إلى "غوا" انخفض إلى حد لم يعد معه يساوي ربع ما كان عليه في السابق ؛ ويعود هذا إلى المخالفات التي يرتكبها كبير تجار الخيول في هرمز ضد التجار المسلمين الذين يجلبونها من فارس ، والفائدة التي ينتزعها منهم عنوة ، علاوة على أشكال الابتزاز الأخرى التي يمارسها عليهم .

هو يحتفظ بأفضل الخيول لنفسه ولأشخاص آخرين ، ويأمر بعد ذلك بتحميل الجياد في سفن صغيرة ، تخص أصدقاءه ، ويتجاهل في الوقت ذاته سفناً أخرى كثيرة يمكن أن تنقل الجياد براحة تامة .

حيث إن الخيول تسافر على متن سفن صغيرة ، وفي مساحات

(١٢) رقم الوثيقة والهامش.

ضيّقة تجعل من الصعوبة بمكان تحميل السفن بالعلف والماء الضروريين للجياد ، فإن الخيول تموت خلال الرحلة .

نتيجة لذلك ، لم تعد الخيول تصل إلى "غوا" من هرمز بالأعداد السابقة .

علاوة على ذلك ، فإن التجار المذكورين أعلاه ينقلون الخيول براً إلى الممالك والأماكن التي يتم فيها تجميع هذه الحيوانات ، كما سترى بتفصيل أكثر من الملاحظات التي أُرسلت إليّ بشأن هذا الموضوع .

بما أن السبب الرئيس لهذا هو أن يعطي ملك هرمز هذا العمل (أي تجارة الخيول) إلى رعاياه المسلمين ، فقد منحته إلى "فرانسيسكو فيلهو" "Francisco Velho" ، الذي توفي وهو يعمل كقائد لقلعة مسقط ، وعندما توفي ، سرني أن أمنحه إلى واحدة من بناته بمناسبة زواجها .

هكذا ، فإنني أكلفك بدراسة التعليقات المذكورة والتحقق من هذا الأمر بعناية ، وعندما تتحقق من أن ما ورد فيها صحيح ، عليك تطبيق الإجراء اللازم في هذا الأمر .

يجب عليك من الآن فصاعداً ألا تسمح لأي مسلم بالخدمة بتلك الصفة ، وأن يقتصر ذلك على البرتغاليين فقط .

في حال ثبت أن أولئك الذين عينتهم غير مناسبين ، عليك تعيين أشخاص ذوي قدرة وموهبة ، يُتوقع منهم أن يؤدوا خدمتي بشكل كامل ، ويكونوا عادلين مع هؤلاء التجار ، ويعاملوهم بطريقة حسنة .

إنني واثق من أنك ستبقيني على اطّلاع بكل شيء تقوم به .

حررت في "لشبونه" بتاريخ الخامس عشر من فبراير عام ١٥٩٧م .

الملك

"ميجيل مورا"

معنون للكونت الأميرال نائب الملك في الهند

على الكتابة الفوقية

بواسطة الملك إلى "دوم فرانسيسكو دا جاما" "D . Francisco da Gama" ، "كونت فيديجويرا" "Conte Videguera" ، الأميرال ونائب الملك في الهند ، عضو مجلسه

رسالة عن بعض الملاحظات حول الخيول القادمة من هرمز :

تقع مسؤولية شراء وبيع الخيول في هرمز وشحنها إلى الهند حصرياً على كبير تجار الخيول ، وإنها لخسارة عظيمة بالنسبة للتجار ولخزانة صاحب الجلالة أن يُمنح هذا العمل إلى ملك هرمز بسبب المضايقة التي يلقاها التجار .

نتيجة لهذا ، لم يعودوا يجلبون جيادهم عن طريقنا ، بل ينقلونها بطريق آخر .

علاوة على الفائدة التي يحصّلها كبير التجار عن جميع الخيول المجلوبة إلى هرمز وتباع فيها ، يفرض عنوة أيضاً الكثير من الدفعات على التجار ، وهذا أمر يسبب لهم سخطاً شديداً .

يتم الاتفاق على أسعار جميع الخيول المشتراة والمباعة ، من صغار التجار أو من أفراد من الخارج بينهم ، عندما يذهبون لتقديم حساباتهم إلى كبير تجار الخيول وتسجيل الجياد في الدفتر ، كما هي العادة ، ومرة أخرى يغيّر الأسعار ويزيدها لأولئك الذين يشترون ، ويخفّضها للذين

يبيعون ، بينما يُبقي لنفسه أي شيء زاد للبعض وانخفض لآخرين ، ويبقى ذلك لديه عند الدفع – وهو جزء من مسؤوليته أيضاً .

بالنسبة لجميع الخيول التي يشتريها كبير التجار لنفسه ، أو لأولئك الذين يكنّ لهم ودّاً ، فإنه يصادر عنوة عدداً كبيراً منها من التجار مقابل الأسعار التي يريدها ، ويطلب الدفع في شكل أقمشة وبضائع أخرى بسعر أعلى بكثير من قيمتها ، ويخسرون الكثير نتيجة لذلك .

حيث إن جميع الجياد تأتي من هرمز ، ويشحنها كبير التجار على السفن التي يقرر توفيرها لها ، فيجب عليه أن يوزعها بين جميع السفن في الميناء ، وأن يختار أفضل الخيول .

بما أن من الضروري بالنسبة لها أن تتحرك بحرية ، وأن تلقى معاملة حسنة حتى لا تموت في البحر ، فإنه يعطيها لأفراد قلائل (في السفن) مؤجرة بثلاثين "بارداواً" ، وتفتقر هذه أيضاً ، للماء والعلف خلال الرحلة ، ولذلك تموت أعداد كبيرة منها خلال الرحلة البحرية ، ويموت البعض منها بعد الوصول إلى الشاطئ .

نظراً إلى أنها تسافر ، وهي محملة بحمولة زائدة عن الحد ، ولا تكون مجهّزة على نحو جيد ، فإنها تضيع على الساحل ، ويستولي عليها "المراباريون" (Marabaris) بطول هذا الساحل ، ولذلك فإن بقية السفن تصل فارغة ، وهي الأفضل في بعض الأحيان .

لا شك هناك في أنه ، وبسبب هذه الممارسات الخطأ وغيرها ، وبسبب الضغوط التي ارتكبها كبير تجار الخيول خلال عهد ذلك الملك ، لم يعد التجار يرغبون في جلب خيول على الطريق الخاص بنا ، كما كانوا

يفعلون دائماً في الماضي ، وهم يجلبونها الآن براً من فارس - الأمر الذي يتطلب منهم أن يسلكوا طريقاً خطيراً ووعراً للغاية ، لم تستخدمه الجياد أبداً من قبل .

مع ذلك ، فإنهم يفضلون جلبها بذلك الطريق ، ويأتون إلى جميع ممالك "بالاغات" (Balagat) المجاورة التي لم يسبق لها أن عرفت الجياد العربية من قبل إلا من هذا الطريق ، عبر هرمز وهذه المملكة حيث إنهم - وإذا لم يرغب نواب الملك في السماح لهم بالذهاب - لم يكونوا يذهبون وكان الحل في متناولهم .

في كل عام ، كان حوالي ألفين وخمسمائة جوادٍ تأتي من هرمز ، وكانت الرسوم المستحقة عنها في هذه البلدة تزيد عن مائة وعشرين ألف "كروزادوس"(أ) ، وهو أعلى إيراد تحصل عليه هذه الولاية ، وأما الآن فإن أرباحها لا تصل إلى عشرة آلاف "أشرفي" "Xerafins" (ب) ، ولا يكاد عدد الخيول التي تأتي يصل إلى ثلاثمائة جواد .

يقل عدد الخيول التي تأتي سنة بعد سنة ، ومع هذا الانخفاض في الأعداد ، تخسر خزانة جلالته ما يزيد عن مائة ألف "بارداوس" في السنة ، علاوة على ما تخسره دور الجمارك ، ولا سيما دور الجمارك في هرمز وهذه المملكة ، بسبب مبادلة الخيول بالأقمشة والبضائع الأخرى ، التي جرت العادة أن تُعاد إلى هناك .

(أ) هذا ما ورد فيه ، ولكن يبدو أنها يجب أن تكون "بارداواساً" .

(ب) نورد أشرفياً لأن ريساً - وهو خطأ واضح - وارد في الصورة/النسخة .

بسبب الضرر الكبير لخزائنكم (الناتج عن) وجود مسلمين يعملون في هرمز ، فإن جلالتكم قد وفّر بالفعل كل المناصب ذات الصلة به .

مؤخراً ، تم إسناد منصب كبير الوكلاء في خزانة "غوا" إلى "سيمياو أنتونيس دا كوستا" والدفاع عن بندر عباس على الشاطئ الآخر إلى "جواو كوادروس" ، على الرغم من حقيقة أن هذين التعيينين حق مكفول لملك هرمز ، وإنه لأمر هام للغاية بالنسبة لخزانة جلالتكم ولسمعة هذه الولاية أن توفر هذه المسؤولية وحدها عن الجياد ، وألا يعمل المسلمون فيها ، وهذا أكثر أهمية من جميع المناصب الأخرى مجتمعة .

وفي العام نفسه (١٥٩٧م)

صدر أمر من نائب الملك ، بشأن البضائع المرسلة من الهند إلى قلعة هرمز ، "غوا" ، السادس من شهر نوفمبر عام ١٥٩٧م ، بشأن منع جميع السفن الواصلة ليلاً أو المبحرة من هرمز : (١٣)

أنا "دوم فرانسيسكو" ...الخ ،

أفيد بموجبه أولئك الذين يطلعون على أمري هذا ، بأنني أرى أن خدمة جلالته ومصلحة خزانته تتطلبان تفادي اختلاس ، وسرقة الرسوم المقررة على البضائع المرسلة من الهند إلى قلعة هرمز .

يجب إرسال تلك البضائع بالطريقة الصحيحة ؛ بسبب أهمية رسوم البضائع بالنسبة لخزانة جلالته ؛ حيث إن هذه الرسوم تتحمل الجزء الأكبر من المصروفات اليومية لهذه الولاية .

لهذا السبب ، فإنني أرغب وأسعد وآمر باسم جلالته بأن يتم منع

---

(١٣) رقم الوثيقة والهامش.

جميع السفن أياً كانت من الإبحار ، أو القدوم إلى الشاطئ قرب سفن القرقور في ذلك الميناء ليلاً ، ويجب استثناء سفينة قائد البحر ، ويجب أن يكون على متنها شخصياً ، ومعه رجال المراقبة الذين يجب أن يكونوا من الموثوق بهم ، ويجب عليهم ألا يعودوا من المراقبة المذكورة حتى يصبح الصباح .

أما عقوبة أي سفينة أخرى يتم العثور عليها - على الرغم من وجود مسؤولين آخرين في القانون أو الخزانة على متنها - هي أن السفينة ستتعرض للمصادرة لصالح جلالته ، ومعها كل شيء يُعثر عليه على متنها ، وسيتم اعتقال أي أشخاص يُعثر عليهم على متنها أيضاً ، وتبدأ الإجراءات القضائية ضدهم .

لذلك يجب الإلمام بهذا الأمر عموماً ، وسيتم نشره في "الزابانداريا" (مكتب مدير الميناء) ، المجاور لدار الجمارك في القلعة المذكورة ، وتسجيله في دفتره ، والذي سيتم فيه توضيح هذه النقاط المختلفة .

إنني أبلّغ بموجبه كبير مسؤولي خزانة جلالته ، ومشرف الخزانة ، والمسؤولين الآخرين والأشخاص الذين يهمهم الأمر بأن عليهم الانصياع له ، والالتزام به ، وأن يعملوا على أن يتم الانصياع له ، والالتزام به بالطريقة الموضحة دون تردد ، أو ممانعة من أي نوع .

يتمتع هذا الأمر بسريان رسالة باسم جلالته على الرغم من الأمر الوارد في الكتاب الثاني ، في المادة العشرين ، المخالف له .

كتب هذا "ايستيفاو نوفيز" في "غوا" في السادس من نوفمبر عام ١٥٩٧م .

لن يتـــم إصــداره بواسطة المحكمة العليا ، بما أن ذلك يخدم مصلحة جلالته .

عمل "جواو دي ابريو" "Joao de Abrio" على أن تتم كتابته .

الكونت نائب الملك .

وفي العام نفسه (١٥٩٧م)

صدر أمر من نائب الملك ، بشأن البضائع الواصلة إلى دار الجمارك في قلعة هرمز ، "غوا" ، السادس من شهر نوفمبر عام ١٥٩٧م : [١٤]

أنا "دوم فرانسيسكو" ...الخ ،

أفيد جميع أولئك الذين يطلعون على هذا الأمر ، بأنني أرى أنه كخدمة لجلالته ولمصلحة خزانته ، ومن أجل تفادي مشاكل بعينها يمكن أن تنشأ وتضر بخدمة جلالته وخزانته ، فإنني أرغب وأسعد وآمر بأنه ومن الآن فصاعداً يجب ، فيما يتعلق بجميع البضائع الواصلة إلى دار الجمارك في قلعة هرمز من أي مكان – وفي حال سيتم إرسالها – أن توضع عليها علامة بالطريقة ذاتها المتبعة في هذه المدينة بحيث توضع علامة على الأقمشة بالحبر وعلى الحرير بالختم .

(١٤) رقم الوثيقة والهامش.

من دون هذه العلامات يجب على مالكيها ألا ينقلونها من دار الجمارك ، وستتمثل عقوبة المخالفة في أن القماش الذي لا يحمل تلك العلامة ، سيتعرض للمصادرة ، وسيُخصص جزءان لخزانة جلالته ، وجزء لموجه التهمة ، ونائب العمدة الذي ينفذ هذا الإجراء .

سيتحمل مالك المنزل الذي يُعثر فيه على البضائع العقوبة التي يفرضها كبير مسؤولي خزانة جلالته أو مشرف الخزانة ، وستكون هذه العقوبة قاسية حتى لا يقدم أحد على إخفائها ، وستتم معرفة ذلك عند إخراج البضائع التي لا تحمل العلامات من دار الجمارك ، وستتم مصادرتها كما تم بيانه سابقاً .

علاوة على هذا ، فإن المالك أو أي شخص تخصه البضائع سيتعرض لعقوبة قاسية ، إذا وضع موضع التنفيذ أي مادة في قانون دار الجمارك .

لذلك يجب أن يعرف الجميع ، هذا وألا يزعم أحد جهله به .

سيتم تثبيت هذا الأمر على باب دار الجمارك المذكورة و"الزاباندارية" (مكتب المشرف على الميناء) ، وسيتم قيده في سجلات دار الجمارك ، وبيان هذه النقاط المتعددة على ظهر الوثيقة .

إنني أبلّغ بموجبه قائد القلعة وكبير مسؤولي الخزانة ، ومشرف الخزانة ، وكبير القضاة ، ومفتش دار الجمارك ، والوكيل التجاري ، والمسؤولين والأشخاص الآخرين الذين يهمهم الأمر بأن عليهم الانصياع له ، والالتزام به ، وأن يعملوا على أن يتم الانصياع له ، والالتزام به بالطريقة الموضحة هنا دون تردد أو ممانعة من أي نوع يمكن أن تؤثر عليه ، ما دمت أرى أنه يخدم مصالح جلالته .

سيكون لهذا الأمر سريان رسالة صادرة باسم جلالته على الرغم من وجود القانون المخالف له .

كتب هذا "بارتولوميو فيلهو" في "غوا" بتاريخ السادس من نوفمبر عام ١٥٩٧م .

عمل "جواو أبريو" على أن تتم كتابته .

الكونت نائب الملك .

أحداث عام ١٥٩٨م

صدرت صورة من الالتماس والملاحظات المقدمة لجلالة الملك ، بتاريخ عام ١٥٩٨م ، ويذكر فيه طرد أفراد الحامية التركية في مصوع ، وأن الأتراك لديهم قلاع على جزر في البحر الأحمر مثل مصوع وسواكن : [١٥]

وساطة ثالثة

يقول "تيكلا ماريا" "Tickla Maria" – وهو قسيس حبشي ، ورجل دين من رهبانية القديس "أنطوني" "Antoni" – إنه جاء عن طريق بلاد ملك إثيوبيا في مهمة ليوضح للبابا ولجلالتكم الحاجة الماسة في تلك المملكة لكهنة من الكنيسة الرومانية .

قد أحضر رسالة لجلالتكم من "أنطونيو غويز" "Antonio Guise" ، مكتوبة باسمه ، ولكن بناء على أمر من "بريستر جون" "Prester John" ،

(١٥) رقم الوثيقة والهامش.

سيّد تلك الممالك الذي أراد إتمام هذا الأمر للأسباب المتضمنة في المعلومات المقدمة في هذه الرسالة ؛ ومع ثلاث رسائل أخرى من اثنين من الآباء اليسوعيين الموجودين هناك ، واحدة لقداسته ، واثنتان للرئيس العام للرهبانية ؛ وخوفاً من أن يستولي عليها الأتراك .

يشيرون فيها كلها إلى ما قاله "تيكلا ماريا" ويوضحون خطر الأساقفة المنشقين ، ومجيء القساوسة إلى تلك المملكة ؛ لتوجيه الكاثوليك هناك في الأمور الروحية ، وهناك كثير من هؤلاء الكاثوليك ، من بينهم حوالي ثلاثة آلاف برتغالي ، وهم أحفاد أولئك الذين ذهبوا إلى هناك مع "دوم كريستوفاو دا جاما" .

في ضوء الخطر الذي تتعرض له تلك البلاد النصرانية ، ولا سيما الآن ، ووفقاً لما ورد من الهند عن وفاة الكاهنين اللذين كانا هناك ، فإن كاتب الالتماس يرجو من جلالتكم أن تأمر نائبكم في الهند ، ليصدر أوامره بضرورة أن يتوجه الأسطول ، الذي يذهب في كل عام ليقوم بالدورية على الساحل ، إلى البحر الأحمر ، وأن يذهب إلى "أركيكو" ؛ "Arquico" لإنزال بعض القساوسة على الساحل .

طبقاً لما هو مكتوب من الهند يمكن القيام بهذا بسهولة عن طريق طرد أتراك الحامية التي في مصوّع ، وهي الجزيرة الواقعة قبالة الساحل ؛ لأن هناك عدداً قليلاً للغاية منهم .

يجب عليهم إن أمكن ، أن يتركوا هناك حامية من البرتغاليين ؛ ليدافعوا عن الميناء ضد الأتراك .

حيث إن الوضع في الهند قد لا يسمح بأن يتحقق هذا بالسرعة

التي يقتضيها الأمر ، فهو يطلب من جلالتكم أن تأمروا بكتابة رسائل على نحو عاجل لقداسته ، بحيث إنه في حال كان الوضع كذلك يمكن اللجوء إلى طريقة أخرى لتلبية هذه الحاجة .

بما أن هناك خطراً في حال التأخر ؛ ولأنه ورفيقه من بلدان حارة ، ويهددهما البرد في هذه البلاد ، فإنه يرجو جلالتكم بأن تأمر بألا يحدث تأخير في الاعتناء بهذا الأمر ؛ حتى يذهبا إلى "لشبونه" قبل أن يبدأ الطقس البارد ، وليصعدا على متن أول سفن قرقور متجهة إلى الهند ، وأن يكتب جلالتكم إلى حكام البرتغال بحيث إنهم - أي مقدم الالتماس - ومرافقه والمترجم الذي يصطحبانه معهما - عندما يكونون في "لشبونه" ، يمكن أن يحصلوا على ما هو ضروري لإعاشتهم .

علاوة على المؤن المقدمة للرحلة ، ولهم ليتمكنوا من الذهاب إلى "لشبونه" ، فإنه يرجو من جلالتكم ، التكرم بتزويدهم ببعض المساعدة في التكاليف حتى يتمكنوا من دفع ما هو مطلوب منهم هنا مقابل الإقامة والنفقات الأخرى ولمصاريف الرحلة ، وبعض الملابس ؛ وسيكون ذلك معروفاً من جلالتكم .

ملاحظات مقدم الالتماس حول الحاجات الروحية لإثيوبيا :

بعد وفاة القائد "دوم كريستوفاو دا جاما" - الذي أُرسل قبل ستة وخمسين عاماً مع قوة من المقاتلين لمساعدة "بريستر جون" ، ملك إثيوبيا - بقي الجنود الذين ذهبوا معه في البلاد ، وتزوجوا هناك ، ويصل عدد أحفادهم حالياً إلى حوالي ثلاثة آلاف نسمة بلا ريب .

من خلال تعاملاته مع البرتغاليين ، توصل "البريستر" إلى أنه

وشعبه برمته عاشوا في شقاق ، وخارج وحدة الكنيسة الكاثوليكية ، ورغبة منه في العودة إلى الخضوع والإذعان ، طلب منه إرسال رؤساء أساقفة وكهنة من الكنيسة الرومانية .

في عام ١٥٦٦م ، أرسل الملك "دوم جواو الثالث" له بطريركاً ، وأسقفين ، وعدداً كبيراً من القساوسة ينتمون جميعاً إلى جمعية يسوع .

عندما عرف الناس في "غوا" أن هذا الملك توفي ، تقرر أن يبقى البطريرك في "غوا" ، ومعه واحد من الأسقفين ، وأن يعود الآخرون إلى إثيوبيا مع الرهبان ؛ ليروا كيف هي الأوضاع في البلاد ؛ وليتعرفوا على رغبات الملك ، حتى يذهب البطريرك إلى هناك مع الآخرين ، إذا كانت الظروف ملائمة .

عندما وصلوا إلى إثيوبيا ، وجدوا الملك الجديد غارقاً في أخطائه ، وبعيداً عن الرغبة في رهبان من الكنيسة الرومانية في مملكته ، ولكنهم مكثوا في البلاد لإبقاء البرتغاليين المقيمين هناك على العقيدة الكاثوليكية ، وليعلموهم ، وليعمدوا أفراد عائلاتهم ، ويمنحونهم كل الأسرار المقدسة ، والأخرى بالطريقة الكاثوليكية السليمة .

في الوقت ذاته توفي البطريرك في "غوا" ؛ ووفقاً لطقوس الجماعة التي أحضروها معهم من البابا ، تولى الأسقف الذي كان في إثيوبيا – واسمه "دوم أندريه" "D . Andre" – البطريركية ، وتحمّل بهذه الطريقة مسؤولية تلك الكنيسة .

تلقى بعد ذلك رسالة بابوية من البابا عينته بطريركاً على اليابان ، وأمرته بأن يكون راعي تلك الرعية ، ولكن ضميره لم يكن مرتاحاً ؛

لتخلّيه عن أولئك الذين كان يوجههم ؛ ولذلك كتب للبابا الذي وافق على أن يبقى في تلك المملكة .

هناك أنهى حياته بقداسة عظيمة كما فعل رفاقه القساوسة .

ومن الرسائل المكتوبة من الهند في يناير من هذا العام ١٥٩٨م ، عرف الناس أنهم ماتوا عن بكرة أبيهم .

في هذه الفترات المبكرة ، كان يتم إرسال أسطول من "غوا" إلى البحر الأحمر في معظم السنوات ، ونتيجة لذلك كان البحر خالياً من الأتراك ، وكان من الممكن الذهاب دون عقبات إلى بلاد "البريستر" من خلال الموانئ الواقعة على ذلك الساحل .

لكن ، وعندما لم تكن تلك الأساطيل تذهب ، بدأ الأتراك يسيطرون على البحر ويبنون قلاعاً هناك .

عندما رأى الملك – وهو الآن الشاه ، والذي حكم لأكثر من ثلاثين عاماً ، أن الرهبان ورفاق البطريرك هناك يموتون – كان يرسل رسالة من وقت لآخر إلى نائب الملك في الهند ، ولاحقاً إلى البابا "جريجوري الثامن" ، والبابا "سيكستوس الخامس" .

وجلالته يطلب باسمه وباسم الكاثوليك الذين في مملكته ضرورة تقديم المساعدة للجالية النصرانية هناك ، بتزويدها برؤساء أساقفة ، وقساوسة من الكنيسة الرومانية ، ولكنه لم يتلق رداً على أي من هذه الرسائل ؛ لأن الرسل الذين حملوها ماتوا في الطريق .

على الرغم من إرسال ثلاثة رهبان من الجماعة في أوقات مختلفة

من الهند – ، وقد تنكروا في هيئة تجار في سفن قرقور ، مملوكة للمسلمين الذين يسافرون للتجارة في تلك الأماكن – إلا أن أمرهم انكشف ، وبقي اثنان منهم في السجن لحوالي ست سنوات ، ولقي الثالث مصرعه على أيدي الأتراك ؛ لاعترافه ودفاعه عن عقيدتنا المقدسة .

نتيجة لذلك ، تقرر أن يُرسَل برّاً رجلٌ موثوق به يتحدث اللغة العربية حتى يتمكن من السفر إلى البندقية أو لميناء آخر في إيطاليا ، ومن هناك إلى روما ؛ ليتباحث مع البابا ، ومن هناك إلى إسبانيا ليجتمع مع جلالته ، ويبحث معه الحاجة لمساعدة من رهبان الكنيسة الكاثوليكية ، وإرسالهم إلى تلك الجالية النصرانية .

اختير "تيكلا ماريا" لهذه المهمة ، وهو قسيس ورجل دين من جماعة "سانت أنطوني" ، كان يجيد التحدث بالعربية ؛ لأنه أقام لعدة سنوات في ديرهم في القدس كرئيس دير ، وأقام لاحقاً في القاهرة ، والإسكندرية ، وأماكن أخرى ، توجد بها أديرة تابعة لتلك الجماعة ، وقد خدم الملك ذاته كمترجم لمدة خمس سنوات ، وكان شخصاً ذا أهمية في بلاطه .

استدعاه الملك ، وأمره بأن يقوم بهذه الرحلة مؤكداً أهميتها ، ولكنه لم يعطه رسالة مكتوبة باسمه خوفاً من أن يتعرض للتفتيش إذا اشتبه الأتراك – الذين سيسافر عبر بلادهم – في أمره ، وفي حال وجدوا معه رسائل تطلب المساعدة فسيقتلونه .

لذلك أصدر أوامر إلى الرهبان و"أنطونيو غويز" بالكتابة بطريقة لا يعرف الأتراك في حال استيلائهم عليها أنه هو الذي أرسلها ، وكانت

الرسائل ستتضمن بعض أمور غير ذات صلة حتى لا يكون الغرض منها مفهوماً بوضوح ، وهكذا توقف الأمر على ما سيقوله "تيكلا ماريا" بنفسه ، وكان ما سيقوله هو التالي : -

"إن الأتراك لديهم قلاعاً على جزر بعينها في البحر الأحمر ، مثل مصوّع قبالة "أركيكو" ، و"سواكن" . لا يستطيع "البريستر" أن يطردهم منها ، كما يفعل من البر الرئيس متى شاء لأنه لا يملك سفناً ."

إن هذه الحاميات تضم قلة من الرجال ، وإذا لم يتلقوا تحذيراً بأن أسطولنا ذاهب إلى هناك ، فإن الرسائل الواردة من الهند تشير إلى أن ثلاثمائة أو أربعمائة جنديٍّ سيكون عدداً كافياً لجعلهم يستسلمون .

إن رغبة "البريستر" الأولى ، هي أن الأسطول القادم من الهند يجب أن يتجه إلى البحر الأحمر ، ويترك بعض القساوسة في ميناء "أركيكو" ، ليبقوا في تلك البلاد ، ويحافظوا على نقاء العقيدة الكاثوليكية لدى تلك الجالية النصرانية .

لكن ، ولكي يتم هذا بأمان ، ولكي تبقى تلك البوابة مفتوحة أمام بعض القساوسة ورؤساء الأساقفة الآخرين ، فإنه يرغب متى تم طرد الأتراك من تلك الجزر والقلاع - وهو هدف سيقدم من أجله كل العون اللازم - في أن يبقى بعض البرتغاليين في حامية لتدريب أبناء ، وأحفاد البرتغاليين في هذه البلاد على استعمال المدفعية وبنادق "المسكيت" ، ليتمكنوا من مساعدتهم ، وليحلوا محلهم في المستقبل .

إنه متى تمّ طرد الأتراك من البحر الأحمر ، فإن "البريستر" قانع بأن يعطي جلالته كل الموانئ التي يملكها على ذلك الساحل ، لتكون

ملكاً له ، وليفعل بها ما يشاء ، وإذا شاء تحصينها ، فسيقدم له كل المساعدة الضرورية فيما يتعلق بالمقاتلين والمعادن للقذائف ، والخشب لسفن القادس والحديد ، والمؤن والأشياء الأخرى المتوفرة في البلاد .

إنه متى تحقق هذا ، فلن يتم فقط حل المشاكل الروحية في هذه المملكة ، بل سيتمكن البرتغاليون من الحصول على جوائز عظيمة من سفن القرقور من "داشم" و"مالابار" والتي تبحر في كل عام في ذلك البحر ، وهي محملة بالفلفل والبهارات الأخرى .

إن الحاجة للتحرك بسرعة لمساعدة تلك الجالية النصرانية أكبر من أي وقت مضى ؛ لأن الراهبين اللذين تركهما هناك خلال ذلك الوقت كانا لا يزالا على قيد الحياة آنذاك رغماً من أنهما طعنا في السن إلى حد بعيد ، وقد حافظا على عقيدة الجالية التي رُبيا عليها .

لكن ، وحيث إن كلاهما توفي الآن ، فمن المؤكد أن القساوسة المنشقين سيحاولون زرع بذور انشقاقاتهم ، وهرطقاتهم وسط الكاثوليك ، وعلى الرغم من كتابة رسالة من الهند بأن قسيساً كنارياً يجري تدريبه في معهد لاهوتي يسوعي ؛ ليذهب متنكراً في السفن التي تخص المسلمين والتي ستبحر إلى المضيق .

وليس مؤكداً أنه سيفلت من الأتراك ، وحتى إن أفلت منهم ، فإن أقصى ما يستطيع أن يفعله هو أن يحذّر الكاثوليك ؛ ليحافظوا على أنفسهم في العقيدة الكاثوليكية إلى أن يأتي المزيد من الرهبان لنجدته .

إن ما يطلبه من جلالته ، هو أن يأمر بكتابة رسائل إلى نائبه في الهند وفقاً

لمحتويات هذه الملاحظات ، يحضه فيها على نحو عاجل للغاية ؛ ليضع هذا الإجراء موضع التنفيذ ، وهو إجراء يأتي في إطار خدمة الرب وخدمته هو .

في حال لم يكن بالإمكان إرسال أسطول قريباً إلى البحر الأحمر ، يجب القيام بمحاولة بوسائل أخرى لإيجاد قساوسة من الأهالي .

ستكون الطريقة الأكثر ملاءمة هي إرسال اثنين آخرين في السفن المبحرة إلى ساحل "ماليندي" لجلب العاج ؛ إذ إنه على الرغم من أن تلك الموانئ – ومن بينها باروه والآخر هو "مقديشو" – يسكنها المسلمون ، إلا أن بعض البرتغاليين يعيشون وسطهم ، ولديهم كنائس في مناطقهم ، وقد استوطنوا في أراضيهم إلى حد أنهم يعتمدون عليهم كثيراً ، وسيفعلون كل الذي يطلبونه منهم .

حيث إن بلاد "البريستر" تبعد مسافة أقصاها ثلاثين فرسخاً عن هذه الموانئ ، ويذهب هؤلاء المسلمون في كل سنة في قوافل جمال لشراء العاج – الذي يبيعونه للبرتغاليين – سيكون من السهل للغاية بالنسبة لهم أن يصطحبوا الرهبان الذين يُعهد بهم إليهم ، وقد أُثير هذا الموضوع معهم ، كما سيبلغكم "فيرناو رودريغيز دي سا" "Fernao Roderigues de Ca" ، الموجود في البلاط ، وسيعرضون نقل أي شخص يصار به إليهم ، وسيتركونهم أينما شاءوا في بلاد الأحباش .

سيكون من الضروري ترك الرهائن لجلب رسائل للقول إنهم آمنون في تلك البلاد .

.... أعضاء الجمعية (جمعية يسوع) الذين كانوا في بلاطه ، ويفيدونه بكل شيء ، ويلتزمون بواجباتهم بإخلاص في خدمة الرب وخدمتي .

يجب عليك أن تشكرهم على هذا من خلال أسقف الجمعية ؛ تمشياً مع ما وجهّتك بفعله في مراسلات سفن القرقور التي أبحرت فيها .

بدا العالم أجمع غير ذي أهمية بالنسبة للمغولي ، وهو يعتقد أن كل شيء فيه ملكه ومسؤول أمامه ، وقد أمر بالفعل ببناء خمسمائة سفينة ، ذات مجاذيف وخطط لزيارتها البحر ، وأرض هرمز التي أشاد بها أمامه "أنطونيو دي أزيفيدو" "Antonio de Azevido" ، وأبحر إلى تلك القلعة ؛ ليؤكد حقيقة هذا عبر واحد من وكلائه التجاريين في مملكة السند ، والذي سيفيده وفقاً للأنباء التي تلقاها ، ومن البرتغالي الآخر الذي عاش هناك .

أما الابن الثاني للمغولي – والذي كان في "داماناجر" ، وهي القلعة الرئيسة في مملكة مليك ، والذي توجّه "تشامديبيدي" ببسالة لمساعدته – فقد فرّ ولجأ إلى مملكة "برارباره" ، ولا يزال هناك وغير قادر على الاستيلاء على أي قلعة في مليك .

إنني أعتبر نفسي متمتعاً بخدمة جيدة عن طريق إجراء نائب الملك في هذا الشأن .

إنني أوصيك بأن تسعى جاهداً بكل طريقة ممكنة للحصول على معلومات دقيقة عن مخططات المغولي ، بما أن هذا – كما ترى – أمر هام .

إنني أتوسل إليك أيضاً ، لتحافظ على صداقة "تشامديبيدي" وسكان مملكة "مزينالوكو" ، وأن تنظّم ، وتنصح ، وتفعل كل شيء ضروري في هذا الأمر طبقاً للعناية التي ينبغي عليه دائماً توفيرها ، مع

عدم أخذ فترة أخرى ؛ لأن هذا سيكون سحباً للنفوذ من المغولي ، أو ما كتبه الرب لصالح تلك الولاية .

- يخبرني أيضاً أن عادل خان يستمر في إعطاء علامات أكثر وأكثر عن صداقته الحقيقية مع تلك الولاية ، وعندما جنحت سفينة قرقور ، خاصة بأحد أتباعي في بلاده ، أصدر أوامر بتسليم كل حمولتها بأمانة ورعاية عظيمتين .

لم يتوقف أولئك الملوك عن التحالف ضد المغولي ، كما كان يحاول أن يفعل من خلال آرائه وأفكاره ، وهو لا يضيّع أي فرصة عندما يتعلق الأمر بالحلف .

أصدر أوامر للتعامل معهم من خلال رسل وبواسطة رسائله ، ولا يساعد ملوك سواحل "كانارا" و"بالالا" بدفع الجزية والضرائب المماثلة ، ولكنه يرسل المذكرات الضرورية والرسائل الرسمية .

إن كل شيء يكتبه لي عن هذه الأشياء أعتبره لخدمتي ، وإنني أوصي ، بأن نستمر في هذا الترتيب لتوحيد ملوك تلك الأنحاء ضد المغولي بما يتوافق مع ما أمرت به عبر رسائلي .

- يبلّغني نائب الملك أيضاً بأن "السامورين" كان يتوسل خلال تلك السنة من أجل السلام بإصرار أكثر من أي وقت مضى ، وأنه - كعلامة على حسن نياته - أطلق سراح يسوعي وقع في الأسر في السفينة القادس الخاصة بـ"دوم فيرناندو لوبو" "D . Fernando Lopo" .

هو يعد بمنح الحرية لجميع البرتغاليين والنصارى في مملكته ،

والأراضي التابعة له ، وأن يعطيهم أراضي هناك ؛ ليبنوا عليها كنائس ؛ وليشيّدوا قلعة في "كلكتا" و"بانين" في المكان والموقع الذي بدا الأفضل بالنسبة لهم .

سيعمل على هدم قلعة "كونالي" "Conali" ، وسيسلمهم عدداً من قطع المدفعية ، وسيقدّم رهائن لتحقيق كل هذا .

ذلك لأن "اليسوعي" المذكور شهد أن "السامورين" أراد السلام ، فقد أمر عضواً آخر في الجماعة – كان يفهم ويتحدث اللغة بطلاقة ، وسيتحدث "السامورين" معه وحده ودون أن يكون أي شخص آخر حاضراً – ليذهب إلى الملك ويناقش الأمر معه ، وهو يدرك المزايا التي يمكن أن تنشأ عن علاقته مع تلك الولاية ، وبالتالي ، فإنه يريد إبرام السلام دون أن يسمح لأي من إدارييه بالمشاركة في أي من التفاصيل .

بما أنهم مسلمون – ويراهم أعداء لتلك الولاية – ، فإنه يخشى من ألا يتم الاتفاق على السلام من خلال التعامل معهم .

قد ناقش الأمر بشكل تفصيلي مع "دوم الفارو دي أبرانشز" عندما أرسله إلى "مالابار" كقائد أول ، وعلاوة على ما أعطاه له من خلال الأوامر المستديمة ، أرسل أيضاً أعضاء موثوقاً بهم ومحترمين من الجماعة ، وسط المالاباريين للتأكد من حقيقة الأمر ، وكان يتوقع منهم تقييماً خلال ساعات ، وإذا وصل هذا في الوقت المحدد سيرسله مع البريد ، وإذا لم يصل فسيرسله معي براً .

بعد التفكير في أهمية الأمر ، آمرك بأن تبذل أقصى جهدك ؛ لتحقق هذا السلام ، إذا لم يتحقق بعد ؛ وأن تحسِّنه بأفضل طريقة

ممكنة ، وأن تقدّم أكبر مساعدة ممكنة ، وأن تشارك في تدمير "كونالي" أكثر مما تشارك في تشييد قلاعنا – على الرغم من أن الموافقة عليها كلها ستكون جيدة .

– يقول أيضاً : إن ملك "كوتشين" يبدي حماساً أقل كثيراً بكل ما يتعلق بعقيدتنا المقدّسة ويعوقها عامداً ، وبطريقة مخادعة ، إلى حد يمكن معه أن يفهم المرء بشكل واضح أنه طرف في هذا .

يبدي أيضاً حماساً قليلاً لما يتعلق بمصالحي ، ولكن ، وعندما تحين المناسبة ، يكتب إلى نائب الملك بكل الاحترام اللازم ، ويفعل الشيء ذاته في التماساته ورسائله .

قد أرسل له الملك ما أمرت بكتابته في النسخة التي تمّ فتحها ، وقد أرسل أيضاً إلى الأمير – خليفته – الرسالة التي تلقاها ، وشرع في معاملته بقدر كبير من الحميمية والثقة في كل شيء ، وردّ الأمير بالثقة ذاتها والحب ذاته .

نظراً إلى أن شكاوى قد قُدمت بشأن هذا الملك قبل وقت طويل ، فإنني أحثكم على أن تحاول ، وتتوصل إلى تفاهم معه ، وأن تحافظ على صداقته ؛ ولكن على صداقة الأمير على وجه الخصوص ، بحيث لا يجد فرصة للشكوى . (وهو ما يفضله على الأرجح ، لكي يبرر تصرفاته في أمور أخرى) ، وأن كل ما له صلة بخدمتي ، ويتدخل فيه ، يجب تنفيذه .

– يقول أيضاً : إن "الكوتوبوشا" – ملك "ماسوليباتنام" – بعث رسوله قبل عامين للتفاوض بشأن السلام ، وتمّ التوصل إلى اتفاق ،

وقد طلب من "ماتياس دي البوكيرك" أن يرسل إليه شخصاً ؛ ليؤمن السلام في مملكته .

قد أرسل له المدعو "فرانسيسكو دي ألميدا" "Francisco de Almeida" ، وعندما لاحظ الأخير المماطلات ، أدرك أن بقاءه في ذلك البلاط سيطول - على الأقل خلال الوقت ، الذي تبحر فيه سفن القرقور التي أرسلها من وإلى مكة ، وقد عاد وسط أخطار شديدة ، وعرف لاحقاً أن الملك قرر أن يصلح ما مضى ، ويرسل رسولاً آخر ، وقد اعتاد استخدام هذه الحيل ؛ حتى لا يقطعوا العلاقات معه كلياً .

الملك "دوم جواو" "D . Joao" ، ملك سيلان ، نصراني طيّب ؛ ولكنه مبذر للغاية ، وليست لديه فكرة عن كيفية التحكم في نفسه وفي أتباعه .

عموماً ، فقد أصدر أوامر لكي يلقى كل الاحترام اللازم لرتبة ملك نصراني ، وكانت زوجته طاغية ، ولم تكن تنحدر من سلالة ملكية ، وكان لديه بعض أبناء الإخوة الذين خاف من احتمال أن يسببوا متاعب لتلك الولاية من ذلك الوقت فصاعداً ، وسيحاول منع حدوث هذا الأمر قدر الإمكان .

إنني أعتبر نفسي أحظى بخدمة جيدة من خلال الطريقة التي أتعامل بها مع هؤلاء الملوك ، وبما أن أبناء إخوة الملكة مثيرون للمتاعب ، ويمكن أن توجد بعض الشبهات بشأنهم ، فإنني أكلفك بأن ترسلهم إلى مدينة "غوا" ؛ أو أن تصدر الأمر الذي تراه ملائماً أكثر من غيره في هذا الشأن .

حررت في "لشبونه" في الخامس عشر من يناير عام ١٥٩٨م .

الأمير

"ميجيل دي مورا"

للكونت الأميرال ، نائب الملك في الهند / وساطة ثانية

على الكتابة الفوقية :

إلى "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، "كونت فيديجويرا" ، من بلاط جلالته ، الأميرال ونائب الملك في الهند .

وفي العام نفسه (١٥٩٨م)

صدر خطاب من الملك إلـى نائب الملك "الكونت الأميرال" ، "لشبونه" الثامن من شهر يناير عام ١٥٩٨م ، قد كتب فيه أنه لم يكن هناك من عائد في مصلحة الجمارك في هرمز ذلك العام ؛ لأن القوافل من البصرة وفارس لم تأت : [١٦]

ذلك لأن مصلحة الجمارك هي الأهم ، والأكثر ربحاً في دولة الهند ، فأنا أكلفك بأن تخبرني لماذا لم تصل تلك القوافل؟ سوف تكافح بكل الطرق الممكنة كي تتأكد من أنها سوف تأتي إلى هناك كالسابق .

قد أخبرني أيضاً أنه من مصلحتي جداً ، بأن تكون قلعة مسقط خاضعة لقلعة هرمز ، وبالنسبة لمن هم معينين بها ، فإن عليهم أن يكنوا الولاء إلى ضباط هرمز لأنه بما أنها ستحتاج إلى مساعدة هؤلاء الضباط من هرمز في الأوقات الطارئة ، فإن عليهم مساعدتها باهتمام وسرعة كبيرة .

---

(١٦) رقم الوثيقة والهامش.

باعتبار ما كتبه لي هنا ، وبما أن النقاش الأساسي يدور حول أن ضباط مسقط غير قادرين على الدفاع عن أنفسهم بدون مساعدة في الأوقات الطارئة التي يعانون منها ، يبدو لي أنه سيتم معالجة ذلك بشكل كاف ، إذا تم وضع بعض رجال من الحامية العسكرية في القلعة ، وأن يدفع لهم من عوائد قلعة هرمز ، من أجل شرح هذا الموقف الجديد ، وتقديم الرضا الكافي لمن تم تعيينهم في مسقط .

أنا أكلفك وآمرك بأن تناقش ذلك بالتشاور ، وأن تخبرني بما قد تم الاتفاق عليه هناك ، والذي سيكون على الأكثر في مصلحتي .

حتى يكون لديك رد آخر مني ، سوف تقوم بالتدابير للتأكد من سلامة قلعة مسقط . إذا تم الاتفاق في المجلس ، فإنها يجب أن تكون خاضعة لضابط هرمز ، سوف تضع في اعتبارك بعد ذلك التفاسير التي يجب إعطاؤها هناك إلى من تم تعيينهم في قلعة مسقط ، وسوف تخبرني عن كل شيء بتفصيل شديد . سوف ترسل إلي سجلاً بالأشخاص الذين سيتم تعيينهم من قبل الدولة في القيادة في مسقط .

وفي العام نفسه (١٥٩٨م)

صـــــدر خطـــاب مـــن "فيليـب الأول" "Philipe I" إلـى "د . فرانسيسكو دا جاما" ، نائب ملك الهند ، "لشبونه" ، الخامس عشر من شهر يناير عام ١٥٩٨م ، ويذكر فيه أن ملك فارس كان بصحة جيدة ومزدهراً وفي سلام : (١٧)

"الكونت الأميرال" ، نائب الملك ، أنا الملك ، أرسل إليك العديد من التحيات ، باعتبارك شخصاً أحبه .

لقد علمت في الخطاب القادم ضمن مراسلات العام الماضي من نائب الملك "ماتياس دي البوكيرك" أن ملك "ماليندي" كان يعيش على جزيرة "مومباسا" ، وبعد أن أدى واجبه بوعي في خدمتي ، شعر بأنه غير سعيد ؛ لأنه بعيد عن الأرض التي ولد بها ، وقد اشتهى ملك مملكة "بيما" لأن ملكها قد توفي .

وقد قال "ماتياس دي البوكويرك" إنه كان يقوم بأقصى جهده ؛ كي

---

(١٧) رقم الوثيقة والهامش.

يمنعه ، حتى موعد وصولك ، كي يتأكد من صداقته ، وقد كان مؤمنا بأنه لن يجدها ، وهو يريدها وهو حي .

لذلك أنا أشجعك على أن تدرك تفاصيل ذلك الموضوع ، وإن لم يكن هناك من خليفة مباشر للملكة يطمح في ذلك ، فيمكنك أن ترتب الأمور له ليحصل عليها ، إذا كانت بالفعل تعود له ؛ لأنني يمكنني من خلال التقارير الجيدة التي لدي عنه ، أن أعتبر أنه قد قام بخدمتي جيداً من خلال أي شيء تقوم به في ذلك الموضوع ، والذي سوف تنصحني من خلاله .

٢ : يقول أيضا إن "بريستير جون" والإمبراطورة زوجته ، قد كتبا خطابين له ، ولكن لم يتمكن أحد من قراءتهما ، وعندما يجد من يمكن قراءتهما ، سوف يرسل إلي نسخة .

لقد أبلغني أنه لم يكن غافلا عن إرسال خمسمائة "بارداوس" كل عام إلى البرتغاليين في تلك المملكة ، ولكنه لن يكون ممكنا لـ "لويس دي ميندونسا" ، والذي قرر أن يعمل في ذلك العمل ، كي يسرِّع من عملية الترتيبات ، لأنه كان على وشك أن يتولى قيادة "باريسيلو" ، والتي منحها إياه كمكافأة .

كما ستعلم ، بما أن المسألة حساسة ، ويمكن من خلالها أن أحصل على الرضا الكثير ، فأنا آمركم بشكل جدي ، إذا لم يتم تنفيذ ذلك بسرعة من قبل "لويس دي ميندونسا" ، بأن تقوموا بكل إجراء ممكن في تلك المسألة المهمة والضرورية جداً ، وأن تفيد نفسك من معلومات "لويس ميندونسا" ومن صناعته .

بالرغم من غيابه ، سيكون من الجيد أن تأخذ ملاحظات عما قد قام به لمدة عدة سنوات ، في خطاب آخر تم إرساله من خلال تلك الطرق ، يجب أن أبدأ بما أراه مناسباً لك للقيام به .

٣ : يقولون لي إن "جوازيل" هرمز كان مدركاً ، وذلك من خلال الخطابات التي استلمها من الضابط ، أن شاه فارس كان بصحة جيدة ، ومزدهراً ، وكان في حالة سلام مع مملكته ، وقد ذكر ذلك في أحد الخطابات التي أرسلها عن طريق رسول إليَّ عبر البحر .

قد قال أيضا أن الهدية التي أرسلتها إليه العام الماضي قد وصلت "كوتشين" مع الخطاب الذي قد كتبته له ، وقد أرسله هو (إلى الشاه) مرة أخرى هذا العام مع الخطاب ذاته .

أرسل المغول سفيرهم إلى الملك ، والذي استقبله بشكل سيئ .

قد سررت جدا لمعرفة كل تلك الأشياء ، ومن هنا يبدو ، كما تعرف جيداً ، مدى أهمية إبقاء علاقات صديقة مع شاه فارس .

لذلك أحثك على المواظبة على تلك المسألة المهمة ، وأن تخبرني عن أموره ونجاحاته .

أرسل إليه خطابي ، والذي أكتبه الآن رداً على ذلك . سوف يتم إرسال نسخة منه إليك ، حتى يتفق الخطاب الذي ستكتبه له مع المرسل من طرفي .

****

٤ : هو يقول أيضا إن سلوك ملك هرمز يصبح أسوأ بشكل تدريجي ،

ولكن "الجوازيل" الخاص به يقوم بالخدمة جيداً ، وهو يقول إنه لا يستطيع أن يصف مدى الحماسة التي أخدم بها الملك المذكور من خلال التحالف الذي لديه معه .

بما أنني رتبت للكتابة حول تلك الأشياء بواسطة أسطول العام الماضي ، فأنا أتوسل إليك للإكمال وفقاً لخطاباتي ، وأن تبقيني على علم .

سوف تخبر "الجوازيل" أيضاً أنني مسرور جداً بتصرفه ، إذا كنت ترى أنه لا زال يستحق هذه الإشادة .

****

٥ : قد كتب أيضاً إن "سيدي بيم باريكا" ، وهو زعيم عربي لقبيلة "سيزارس" ، في خلاف مع الأتراك ، وهو يستغل كل فرصة لديه كي يعطيهم وقتاً كافياً ؛ ليفكروا بالموضوع .

إذا كانت تلك لا تزال هي القضية حتى الآن ، سوف تكون عذراً لك كي تمنح ذلك المسلم جميلاً ممكناً ضد الأتراك ، من دون أن تتعرض نقودك لأي خطر ، فإن الشيء الذي يجب أن تطمح إليه في ذلك لخدمتي من الممكن أن يتحقق .

****

٦ : أنا مدرك أيضاً أنه قد تم معاملة المغول بصورة سيئة ؛ بسبب الجرح الذي حدث بفعل الأيل على ضفة النهر .

حالياً ، لا يوجد لديه أخبار أخرى عن أموره ، والتي تختلف عما قد كتبه لي . يجب عليه أن يظل معهم ؛ حتى يرى آخرين ممن لديهم قوة أكبر من التي كان معتمداً عليها .

بالإضافة إلى ذلك ، أعضاء الجمعية (جمعية يسوع) الذين كانوا في بلاطه ، ويفيدونه بكل شيء ، ويلتزمون بواجباتهم بإخلاص في خدمة الرب وخدمتي .

يجب عليك أن تشكرهم على هذا ، من خلال أسقف الجمعية تمشياً مع ما وجهّتك بفعله في مراسلات سفن القرقور التي أبحرت فيها .

بدا العالم أجمع غير ذي أهمية بالنسبة للمغولي ، وهو يعتقد أن كل شيء فيه ملكه ، ومسؤول أمامه ، وقد أمر بالفعل ببناء خمسمائة سفينة ذات مجاذيف وخطط لزيارتها البحر وأرض هرمز ، التي أشاد بها أمامه "أنطونيو دي أزيفيدو" ، وأبحر إلى تلك القلعة ؛ ليؤكد حقيقة هذا ، عبر واحد من وكلائه التجاريين في مملكة السند ، والذي سيفيده وفقاً للأنباء التي تلقاها ، ومن البرتغالي الآخر الذي عاش هناك .

أما الابن الثاني للمغولي - والذي كان في "داماناجر" ، وهي القلعة الرئيسة في مملكة مليك ، والذي توجّه "تشامديبيدي" ببسالة لمساعدته - فقد فرّ ولجأ إلى مملكة "برارباره" ، ولا يزال هناك ، وغير قادر على الاستيلاء على أي قلعة في مليك .

إنني أعتبر نفسي متمتعاً بخدمة جيدة عن طريق إجراء نائب الملك في هذا الشأن .

إنني أوصيك بأن تسعى جاهداً بكل طريقة ممكنة للحصول على معلومات دقيقة عن مخططات المغولي ، بما أن هذا - كما ترى - أمر هام .

إنني أتوسل إليك أيضاً لتحافظ على صداقة "تشامديبيدي" ، وسكان

مملكة "مزينالوكو" ، وأن تنظّم ، وتنصح وتفعل كل شيء ضروري في هذا الأمـر طبقاً للعناية التي ينبغي عليه دائماً توفيرها ، مع عدم أخذ فترة أخرى ؛ لأن هذا سيكون سحباً للنفوذ من المغولي ، أو ما كتبه الرب لصالح تلك الولاية .

٧- يخبرني أيضاً أن "عادل خان" يستمر في إعطاء علامات أكثر وأكثر عن صداقته الحقيقية مع تلك الولاية ، وعندما جنحت سفينة قرقور خاصة بأحد أتباعي في بلاده ، أصدر أوامر بتسليم كل حمولتها بأمانة ورعاية عظيمتين .

لم يتوقف أولئك الملوك عن التحالف ضد المغولي ، كما كان يحاول أن يفعل من خلال آرائه وأفكاره ، وهو لا يضيّع أي فرصة عندما يتعلق الأمر بالحلف .

أصدر أوامر للتعامل معهم من خلال رسل وبواسطة رسائله ، ولا يساعد ملوك سواحل "كانارا" و"بالالا" بدفع الجزية والضرائب المماثلة ؛ ولكنه يرسل المذكرات الضرورية والرسائل الرسمية .

إن كل شيء يكتبه لي عن هذه الأشياء أعتبره لخدمتي ، وإنني أوصي بأن نستمر في هذا الترتيب ؛ لتوحيد ملوك تلك الأنحاء ضد المغولي بما يتوافق مع ما أمرت به عبر رسائلي .

٨- يبلّغني نائب الملك أيضاً بأن "السامورين" كان يتوسل خلال تلك السنة من أجل السلام بإصرار أكثر من أي وقت مضى ، وأنه – كعلامة على حسن نياته – أطلق سراح يسوعي الذي وقع في الأسر في السفينة القادس الخاصة بـ "دوم فيرناندو لوبو" .

هو يعد بمنح الحرية لجميع البرتغاليين والنصارى في مملكته والأراضي التابعة له ، وأن يعطيهم أراضي هناك ؛ ليبنوا عليها كنائس ؛ وليشيّدوا قلعة في "كلكتا" و"بانين" في المكان والموقع الذي بدا الأفضل بالنسبة لهم .

سيعمل على هدم قلعة "كونالي" ، وسيسلمهم عدداً من قطع المدفعية ، وسيقدّم رهائن لتحقيق كل هذا .

ذلك لأن اليسوعي المذكور شهد أن "السامورين" أراد السلام ، فقد أمر عضواً آخر في الجماعة – كان يفهم ويتحدث اللغة بطلاقة ، وسيتحدث "السامورين" معه وحده ، ودون أن يكون أي شخص آخر حاضراً – ليذهب إلى الملك ويناقش الأمر معه ، وهو يدرك المزايا التي يمكن أن تنشأ عن علاقته مع تلك الولاية ، وبالتالي ، فإنه يريد إبرام السلام دون أن يسمح لأي من إدارييه بالمشاركة في أي من التفاصيل .

بما أنهم مسلمون – ويراهم أعداء لتلك الولاية – ، فإنه يخشى من ألا يتم الاتفاق على السلام من خلال التعامل معهم .

قد ناقش الأمر بشكل تفصيلي مع "دوم الفارو دي أبرانشز" "D . Alvaro de Abranches" عندما أرسله إلى "مالابار" كقائد أول ، وعلاوة على ما أعطاه له من خلال الأوامر المستديمة ، أرسل أيضاً أعضاء موثوقاً بهم ، ومحترمين من الجماعة وسط "المالاباريين" ؛ للتأكد من حقيقة الأمر ، وكان يتوقع منهم تقييماً خلال ساعات ، وإذا وصل هذا في الوقت المحدد سيرسله مع البريد ، وإذا لم يصل فسيرسله معي براً .

بعد التفكير في أهمية الأمر ، آمرك بأن تبذل أقصى جهدك لتحقق

هذا السلام ، إذا لم يتحقق بعد ؛ وأن تحسّنه بأفضل طريقة ممكنة ، وأن تقدّم أكبر مساعدة ممكنة ، وأن تشارك في تدمير "كونالي" أكثر مما تشارك في تشييد قلاعنا - على الرغم من أن الموافقة عليها كلها ستكون جيدة .

٩- يقول أيضاً : إن ملك "كوتشين" يبدي حماساً أقل كثيراً بكل ما يتعلق بعقيدتنا المقدّسة ويعوقها عامداً ، وبطريقة مخادعة ، إلى حد يمكن معه أن يفهم المرء بشكل واضح أنه طرف في هذا .

يبدي أيضاً حماساً قليلاً لما يتعلق بمصالحي ، ولكن ، وعندما تحين المناسبة ، يكتب إلى نائب الملك بكل الاحترام اللازم ، ويفعل الشيء ذاته في التماساته ورسائله .

قد أرسل له الملك ما أمرت بكتابته في النسخة التي تمّ فتحها ، وقد أرسل أيضاً إلى الأمير - خليفته - الرسالة التي تلقاها ، وشرع في معاملته بقدر كبير من الحميمية والثقة في كل شيء ، وردّ الأمير بالثقة ذاتها والحب ذاته .

نظراً إلى أن شكاوى قد قُدمت بشأن هذا الملك قبل وقت طويل ، فإنني أحثكم على أن تحاول ، وتتوصل إلى تفاهم معه ، وأن تحافظ على صداقته ؛ وعلى صداقة الأمير على وجه الخصوص ، بحيث لا يجد فرصة للشكوى . (وهو ما يفضله على الأرجح ، لكي يبرر تصرفاته في أمور أخرى) ، وأن كل ما له صلة بخدمتي ، ويتدخل فيه ، يجب تنفيذه .

١٠- يقول أيضاً : إن "الكوتوبوشا" "Alcotobocha" - ملك ماسوليباتنام - بعث رسوله قبل عامين للتفاوض بشأن السلام ، وتمّ

التوصل إلى اتفاق ، وقد طلب من "ماتياس دي البوكيرك" أن يرسل إليه شخصاً ليؤمن السلام في مملكته .

قد أرسل إليه المدعو "فرانسيسكو دي ألميدا" ، وعندما لاحظ الأخير المماطلات ، أدرك أن بقاءه في ذلك البلاط سيطول - على الأقل خلال الوقت الذي تبحر فيه سفن القرقور التي أرسلها من وإلى مكة ، وقد عاد وسط أخطار شديدة ، وعرف لاحقاً أن الملك قرر أن يصلح ما مضى ، ويرسل رسولاً آخر ، وقد اعتاد استخدام هذه الحيل حتى لا يقطعوا العلاقات معه كلياً .

الملك "دوم جواو" ، ملك سيلان ، نصراني طيّب ، ولكنه مبذر للغاية ، وليست لديه فكرة عن كيفية التحكم في نفسه ، وفي أتباعه .

عموماً ، فقد أصدر أوامر لكي يلقى كل الاحترام اللازم لرتبة ملك نصراني ، وكانت زوجته طاغية ، ولم تكن تنحدر من سلالة ملكية ، وكان لديه بعض أبناء الإخوة الذين خاف من احتمال أن يسببوا متاعب لتلك الولاية من ذلك الوقت فصاعداً ، وسيحاول منع حدوث هذا الأمر قدر الإمكان .

إنني أعتبر نفسي أحظى بخدمة جيدة من خلال الطريقة التي أتعامل بها مع هؤلاء الملوك ، وبما أن أبناء إخوة الملكة مثيرون للمتاعب ، ويمكن أن توجد بعض الشبهات بشأنهم ، فإنني أكلفك بأن ترسلهم إلى مدينة "غوا" ؛ أو أن تصدر الأمر الذي تراه ملائماً أكثر من غيره في هذا الشأن .

حررت في "لشبونه" في الخامس عشر من يناير عام ١٥٩٨م .

الأمير

"ميجيل دي مورا"

"للكونت الأميرال" ، نائب الملك في الهند / وساطة ثانية

على الكتابة الفوقية :

إلى "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، "كونت فيديغيرا" ،

من بلاط جلالته ، الأميرال ونائب الملك في الهند .

وفي العام نفسه (١٥٩٨م)

صدرت رسالة من "فاروق شاه" ، ملك هرمز إلـى نائب الملك ، هرمز ، في الحادي والعشرين من شهر مارس عام ١٥٩٨م ، ويشكر فيها قائد هرمز : (١٨)

ترجمة رسالة كتبها ملك هرمز ، "فاروق شاه" ، إلـى فخامتكم :

بعد التماسي الزاخر بالتحايا والتمنيات الكثيرة ، أكتب هذه الرسالة إلى الأمير الشهم والمستنير ، والمهيب ذي القوة العظيمة والحكمة والمجد ، سلطان البحر العظيم "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، الأميرال ونائب الملك في الهند .

سيعرف فخامتكم أنني ، في الوقت الحاضر ، بصحة جيدة وعلى استعداد تام للغاية لخدمتكم ؛ وأدعو الله أن يحفظكم دائماً ، ويشملكم بعنايته ، ويطيل عمركم .

ستسدي لي معروفاً بالكتابة لي لتزويدي بالأخبار عن شخصكم الكريم ؛ لأنني أفرح دائماً بسماع تلك الأنباء السعيدة .

---

(١٨) رقم الوثيقة والهامش.

سيعرف فخامتكم أن "بيرو دي أزيفيدو" "Pero de Azevido"– قائد القلعة هنا – الذي أكمل للتو مدته في المنصب ، أدى خدمة جليلة لصاحب الجلالة طوال الفترة ، وكان ناجحاً للغاية مع الناس ، وتعامل بطريقة نزيهة مع الجميع .

أما بالنسبة لي ، فهو لم يرتكب أي خطأ في حقي ، وإنني راضٍ ولا أشكو من شيء ، ولذلك أطلب من فخامتكم ، ومن أجلي ، ألا تتجاهله وأن تدعمه من جميع النواحي .

لعل فخامتكم يصدّق هذه السطور القليلة ، على الرغم من أنها كتبت بالفارسية ، بما أنها ممهورة بخاتمي ، وتحمل توقيعي .

ترجمت هذه الرسالة ، اليوم الحادي والعشرين من مارس عام ١٥٩٨م .

"باستياو باتشيكو" "Bastiao Pacheco" .

وفي العام نفسه (١٥٩٨م)

صدرت رسالة من الملك إلى نائب الملك ، "الكونت الأميرال دوم فرانسيسكو دا غاما" ، "كونت فيديغويرا" ، "غوا" ، في الثلاثين من شهر مارس عام ١٥٩٨م ، يأمر ببناء قلعة على التل بمسقط التي ربما دخل منها الأتراك : (١٩)

اطلعت على ما تقوله لي عن أن منصب مسجل الجياد في هرمز يجب أن يُعطى بواسطة ملك هرمز إلى أحد رعاياه وليس لبرتغالي ؛ للأسباب التي ذكرتها .

إنني أعتبره أمراً يخدم مصلحتي أن يعمل أحد رعايا ذلك الملك من المسلمين في ذلك المنصب ، وألا يتم تعيين برتغالي في المنصب ، وإذا كان أي شخص قد تم تعيينه بالفعل في المنصب ، يجب عليك أن تمنحه تعويضاً ملائماً قبل عزله من المنصب .

---

(١٩) رقم الوثيقة والهامش.

تقول لي إنه يوجد مقابل قلعة مسقط تل عالٍ للغاية ، يمكن أن يصعد إليه الأتراك ، دون أن يتمكن من بداخل القلعة من منعه ، وطردهم منه بسهولة ، ولهذا السبب ، وعندما كان "دوم جيرونيمو ماسكارينهاس" قائداً لهرمز ، أصدر أوامر ببناء قلعة عليه ، حتى لا يحتله العدو .

لابد أنك سمعت بأنه ، وخلال الرياح الموسمية ، عندما كان وصول سفن القادس التركية متوقعاً ، وضع الوكيل التجاري للقلعة نفسه هناك ، ومعه قلة من الأصدقاء ، وأكدوا لك أنهم ، وباستخدام المعاول ، قد تمكنوا من إغلاق الطريق المؤدية إلى أعلى التل التي يمكن أن يأتي منها الأتراك إلى الشاطئ .

على الرغم من أن هذا سيكلف نفقات باهظة ، إلا أنه سيؤدي إلى تجنب النوع العادي من الحصار ، وسيجعل القلعة أكثر أماناً ، وقد أبلغتني بأنك تتلقى النصائح الضرورية حول الأمر ، وأنك ستفيدني بالإجراء الأكثر ملاءمة لتقوم به ، وأنك ستصدر أوامر لتضمن تزويد القلعة بما يكفي من الرجال ، ويبدو لي هذا كله كان سليماً للغاية ، سواء ما فعلته أو ما عزمت على القيام به .

من أجل تمكيني من أن أقرر ما يخدم مصالحي أكثر من غيره ، انتظر وصول أول رسائل منك - ويجب أن تقدّم لي فيها بياناً أطول عن الأمر فور اتخاذك التدابير التي قررت تنفيذها .

وفي العام نفسه (١٥٩٨م)
صدرت رسالة من "فيليب الأول" إلى "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند ، "لشبونه" ، الثالث من شهر إبريل عام ١٥٩٨م ، ويذكر فيها العناية بقلعتي هرمز ومسقط : [٢٠]

تمّ إبلاغ جلالته بالمشاكل المتعلقة بالفلفل المتجه إلى قلعتيّ مسقط وهرمز ، والذي يتطلب حلاً لمنع إساءة الاستعمال هذه .

بعد أن تلقى جلالته المعلومات الضرورية ، قرر تنفيذ العقوبات المقررة لهذا الأمر ، وأن الذين صدر عليهم حكم بالإعدام – وقد صدر عليهم الحكم لهذا السبب – هم فقط الذين يتم الصفح عنهم .

الحل الرئيس لهذا هو ضرورة أن يكون هناك أسطول في المضيق ؛ ليفتش سفن القرقور والسفن المتجهة إلى هاتين القلعتين ولمضيق مكة ، وفي قلعة مسقط ، يجب أن يكون هناك شخص خصيصاً ليبحث عن السفن المتجهة إلى هناك حتى لا يتم نقله (الفلفل) برّاً .

---

(٢٠) رقم الوثيقة والهامش.

في حال تصاريح المرور الصادرة من قلعة هرمز إلى مصوّع ، وأماكن أخرى في فارس ، حتى وإن كان مفهوماً أن السفن متجهة إلى الصرة وتتظاهر - بسبب الربح الفاحش الناتج عن هذا لخزانة جلالته - فإن جلالته لا يعتقد أن من الضروري منعهم لأسباب بعينها ، تمّ تحديدها .

متى اطّلع فخامتكم على هذا ، واتخذتم قراراً بشأنه ، يجب إبلاغ المعلومات التي لديكم لجلالته مصحوبة برأيكم .

وفي العام نفسه (١٥٩٨م)
صدرت رسالة من الملك إلـى نائب الملك "الكونت الأميرال" ، "لشبونه" ، الخامس من شهر إبريل عام ١٥٩٨م ، ويذكر فيها العناية بقلعتي هرمز ومسقط : (٢١)

بما أن الـ (vias) قد تمّ إقفالها ، وأنا لا أتذكر إذا ما كان ما أقوله في هذه الرسالة مضمّناً فيها ، يبدو للحكام أنه سيكون من الأفضل نسخها بدلاً من إغفالها ؛ لإبلاغ فخامتكم بالقرار الذي اتخذه جلالته في تلك المراسلات حول ما كتبه في رسالته ، وكتابة رسائل أخرى لفخامتكم .

تمّ إبلاغ جلالته بالمشاكل التي تؤثر على جلب الفلفل إلى قلعتي هرمز ومسقط ، والتي تتطلب حلاً لإيقاف هذا الإرباك .

بعد أن اطّلع جلالته على ما أعتبره ضرورياً ، قرر أن عليه إصدار أوامر تقضي بأن يتم تنفيذ العقوبات المفروضة في هذه الحال ، وأن عقوبة الإعدام فقط - في حال صدورها على المذنب - ينبغي استبعادها .

(٢١) رقم الوثيقة والهامش.

الحل الرئيس لهذا ، هو أن يأمر جلالته بأن يكون هناك أسطول في المضيق ؛ ليفتش سفن القرقور ، والسفن المتجهة إلى هاتين القلعتين ، وإلى مضيق مكة أيضاً ، وأن يكون هناك شخص خاص في قلعة مسقط ؛ ليفتش السفن التي تأتي للساحل هناك حتى لا يتم نقل الفلفل براً .

أما بالنسبة لتصاريح المرور الصادرة في قلعة هرمز إلى مصوّع ، والأماكن الأخرى في فارس ، وعلى الرغم من أن الممكن الاعتقاد أن تلك السفن متجهة إلى الصرة - ولكنها تخفي الحقيقة ؛ بسبب الفائدة العظيمة لخزانة جلالته الناتجة عن هذا - ، فإن جلالته يرى أن من الضروري عدم منعها في الوقت الحاضر للأسباب المذكورة .

لكن يجب على فخامتكم الالتزام بهذا ، والسماح بحدوثه ، وإبقاء جلالته على علم بما ستتوصل إليه ، ويجب عليك أن تعطي رأيك .

وفي العام نفسه (١٥٩٨م)

صدرت رسالة من "ديوغو فيلهو" "Diogo Velho" إلى "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند ، "لشبونه" ، السادس من شهر إبريل عام ١٥٩٨م ، جاء فيها أمر بإزالة العوائق التي بهرمز ومسقط لتسهيل وصول الفلفل إليهما : [٢٢]

بما أن الرسائل قد أغلقت ، ولا أتذكر ما إذا كان مضمون هذه الرسالة مضمّناً فيها أم لا ، فقد كان رأي السادة الحكام ، هو أن من المستحسن نسخها بدلاً من إبقاء فخامتكم على غير علم بالقرارات التي اتخذها جلالته .

قد كتب لهم عن هذا في رسائله ، ويقول إنه يتعيّن علينا إرسال رسائل أخرى إلى فخامتكم .

قد تمّ إبلاغ جلالته بالعوائق التي تؤثر على وصول الفلفل إلى قلعتيّ هرمز ومسقط ، وطالب بحل ينهي هذه المشكلة .

(٢٢) رقم الوثيقة والهامش.

حيث إن إبلاغ نفسه كان ضرورياً ، فإن جلالته قرر أن من الضروري إصدار أوامر لتنفيذ العقوبات الصادرة فعلاً ، وأن يشمل العفو أولئك الذي صدرت عليهم أحكام بالإعدام فقط ، ولن يحدث هذا إلا في هذه الحالات .

الحل الرئيس لهذا ، هو أن يأمر جلالته بأن يكون هناك أسطول في المضيق ليرافق سفن القرقور والسفن المبحرة لهاتين القلعتين وإلى مضيق مكة ، ويجب أن يكون هناك شخص في القلعة بمسقط تتمثل مسؤوليته في البحث عن السفن المتجهة إلى هناك حتى لا يتم نقل شحناتها براً .

عن موضوع الصكوك الصادرة في قلعة هرمز لمصوّع ، وأماكن أخرى في فارس ، وعلى الرغم من الاتفاق على أن تمتد إلى الصرة - وهناك الكثير من الحجج بشأن الفائدة العظيمة التي ستتحقق من هذا لخزانة جلالته - إلا أن رأي جلالته ، هو ضرورة عدم منعها لأي أسباب ، ولكن يجب على فخامتكم الاطّلاع عليها ، ووضعها موضع التنفيذ ، وإفادة جلالته بأي معلومات تحصل عليها ، وأن تعطي رأيك لجلالته .

وفي العام نفسه (١٥٩٨م)

صدرت رسالة من ملك هرمز إلى "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند ، هرمز ، الرابع عشر من شهر إبريل عام ١٥٩٨م ، يطلب فيها من نائب الملك تعيين ابنه مكانه لأنه مرهق : [٢٣]

تلقيت رسالة من فخامتكم بواسطة "نيكولاو بينتو" "Nicolao Bento" ، وقد سرني أن أعرف منها أنك بصحة جيدة ، وأدعو الله أن يزيد صحة وعافية من أجل صالح هذه الولاية .

قد أسعدني أيضاً أن أتلقى تحياتك الشخصية لي ، ولمملكة جلالته هذه ، لأنه مع تلك العناية وذلك الحب ، فإن كل ما ضاع في هذه المملكة ، ستتم استعادته وتطويره .

بالنسبة للسرور العظيم الذي شعرت به بسبب حضور خادمكم "نيكولاو بينتو" ، فقد تحوّل إلى هواجس مزدوجة لدى عودته ، لأنه بدا لي أنه جاء ليؤخر الكتابة الأطول من هنا لفخامتكم عمّا يحدث في هذه المملكة .

(٢٣) رقم الوثيقة والهامش.

لكنني أعتقد أنه ، وخلال الوقت القصير الذي قضاه هنا ، فهم ما يكفي ليكون قادراً على إبلاغ فخامتكم .

قد أعطاني "الأفيدور جيرال" "Ouvidor Geral" ، الذي جاء إلى هذه المدينة بأمر منك ، جميع الأوراق ؛ وقد رأيت فيها ما تقدمه لي من أفضال ، وما ترغب في أن تقدمه ليّ .

حتى الوقت الحاضر لم يتم إنجاز شيء ما عدا عمولات السمسرة ، التي يتخلى عنها هذا التاج .

أرجو من فخامتكم عدم التهاون في حث "الأوفيدور جيرال" بالرسائل ؛ ليفعل بشكل ملائم ما يتعلق بمنصبه .

قد أرسلت إلى فخامتكم ، مع الريح الموسمية التالية ، التماساً طلبت منكم فيه أن تنقلوا إلى الجانب الآخر ما أطلعني عليه فخامتكم خلال وقت توليكم المنصب ، على أنه يتم لخدمة جلالته .

حيث إن تطوير هذه الولاية هام للغاية ، ينبغي على فخامتكم أن تأمروا بما ترونه ملائماً ؛ إذ إنني كتابع لكم على استعداد تام .

إنني شاكر لفخامتكم ؛ لأنكم تتذكرون ابني الأمير ، واعتقد أنه رجل سيفعل ما ينبغي عليه فعله كتابع جيّد ، وبما أنني أوليه هذه الثقة ، فإنني أرجو من فخامتكم الموافقة على تعيينه في مكاني حسب رغبة شعبي ، والبرتغاليون المقيمون في هذه المدينة معجبون به للغاية أيضاً ، وهو يتمتع بالصفات الضرورية للمنصب .

إنني عجوز ومرهق ، وأرغب في أن أقضي وقتي في سلام ، وأن أتفرغ لعبادة الله ، ولذلك أرجو من فخامتكم الموافقة على هذا .

أدعو الله أن يحفظكم ويطيل عمركم ،

حرر في هرمز بتاريخ الرابع عشر إبريل عام ١٥٩٨م .

وفي العام نفسه (١٥٩٨م)

صدر خطاب أمير هرمز "مير فيرو شاه" إلى "دي فرانسيسكو دا جاما" ، نائب الهند ، هرمز ، السادس عشر من شهر إبريل عام ١٥٩٨م ، ويذكره بالخطاب السابق : (٢٤)

سيدي

بعد أن كتبت لسيادتكم الخطاب ، والذي سيصل لكم من خلال "أندريه فورتادو" "Andre Fortado" ، فقد علمت أن "بالتاسار بينهيرو" "Balthasar Benheiro" ، كان ذاهبا إلى تلك المدينة "غوا" ، وهو رجل له خبرة في أمور تلك الدولة .

أنا أتوسل لسيادتكم بأن تمنحني فضل أخباركم عن أحوال الدولة هنا ، فعندما يراهم بكلتا عينيه سوف يكون لديه نظرة أكثر اطلاعا على الأمر ، أكثر مما أكتبه لك .

أنا متأكد من عدالة سيادتكم ومن الثقة التي ستعاملني بها وكأنك

(٢٤) رقم الوثيقة والهامش.

والدي . أنا أدعو الله أن يطيل عمر سيادتكم ، كي تزدهر الدولة ، وأن يمنح سيادتكم العديد من الانتصارات ، وهو القادر على ذلك ، إلخ .

هرمز ، السادس عشر من إبريل عام ١٥٩٨م

من أمير هرمز ، "مير فيرو شاه"

وفي العام نفسه (١٥٩٨م)
صدر خطاب من أمير هرمز "تورون شاه" إلى "د . فرانسيسكو دا جاما" ، نائب ملك الهند ، هرمز ، بتاريخ شهر إبريل عام ١٥٩٨م ، يطلب فيه تنصيبه ولياً للعهد : [٢٥]

سيدي ،

من الخطاب الذي كتبه سيادتكم إلى والدي ، علمت أن سيادتكم بصحة جيدة . عسى الله أن يديم عليك ذلك ، من أجل رفاهية تلك الدولة ؛ وكي أكون أنا سعيد هنا دائما .

قد علمت من الخطاب كيف أن سيادتكم قد نصحت أبي ، لأنه كان في حالة تحتاج راحة أكثر من أن يتصرف في أمور تلك الدولة ، وهي مرهقة الآن بشكل كبير ، ولكن في خدمة سيادتكم سيكون الأمر أكثر سهولة أن يتم ترتيب كل الأمور بشكل جيد ؛ ولأن تلك الفرصة قد ظهرت ، أود أن أذّكر سيادتكم ، طالبا منكم منحي

(٢٥) رقم الوثيقة والهامش.

فضل أخباركم عني . أنا ابن شرعي للملك "فاروق شاه" و "بياتيفا" ، ملكة تلك المملكة .

أنا الابن الأكبر ، وقبل أن يتزوج أبي "بياتيفا" "Biativa" ، ابنة "ريس نور الدين" ، فقد تعاقدوا من خلال وثائق عامة أنه إذا كان هناك ابن ، فإنه سوف يرث عرش المملكة . لدي أنا و"بابار شاه" ، أبناء شرعيين من خلا زواج ، وفقا لقوانيننا .

بالإضافة إلى ذلك ، فقد قدم لي أبي جميلا من خلال قراره بمعارضتي في الدولة . كل ما أريده هو فضل سيادتكم ومساعدتكم ، عن طريق منحي الدعم بتأكيد ذلك لي ، كما هو الحق والعدل ، كما أنا متأكد من أن سيادتكم ستقومون بذلك من أجلي .

أنا عازم على إرسال شخص إلى سيادتكم من خلال الرياح الموسمية الحالية شخص يمكنه طلب ذلك من سيادتكم شخصيا ، وسوف يحضر الوثائق التي ذكرتها سابقا إلى سيادتكم كي توافق لي عليهم ، لأن أبي كبير جدا بالفعل ، ولا يمكن الثقة به في أي شيء . كل شيء بيد الله ، ويمكن أن أجد نفسي لاحقا في مشاكل مع إخوتي . لذلك ، أنا أتجرأ وأكتب تلك السطور إلى سيادتكم ، طالبا منكم إرسال ذلك إلى (.....) في خدمتكم ، وعليَّ أن أنفذ ذلك كواجب علي .

سيدنا ، إلخ

(.....) إبريل عام ١٥٩٨م

الأمير "تورون شاه"

وفي العام نفسه (١٥٩٨م)

صدرت رسالة من "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند إلـى "فيليب الأول" ، "غوا" ، بتاريخ عام ١٥٩٨م ، ويذكر فيها الموافقة على ولاية العهد ، وطلب شاه فارس لمرور قواته في أراضي هرمز لمجابهة الأوزبك : [٢٦]

استناداً إلى الأخبار التي حصلت عليها من قائد هرمز ، ومن كبير القضاة هناك ، وإلى المعلومات المستقاة من المحقق "أنطونيو دي باروس" "Antonio de Barros" عندما زارني ، اقتنعت بلا أهلية الملك .

اقترحت داخل المجلس ، وتمت الموافقة على ذلك بضرورة القيام بمحاولة لدفع الملك ليطلب إذني ؛ لكي يتولى ابنه الأكبر - وهو شخص قدير - الحكم بدلاً منه .

قد حاولت مراراً إتمام هذا الأمر ، وندعو الرب أن تتحسن شؤون تلك المملكة والقلعة بتغيير الحكومة ؛ إذ إنها توشك على الانهيار .

---

(٢٦) رقم الوثيقة والهامش.

قد تلقيت أنباء أيضاً ، أن بعثة ضخمة للغاية محمّلة بالهدايا أرسلها الشاه إلى (الأخبر) رداً على بعثة أخرى كان (أخبر) قد أرسلها إلى الشاه ، وقد جلب هؤلاء الرسل معهم أكثر من ستة آلاف رجل على ظهور الخيل ، وتحيات الشاه ، وذلك لكي يتعيّن تزويدهم بسفن في هرمز .

كان هذا ضرورياً إذا كانوا سيستفيدون من الوضع ؛ لأنهم تلقوا معلومات استخبارية مفادها أن اثني عشر ألفاً من الأوزبك ، ينتظرونهم على الطريق للهجوم عليهم ، وعندما وصلوا إلى قلعة "موغستان" في بلاد ملك هرمز ، كتبوا إلى "دوم أنطونيو" والملك و"القاضي" ، وأرسلوا لهم تحيات الشاه .

ناقشوا الأمر داخل المجلس ، واتفقوا على ألا يسمحوا لهم بأي حال من الأحوال بالمرور عبر قلعة هرمز ، ولكن يتعيّن على القائد أن يعرض على الرسل أن يمروا هم وخدمهم ، ومائة جواد ، وهدايا الشاه من الحرير ، وعرضوا عليهم أيضاً ألا يدفعوا رسوماً جمركية عن هذه الأشياء ، ويمكن لبقية الجياد أن تصعد السفن للتوجه إلى هذه المدينة حيث أقدّم لهم الرعاية ، كما هي العادة في حال أي من الأمور المتعلقة بالشاه ، و(أخبر) الآخرين .

تمّ إرجاع هذه الرسالة ، ولكنهم قرروا ألا يتفرقوا ، وهكذا سلكوا الطريق البري .

أدعو الرب أن يصيبهم جميعاً بلعنته ، وأن يقعوا في أيدي أولئك الذين ينتظرونهم ؛ إذ إنهم في هذه الحال هالكون لا محالة .

وفي العام نفسه (١٥٩٨م)

صدرت رسالة من الملك إلـى نائب الملك "الكونت الأميرال" ، "غوا" ، الثاني عشر من شهر نوفمبر عام ١٥٩٨م ، ويذكر أن ملك فارس سلم مدينتين للأتراك : [٢٧]

تقول لي إن ملك فارس شاب ، ويهتم قليلاً بالحرب ، وإنه – وبعد أن انهزم التركي على يد الإمبراطور عمي – سلّم مدينتين إلى التركي ، والكبرى منهما هي تبريز ، وبعث له برسول يحمل هدية ضخمة أُحسن استقبالها .

إنه ترك بلاط هذا الملك (التركي) وهو راضٍ تماماً .

حيث إن لديك هذه الأخبار ، فعليك أن تأمر على نحو عاجل للغاية "دوم أنطونيو دي ليما" "D . Antonio de Lima" ليغادر إلى هرمز ليعوق ، قدر استطاعته ، هذه العلاقة ، والعلاقة التي رغب المغولي في أن يقيمها معه .

---

(٢٧) رقم الوثيقة والهامش.

بعث أيضاً برسول له حاملاً هدايا ثمينة .

إلى أن تعرف بشكل مؤكد من الرسائل المرسلة من "دوم أنطونيو" كيف وجد الأمور في فارس ، عليك أن تقرر تأخير البعثة التي أمرتك بإرسالها له ، وأنت لم تفعل هذا لأنك لم تجد رسوله في "غوا" ، أو أي نوع آخر من الرسائل كما كان متوقعاً ، ويبدو لي أنك شرعت بالقيام بكل هذا بما يخدم مصالحي ، وإنني أعتقد ، طبقاً لما يحدث لاحقاً في هذا الأمر ، أنك كنت ستتصرف حسب ما يقتضيه الأمر .

إنني أتوقع أنباء عن هذا الأمر في أول رسائل تكتبها لي .

أسعدني أن أعرف من رسائلك أنك تعتقد أن ملك هرمز كان يؤدي واجباته في خدمتي ، وقد ساءني أن الخلافات بينه وبين "القاضي" مستمرة .

تقول إنك أرسلت المجاز "فرانسيسكو مونتيرو" "Francisco Montero" ، قاضي المحكمة العليا في "غوا" ، إلى هرمز ، وكلفته بمحاولة الإصلاح بينهما ، حتى يكون ذلك المكان أكثر هدوءاً ، وحتى تتم خدمتي بطريقة أفضل .

يبدو لي أنني يجب أن أعطيك موافقتي على هذا ، وعلى جميع الاجراءات الأخرى التي اتخذتها في هذا الأمر .

إنني أوصيك بأن تعتني بكل الذي يتحقق في هذا الصدد ، وأن ترسل إلي المعلومات الاستخبارية التي يحصل عليها هذا القاضي ، وأن تخطرني بالخطوات الأخرى التي تتخذها في هذا الشأن .

لقد تصرّفت بشكل صحيح بإصدارك أوامر إلى "دوم أنطونيو دي ليما" ، عندما ذهب إلى قلعة هرمز ، بعدم السماح لأهالي البندقية والأرمن والأجانب الآخرين بدخول ولاية الهند ؛ إذ إن ذلك هو ما أمرت به أنا .

من المرغوب فيه أن تستمر في تذكير "دوم أنطونيو" بشؤون هرمز ، ولا سيما تلك التي تتعلق بحماية القلعة والدفاع عنها .

ملحوظة في النص المطبوع :

إن هذه الوثيقة والوثيقتين اللتين تليانها رقم ثلاثمائة وأربع وستين وثلاثمائة وخمس وستين كُتبت في الأصل دون ذكر اليوم والشهر ، ولكن ذُكرت السنة على أنها ١٥٩٩م .

لكن لاحقاً ، ومن مصادر خلاف نص الوثيقة ، تمّ إكمال فراغ اليوم والشهر وتعديل السنة من ١٥٩٩م إلى ١٥٩٨م

يمكن أن يستنتج المرء من بعض نقاط النص أنها كُتبت في الواقع بعد بداية عام ١٥٩٩م .

ليس من السهل أن يكتشف المرء اليوم سبب هذه الإغفالات والتعديلات ، ولكنها لا تؤثر على صحة الوثائق ودقتها .

وفي العام نفسه (١٥٩٨م)

صدرت رسالة من "فيليب الثاني" "Philipe II" إلى "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند ، "لشبونه" ، في الحادي والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٥٩٨م ، يذكر أن هناك تلاً عالياً في مسقط مقابل قلعة مسقط ، ويستطيع العدو الدخول منه ، ولذلك أمر ببناء قلعة على ذلك التل : [٢٨]

١- إلى صديقي "الكونت الأميرال" ، نائب الملك .

أبعث إليك ، أنا الملك ، بتحياتي الكثيرة كالتي أبعثها لشخص أحبه .

في واحدة من رسائلك التي وصلت في العام الماضي ، تخبرني أن من المستحيل لأمين خزانتي في ولاية الهند ، أن يغطي تكاليف زواج اليتيمات اللواتي يسافرن من هنا ، وبما أن حيّز الشحنات محجوز لعدة سنوات قادمة (وهو أيضاً السبب وراء عدم إيواء الرجال الذين يتزوجونهن) ، فإن هؤلاء اليتيمات ضحايا المحن التي تتحدث عنا .

---

(٢٨) رقم الوثيقة والهامش.

هذا هو السبب أيضاً الذي يجعل الكثير من بنات الأثرياء العاملين في خدمتي في الهند ، لا يتزوجن على الرغم من أن إيجاد أزواج يناسبونهن أسهل ؛ إذ إنهن ولدن هناك ، وسيكون أقرباؤهن سعداء بالبحث عن أشخاص يلائمونهن .

تطلب مني بأن آمر بعدم إرسال يتامى من هنا .

كما في مراسلات عام ١٥٩٧م ، فقد أمرتك بأن تكتب لي ، وتخبرني بما ينبغي عليك فعله لخدمة مصالحي على أفضل نحو فيما يتعلق بالزواج ، وترتيب اليتامى الذين ولدوا في الهند زوجاً زوجاً ، أشير إلى تلك الرسائل ، وأوافق على ما تقوله (وقد سمعت بالفعل شيئاً من هذا) وسآمر - للأسباب التي تشير إليها - بألا يسافر أي يتامى من هذه المملكة .

٢- تقول إنك - وفور وصول سفن القرقور إلى حاجز "غوا" - أمرت الرهبان الذين تتمثل مسؤوليتهم في تزويد متديني الهند بمخصصات النبيذ ، والزيت التي أمنحهم إياها في كل عام - حتى لا يشتروها من قائد وربابنة سفن القرقور ، وقد أوضحت لهم بهذه الطريقة ، أنهم فعلوا هذا للمصلحة .

من أجل إحباط أي محاولة للنميمة ، اتفقت مع رجال الدين هؤلاء على أن يتلقوا تلك المخصصات نقداً ، ولذلك ، فإنني أوافق على ما أمرت به .

٣- عندما يذهب أسقف "غوا" وأسقف "كوتشين" لزيارة أبرشياتهما ، عليك أن تأمر بإعطائهما سفناً لذلك الغرض ، كما أن الألفي "بارداوس" التي

منحتها للأسقف لإنفاقها على الأردية لأولئك الذين يتم تعميدهم ، وإنني آمرك بألا تكون هناك ندرة في أي من الحالات .

٤- سررت لأنك كتبت تقول إنك تلتزم بشدة بالتعليمات التي أصدرتها ، وطبقاً لهذا ، فإنني أمنعك من العفو أو الصفح عن أولئك الذين يخضعون لعقوبات قانوناً ؛ بسبب تصرفات تتسم بالاستخفاف بالتعليمات .

يجب عليك أن تعلن هذه العقوبات على العموم فوراً .

إنني أوافق على الإعلان الذي أصدرته في ذلك القانون ، وفقاً لرأي محكمة الاستئناف بأن أولئك الذين يصدرون وثائق أو رسائل غير واضحة تماماً ، يجب أن يتعرضوا للعقوبات ذاتها ، وتقول إنه كنتيجة لذلك ، انقضى الشتاء بسلام ، وإنني أعطيك موافقتي ، وقد عملت على صدور توجيه استناداً إلى هذا الإعلان لكل ممالكي وإقطاعياتي ، وسيتم إرسال هذه الرسالة إليك ، وإنني أطلب تضمين محتوياتها في المجموعة الجديدة من الأوامر .

٥- أما فيما يتعلق بالضباط والبحارة الذين لم يتم إرسالهم من مستودعاتي لتسليح سفن القرقور في الهند ، ولست آمراً حتى بتصنيع الكبلات لسفن القرقور فيها ، ولم يتعرض هذا الأمر للنسيان ، وبالنسبة لهذا الموضوع ، يجري إصدار الأوامر للبحارة للإبحار في أول سفن قرقور ، وكذلك أكبر عدد من البحارة الإضافيين الذين يمكن العثور عليهم .

هناك نقص خطير فيهم ، ولا سيما أن سفن القرقور ستبحر الآن بعدد أكبر يفوق عددها في أي سنة من السنوات الماضية .

٦- تخبرني أيضاً أن الكاهن العام للرهبان "الدومينيكانيين" - الذي يعمل كمندوب للرسالة البابوية للحملة الصليبية - قال لك إنه أرسل مبلغاً من المال لهذه المملكة في سفن القرقور العام الماضي ، وهو مبلغ لم يصل إلى هنا ؛ وإنه لا يملك أي مال الآن ليرسله .

وقال إنه ينتظر للذهاب إلى الشمال ليجعل أمناء الصناديق يتحملون مسؤولية ذلك ، وإنه عندما يذهب ، سيسلّم كل المبالغ التي يجمعها لأي شخص تحدده ، وإنك سوف تستخدم المبلغ الذي يقدّمه لشراء الفلفل ، وهذه هي الطريقة الصحيحة .

أوصيك بأن تمضي قدماً في هذا الأمر ، وأريد منك أن تفيدني بالطريقة التي تمّ من خلالها إرسال المال الذي لم يصل إلى هنا ، سواء في شكل حوالات أو بواسطة موظف من الخزانة - وتوضيح الشخص الذي تحمّل مسؤولية مخاطرة جلبه .

٧- تقول إنه وقبل أن تصل إلى الهند سفن القرقور التي كتبت لك معها ، إنك لن تمنح bahars القرنفل لأي أحد ، بما أن هذا سيتعارض مع القانون .

أنت على علم تام بهذا إلى حد أنك لم تؤكد أن البعض منها أُعطي قبل وصولك ، وإنني أعتبر أنني أُحظى بخدمة جيدة للغاية من قِبلك ، وأشيد بك مجدداً .

بما أن القانون يحظر إعطاء bahars القرنفل ، فإنه ينص على أنه - في حال منح رخص للـ bahars فيجب أن تعطى لها قيمة نقدية ، وأن تُخصم من المبلغ الممنوح لنواب الملك لتوزيعه في شكل هدايا .

لكن هذا لا يكفي لتفادي هذا النوع من الإرباك ، وأعتقد أن من الملائم ، بدلاً من هذا المنع ، يجب النص على أن نواب الملك والحكام الذي يعطون bahars القرنفل هذه ، يجب أن يدفعوا ثمنها من أموالهم الخاصة ، وفي الرسائل العامة المرسلة إلى الحسابات في البرتغال وإلى Casa da India يجب الإفادة عن هذا وإعلان عدد الـ bahars .

عـليك نقـل هـذه الفقرة إلـى القانـون ، وأن يتم قيدها في الحسابات الهندية .

عليك أن ترسل الإعلانات في المجموعة الأولى من المراسلات للإفادة بأنك أنجزت هذا الأمر .

٨- بالنسبة لقولك إنك وجدت دار الجمارك في "ديو" محققة للأرباح ، وإنك ترى أن من مصلحتي أن تستمر هذه الأرباح ، لأن المحصلين في الماضي أوفوا بالتزاماتهم كاملة ؛ أوصيك بأن تدرس ما إذا كان المحصلون يتلقون مكافآت جيدة ، ولديهم ضمانات سليمة .

يجب الإعلان بألا تكون الأشياء التي يشترونها لمستودعاتي ، وشواطئي خاضعة لأي ضرائب ، وألا تتم مطالبة المحصلين بقيمة هذه الضرائب .

٩- أرى أن من مصلحتي ، إلى حد كبير ، أنك تدرك أنه ينبغي عليك عدم زيادة أجور الجنود والنفقات الأخرى - وهو إجراء أمرت بمنعه ، ولكنك تقول لي إنك بعد وصولك أعطيت زيادات طفيفة لثلاثة أشخاص ذكرت أسماءهم ، لأن هذه الزيادات أُعطيت قبل سريان القانون الجديد الذي منعت بمقتضاه هذا الإجراء .

إنني آمرك بالتقيد بهذا القانون بشكل كلي ، ودون استثناء .

كان إجراءً سليماً منك أن تأمر بتوفير ثلاثين ألف "كروزادوس" ، وأوافق على ضرورة إنفاقه في شكل هدايا ، يتم قيدها في دفتر الحسابات .

أكلفك بأن ترسل إلي في كل سنة شهادة بما تحققه الهند من أرباح ، في كل واحدة من تلك السنوات ، وأن تكتب لي لتؤكد أنك عملت على أن يُعد هذا المشرف الأول على الحسابات .

يجب أن تأتي هذه في فئات محددة بشكل جيد ، ومع كشف يوضح الزيادة التي تتحقق في كل نوع من الإيرادات من خلال الربح الأكبر الذي يتحقق في كل حالة .

في حال وجود انخفاض - وهو ما أظن أنه غير مرجح - تقديم بيان بأسباب ذلك .

١٠- فيما يتعلق بالألفي "بارداوس" المستحقة من أسقف "مالاكا" منذ الوقت الذي كان فيه مندوباً للرسالة البابوية للحملة الصليبية ، والتي يطلب خصمها مما سيستحقه كراتب ، فإنني أوافق على أن يتم هذا ، ويجب إصدار إعلان بألا يبقى الألفا "بارداوس" في الهند ، ويجب عليك إرسالها بحوالة إلى البرتغال لتسليمها إلى المندوب العام الذي يتحمل مسؤولية تحصيل المبلغ .

١١- تقول إنك ستحاول بيع الرحلة إلى الصين التي منحتها لتمويل الأشغال العامة في مدينة "غوا" ، وإنه فور توفر الأموال من هذا المصدر ، يجب عليك أن تأمر بمواصلة الأشغال العامة .

تقول إنك عندما وصلت إلى الهند ، كان سعر ثلث قطع الموصلين الذي طلبت شراءه لرهبان "القديس فرانسيس" "S . Francis" قد تمّ دفعه ، وإنك ستحصل على تقديرات لسعر الباقي ، وستعمل على أن يتم توريدها .

إني أكلفك بأن تفعل هذا .

عليك خصيصاً أن تسعى لإكمال بناء مستشفى "غوا" في أقرب فرصة ممكنة ، وأن تفيدني إذا اكتمل البناء ، أو بالموعد الذي سيكتمل فيه .

١٢- ذكرت لي أيضاً أنك عندما وصلت إلى الهند ، وجدت مبنى مجمع الرهبان "الدومينيكانيين" في "بانجيم" "Banjim" مهدماً ، وأن العمل في مبنى مجمع القديس "توماس" - الذي بدأ قبل عامين - يتقدم بسرعة ، وأنك اعتقدت أن هذا العمل ضروري للغاية ؛ لأن دير "غوا" كان في حالة يرثى لها إلى حد أن الرهبان لم يتمكنوا من أن يشفوا هناك ، وظلوا مرضى خلال معظم الوقت .

إنني أرى من الملائم أن تُقدم لمبنى المجمّع المذكور آخراً الأموال التي كانت ستُعطى لمبنى المجمع الذي في "بانجيم" .

١٣- فهمت أيضاً ، عندما تقول لي إن منصب Corretor الجياد في هرمز يجب أن يُعّين ملك هرمز فيه شخصاً من أتباعه ، ويجب ألا يشغله برتغالي .

للأسباب التي تذكرها حول هذا الأمر ، أرى أن من مصلحتي أن يعمل مسلم من أتباع الملك في هذا المنصب ، ويجب ألا يشغل

برتغالي المنصب ، وإذا عُيّن شخص ما ، عليك أن تعتذر له على نحو ملائم قبل عزله .

١٤- تقول أيضاً إنك أرسلت على سفن القرقور التي غادرت إلى البنغال ، خلال الرياح الموسمية في أغسطس عام ١٥٩٧م ، نسخاً حقيقيةً من العفو العام الذي منحته للأشخاص الذين يعيشون في تلك الأنحاء ، وإنك كنت تأمل في أن يؤدي ذلك إلى هدايتهم وتحولهم لخدمة الرب وخدمتي .

إنني أكلفك بمحاولة تحقيق هذا الأمر بجميع الوسائل التي تبدو ضرورية بالنسبة لك ، وأن تضع في ذهنك البرتغاليين الآخرين الموجودين في أي أماكن أخرى خارج خدمتي ، إذ تمّ إبلاغي بأنه ، في حال القيام بمحاولة جيدة لتحقيق هذا التحول ، لن يكون هناك نقص في الأشخاص في ذلك المكان - ولن يكون هناك عجز في الأموال ، وسيجعل هذا الوضع إيرادي في حالة جيدة .

١٥- على الرغم من أنك تقول إنك لم تتلق أنباء بعد عن أمور في بيجو ، إلا أنك ، وفور إلمامك بالوضع وما يمكن أن تقوم به ، عليك أن تتصرف وفق ما أمرتك به .

أنت مكلّف بعدم السماح للأتراك بنقل خشب من تلك المملكة أو من "داتشيم" ، وعلى الرغم من أنهم لا يتمتعون بسمعة حسنة للغاية في تلك الأنحاء ، عليك ألا تهمل إحباط نياتهم الشريرة .

إنني ألفت انتباهك مجدداً لهذه الأمور ، وأريد منك أن تولي عناية

خاصة لشؤون مملكة "بيجو" "Pegu" ؛ إذ إنني – ولأهميتها الكبيرة – أسعد بأن أعرف أنك متلهف للغاية لوضعها في نصابها الصحيح .

١٦- فيما يتعلق بشؤون مملكة "داتشيم" ، تقول لي إنك ستضعها تحت مسؤولية "لورنسو دي بريتو" "Lorenco de Breito" ، وعليك أن تكتب بواسطته إلى الملك هناك ، وأن تحثه على أن يسعى لتحقيق الصداقة التي يريدها مع ولاية الهند .

أنت فهمت أن رسله إلى "غوا" عوملوا بقدر ضئيل من اللطف والكرم ، وأنت تخشى أن الصداقة التي كان يشجّعها قد تراجعت ، وأنني – والحال كذلك – ألفت انتباهك بشكل عاجل ، وأريد منك أن تستمر بالطريقة التي تصفها لي .

عليك أن تبقيني على اطّلاع ، وأن تتذكر المهمة التي يتعين عليك أن تؤديها في "داتشيم" لتضمن سير التجارة بحرية بين الهند ومملكة "داتشيم" ، ويجب التنبؤ بما قد يحدث في المستقبل من الحاضر .

١٧- تقول لي إن من شؤون الصين التي سمعت بها ، إن قاضياً في تلك الأنحاء لم يحسن التصرف ، وأنك قررت أن تأمره بالحضور إلى الهند ، وتقول إن التعليمات التي كنت سأبعثها ، لأمنع كلياً وصول التجارة بين جزر الهند الغربية[أ] والهند لم تصل إليكم .

(أ) جزر الهند الغربية : هذه ترجمة حرفية ، والمقصود هي البرازيل بكل تأكيد – والتي كانت آنذاك مستعمرة برتغالية ، وكانت السفن ، التي تبحر بين البرتغال والهند ، ولا سيما عند الإبحار جنوباً – تجد الرياح مؤاتية بدرجة أكبر على الجانب الغربي من المحيط الأطلسي ، وكانت تتوقف في موانئ البرازيل ؛ حيث كانت تبيع بضائع متجهة للهند ، وتحمّل بضائع لبيعها في الهند ، وهذه تجارة غير مشروعة . (ملاحظة المترجم) .

لكن لم يكن هذا سبباً ؛ لكي تخفقوا في تنفيذ أوامري ؛ إذ إن الأمر الذي يزداد وضوحاً ، هو أن هذه التجارة تلحق ضرراً بالغاً بخزانتي وبرفاهية أتباعي في تلك الأنحاء .

بما أنني أؤمن بأن ما حدث بالفعل كافٍ تماماً لتاج البرتغال وتاج قشتالة ، فإنني أكلفك بأن تعمل على أن يتم تنفيذ ذلك .

في حال كان هناك إخفاق من جانب الرهبان القشتاليين - وهو ما لا يمكن تصديقه - عليك أن تهتم كثيراً بإبلاغي .

١٨- تقول لي أيضاً ، إن القلعتين الموجودتين في سينا وتيلي هامتّان ، ولكنهما غير محصنتين ، وتقول إنك سترسل إلى "نونو دا كونها" "Nuno da Cunha" المواد الضرورية لتوريدها حسب الضرورة ، وأنه طلب بشكل عاجل الإذن منك للذهاب لمعاقبة "توندو" ؛ إذ إنه وبعد أن هزم "دوم بيدرو دي سوسا" "D . Pedro de Susa" ، أصبح متغطرساً بشكل مطّرد ، ومتى تمّ القضاء عليه ، فمن المعتقد أن ملكية مناجم الفضة يمكن أن تنتقل إلى الهند وبكلفة ضئيلة .

لكنك تخشى ، وبسبب ندرة الرجال ، أنه ربما لا يمكن تحقيق هذا ، وحيث إن هناك مزايا إيجابية وسلبية في هذا الموضوع ، فإنني أوصيك أن تضع الأمر أمام المجلس ، وأن تتصرف وفقاً لما يتم الاتفاق عليه هناك .

ستتعزز خدمتي بدرجة أكبر بتوصلك لاتفاق مع الولاية التي تحدث فيها هذه الأمور ، وإذا استحال اتخاذ إجراء في كل حالة ، ينبغي إعطاء الأسبقية للبعض ، واتخاذ إجراء بسرعة في الحالات العاجلة للغاية ؛

وأن تترك تلك التي لا يزال أمامها بعض الوقت حالياً ليقرر الرب مصيرها على نحو مؤات .

١٩- تخبرني أنه يوجد مقابل قلعة مسقط تل عالٍ للغاية يستطيع الأتراك أن يتسلقوه ، دون أن يتمكن الأهالي الذين في القلعة من منعهم ، ويمكنهم أن يهاجموا من هناك بسهولة .

لهذا السبب أمر "دوم جيرونيمو ماسكارينهاس" ، قائد هرمز ، ببناء قلعة عليها حتى لا يستطيع العدو احتلالها .

قد سمعتم أن خلال الرياح الموسمية - التي يُتوقع خلالها وصول سفينة قادس تركية - سيضع وكيل القلعة التجاري نفسه على متنها ، ومعه بعض الأصدقاء ، وأنهم أكدوا ، في حال قطعوا بالمعاول المكان الذي يتم تسلق الجبل منه على الجانب الذي يمكن أن يجيء الأتراك منه إلى الشاطئ - على الرغم من أن ذلك سيكلف الكثير للغاية - فإن النوع العادي من القلاع سيصبح غير ضروري وستكون القلعة أكثر أماناً .

لكنك حصلت على النصيحة الضرورية حول هذا الموضوع ، وأبلغتني بما بدا أكثر ملاءمة ، وأنك أصدرت أوامر لتزويد القلعة بعدد كافٍ من الرجال ، ويبدو كل هذا ممتازاً بالنسبة لي ، سواء ما فعلته وما خططت للقيام به ، ولذلك أستطيع أن أقرر ما يخدم مصالحي أكثر من غيره ، وأنتظر رسائلك الأولى ، والتي يجب أن تعطيني فيها بياناً أطول عن هذه الحادثة بعد أن تكون سلكت السبيل الذي قررته .

٢٠- فيما يتعلق بالقلعة التي في "ديو" ، تقول لي إن رجالاً موجودون هناك وفقاً للأوامر ، وإنك كنت تتوقع وصول المدعو "لويس الفاريس

كاميلو" "Luis Alvarez Camelo" - الذي عمل كمشرف لخزانتي في الشمال - حتى ترسله إلى تلك القلعة قبل وصول سفن القرقور .

ولديك معلومات عن جميع الأمور المتعلقة بالقلعة ، وإن قائد القلعة أبلغك بأن هناك بعض البارو (paros)[أ] من المليباريين قبالة ذلك الساحل ، تبعد السفن المتجهة إلى دار الجمارك في "ديو" عن مسارها ؛ وبسبب هذا أرسلتم سفينتين من الأسطول .

عندما أبحرت هاتان السفينتان مع السفن الأخرى ، قابلتا سفينتي "غليوت" ذواتي صواري وسفينة بارو - وقد أسرت السفينتين وقتلت حوالي خمسين برتغالياً على متنهما .

قد أحزنتني هذه الكارثة ، وخصوصاً وأنه يبدو لي أن هاتين السفينتين ما كان يمكن أن تكونا مجهزتين تجهيزاً جيداً ؛ إذ إن التي أسرتهما كانتا سفينة "غليوت" وسفينة بارو .

هناك مخاطر أكثر من فقدان السفن ، وهذا ليس بالأمر البسيط ، ولذلك فإنني أكلفك بأن تنتبه إلى أن هذا الحادث يتطلب ضرورة عدم وقوع مثل هذه الكوارث مجدداً .

بالنسبة للقلعة التي في "ديو" ، فأنت تدرك جيداً مدى الأهمية التي يجب عليك أن توليها إياها .

يجب ألا تكون لك تعاملات مع مشرفي خزانتي في القلاع ، وقد منعت هذا ؛ إذ إنهم كمراقبي الخزانة تماماً .

(أ) البارو والسانجويسيل : نوعان مختلفان من السفن الأسيوية الصغيرة (ملاحظة المترجم) .

٢١- تخبرني أيضاً إنك ، ووفقاً للأمر الذي تلقيته بشأن عدم إبحار سفن القراصنة إلا إذا كانت مسلحة أو في إسطبلات صغيرة ، أصدرت تعليمات شاعت في الخارج ، وبما أن السفن التي تبحر بشكل عادي في الأساطيل الهندية كانت أقل قابلية للمناورة من تلك الخاصة بالعدو .

فقد أعطيتم "لويس دا سيلفا" "Luis da Silva" ، قائد الأسطول الشمالي ، عدداً من سفن "السانجويسيل" (أ) ذات الحمولة الطنية المماثلة والمظهر المماثل ، وقابلية المناورة ذاتها كالتي كانت تُستخدم في العام الماضي ، وتبيّن أن هذه السفن كانت فعالة للغاية .

سررت لمعرفتي بهذا ، ولا شك في أنه لا يوجد هناك حل لكثير من المشاكل ، إذا لم يسع المرء بعزم للعثور على حل .

٢٢- تقول لي أيضاً إنك بعد الوصول إلى الهند ، استمررت في حث "الإيدالكاو" ليدرك كم سيكون في صالحه أن يتخلى عن اللهو والعبث الذي يدمنهما ، ويكرّس نفسه لحكم مملكته .

قد أقنعته بالحكمة أن دماره مؤكد إذا لم يحوّل اهتمامه إلى شؤون المليك ، وردّ عليك بالشكر ، وأمر على الفور بأخذ الآراء من أهالي مملكة المليك .

على الرغم من أنه وجد كثيراً من الناس ، إلا أنه - وحتى ذلك الوقت - لم يكن قد غادر "فيسابور" أبداً قبل ذلك .

احتفظ أتباعه وجيرانه في جزيرة "غوا" بعلاقة طيبة معه ، وأنت لم

(أ) البارو والسانجويسيل نوعان مختلفان من السفن الأسيوية الصغيرة .

تهمل محاولة توحيد الملكين ، وإنني شاكر للغاية لجهودك في جميع هذه الأمور وأنه (أي الايدالكو) عازم على التعامل معها .

هناك الكثيرون المحكومون بهذه الطريقة الحصيفة ، والكريمة أكثر من خضوعهم لحكم بوسائل أخرى تحقق نتائج أقل .

٢٣- لقد أحسنت صنعاً بإصدارك أمراً بضرورة أن يتلقى مسؤولو مجلس مدينة "غوا" معاشات طوال الفترة التي يعملون خلالها بالطريقة التي أمرتكم بها ، وقد سررت أنهم فهموا المعروف الذي أقدمه بتلك الطريقة لهم .

لأنك أخبرتني بمدى سعادة أهالي المدينة بخدمتهم لي ، ولأنك نصحت قادة القلاع بضرورة ألا يكون لديهم وكلاء تجاريين من الوطنيين ؛ إذ إن هناك سلبيات في هذا الأمر أكثر مما يمكن ذكرها ؛ وبدا لكم إن من الضروري إصدار تعليمات في هذا الشأن ، بإضافة شرط جديد ينص على أن القادة يجب ألا يعيّنوا أشخاصاً من الأهالي في مناصب في القضائية والخزانة والخدمة العامة ...

إنني أعتبر الإقدام على هذه الخطوة إجراءً صحيحاً ببدء هذه التعليمات بالجزء الأخير ، والذي يُعد الجزء الأول . إذ إنني إذا منعت الوكلاء التجاريين للقادة من أن يكونوا من الأهالي ، يتعيّن عليّ أن أمنعهم من أن يكونوا مسؤولين لديّ ، وسيتم تضمين التوجيه المذكور في هذه المجموعة من المراسلات ، وعليك أن تعمل على أن يتم الانصياع له .

إني آمرك أن ترسل لي بياناً خطيّاً بالمشاكل التي تتعامل معها .[أ]

إن التوجيه المذكور أعلاه المضمّن مع هذه الرسالة ينبغي أن يضمن عدم منح مناصب مسؤولين إلى أشخاص من الأهالي ، وهو لا يشمل النقطة الأخرى التي تنص على ألا يكونوا وكلاء تجاريين للقادة ؛ لأنني قد أصدرت بالفعل توجيهاً حول هذا الأمر تاريخه السادس عشر من يناير عام ١٥٩٨م

٢٤- قلت لي أيضاً إن أهالي "كوتشين" لا يتخذون أي إجراء في الأمور المتعلقة بدار الجمارك هناك ، ويجب أن يذعنوا إلى شكاوى ملك "كوتشين" ، وهم يخدمونه ويحترمونه حتى يبدوا أتباعاً له أكثر منهم أتباعاً لي .

تقول إنك كنت تحاول الوصول إلى حل لمشاكلهم ، ولتلك المشاكل التي يلحقها الملك بمن تحوّلوا للديانة حديثاً ؛ إذ إنه لم يتوقف عن وضع العقبات في طريق التحوّل للديانة ، كما علمت من الرسائل المرسلة من "دوم أنطونيو دي نورونها" "Antonio de Noronha" و"كريستوفاو دي كاسترو" "Christofao de Castro" و"جورج دي كاسترو" "George de Castro" ، اليسوعيين ، وإنك كتبت مطوّلاً عن هذا حسب طلب مني بذلك .

بما أن هذا أمر هام ، فإنني آمرك بأن تجد حلاً ضرورياً بطريقة لا تسبب إساءة للملك ، وإنما تبقيه راضياً ، وتجعله يشعر أنه على حق إذا تحقق ما هو مطلوب منه .

(أ) إن الكلمات التي تلي في هذه الفقرة موضوعة بعد نهاية الرسالة .

٢٥- تقول لي أيضاً إنك اقترحت في المجلس ما أمرتك بكتابته بشأن تأسيس دير راهبات أو معتزل للعذراوات في "غوا" ، وقد فرحت لرؤيتي الاتفاق الذي تم التوصل إليه حول هذا الأمر .

تقول لي إن الأسقف "دوم فري أليكسو" "D . Frei Alexo" تولّى هذا العمل ، وإنني آمرك بالتعاون من جانبك بكل السبل الممكنة - حيث إنك كتبت تقول لي إنك ستفعل ذلك .

٢٦- تخبرني أيضاً بالكيفية التي أكمل "فري جيرونيمو دو إسبيريتو سانتو" "Frei Jeronimo do Esperetto Santo" سنواته الثلاثة كأمين لجماعة القديس "فرانسيس" ، وبأنه بدأ يعمل كمندوب عام لتلك الجماعة بطريقة نموذجية وعفيفة ، وأنه أصلح شؤونها إلى درجة عظيمة ، وأنه زار سيلان وأدى التزامات منصبه ، ويستمر في إرسال رهبان متى ظهرت الحاجة إليهم .

تقول لي إنك كلفت القائد ومراقب الخزانة في تلك المستعمرة بمسؤولية دعم ومساعدة هؤلاء الرهبان ، وقد سمحت لهم بوضع أيديهم على قرى بعينها كانت وثنية سابقاً ، وقد أصدر "دوم جيرونيمو دي أزيفيدو" "Jeronimo de Azevido" براءة بهذا الأمر .

إنني أعتبر خطواتكم في جميع هذه الأمور تقريباً ، التي تخبرني بها ، صحيحةً وسليمةً .

لكن ، وبالنظر إلى ما كتبته لي عن "دوم جيرنيمو" هذا ، وإعطائه الإيراد المتُحصّل من هذه القرى إلى الرهبان ، فإنني لا أرى من الملائم أن يحصلوا على هذا الإيراد أو على الأشياء الأخرى التي تُعتبر إيراداً

في الواقع ؛ لأن هذا يتعارض مع قواعد جماعتهم ، وبمقدورهم أن يحتفظوا بالصدقات العادية التي يتلقونها .

إذا كانت بحوزة تلك القرى بالفعل ، يجب أن يتخلوا عنها على الفور ، ويجب عليك ألا توافق على أن يحصلوا على أي إيراد أياً كان ، ويجب أن يجدوا عزاءً كثيراً في هذا القرار بما أنه أساسي لمهمتهم .

٢٧- تقول إنك نقلت إلى أسقف "غوا" ، وإلى "فرانسيسكو بايس" - المشرف الأول على الحسابات - الإشارات التي بعثت بها إليك في مراسلات العام الماضي ، وإنهم يتخذون الإجراء الضروري للوصول لاتفاق بشأن تحصيل أموال لخزانتي ، وتقول إن "فرانسيسكو بايس" كان يؤدي واجبات منصبه بشكل حسن ، وإنك تشعر بالتقدير إزاء وسائل التذكير التي أعطاك إياها ، على الرغم من أنك توقعت المزيد منه .

قد سررت بمعرفتي بجميع هذه الأمور ، وإنني أكلفك بأن تزيل أي شكوك بشأن هذه الإشارات ، وآمل أن تبلّغني عن هذا الأمر عندما تستلم هذه الرسالة ، وآمل أن تعطي المشرف الأول الدعم الضروري ؛ لكي يؤدي واجباته على نحو جيد .

٢٨- سررت أيضاً عندما عرفت أن النصيحة المقدمة بواسطة "دوم ديوجو لوبو" "D . Diogo Lopo" ، والمتعلقة بضرورة أن تحمل سفن الغليون المتجهة إلى "مالاكا" مرشدين ، لقيت موافقتك ، وأنك ستتصرف وفقاً لذلك في حال العثور عليهم .

٢٩- فيما يتعلق ببقاء ملك الجزر وشقيقه في "غوا" ، وحقيقة أنهما لا يزالان غير متمتعين بالحرية ؛ فقد كنت تحاول أن تعرف من القاضي

العام طبيعة جريمتهما وحالة أوضاعهما ، وأنه أبلغك بأن الذي فعلاه في "كوتشين" كان شنيعاً ومخزياً إلى حد سيكون من الأفضل معه عدم التعامل مع هذه الأمور .

قد كنت أنت من مؤيدي الرأي القائل إن هذا يمكن حلّه جزئياً باحتجازك لهما في "غوا" كما أمرتك .

عليك أن تفعل في هذا الشأن ما تراه ملائماً أكثر من غيره .

حررت في "لشبونه" في الثاني والعشرين من نوفمبر عام ١٥٩٨م .

الملك "ميجيل دي مورا"

إلى الكونت الأميرال نائب الملك في الهند – نسخة ثانية .

(في الكتابة الفوقية)

باسم ، وبالنيابة عن ، الملك

إلى : "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، "كونت فيغويرا" ، الأميرال ونائب الملك في الهند ،

من مجلسه – نسخة ثانية .

وفي العام نفسه (١٥٩٨م)
صدرت رسالة من "فيليب الثاني" إلى "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند ، "لشبونه" ، في الحادي والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٥٩٨م ، وطلب فيها من "دوم فرانسيسكو دا غاما" عدم نشر الأخبار عن ملك فارس : (٢٩)

بالإشارة إلى ما تقوله عن كون ملك فارس مجرد طفل وعدم ميله للقتال ، وإن ملك فارس سلّم ، بعد هزيمة التركي على يد عمي الإمبراطور ، مدينتين للتركي ، والكبرى فيهما هي تبريز ؛ تقول إن التركي أرسل رسولاً إلى ملك فارس ومعه هدية ضخمة ، وإن الرسول لقي استقبالاً ودياً ، وإنه غادر بلاط الملك وهو مسرور .

بما أنك تلقيت هذه الأخبار ، عليك أن تجبر "دوم أنطونيو دي ليما" بضرورة المغادرة إلى هرمز ، وعليه أن يسعى قدر الإمكان إلى منع انتشار هذه الأخبار ، والاتصال الذي عزم المغولي على إجرائه مع ملك فارس .

---
(٢٩) رقم الوثيقة والهامش.

قد أرسل المغولي رسولاً له ومعه هدايا ثمينة ، وإلى أن تعرف – من خلال رسائل "دوم أنطونيو" – ما يفكر فيه بالتأكيد بالنسبة للأوضاع في فارس ، عليك أن تتخذ قرارات بشأنها ، بالتعاون مع البعثة التي أرسلتها لك ، وأن تصدر له الأوامر الملائمة ، وإنني أرى أنك كنت غير قادر على القيام بهذا لأنك لم تستطع العثور على رسوله ، أو أي رسالة أخرى ، في "غوا" طبقاً لما كان مؤملاً .

يبدو لي أنك مضيت قُدُماً في كل هذا ، طبقاً لما هو ملائم لخدمتي ، وإنني متأكد أنك كنت ستفعل ما هو ضروري في أي موضوع آخر ذي صلة ، وسأتوقع معلومات في أول رسائل تكتبها لي .

قد سرني أن أعرف من خلال رسائلكم أنك سمعت أن ملك فارس تقيّد بواجبه في خدمتي .

قد شعرت بالاستياء بشأن استمرار الخلافات بينه وبين "القاضي" ، ولهذا الغرض تقول إنك أرسلت القاضي "فرانسيسكو مونتيرو" – كبير القضاة في المحكمة العليا في "غوا"– إلى تلك القلعة ، ومعه تعليمات لمحاولة تهدئتهم ، بحيث يتحقق السلام في البلاد ، وحتى ألقى خدمة أفضل .

إنني أرى أن عليّ أن أوافق على كل شيء آخر قمت به في هذا الأمر ، وإني أكلّفك بالاهتمام بكل شيء تفعله في هذا الشأن بعناية كبيرة ، وبأن ترسل لي المعلومات التي يتوصل إليها كبير القضاة ، وأن تفيدني بكل شيء آخر تقدم عليه .

ليتولى منصبه في قلعة هرمز ، ويجب عليه أن يسمح لتجار البندقية أو الأرمن أو أي أجانب آخرين بالدخول إلى ولاية الهند ؛ لأنني أمرت

بذلك ، وسيكون أمراً مفيداً إذا استمررتم في تذكير "دوم أنطونيو" ليهتم بالأمور في هرمز ، ولا سيما تلك التي تتعلق بحماية القلعة هناك والدفاع عنها .

وفي العام نفسه (١٥٩٨م)

صدرت رسالة من "فيليب الثاني" إلـى "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند ، "لشبونه" ، في الحادي والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٥٩٨م ، ويذكر أنه لن يكتب لملك فارس لأنه لا يرد على الرسائل الموجهة إليه : (٣٠)

إلى صديقي الكونت الأميرال ، نائب الملك

أبعث إليك ، أنا الملك ، بتحياتي كالتي أبعثها لشخص أكنّ له تقديراً عالياً .

بمناسبة اعتلائي العرش مؤخراً ، فربما كان من الضروري والملائم أن نرسل رسائل رسمية إلى الملوك المجاورين والدول الصديقة ، على الرغم من أنه يتعيّن عليهم حقاً أن يبادروا بفعل ذلك لي .

لذلك ، وبالنيابة عني ، أو وفقاً لما تراه الأكثر ملاءمة ، وإذا كان

(٣٠) رقم الوثيقة والهامش.

لديك تفاهم خاص مع واحد أو آخر منهم ، فإنني أكلّفك بالشروع في القيام بهذا الأمر .

عليك أن تشير إليهم جميعاً ، بأنني أنظر إليهم بالنية الحسنة ذاتها ، التي تعامل معهم بها ، وأكّدها لهم ، مولاي الملك ، الذي اختاره الرب إلى جواره .

بالنيابة عني ، يجب إقناعهم بهذا بأي كلمات تراها ملائمة لهذا الغرض .

عليك أن تنفّذ أولاً هذا الواجب مع ملك فارس ، الذي لن أصدر أمراً بالكتابة له الآن ، بسبب الرسائل الكثيرة التي كتبها جلالتكم له ، والتي لم يصل عليها رد بعد .

عليك أن تفيدني عن كل شيء يحدث ، وإذا كنت تعتقد أن شيئاً آخر ينبغي القيام به ، عليك إبلاغي به .

حررت في "لشبونه" في الحادي والعشرين من نوفمبر عام ١٥٩٨م .

الملك

إلى : "الكونت الأميرال" ، نائب الملك في الهند

"ميجيل دي إيغورا" "Miguel de Igora" .

كتبت ، أنا "ديوغو فيلهو" ، السكرتير ، هذه الرسالة التي أمر مولانا الملك بكتابتها إلى الكونت نائب الملك ، بناء على أوامر جلالته .

معها تلك الرسائل التي وقّع عليها جلالته ، وستسافر على متن أول سفن قرقور .

وفي العام نفسه (١٥٩٨م)

صدر مرسوم ملكي ، بشأن تعيين أشخاص في مناصب القانون أو الخزانة ، "لشبونه" ، في الثاني والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٥٩٨م ، جاء فيه عدم تعيين اليهود في مناصب في القانون أو الخزنة أو الحكومة : (٣١)

أعلن ، أنا الملك ، لأولئك الذين يطّلعون على مرسومي هذا – إنني ولاعتبارات عادلة تدفعني إلى هذا – استناداً إلى معلومات ذات أهمية بالنسبة لي ، أرغب وآمر – اعتباراً من نشر هذا المرسوم في الهند وصاعداً – بأنه لا يحق لقائد أي قلعة ، أو لأي وزير من وزرائي في تلك الأنحاء ، أو لمسؤولين في المجالس البلدية في البلدات والقرى ، التي يحق لها بموجب أوامري المستديمة .

تعيين أشخاص من النصارى الجدد (الذين تحوّلوا من اليهودية) في مناصب في القانون أو في خزانتي أو الحكومة لفترة طويلة أو قصيرة .

---

(٣١) رقم الوثيقة والهامش.

أن القادة الذين يخالفون هذا الأمر (ولا أتوقع أن يكون هناك من يفعلون ذلك) ، سيتعرضون للعقوبات التي تعرّض لها أولئك الذين لا يلتزمون بنواهيّ وأوامري ، والتي سيتم تطبيقها عليهم دون استئناف أو دفوع .

لا يجوز لنوابي ، والحكام التابعين لي في الهند ، تحت أي ظرف ، أن يمنحوا إرجاءً كاملاً أو جزئياً ، أو أن يتغاضوا عن أي جزء من هذا المرسوم .

إني آمر بأن هذا خصّيصاً ينبغي التحقق منه في تقارير الإقامة المقدمة عن أولئك القادة ، ويجب إضافته إلى عناوين تلك التقارير ، ويجب إجراء التحقيق أيضاً بشأن الوزراء والمسؤولين الآخرين لمعرفة ما إذا كانوا مذنبين في هذا الصدد .

إنني آمر نواب الملك والحكام المذكورين بالالتزام والتقيّد التام بمرسومي هذا ، وبأن يتأكدوا من أن محتوياته يتم الالتزام والتقيد التام بها ، وبأن يبلّغوني دون إبطاء بالقادة والوزراء والمسؤولين الذين يجدون أنفسهم في هذا الوضع ؛ وذلك حتى يتسنى لي – علاوة على العقوبات المذكورة – أن أباشر عقوبات أخرى ضدهم طبقاً لما أراه ملائماً .

سيتم قيد هذا المرسوم في سجلات خزانتي في البرتغال ، وفي ولاية الهند ، وفي سجلات المحكمة العليا في "غوا" .

سيكون ساري المفعول كرسالة مروّسة باسمي ، وصادرة عن المحكمة العليا ، على الرغم من أنه ليس صادراً عنها ، وعلى الرغم من الأوامر الواردة في الدفتر الثاني ، القسم العشرون ، المخالفة لذلك .

حرر هذا "مانويل دي توريه" "Manuel de Tore" في "لشبونه" ، في الثاني والعشرين من نوفمبر عام ١٥٩٨م .(أ)

قد كتبتها أنا : "ديوغو فيلهو" السكرتير

الملك "ميجيل دي مورا"

* مرسوم فيما يتعلق بقادة القلاع في الهند والوزراء والمسؤولين في تلك الأنحاء ، وعدم تعيينهم لأي شخص من العرق اليهودي في منصب في القانون أو الخزانة أو الحكومة ، ودفع الغرامات المنصوص عليها .

لاطلاع جلالتكم عليه ، وساطة ثانية

(أ) إن هذه الوثيقة والاثنتين التاليتين رقم ٣٦٤ و ٣٦٥ حررتا في الأصل ، مع إغفال ذكر اليوم والشهر وكتابة السنة باعتبارها ١٥٩٩م ، وقد تم ملء الفراغ الخاص باليوم والشهر بيد شخص خلاف الذي كتب نص الوثيقة ، وتمّ تعديل السنة من ١٥٩٩م إلى ١٥٩٨م ، ويتضح من بعض أجزاء النص أنها حررت في عام ١٥٩٩م ، وليس واضحاً لماذا تمّ ترك تلك الفراغات وإجراء هذه التصحيحات ، وهي لا تؤثر على صحة وصدق المستندات .

وفي العام نفسه (١٥٩٨م)

صدرت رسالة من "فيليب الثاني" إلى "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند ، "لشبونه" ، العاشر من شهر ديسمبر عام ١٥٩٨م ، جاء فيها أن ابن أخي ملك هرمز ، تم تعميده بواسطة الرهبان في الدير : (٣٢)

خلاصات :

....

نظراً إلى أنني سمعت أن بعض المسلمين يبحرون في بانجايوهات (Pangaios) تتجه من "موزمبيق" إلى "كواما" ، من أجل الأسرى المحررين ، بعد دفع فديتهم من أجل نشر عقيدتهم وسط الأهالي هناك ؛ فإنني آمرك بالتأكد من وضع حد لهذا الشر العظيم - الذي يلحق ضرراً كبيراً بتحوّل الأشخاص إلى عقيدتنا .

في تلك الأنحاء ، وعندما لا يكون هناك بحارة آخرون للعمل على

(٣٢) رقم الوثيقة والهامش.

"البانجايوهات" ، يجب أخذ ضمانات مقابل عودتهم ، ويجب الاهتمام بشكل خاص بالإصرار على تلك الضمانات .

بالنسبة لهذا الموضوع ، وحتى تجعله شأناً توليه اهتماماً خاصاً ، ومن بين وثائــق الفدية من "غينيا" الخاصة بتجارة العبيد ، هناك وثيقة بعينها باللغة العربية أرسلها قائد الجزيرة ، "دوم فيرناو دي مينيسيس" "D . Fernao de Meneses" إلى "ميجيل دي مورا" .

يُفهم من هذه أن هجوم المسلمين على الأفارقة وصل حتى تلك المناطق ، وهو أمر يثير الدهشة ، بما أن المنطقة الداخلية - من طرف للآخر - عريضة للغاية ، وعليك أن تبلّغ هذا لأسقف "غوا" حتى يلم به أيضاً .

قد بعث الرهبان الأوغسطينيون معلومات لي مفادها أن "أنطونيو دي أزيفيدو" - الذي كان قائداً لهرمز - منحهم في وصيته رحلة إلى الصين يستطيعون من خلالها جمع المال ، لبناء مذبح كنيستهم التي اختارها لتكون مدفناً له .

قد أدّوا قداساً أبدياً له ، وطلبوا مني الموافقة على هذا ، وبما أنني كنت قلت "لأنطونيو دي أزيفيدو" أنه يستطيع التوريث بوصيته ؛ ونظراً لأنها ستكون لمذبح الكنيسة المذكورة ، وبالنظر إلى خدماته ، يسرني أن أمنحهم المعروف الذي يطلبونه ، وعليك أن تزوّدهم بالمستندات الضرورية ، كما تمّ توفيرها "لأنطونيو دي أزيفيدو" للقيام بالرحلة المذكورة خلال الوقت الذي يسمح به القانون ، ودون إلحاق ضرر بالغير .

كتب أسقف "غوا" يقول لي : إن ابن أخ ملك هرمز - "دوم

جيرونيمو جويتي" "Jeronimo Jueit" – تمت تنشئته ، وتعميده بواسطة الرهبان في الدير الأوغسطيني في تلك المدينة .

في التوجيهين الخامس والسادس اللذين أُعطيا لـ "ماتياس دي البوكيرك" عندما ذهب ليحكم الولاية ، أمرته بأن يسوي النزاع ، الذي كان قائماً بين الخواجا "زويتي" وملك هرمز بالطريقة التي ستراها موضحة في هذين التوجيهين اللذين أُرسلت نسختان منهما .

حيث إن "دوم جيرونيمو" هذا هو نجل الخواجا "زويتي" ، فإنني أريد منك أن تسوي هذا النزاع بالشكل والطريقة اللتين أمرت بهما ، وعليك أن تحيطني علماً تبعاً لذلك ؛ إذ إنني أشير في كل هذا إلى التوجيهين المذكورين .

....

بلغني أن بعض الأشخاص الذين يعملون كقضاة في قلاع هذه الولاية محكوم عليهم في كثير من الأحيان في تقرير "غوا" بعدم العودة إلى خدمتي مطلقاً مرة أخرى ، أو لفترة محدودة ، بسبب أخطاء يرتكبونها خلال شغلهم مناصبهم .

لكن ، وعلى الرغم من ذلك ، فإن نواب الملك يعينونهم مجدداً ، ويمنحونهم إعفاء .

نظراً إلى أن هذا السلوك يعطي مثالاً سيئاً للغاية ، ويلحق الضرر بمصالحي ؛ وباسم العدالة ، فإنني أطلب وآمر بأن على الذين يُدانون للأبد ألا يعودوا أبداً للمنصب القضائي .

بالنسبة للذين صدرت عليهم أحكام لفترة محددة ، يجب عليهم أن يكملوا أولاً فترة إيقافهم ، وإذا كنت ترى خلاف هذا ، عليك إبلاغي ، ويجب عليك ألا تعيّنهم تحت أي ظرف إلى أن تتلقى جوابي .

....

بلغني أن قادة هرمز يتلقون مستحقات بعينها من التجار العرب الذين يذهبون إلى الصرة التي تتبع خزانتي .

إنني أطلب منك أن تتوصل إلى القادة الذين استلموها ، وأن تحّصل من ممتلكاتهم في الولاية المبلغ الذي يتضح أنهم استلموه ، وأما بالنسبة لأولئك الذين غادروا بالفعل ، ورجعوا إلى البرتغال ، فعليك أن ترسل بياناً بما هو مستحق منهم حتى يمكن تحصيله منهم هنا .

وفي العام نفسه (١٥٩٨م)

صدرت رسالة من "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند إلى "فيليب الثاني" ، بتاريخ عام ١٥٩٨م ، يذكر فيها أن "فرانسيسكو دي ألميدا دي سامبايو" "Francisco de Almeida de Sampaio" ، سيكمل فترة شغله منصبه وهناك شكوى بأنه سمح للفلفل بأن ينقل إلى البصرة : [٣٣]

إن "فرانسيسكو دي ألميدا دي سامبايو" موجود في مسقط ، وسيكمل قريباً فترة شغله منصبه هناك ، وهناك شكاوى بشأنه ، ولا سيما فيما يتعلق بإهماله خلال فترته بالسماح للفلفل بالتوجه إلى تلك القلعة .

قد عزل وكيل جلالتكم التجاري ، ثم وضع يده على كل الأموال والذخيرة التي كانت تحت سيطرته .

(٣٣) رقم الوثيقة والهامش.

هناك الكثير من الشكاوى بشأن مخالفات ارتكبها في حق الناس والمسلمين المجاورين ، ولكنه يبرر جميع تصرفاته هذه في تقرير إقامته .

إن "دوم لويس دا غاما"[أ] موجود في قلعة هرمز ؛ حيث تولى مهام منصبه في إبريل ، وقد سمعت أنه يؤدي واجبه بشكل جيد ، وأنه لا يقبل رسوم نبيذ التمر من الملك ، أو قرضاً من أي شخص آخر .

(أ) تمّ تعيين لويس دا غاما – شقيق نائب الملك – في منصب قائد هرمز في إبريل عام ١٥٩٦م– انظر : (ريجستو صفحة ٣٢٤) .

أحداث عام ١٥٩٩م

بعث "فيليب الثاني" رسالة إلـى "دوم فرانسيسكو دا غاما" نائب الملك في الهند ، "لشبونه" في السادس عشر من شهر يناير عام ١٥٩٩م ، يذكر فيها الإشارة إلـى الجرم الذي ارتكبه "فرانسيسكو دي الميدا" ، القائد في مسقط ، والمتعلق بالفلفل ؛ وإلـى التحقيقات التي أمر نائب الملك بإجرائها ، ونتيجتها أن "فرانسيسكو دي الميدا" مذنب ، ويجب معاقبته ليكون عبرة للمذنبين الآخرين : (٣٤)

(٣٤) رقم الوثيقة والهامش.

وفي العام نفسه (١٥٩٩م)

صدرت رسالة من "دوم فرانسيسكو دا غاما" نائب الملك في الهند إلى "فيليب الثاني" ، "غوا" ، الثامن عشر من شهر ديسمبر عام ١٥٩٩م ، ويذكر فيها أن نقل الفلفل يجب أن يكون بتصاريح من المسؤولين : (٣٥)

على الرغم من أن الكثير من الناس يتاجرون في الفلفل ، وينقلونه إلى هرمز ومسقط ، إلا أن واحداً منهم فقط أبلغني أن المجاز "فرانسيسكو مونتيرو دي أفيلار" "Francisco Montero de Avilar" تمّ اعتقاله في هرمز ، وحُكم عليه بغرامة متوسطة .

قد رأيت أن من المهم أن يتم – على الأقل كعبرة لغيره – تنفيذ حكم واحد بالإعدام ، ويرغب جلالتكم في تخفيف تلك الأحكام حسبما أمرتم السكرتير "ديوغو فيلهو" بإبلاغي به في رسالة وصلت مؤخراً .

قد أمرت بإجراء تحقيق حول تصاريح المرور الصادرة في هرمز

(٣٥) رقم الوثيقة والهامش.

لمصوّع وأماكن أخرى في فارس ، وفور فراغي من بحث هذا الأمر مع الأشخاص ذوي الخبرة فيه ، سأنقل لجلالتكم المعلومات التي سأحصل عليها والقرار الذي تم اتخاذه .

وفي العام نفسه (١٥٩٩م)

صدر خطاب من "دوم فرانسيسكو دا جاما" نائب الملك في الهند إلـى "فيليب الأول" ، "غوا" في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٥٩٩م ، وذكر فيه إخضاع مسقط لهرمز : (٣٦)

لم أطرح في المجلس ما قد كتبته جلالتك لي حول إخضاع قلعة مسقط لهرمز ، وعن أهمية التعويض الذي يجب دفعة لمن تم تعيينهم بها .

حالياً الطريقة التي يتم التعيين بها في القلعة هي مناسبة لجعلها مؤمنة بشكل كاف ، ولن تكون أكبر من ذلك إذا كان ضباط هرمز مسؤولين ، بل ستكون أقل ، لأنه سيكون عليهم تعيين ضابط يعتمد عليهم ، ولن يكون له نصيب فيما يتم استلامه من جلالتكم . إذ يمكنه فقط أن يحاول تحقيق ربحه وربح من وضعه هناك ، وأن يسبب الإهانة لجيرانه ، وسوف تكون تلك القلعة فقط كمحطة تجارية لضباط هرمز .

إن المساعدة التي يمكنهم إرسالها له في حالة حدوث حادثة يمكن

(٣٦) رقم الوثيقة والهامش.

إرسالها فقط عندما يتم إبلاغهم من قبل أي أحد لديهم في مسقط ، ولأنه يوجد مسافة حوالي ستين فرسخاً بين تلك القلاع ، يمكن حدوث كارثة قبل وصول العون .

من أجل ذلك يجب أن يكون هناك تأجيل في الوقت الذي يكون ضرورياً التحذير فيه عند الوصول ، والوقت الذي يتم إمضاؤه في تجهيز ، وإرسال المساعدة .

كذلك يمكن للعواصف التي تحدث في ذلك المضيق أن تجعل الأمر مستحيلاً ، أو أن تؤجله . يمكن أن تحدث كارثة في تلك الفترة البينية بسبب قلة الضباط ، ذلك إما بسبب أنه كان يجب تعيين أحد في القلعة من قبل جلالتك أو أن مسؤولية ضباط هرمز يجب أن تشمل دائما واجب المساعدة بمجرد أن تصل أخبار عن (وصول؟) الأعداء أو إلى أن يصل الهجوم منهم ، لأن تلك مسؤولية تقع عليهم من قبل نواب الملوك في الأوامر السارية التي تم إعطاؤها لهم عندما كانوا على وشك تولي الحكم .

وإذا بدا أن ضباط مسقط ، كان من الممكن تعيينهم من قبل جلالة الملك كتابعين لضباط هرمز ، وبما أن الأشخاص الجديرين بالثقة لن يقبلوا ذلك ، فإن المشكلة ذاتها سوف تحدث إذا تم تعيينهم من قبل قباطنة هرمز .

وفي العام نفسه (١٥٩٩م)

صدر خطاب من "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند إلـى "فيليب الثاني" ، "غوا" ، في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٥٩٩م ، ويذكر فيه أن شيوخ مسقط يتصرفون بطريقة جيدة ، والعرب في البحر الأحمر ثاروا على الأتراك ، والبصرة ثارت على بغداد : (٣٧)

إن شيوخ مسقط يتصرفون بطريقة جيدة ، وعرفت من خلالهم إن العرب في مضيق البحر الأحمر ، ثاروا ضد الأتراك ، وقاموا بالعديد من التدميرات ، وتمكنوا من تحرير أنفسهم من الخضوع المفروض عليهم .

قد ثارت أيضاً الصرة على بابل (بغداد) عسى الله أن يبيد كل هؤلاء ، لأنه يبدو أنه مع انتصارات الإمبراطور ، فإن الأمور تسير في ذلك الاتجاه .

إن ملك هرمز عجوز جدا . لديه ابنان بالغان ، وهناك احتمال

(٣٧) رقم الوثيقة والهامش.

حدوث اختلاف بينهما على الخلافة ، وكل منهما يقدم دعواه للملكة . إنني الآن أحاول أن أتدخل في تلك المسألة ، وسوف أخبر جلالتك في خطاب آخر .

بعد موت "عبد الله خان" ملك "أوزباكستان" ، أصبح ملك فارس في تلك الدولة ، وسيطر على معظمها ، وقد تصرف بشكل مختلف عما كان متوقعاً في البداية منه ، وفي كل مناسبة كانت تحدث كان يبدو ودودا تجاه تلك الدولة ، وكان مستمرا في علاقته الجيدة مع قباطنة هرمز .

وفي العام نفسه (١٥٩٩م)

صدر خطاب من "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند ، إلـى "فيليب الثاني" ، "غوا" ، في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٥٩٩م ، وذكر فيه أن وفداً تركياً وصل إلـى شاه فارس يطالب بتسليم سيد مبارك المشعشع الذي ثار ضد الأتراك : (٣٨)

أرسل إليَّ "د . لويس دا غاما" ، ضابط تلك القلعة عن طريق القرقور الذي وصل إلى الحاجز هنا في الثالث والعشرين من هذا الشهر ، أرسل إليَّ خطابين من "روي دي جوفيا" "Rui de Govia" ، كتب من معسكر الشاه .

ذلك لأنه شخص مسؤول ومعتمد عليه ، وقد غادر على إسبانيا من هذا الطريق ، ظننت أنه يمكنني أن أحكي لجلالتك عما قد كتب فيهما حول الإنجليزي الذي مع الشاه ، وعما يفهم منه نية ذلك الملك .

(٣٨) رقم الوثيقة والهامش.

قد قال إنه قد تم الترحيب به من قبله ، وقد أخبره بعد ذلك انه كان مائلاً جداً نحو المسيحيين وأصدقاء الإسبان ، ولذلك السبب سوف يسمح لهم ، ويرحب بهم في بلاطه . سوف يرسل أحدهم إلى جلالتك مع هدية ورسالة ، وأيضا واحداً لقداسته وللإمبراطور ، ولباقي الملوك والأمراء النصارى ، ولحفزهم جميعا على مهاجمة التركي ، بينما سيهاجمه هو في نفس الوقت من جانبه .

بالنسبة لنية الملك ، قال إنه سوف ينفصل عن التركي ، وليجعل جانبه أقوى يريد أن يتم مهاجمته من الجانب الآخر .

قد استجمع ذلك من الرد الذي أحضره الشاه في نفس اليوم في حضوره ، مع سبعة أتراك جاءوا مع سفير إليه يطلبون "سيدي باريكا" ، رئيس قبائل العرب الذي ثار ضد التركي .

قد قال لهم إنه صديق "مومباسيك" (مومباريكا) ، وإنه لم يكن تابعاً للتركي ، ولا يمكنهم أن يتوقعوا منه أن يسلمه لهم ، وإذا كانوا يخشون من أن يهاجم "مومباسيك" الصرة ...فسوف يأخذها بنفسه ، وإذا لم يعجب التركي ذلك ، فسوف يتجه إلى ساحة القتال ، وإما أن يبقى سيد كل شيء ، أو سوف يستعيد الشاه ما كان ملكه .

إن التركي عادة ما يرسل إليه رسائل حكيمة وعاقلة ، وتكون ردودهم جميعا وقحة .

وفي العام نفسه (١٥٩٩م)

صدرت رسالة من "دوم فرانسيسكو دا غاما" نائب الملك في الهند إلى "فيليب الثاني" ، "غوا" في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٥٩٩م ، بشأن علاقة شاه فارس مع السلطان المغولي : (٣٩)

لم تتحسن إيرادات دار الجمارك في هرمز بعد ، وقد أمرتم جلالتكم بأنكم ترغبون في رؤية بيان خطي بما ورد من هناك خلال فترة حكمي ، وها أنذا أبعث به إلى جلالتكم .

بالنسبة للسبب وراء ما أمرني جلالتكم بإبلاغكم إياه عن أسباب عدم وصول قوافل في العام ١٥٩٠م ، عندما كتب إلى جلالتكم "ماتياس دي البوكيرك" ، يقول إنها فشلت في الوصول ، فبمقدوره أن يوضّح لجلالتكم ؛ لأن هذا حدث خلال فترة شغله المنصب .

لكي أفعل أنا هذا ، يتعيّن عليّ أن أرسل إلى هرمز لكي أحصل

---

(٣٩) رقم الوثيقة والهامش.

على معلومات تفصيلية عن هذا الأمر ، وخلال فترة حكمي ، تمّ تحويل اتجاه قافلة واحدة ، لأن رسولاً من الشاه إلى المغولي جاء مصحوباً بقافلة أخرى ، أُرسلت إلى هنا وأحضرت معه أكثر من خمسة آلاف شخص .

قد طلبوا من "دوم أنطونيو دي ليما" أن يزوّدهم بسفينة في قلعة هرمز ، فعقد اجتماعاً للمجلس لبحث هذا الأمر ، تمت خلاله الموافقة على أنهم إذا رغبوا في الصعود إلى السفينة هناك ومعهم مرافقوهم وخدمهم (نظراً لعدم وجود حيّز للمزيد) ، فبمقدورهم أن يفعلوا ذلك ، وأما إذا رغبوا في خلاف ذلك ، فلا سبيل لحضورهم .

قد وافقت على هذا القرار ، لأنه بدا من مظهر هؤلاء الناس أن هذا ليس بالوقت السيئ لعمل ذلك ، ولم يقبلوا بهذا الجواب ، وسلكوا الطريق البري ، ومروا بأماكن صعبة للغاية ، لأنهم خافوا عبد الله خان ، ملك الأوزبك ، ولو لم يمت في ذلك الوقت ، لما نجا واحد فيهم منه .

سبب هذا هي الخلافات الكبيرة بينه وبين أكبر ، الذي شكّلت وفاته بالنسبة له حظاً سعيداً وعظيماً ؛ لأنها منحته الكثير ليشغل نفسه به .

جعل (..........) نفسه سيداً على الجزء الأكبر من ممالكه ، وواجه أكبر في تلك المنطقة إلى حد جعله يتراجع من "لاهور" ، وهما ليسا صديقين كما كانا ، لأنهما يطمحان إلى الهدف ذاته .

وفي العام نفسه (١٥٩٩م)

صدرت رسالة من "دوم فرانسيسكو دا غاما" نائب الملك في الهند إلـى "فيليب الثاني" ، "غوا" في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٥٩٩م ، تتضمن الرسوم التي وضعت على العرب الذين يذهبون إلـى البصرة : (٤٠)

بعثـت برسالـة إلـى قائـد هرمـز بواسطة رحلات الرياح الموسمية هذه عن الرسوم التي كتبتم جلالتكم لإبلاغي بأنها فُرضت على التجار العرب الذين يذهبون إلى الصرة ، والتي تخص خزانة جلالتكم .

قد أمرته بالنيابة عن جلالتكم ، بضمان تحصيلها في المستقبل ، وهناك فرصة ضئيلة لاستعادة أي رسوم من القادة السابقين ؛ لأن معظمهم توفي ، وما تركوه تمّ إنفاقه .

اليسوعيون فقط - الذين ورثوا "دوم جيرونيمو ماسكارنيهاس" -

(٤٠) رقم الوثيقة والهامش.

يملكون تركته ، ولكن سيكون من الصعوبة بمكان الحصول على أي شيء منهم أكثر من إمكانية استرداد مبلغ مالـي ضخم آخر يبدو من الحسابات ، إن هذا الرجل النبيل تركه مستحقاً لخزانة جلالتكم .

وفي العام نفسه (١٥٩٩م)

صدرت رسالة من "دوم فرانسيسكو دا غاما" نائب الملك في الهند إلـى " فيليب الثاني" ، "غوا" ، في شهر ديسمبر عام ١٥٩٩م ، ويذكر فيها أن أسطولاً يبنى في نهر السند لمهاجمة قلعة هرمز : (٤١)

تلقيت في مطلع سبتمبر عام ١٥٩٨م رسالة من "جيرونيمو خافيير" "Jeronimo Xavier" ، وهو يسوعي يعيش في بلاط أكبر ، قدّم لي فيها تقريراً عن عدد كبير من السفن يجري بناؤها في نهر السند .

قد قيل إن الغرض منها هو مهاجمة قلعة هرمز أو قلعة "ديو" ، وقد أرسلت في اليوم ذاته ، الذي وصلتني فيه هذه الرسالة ، زورقاً إلى "لويس ألفاريز كاميلو" ، مشرف خزانة جلالتكم في قلاع الشمال ، وحمل إليه رسائل ولقائدي هرمز و"ديو" ، وحسب الأوامر المتضمنة في رسالتي ، غادر إلى "ديو" على الفور وعمل بسرية تامة على تخزين كل الضروريات في القلعة ، وتمّ الإجراء ذاته في هرمز بحذر بالغ .

---

(٤١) رقم الوثيقة والهامش.

لكن لم تتأكد ضرورة أي من هذين الإجراءين ، لأن هذه السفن لم تبحر ، وحتى قبل أن يكتمل بناؤها كانت سيئة البناء ، وغير صالحة للإبحار كما أخبرني رجل موثوق به .

وفي العام نفسه (١٥٩٩م)

صدرت رسالة من "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند إلـى "فيليب الثاني" ، بتاريخ عام ١٥٩٩م ، يذكر فيها أن ملك فارس يخوض حرباً دائمة مع الأوزبك والولايات المجاورة : [٤٢]

يُقال ، إن ملك فارس يافع ولا يميل للعرب ، على الرغم من حقيقة أنه يخوض حرباً دائمة مع الأوزبك والولايات المجاورة الأخرى .

بعد أن نكث الإمبراطور بوعده للتركي ، أرسل التركي رسولاً إلى الشاه ، ومعه هدية ضخمة وحرر اثنتين من مدنه - إحداهما تبريز ، وهي المدينة الرئيسة في فارس .

قد لقي الرسول استقبالاً طيباً للغاية ، وغادر بلاطه وهو راضٍ تماماً .

بسبب هذه المعلومات ، التي تم نقلها لي بالكامل ، أوصى "دوم أنطونيو دي ليما" - الذي ذهب إلى هرمز في شهر نوفمبر الماضي ، لأن"

---

(٤٢) رقم الوثيقة والهامش.

أنطونيو دي أزيفيدو" ، الذي كان قائداً لتلك القلعة ، توفي – بأن عليه أن يبذل كل جهد ؛ ليمنع الاتصال والاتفاق الذي يسعى المغولي ؛ لتحقيقه مع ملك فارس .

قد بعث مؤخراً برسول آخر ، وحملّه هدايا ثمينة ، كما علمت وكما قيل لي أيضاً ، وعرض إتمام زواج بين أبنائهما ، ولكنني لستُ متأكداً بعد من هذا .

إلى أن أتلقى أنباء مؤكدة برسالة من "دوم أنطونيو دي ليما" عن وضعنا معه ، قررت أن أقنع بالبعثة التي يقوم بها ، ولا سيما أنني لم أجد هنا رسولاً منه أو أي رسالة كما كنا نأمل .

قد قيل لـي إن ملك هرمز يفهم ما ينبغي عليه أن يفعله لخدمة جلالتكم ، وإنه يتقيد بالتزاماته في هذا ، ونتيجة لذلك توجد خلافات بينه وبين "القاضي" الذي لديه ، وقد أرسلت في شهر نوفمبر هذا ، المُجاز "فرانسيسكو مونتيرو دي أفيلار" ، وهو قاضٍ في المحكمة العليا هنا ، إلى تلك القلعة .

من بين الأمور الأخرى التي كلفته بها ، أن يحاول الإصلاح بينهما ، حتى تكون تلك البلاد أكثر هدوءاً وحتى يلقى جلالتكم خدمة أفضل .

وفي العام نفسه (١٥٩٩م)

صدر خطاب من "دوم فرانسيسكو دا جاما" ، نائب الملك في الهند ، إلـى "فيليب الثاني" ، بتاريخ عام ١٥٩٩م ، ويذكر فيها تحالف شاه فارس مع الممالك المسيحية ضد الأتراك : (٤٣)

سيدي ،

في فبراير عام ١٥٩٨م ، كتبت خطاباً إلى ملك فارس . أرسلته إلى "دوم أنطونيو دي ليما" ، والذي كان يقوم بالخدمة عندئذٍ كضابط في هرمز ، كي يمكنه توصيله ، وقد بينت له العلاقات الجيدة التي أود أن تكون بيني وبينه ، مثلما كان الحال مع نواب الملوك السابقين ، وهو ما أمرت بالتحديد الجميع بالقيام به .

حتى الآن ، لم أستلم رداً ، ومن دون ذلك ، أعتقد أنه لا يمكنني أن أكتب له مرة أخرى ، أو إنه سيرسل إلي سفيراً .

---

(٤٣) رقم الوثيقة والهامش.

أنا متأكد من أنه يبدي نية حسنة للبرتغاليين ، وأنه في علاقات جيدة مع الضباط في هرمز .

ربما تكون الحرب التي هم فيها هي السبب وراء عدم رده ، وقد حدث الحروب مما أجبره على هجر السلام ، وقد نجح جدا في ذلك .

جاء راهب أوغسطيني إلى المدينة من الفلبين ، باسم الأب "نيكولاو دي ميلو" "Nicolao de Melo" ، وقد طلب مني الأذن بالسفر عبر اليابسة إلى إسبانيا ، وقد منحته ذلك على الأكثر بسبب إلحاح رئيس الأساقفة ؛ لأنني اعتبرت الأمر مناسباً .

بعد أن غادر ؛ لكن ليس في الوقت الذي يمكن فيه منع الرحلة ، وجدت أنه شخص ذا أهمية . ذهب إلى بلاط الشاه ، وكتب لي من هناك مع تلك الرياح الموسمية ، وأنه يمكنه أن يعبر برجلين إنجليزيين هناك ، والذي يبدو أنهما لهما أهمية ، بالإضافة إلى ثلاثين مرافقا آخر من نفس الجنسية ، وقد فهم منهما أنهم قد جاءوا ؛ كي يسألوا الشاه كي يعقد تحالفاً مع قداسته ومع كل الملوك والأمراء في البلاد المسيحية ، كي يمكنهم مهاجمة الأتراك في نفس الوقت ، كي يخرجوهم من الأرض المقدسة .

لقد اعتقد الشاه إن تلك فكرة جيدة ، وقد أمر أحد الإنجليز بأن يظل في بلاطه وأرسل الباقين مع خطابات وهدايا لقداسته ، ولجلالتك ، وللإمبراطور ، ولملك فرنسا ولملك البندقية ، كي يمكنهم جميعا ......

... (ناقص صفحة ٢) ...

... لقد قررت ألا أقوم بأي شيء آخر حتى أرى المعلومات التي

قد أمرت بجمعها ، وعلى أساسها ، سوف أتخذ القرار وسوف أخبر جلالتك بكل شيء .

إذا ذهب الراهب إلى هناك ، يجب على جلالتك أن تأمر بأن يبقى في مكان آَمن ، وأن يتم استجوابه بالتفصيل عن كل شيء حدث مع هؤلاء الأشخاص ، سواء في بلاط الملك أو في الرحلة ، لأنه من المعتقد أنه أصبح متورطاً في أمور ليست متعلقة به ، وأنه قال العديد من الأمور التافهة التي أهانت المسلمين بأسلوبه .

إن راهباً علمانياً من رهبنة "سانت فرانسيس" الذي كان بصحبتهم ، سوف يشهد بصدق بكل ذلك . لن يكون ذلك جيدا للأخ "نيكولاو" ليعود إلى هنا ، لأن أناساً مثله يكونون خطيرين جدا في تلك المناطق .

إن ملك هرمز عجوز جدا ، وكما أوضحت التجربة ، فهو غير قادر على إدارة الدولة . أن "مير فيروشا" وهو أكبر أبنائه ، لديه العديد من المواهب ، ولديه الشخصية التي تمكنه من أخذها منه . لذلك ، حاولت إقناع الملك أن يستقيل عن الحكومة لمصلحته ، ولذلك السبب ، ولكي أتجنب الاختلاف بين ابنه الكبير والمدعي الآخر ، وهو ابن أخ "الجوازيل" ، وهو ما سيكون سبب موته .

أسس ابن شقيق "الجوازيل" دعواه على خلافة المملكة في وثيقة ، والتي يقول إن الملك الحالي كتبها عندما كان متزوجاً من أمه ، ووفقاً لذلك فإن خليفة ملك هرمز في المملكة هو ابنه منها ، وبما أنه غني و"فيروشا" فقير ، سيكون هناك جدال كبير على الأرجح ، لأنه من

المفهوم إن "الجوازيل" يهدف للحكم وخلافة المملكة . من الممكن أن يكون ذلك مناسباً بشكل ما لأنه لديه الثروة كبيرة والغرور .

أنا مع الرأي الذي يقول إن "الجوازيل" لديه المعلومات التي تمنع الملك من الموافقة . لذلك فقد كتبت إلى الملك حول تسليم الحكومة إلى ابنه الأكبر . بطرق كثيرة ، أنا أحاول أيضا أن أصل إلى إقناع "الجوازيل" بأن يزوج إحدى بناته للملك ، كي يهدأ من ناحية تلك المسألة .

بالإضافة إلى السبب الذي من المفهوم أنه لدى الابن الأكبر ، فإن الجميع يؤكد لي أنه لديه مواهب وسمات شخصية كافية لحكم تلك المملكة بنجاح .

بسبب كبر عمر الملك ، فإنه من الممكن أن يموت قبل أن يأخذ القرار أن يحكم أي

من أولاده من بعده .

ليس من الممكن أخذ قرار مثل ذلك الآن ، لذلك أخبرت الضابط ، أنه إذا تم إثارة تلك القضية ، فسوف يحيل إدارة الدولة إلى الابن الأكبر ، مع تصريح أنه سوف يستمر في ذلك ، حتى يمكنني أن أعتني بها كما يجب .

لذلك سوف يرسل لي أسباب دعواه ، وكذلك سوف يرسل أيضاً ابن شقيق "الجوازيل" دعواه . سوف تعرض تلك المسألة للمداولة ، وسوف تؤخذ جيداً بعين الاعتبار كي يتم القيام بما هو الصواب ، وما هو الأفضل لمصلحة جلالتك ، ومن أجل سلامة تلك القلعة .

عندما ذهب "دوم لويس دا جاما" كي يأخذ موقعه في تلك القلعة ، كان موكلاً بهدم جزء من جدار عال في القلعة في مسقط .

لذلك السبب ، كتبت إلى جلالتك أن الأتراك يمكنهم تسلقه واحتلال القلعة ؛ لأنهم يفهمون أن ذلك أنسب طريق على الأقل ... لإيقاف ما يمكن أن يحدث .

وفي العام نفسه (١٥٩٩م)

صدرت رسالة من "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند إلى "فيليب الثاني" ، "غوا" ، بتاريخ عام ١٥٩٩م ، ويذكر فيها تعيين رئيس سماسرة الخيول في هرمز : (٤٤)

فيما يتعلق بمن يقوم بمهام رئيس سماسرة الخيول في هرمز ، فلقد استعلمت عن عديد من الأشخاص المناسبين ، وحصلت على أفضل التقريظ عن كل من المجاز "أنطونيو كاميليو سيراو" و"جواو كورّيا دي فاريا" "Joao Correia de Varia" ، والذي كان رئيساً للقضاء في تلك القلعة .

لقد تقرر أن أفضل ما في مصلحة سموكم وخزانتكم ، هو أن يعين ملك هرمز واحداً من رعاياه لهذا المنصب ، وسبب هذا أنه عندما تظهر القلاقل هنا بسبب انخفاض وقلة المداخيل ، فإن ذلك سوف يتكاثر بين العاملين من البرتغاليين .

(٤٤) رقم الوثيقة والهامش.

إن التجار لا يجرؤون على الشكوى ضده ومنه (إذا ما اشتكوا أصلاً) إلى القائد القبطان بنفس الحرية والاستعداد حيال مسلم مثلهم ، خاصة وأن السمسار لا علاقة شخصية له ببيع الخيول ، خلافاً لمطالبته بحصته فقط .

هذا محدود جداً في كل بيع ، طالما أن الذين يختارون الأفضل من الخيل ، ويشرونها حسب رغباتهم هم قباطنة وموظفون آخرون لدى سموكم في تلك القلعة ، ولا يمكن عمل شيء بالنسبة للبقية من الخيول بدون أمر إسطبلات القبطان .

بل إن الأقل سوف يجنى من شحنها وترحيلها ؛ لأن القبطان يحوز على كل الخيول التي تأتي إلى هذه المدينة منقولة عبر سفن "الكراك" ، أو إذا ما لم تتوفر فرص للشحن لكل الخيول ، فإنهم يؤجرون سفينة أخرى أو سفنهم نفسها ، وعلى حسابهم ، لنقل أغلب الخيل ، وبسبب الحرارة الزائدة وشح المياه ، فإن الكثير من الخيل تموت .

بسبب هذه المعيقات والصعاب والعراقيل (والتي مما قيل ليست من غفلة أو أخطاء السمسار) ، وبسبب عدم استقرار بلاد فارس بسبب حرب الشاه ضد الأوزبك ، فإن القليل من الخيول تأتي من هناك الآن .

هناك قلة من المشترين في "بلاقهات" ، إذ ذهب أغلبهم من هذه المدينة ، وإن التجار الذي أخذوا الجياد من "ساو تومي" "Sao Tome" ، قد عادوا خاسرين بسبب الأسعار المتدنية جداً ، والمعاملة السيئة التي قابلهم بها المسلمون ، بحيث أصبحوا الآن غير راغبين بالعودة بالخيول

إلى هناك ، خاصة بسبب صعوبة الرحلة وخطورتها ؛ حيث إنه إذا ما تأخر البيع ، فستذهب قيمته للمصاريف .

لهذه الأسباب وغيرها ، المتعلقة بنفس الموضوع ، فإنه وبموجب الاتفاقية من طرف المحكمة العليا ، فإنني قد أصدرت رسالة إلى ملك هرمز باسم سموكم ؛ ليقوم بهذا التعيين ، كما كان يفعل دائماً ، وذلك لأنه من مصلحة سموكم أن يفعل ذلك .

أحداث عام ١٦٠٠م

صدور تعليمات بشأن الجنود المتوجهين في سفينة إلى هرمز برسالة في خدمة سمو (الملك) ، "غوا" ، بتاريخ شهر يناير عام ١٦٠٠م ، يبيّن فيها المواد التموينية للسفن المغادرة من هرمز : (٤٥)

يغادر فيها (السفينة) عشرة جنود مع ضباطهم ، وأربعة وأربعون بحارا(أ) . مع مرشديهم .

إن التموين الذي منح لهم لمدة شهرين يصل إلى ثلاثة قناطير ونصف ربع من بسكويت السفينة ، وثماني عشرة (مناً) / ماوس من الأرز للجنود ، وعدد أربع كنادل أو أرز للبحارة ومائتين وثلاثة وثلاثين "أشرفياً" قيمة طعام لنفس عدد الجنود ، وسمكاً مجففاً ومؤناً ، وكذلك علاوات مالية لقبطان واحد و"كاتوريو" .

(أ) حسب هامش توضيحي في دفاتر العلاقات فإنه كان هناك عدد ٤٥ بحاراً ، ولكن المخطوطة ذكرت فقط (٤٤) بحاراً .

---

(٤٥) رقم الوثيقة والهامش.

أحداث عام ١٦٠١م

بعث "كليمنت الثامن" رسالة إلـى "شاه عباس" ، في روما ، في يوم الرابع عشر من شهر فبراير من سنة ١٦٠١م ، ويذكر فيها أن تلك الرسالة تبرهن عن حب ملك البرتغال لملك فارس ورغبته العميقة في إنشاء صداقة بينهما : [٤٦]

إلى أقوى حاكم ، وأشهر ملك في بلاد فارس ،

أقدم تحياتي إلى أقوى وأشهر ملك . أرجو وأتمنى أن يفتح قلبه لنور الرب التي يمنحه له من فضله ومنته . إن العظمة تكمن في قوة الفضيلة ، ومن روعته تنقل حباً رائعاً حتى لمن لم نشاهدهم أبداً ، كما تعلمنا من حبنا إليك .

رغم أنه يفصلنا عنكم مسافة كبيرة جدا من اليابسة والبحر ، يبدو كأننا نراك ، لأننا سمعنا عن فضائلكم الراقية ، وروح عظمتكم الملكية ،

(٤٦) رقم الوثيقة والهامش.

وشجاعتكم ، وتلك الزينة التي منحها لكم الرب ، فإن الرب يعرف لمن يمنح نعمه . لقد علمنا الكثير أن نحبكم ونتمنى أن تبادل هذا الحب .

لقد سررت كثيرا لسماعي النتيجة السعيدة لهذه الصداقة وهذه النعمة ، بإرسالكم وفداً دبلوماسياً ، الذي يدل على الحب والتبجيل .

وصلنا الوفد الدبلوماسي ، وعلمنا من سفرائكم أنكم تتحدثون عنا بوقار وعن المسيح ، وتظهرون رغبة جيدة تجاه الدين المسيحي ، الدين الوحيد الذي يعلم الطريق الوحيد للخلاص والسعادة .

أخبرونا بأنه هناك يوجد أشخاص مقربون إليك هم مسيحيون ، بما فيهم من يعملون في الديوان الملكي ، وبموافقتكم ، يظهرون بارتياح رمز الصليب الذي نفخر به وبسيدنا المسيح الذي خلص العالم ، الابن الخالد للأب الخالد ، الذي اتخذ على شكل إنسان ، وقام بأعمال عظيمة على الأرض لخلاصنا .

إذا كان هذا التقرير صحيحا – ونأمل من كل قلبنا أن يكون كذلك– فقد ملأوا قلوبنا بفرح لا يوصف .

نعلم أنه لا توجد أشياء تصعب على الرب مطلقاً ، والذي من خلاله فقط كل الملوك تحكم ، وبيده كل الملوك ، ويمكن أن يمنح الملك لمن يشاء .

منذ زمن بعيد ، مسك بيد "سيروس" "Cyrus" ، أقوى ملك في بلاد فارس ، وجعل الناس رعاياه والملوك تنتهي قبله ، بذلك فقد ذل كل من كان قوياً على الأرض .

الملك "سيروس" نفسه وبمساعدة الرب ، ومن خلال انتصاراته المتعددة ، حرر النساك الذين كانوا محتجزين في "بابل" ، وأصدر قراراً بأن يتم إعادة بناء معبد سيد المسيح في القدس الذي هدمه ملك (chaldees) ، وأمر كذلك بإرجاع الذهب والأواني الفضية التي أخذت من ذلك المعبد ، كما تم تسجيله في كتاباتنا المقدسة .

الآن ، أقوى ملك في بلاد فارس ونجاحات القيصر الملك العظيم "سيروس" ، علمنا منكم أنكم تريدون أن تبنوا كنائس للديانة المسيحية في مملكتكم ، وفعلا قد بدأتم في بنائها ليذكر فيها الرب ، ومشاهدة القرابين المقدسة ، وترتيل كلام المسيح على جميع المؤمنين ، وأخبرونا بأنكم تريدون من الكنيسة الرومانية أن ترسل قسيسين مسيحيين . إنها بدايات رائعة جدا . أيها الملك ، إنها أعظم الأمور ، وإننا نثق برحمة الرب ، إننا لأن نشك بأن روحه تنشر من هذه الأفكار .

إذا ما أردت صراحة أن تكون صداقة مع البابا الروماني وتأمر ببناء كنائس في أقاليم مملكتك ، وترغب بمدرسين للإنجيل ، وتفكر بأن يتم نشر اسم المسيح والديانة المسيحية في المملكة الواسعة ، فإن الرب سيساعدك ونحن أيضا (بمساعدة الرب) سنقدم لك يد العون في تنفيذ مقاصدك .

إن الكهنة الذين ترغب بهم سيأتون من الكنيسة الرومانية المقدسة ، الكنيسة الأم ورئيسة كل الكنائس في الأرض . يوجد دين واحد فقط والكنيسة الكاثوليكية البابوية التابعة إلى كنيسة روما ، هي معقل الديانة المسيحية والحقيقة والوحدة .

القديس "بيتر المنعم" ، أمير الحواريين ، الذي عينه المسيح راعيا على رعيته ، أسس الكرسي البابوي هناك عن طريق المجلس اللاهوتي ، بعد نجاح طويل وغير منقطع للبابا ، نحن ، مع أنا غير مجديين ، خليفتهم المتواضع ، راغبين بإرسال كهنة المسيح . سيشرحون حقائق الإنجيل إليك وإلى شعبك .

إذا استمعتم لنا من أعماق قلبك اعتنقت هذا الدين ومجدت وأطعت ، من خلال محبة الرب والمسيح عيسى خالق خلاصنا ومعطي الحياة الأبدية . عندئذ ستكونون سعداء ، وستعرف مملكتكم السعادة الحقيقية . ستصبح شهرتكم مثل شهر ملوك الفرس في قديم الزمان ، ويعلو تمجيدكم معهم إلى الأبد .

يوجد في الشرق الكهنة المخلصون وخدم المسيح من أبنائنا النشيطين في المسيحية ، من تلك الجمعية التي تعرف اسم المسيح عيسى الجميل .

إنهم في عملهم تحت حماية الكرسي البابوي المقدس ، وتحت حماية الرب ، وتحت حمايتنا ، وحتى في الأماكن النائية جداً في الشرق ، يقومون بعمليات التبشير ، ويزرعون بذرة محبة الإنجيل ، بمساعدة الرب ، لخلاص كل المؤمنين ، ويوفرون جهدا خدمة للرب ، ونعتقد أن من المعروف لديكم أنهم ينشرون بواسطة الأنموذج الذي تمثله حيواتهم النقية ، مقدمين العمادة والقرابين المقدسة .

سنرسل كهنة من أعضاء تلك الجمعية الذين يعملون في الشرق ، في تلك الأماكن القريبة من أراضي أقوى حاكم ، وابننا في المسيحية ،

"فيليب" ، الملك الكاثوليكي (فيليب الثالث ، ملك إسبانيا والبرتغال) . سيجدون وسائل جيدة ، كما تتطلب الظروف ، سيلبون أمنياتنا في تخليص شعبكم ، وقد أصدرنا الأوامر بخصوص ذلك . ببركات الرب لن نقوم بشيء نعرفه ، لا يتفق مع رغباتكم ، وندرك هذا من خلال عدة أشخاص ، ومن خلال رسائلكم ورسلكم إلينا .

إن هذه الرسالة تبرهن عن حبنا لكم ، ورغبة عميقة في إنشاء صداقة بيننا . إنها دليل على أمنيات خيرة . سيجلب لك الرسالة "اثنان من أبنائنا الأعزاء ، ونذكر اسميهما هنا هما : "فرانسيسكو دا كوستا" "Francisco da Costa" ، الكاهن المتحمس من جمعية المسيحيين ، والمجتهد "ديوجو دي ميراندا" "Diogo de Miranda" ، هما برتغاليان ومعروفان لدينا ، وهما الرجلان المناسبان جدا ، بحكم أن "ديوجو" قابل موظفكم في الديوان الملكي "حسين علي بيك" في فينسيا ، وتحدث معه هناك .

بذلك هو قادر على أن يقدم لنا أخبارا عن نواياكم . ستعرف منهما بشكل أفضل ماهي تصوراتنا ورغباتنا لخلاصكم ، ونتوسلكم أن تضعوا ثقتكم الكلية بهما ، كما تحدثنا عنهما قبلا . إننا نثق بأنكم ستستقبلونهما بكل احترام وكرم ، لذلك فإن أواصر المحبة بيننا ستصبح قوية .

إننا سنجني ثماراً عظيمة من اتحادنا ، وإنك تعي هذا بدون شك ، وفوق كل هذا ، توسع ذلك العدو الذي يتمتع بتكبر بغرور لا يطاق ، يكافح بكل نهم أن يضم كل المملكات والأقاليم تحت حكم استبداده الجائر .

نثق في رحمة الرب بأن يقهر تكبره ، يحطم شوكته ، ويكسر أسنانه داخل فمه كما تقضي على أسد بضربة حجارة رملية ، وقد قدم الرب في السنوات الأخيرة إشارات يقينية بذلك في المجر .

نحن ، بسبب المكتب الرعوي للنساك ، نقدم المساعدة إلى ابننا العزيز "رودولف" "Rodoph" ، الإمبراطور المختار ، وإننا بصدد تنظيم الأمور بحيث سيحارب الملوك الكاثوليك والحكام معاً ضد العدو المشترك .

ونأمل منكم أيضا أن تنتقم من الأذى الكثير الذي تعرضتم له من قبل الأتراك ، ومدركين لمجد الفرس القديم ، وتشرع في شن حرب كما تستدعي الضرورة ، لتدمر الحقير الذي لطخ بالدماء ، ونأمل أيضا أن تحرك الهبات الإلهية قلبك ، بأن نسمع أنك اقتنعت باسم المسيح والديانة المسيحية .

نرجو من الرب ، أبو النعم ، أن يكمل العمل الذي بدأه عن طريقك ، وأن تنظم إلى الحكام المسيحيين ، ستعمل على تحقيق انتصار ساحق على العدو المشترك . نتوسل الرب ، الذي بيده النصر والفرح ، والتي توجد بيد "سيروس" ، القيصر بذلك ننتصر بعد القضاء على كل الصعوبات . تحلى بعزيمة قوية ، وأهدف إلى أعلى الأشياء بذلك ، فلن تتساوى نجاحاتك الباهرة مع السابقين بل ستحقق أعظم انتصارات .

أعطيت في كنيسة القديس "بيتر" ، في "روما" ، ختمت بختم السابقين ، في يوم الرابع عشر من فبراير في سنة ١٦٠١م ، في السنة العاشرة من خدمتنا .

وفي العام نفسه (١٦٠١م)

وردت معلومات من سجل حاجب جلالـة الملك ، فـي الثاني والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٠١م ، بشأن إدارته لمسقط : (٤٧)

سيدي ،

لقد سجل في دفاتر حاجب جلالتكم ، "بينتو ميندس دي أزيفيدو" "Bento Mendes de Azevido" ، الذي عمل في الهند ، بأنه أبحر مع "الكونت ريدوند" في سنة ١٥٦٢م ، عندما رافق ملك "الساموريين" (Samorin) ، وفي سنة ١٥٦٣م ، أبحر مع نائب الملك ، "دوم أنتاو دي نورونها" "D . Antao de Noronha" وشارك معه في تدمير "أولالا" (Olala) ، وفي بناء القلعة وفي حصار "سبال" و"غوا" في سنة ١٥٧١م ، عندما هاجمهم "عادل خان" .

كتب مواطنو "باسين" إلى نائب الملك "أنطونيو مونيز" "Antonio Mones" ، عن

(٤٧) رقم الوثيقة والهامش.

الخدمات العديدة التي قدمها المدّعي (Petitioner) ، كم هو راضون عن هذه الخدمات ، وعن وفاة والده وأخيه ، وقد برأ نفسه بسهولة عندما كان يعمل مقاول في القلعة ، وأنها انهارت بسبب الجو الممطر والعاصفة المفاجئة .

عندما أصبح جلالته ملكا في سنة ١٥٨١م ، على تلك البقاع بواسطة مولانا وملكنا (الله يحفظ ويرعاه) ، عمل كقاض في "كوتشين" ، وجمع كل الناس والمجلس الذي كان هناك كي يبايعوه على أنه الملك والسيد ، وقام بهذا بسرور كبير جدا .

إنه يؤكد بأنه خدم جلالتكم أكثر من خمس وثلاثين سنة في الأراضي الهندية دون أن يتلقى أية مكافأة .

الشهادة المتوفرة في كتاب المكافآت لم تسجل سوى التأكيد (على منصبه) وسيطاً في "ديو" ، الذي أعطي له كمهر للزواج بواحدة من اليتيمات اللواتي قدمن من البرتغال . أرسل الحاكم "جواو دي ميندونسا" "Joao de Mendonca" رسالة إليه بخصوص هذا الموضوع .

في البرتغال ، تم منح القيادة وقلعة "ثانا" إليه لمدة عشر سنوات ، وجلالتكم وافق على هذا . عندما أخبر بالتعيين لم يقبل به ، بل طلب رسالة التعيين وقدمها مع وثائقه .

إنه يتوسل لجلالتكم ، بأن تمنحوه قيادة مسقط لمدة أربع سنوات ، كما منحت لغيره أو قيادة "سيرا دي أسارين" "Serra de Asarin" لمدة ست سنوات ، كمساعدة له أو من أجل زواج ابنته ، أو منصب قاضي إدارة الجمارك في "غوا" لمدة ست سنوات ، تقسم على الابنتين عند

زواجهما ، ورتبة كنسية لابنه لإتمام دراسته في هذه المملكة ، والحصول على الإجازة إلى الأبد ، التي أعطيت له عند عشر سنوات ، ولو أنه يتقاضى راتباً آخر ، فيصبح له راتبين ، إلا أنه ترك له مائتي "بارودس" لعنايته .

"كوسمو رانجيل لويس بيير" "Cosmo Ranguel Luis Pierre" (؟)

"فرانسيسكو نوجويرا" "Francisco Noguiera" (؟) .

في يوم الثاني والعشرين فبراير

(على الهامش) :

نشر في كتاب التعيينات لهذه السنة ، على الصفحة رقم ٣٠٤ :

أعتقد أنه كان بالإمكان أن يمنح قيادة "سيرا دي أسارين" لمدة ست سنوات ، عندما أخليت من شاغلها قبل التاسع عشر من فبراير الشهر الحالي ، وإذا لم يخدم فيها بقية حياته ، يمكن ، إذا كان مناسباً ، أن يتركها لابنه أو لزواج ابنته في نفس الوقت . لكنه لن يشغل منصب قيادة قلعة "ثانا" ؛ لأنه عين في "لشبونه" .

(..........)

موافق عليه

"فيليب الثاني"

أحداث عام ١٦٠٢م

حدث أن أعلن ملك فارس الشاه عباس الحرب على هرمز ، واستولى على جزيرة البحرين "وغمبرون" "Gombron" التي كانت مقابلة لهرمز ، جاءت تلك الأحداث في كتاب : "مؤتمر العالم البرتغالي" "In congress do Mundo Portugues" للأب "أفيلينو دي جيسوس دا كوستا" "Fr . Avelino de Jesus da Costa" ، المجلد السادس ، الصفحات ٢١٨-٢٤٢ : (٤٨)

في عام ١٦٠٢م ، وبتحريض من الإخوة الإنجليز "شيرلي" ، أعلن ملك فارس ، "الشاه عبّاس العظيم" ، الحرب على "هرمز" ، واستولى على جزيرة "البحرين" ، وفرض حصاراً على قلعة "جمبرون" التي كانت مقابلة لـ "هرمز" .

---

(٤٨) رقم الوثيقة والهامش.

في الخامس عشر من شهر فبراير من ذلك العام غادرت بعثة الأب "أنطونيو دي جوفيا" "Antonio de Govia" "غوا" إلى "فارس" ، وعن طريق تدخّلها ، تمكّن رئيس الأساقفة من تخفيف عداوة "الشاه عبّاس" قليلاً : "إنّ "هرمز" مضطربة ، و"البحرين" استولى عليها الفرس .

وفي حال تمكّنت القوافل من السفر اليوم ، ولم تكن دار الجمارك أنقاضاً ، ولم يكن كلّ شيء ملتهباً جرّاء الحرب ، فإنّ هذا الوضع يعود لقساوستنا والملك ، الذي وعلى الرغم من التفاوض بسمعة عظيمة لورعه تفاوض بحكمة عظيمة . جاء الأب "أنطونيو دي جوفيا" إلى "هرمز" ، وعاد إلى "فارس" ، ثمّ رجع إلى "هرمز" ، وهو الآن موجود هنا ، والجميع سعداء لإجرائه هذه المفاوضات بحماس وحرص عظيمين" .

كان في ذهن رئيس الأساقفة أيضاً ، مع هذه البعثة ، إنشاء دير في عاصمة "فارس" للرهبان للعمل على هدايتها ولكي يقدّموا النصح لتلك الدولة ، بشأن ما هو ملائم لـ "هرمز" والبابا والملك . وإنّ تشجيع "فارس" لشنّ الحرب على التركيّ سيكون أمراً ذا أهمّيّة بالغة" .

تجاهل نائب الملك "ايريس دي سالدانها" نصيحة رئيس الأساقفة ، وسمح لنفسه بأن يقوده أشخاص يفتقرون للخبرة ، ويدفعهم الطمع : "كان يخضع دائماً لأناس ذوي نفوذ ، يعملون على القضاء على الهند . بينما كنت وحيداً في الخارج ، بُحّ صوتي لمشاركتي في هذا الأمر ، وحتّى لا تفشل خطّتي ، وأتفانى في خدمة الربّ والملك وصالح الدولة والخزانة ، التي تتعرّض للتخريب ، والعدالة ، ولكن الحقيقة تتعرّض للتشويه في كثير من الأحيان ، ويحاول الجميع إخفاء نيّاتهم" .

في ظلّ هذه الظروف ، ساعد "دوم أليكسو" دولة الهند التابعة لنا على أفضل وجه ممكن : "وكافح وحده ضدّ أمواج عاتية حتّى لا يستسلم" .

علم "فيليب الثاني" بإهمال نائبي الملك "دوم فرانسيسكو دا غاما" و"إيريس دي سالدانها" ، فكتب إلى رئيس الأساقفة لتصحيح الوضع ، ولكن الرسائل المتبادلة بين الاثنين تمّ اعتراضها خلال عهد "كونت فيديغويرا" : "إنّ الجهود المبذولة هنا في "هرمز" لمصادرة الرسائل كانت غريبة حقاً ، وقد صادروا جميع رسائلي التي وصلت في العام الحاليّ من هناك ، ومن المعروف جيّداً في هذه البلاد أنّ بعض الرسائل التي كتبتها إلى جلالته تعرّضت للمصادرة" .

قد سبّب كلّ من نائب الملك هذا وخليفته "إيريس دي سالدانها" استياءً كبيراً ومشاكل كثيرة لـ "دوم أليكسو" : "لقد كلّفني الأمر متاعب كثيرة لتنشيط رجل عجوز ، فاقت المتاعب التي تجشّمتها في الماضي لكبح جماح شابّ يافع" .

ومن أجل تبرير إهمالهما ، حاولا إلقاء اللوم على رئيس الأساقفة ، ولكنّ أحداً في الهند لم يصدّقهما : "في هذه البلاد ، يعرف الجميع الحقيقة" .

كان يمكن لعمل "دوم أليكسو" أن يُتوّج بنجاح أكبر إذا كان هناك من شخص لمساعدته ، ولكن ، ولسوء الطالع ، فقد عمد نوّاب الملك إمّا لمعارضة خططه ، أو لتركه يواجه المتاعب وحده .

وبالتالي ، أحسّ رئيس الأساقفة بالعبء على نفسه : "جراء مشاكل الأمور العلمانيّة في هذا المكان ، والامتعاض من التعامل مع نوّاب الملك

يوميّاً ، والاضطرار في معظم الأحيان إلى مواجهة الفوضى والأذى ، الذي يقع على الربّ والملك ، وتخريب هذه الدولة ، التي لا يديرونها عادة لأكثر من ثلاث سنوات" .

وفي العام نفسه (١٦٠٢م)

قدّم بيان حال السيد " أنطونيو جورجي" "Antonio de Logo" ، في الحادي والعشرين من شهر أغسطس عام ١٦٠٢م ، وذكر فيه أنه قد تمّ إلقاء القبض عليه من قبل الأتراك ، وسجن لمدة سبع سنوات : (٤٩)

سيدي ،

"أنطونيو جورجي" ، مواطن أرمني ، وأحد سكان أراضي الهند ، يدعي أنه خدم لعدة سنوات في تلك المنطقة ، وأنه جاء ثلاث مرات براً إلى جلالتك حاملاً رسائل ومعلومات وعاد حاملاً الإجابة .

في المناسبة الأخيرة عندما كان قادماً برسائل من قائد هرمز ألقى عليه الأتراك القبض ، واتهم بأنه جاسوس لجلالتك ، وتم سجنه لسبع سنوات .

هو يلتمس من جلالتك أن تمنح منصب كاتب مبنى الجمارك في هرمز للشخص المتزوج من ابنته ، بالإضافة لعلاوة شهرية تبلغ ثلاثين

(٤٩) رقم الوثيقة والهامش.

"بارداواساً" مدى الحياة ، تدفع في محطة هرمز التجارية ، وثلاثمائة "كروزادواس" لتساعده في النفقات .

رأى المجلس أن على جلالتك أن تمنحه خمسين "كروزادواساً" نقداً دفعة واحدة .

تكتب رسالة لنائب الملك في أول سفينة تجارية متجهة إلى الهند ليؤدي له مصاريف رحلته ومصروفات عادية ...

في بلد الوليد (Valladolid) ، بتاريخ الحادي والعشرين من أغسطس عام ١٦٠٢م .

(....) "كونت سالیناس" "Conde de Salinas" ، "هنريكو دي سوزا" "Henriquo de Susa" . ، "دييجو دا فونسيكا" "Diego da Vonsica" ، (.....)

"فرانسيسكو نوجويرا"

مجلس البرتغال :

"أنطونيو جورجي" ، الأرمني

(في الهامش) :

"فيليبي الثاني" ... فليكن ...

*

في السابع من أكتوبر عام ١٦٠٢م ، أصدرت توجيهاً إلى "أنطونيو جورجي" بخصوص الخمسين "كروزادواساً" ، وطريق الرحلة الذي أشرت به إليه إلى الهند .

وفي العام نفسه (١٦٠٢م)

بعث "دوم فري اليكسو دي مينسيس" "D . Frei Alexo de Meneses" ، كبير الأساقفة رسالة إلى "الكونت أدميرال دوم فرانسيسكو دا جاما" ، "كونت دي فيديجويرا" ، "غوا" ، في الثلاثين من شهر ديسمبر عام ١٦٠٢م ، وذكر فيها أن سلطان شيراز في "لار" مع خمسة عشر ألف رجل ولا يعبر أي شيء من فارس : (٥٠)

بعد أن كتبت لسيادتك ، وضع صورة لقديسة كاثرين في المدخل المقوس ، وسيؤكد لك "دوم لويس" كل الأحداث الأخرى هناك .

بعد مغادرته وصلت الأنباء من هرمز ، ورسائل تفيد بعدم وجود حصار في "غومبرون" ، وأن قلعة "شمل" (شميل) تحت الحصار ، وأن العديد من الناس قد هربوا ؛ لكن لا أحد يدري إلى أين ، وأن سلطان شيراز كان في "لار" مع خمسة عشر ألف رجل .

---

(٥٠) رقم الوثيقة والهامش.

لا يعبر أي شيء من فارس ، ولا حتى القوافل ، ونتيجة لذلك فإن هرمز فقيرة جداً تملؤها الخرائب .

إن منح جلالته إحساناً لابنة أختي "دونا ماريا" "Dona Maria" في الأمر الذي يتعلق بزواجها وأيضاً معاشاً من التاج (إذا أصبح شقيقها راهباً) ، فهل من الممكن أن تقدم لي سيادتك الإحسان بأن تهتم وتتابع أمر زواجها؟

بما أنك على مقربة ، يمكن لفت انتباهك لمن هم الأشخاص المناسبين ، من هذا البعد ، فإنني أذكر :

ابن كونت "تينتوجال" "Tinongal" . إن منحته بلدتي "ألفيتاس" "Alvetas" و"أروتشس" "Aroches" على المعاش ، فأظنه سيقبل بالزواج .

"ابن الكونت "ريدوندو" "Redondo" على ما أعتقد كبير السن ، وهو أحد الأقرباء ، وإن منح بعض المصالح والمزايا ، كما أنه يملك بعض الثروة الخاصة به ، ويتصف بأخلاق حميدة ورائعة .

ابن "ريجيدو" "Rejido" من عائلة محترمة إلا أنني لا أعلم عن مصادر دخله ، وكم تبلغ .

قائد الجزيرة الذي على قيد الحياة ، إلا أنه بلا أطفال ذكور .

يمكن لسيادتك من هذا المنطلق التفكير في آخرين . لقد تعاملنا وتباحثنا في أمر زواج "دونا لويزا" التي لها مهر أقل .

الحقيقة أن هذه السيدة الأخرى ستحظى بأكثر إن أصبح شقيقها راهباً ، وإن منحت معاش التاج ، ستتمكن من أن تتصرف بطريقة جيدة في الأمر .

بما أن على سيادتك تقديم التماس للملك ، فإنني أبعث مع هذه الرسالة فقرة من الرسالة التي أكتبها إليه ، ومعها نسخ مصدقة من رسائل الملك .

الثلاثون من ديسمبر عام ١٦٠٢م

أنا كبير أساقفة جلالتك وسيادتك

المخلص في "غوا" .

إلى "كونت فيديجويرا" ، أدميرال بحر الهند

نسخة ثالثة

من كبير أساقفة الهند

وفي العام نفسه (١٦٠٢م)
ورد تقرير عن البرتغاليين في جزر البحرين ، وبداية قضية الأمير مقرن مع البرتغاليين : [٥١]

في نهاية القرن الخامس عشر كان العرب ، وبخاصة أولئك الذين ينتمون إلى عُمان واليمن ، هم تجار البحر الرئيسين لدى الشرق ، فقد احتلوا مكانة مشابهة نوعاً ما لتلك التي كانت مشغولة سابقاً من قبل "النبادقة" في أوروبا ، وكانت أساطيلهم المجهزة جيداً قوية بقدر كاف لكي تحمي تجارتهم من القراصنة ، الذين اجتاحوا في ذلك الوقت ، ولقرون عديدة في وقت سابق سواحل الخليج الفارسي .

كانت مدينة "كاليكوت" على الساحل الغربي للهند ، التي كانت محكومة من قبل "السامري" the Zamorim ، ملك هندوسي ، مركزاً لتجارة المحيط الهندي ،لكي السوق التجاري الكبير ومُلتقى تجار الشرق كانت مدينة هرمز المشهورة التي تقع في جزيرة على الساحل الإيراني .

---

(٥١) رقم الوثيقة والهامش.

إلى "كاليكوت" جاءت المراكب الشراعية الصينية مُحمّلة ببضاعة من أقطار فيما وراء الهند ، ومن "كاليكوت" حملت الأساطيل العربية شحناتهم من التوابل والقرفة ، وكل مُنتجات جزر الهند على طول الخليج الإيراني إلى الصرة ومن خلال البحر الأحمر إلى الطور وجدّة ؛ حيث تتقابل القوافل التجارية مع السفن وتنقل حمولاتهم عبر الصحراء إلى الموانئ المتوسطية .

امتلك البرتغاليون ، الذين كان بحارتهم الأحسن في أُوروبا روح المغامرة ، والتطلع إلى أن يتوسعوا في إمبراطوريتهم ، وقد كانوا لسنوات عديدة مهتمين بتجارة التوابل . أرسلوا لمرات عديدة بعثات ناجحة من خلال الطريق البري إلى الهند ؛ لكي يتعرفوا على مصدر هذه الصناعة المربحة ، في عام ١٤٩٨م قام "فاسكو دا جاما" "Vasco da Gama" برحلته التاريخية إلى الهند من خلال الدوران حول رأس الرجاء الصالح .

لقد تقدم على غيره من أجل الدخول الناجح لأبناء وطنه إلى الخليج الإيراني ، وأفسح الطريق لغزو أوروبا البحري . اتبعت الأساطيل طريقة وحَذْتَ حذوه بسرعة ، وفي عدد قليل من السنين أزاح البرتغاليون العرب عن سيادتهم في البحر ، ووضعوا أُسس إمبراطوريتهم الشرقية الكبرى مشتملة على عاصمتها في "غوا" .

عندما وصل البرتغاليون أولاً في المحيط الهندي ، ألقوا مراسيهم على مقربة من "كاليكوت" ؛ حيث لاقوا مقاومة من الملك الهندوسي . ضربوا المدينة بالقنابل ، هذه التي استسلمت أخيراً بعد وقت طويل إلى القائد "بيدرو كابرال" "Pedro Cabral" ، الذي أمر بأن يتم نهبها على يد جنوده .

بعد ذلك بعدد قليل من السنين تسلم أمير البحر (الأدميرال) المشهور "افونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" القيادة في الخليج ، وهاجم مسقط بأسطول كبير الحجم . كانت مسقط مكان هام ، تابعة لمملكة هرمز .

رفض حاكم مسقط الاستسلام ، لذلك تم دك المدينة بالمدافع البرتغالية إلى أن استسلمت . نزل البرتغاليون إلى البر ، وأسروا عدد كبير من السكان الأصليين ، الذين قطعوا آذانهم وأنوفهم ، نُهبت المدينة ، وبعد ذلك تم تدميرها بالنار بصورة وحشية ، وأقلع الأسطول المنتصر على طول الساحل العماني ، واستولى على عدة موانئ أخرى ، التي تمَّ معاملتها بنفس الطريقة . بعد هذا حوَّل "البوكيرك" انتباهه إلى هرمز ، مفتاح الخليج الإيراني .

هرمز اليوم هي قرية صيد صغيرة فوق جزيرة ملحة قاحلة ، يتم رؤيتها من السفن حينما تدخل ميناء "بندر عباس" ؛ لكن حينما أبحر "البوكيرك" أولاً في مياه الخليج ، امتلكت هرمز شهرة كونها ذات ثروة هائلة ، وروعة وترف لا مثيل له . في الأصل كانت المدينة مقامة على البحر الرئيس من اليابسة ، لكنه حينما اكتسحت حشود الملك التتاري بلاد ، تم تدميرها ، وأُعيد بناؤها بعد ذلك على الجزيرة .

كانت عجائب هرمز مشهورة جداً للحد ، الذي غالباً ما أشار إليها شعراء القرن السادس عشر في أوروبا في قصائدهم . إلى "فن المجهورات من الخاتم الذهبي" هذا جاء تجار كل مناطق الشرق متاجرين في المشغولات الشرقية الثمينة .

في أسواق هرمز المملؤة بشكل تام باعوا المنسوجات الحريرية ،

والمجوهرات ، والعاج ، واللآلِيء ، والقماش الموشى بخيوط الفضة والذهب ، وكذلك أيضا الخيول العربية وأجود أنواع الحمير في العالم ، التي من المحتمل أن تكون أسلاف السلالة البحرانية من الحمير البيضاء .

بل إن هذه الحمير تمتلك اليوم شهرة واسعة ، وتوجد في أماكن بعيد حتى حدود أرض "تنجانيقا" في شرق إفريقيا ؛ حيث تم أخذهم بواسطة "البلوش" من مسقط عن طريق "زنجبار" و"دار السلام" . امتلك ملك هرمز ، الذي قد جمع ثروة طائلة من التجارة الهندية ومصائد اللؤلؤ ، أراضي واسعة في إيران وعلى الساحل العربي على السواء .

كانت جزر البحرين خاضعة لهرمز ، التي هي المركز التوزيعي للآلئ الخليج ؛ لكن هرمز نفسها دفعت جزية إلى سلطان "كيرمان" . أسس النجاح السريع للبحرية البرتغالية سواءاً على الساحل الهندي ، وفي عمان شهرة له من عدم الهزيمة ، ونشر مجيء الغزاة الأجانب بسفنهم الغريبة ، والأسلحة الخوف والرعب على سواحل وجُزر الخليج .

حينما وصل "البوكيرك" وأسطوله ذات السفن الطويلة الشراع إلى هرمز ، وجد أن الملك كان على دراية بنيته وأن الهرامزة كانوا مستعدين للدفاع عن جزيرتهم ، فامتلأ الميناء بالسفن ، واكتظت شرفات الأبراج بالرجال المسلحين ، وتمَّ استدعاء المرتزقة لكي يقدموا المساعدة إلى المدافعين . لقد أرسلت البحرين أسطولاً بالمعونة من الرجال والإمدادات "لكن البرتغاليين قابلوا السفن البحرانية بالقرب من "قشم" وطاردوهم ، وفرقوا شملهم .

طلب "البوكيرك" من الملك أن يُسُلم الجزيرة إلى البرتغاليين ، وعندما

رفض وقع قتال بحري شرساً ، ربح فيه البرتغاليون الجولة ، على الرغم من أنهم كانوا يتفوقون عليهم في العدد بدرجة هائلة . أصبح ملك هرمز تابعاً من الناحية السياسية لملك البرتغال ، وكان مجبراً على أن يدفع جزية سنوية ، ومنح البرتغاليين امتيازات معينة في مسألة الجمارك .

تمت مراجعة هذه الامتيازات في سنوات متأخرة ، حتى انتقلت السيطرة الكاملة على الجمارك إلى أيدي البرتغاليين بشكل نهائي . في عام ١٥٠٧م ، رفض ملك هرمز أن يدفع الجزية إلى الشاه "إسماعيل" ، حاكم إيران بعد أن حوَّل ولاءه إلى البرتغال . في العام التالي ، بالدرجة الأولى بسبب الدسائس بين قباطنة ، كان "البوكيرك" مضطراً إلى أن يغادر هرمز ويعود إلى الهند .

في أثناء السنوات القليلة التالية ، بينما كان "البوكيرك" في الهند حاولت إيران تستعد السيطرة على هرمز ؛ لكن دون نجاح . في عام ١٥١٤م أرسل "البوكيرك" ابن أخيه "بيرو" لكي يُحْصل الجزية السنوية من ملك هرمز ، وأن يعيد احتلال الحصن ، وحينما كان في هرمز ارتاد "بيرو" المضايق الشمالية إلى أن وصل إلى البحرين .

يبدو هذا أنها المرة الأولى التي يزور فيها البرتغاليون البحرين ؛ لكن لم يحدث أي قتال ، ولم يتركوا حامية عسكرية ؛ نظراً لوقوع حرب أهلية في هرمز لم يتم تلبية مطالب البرتغاليين ، وفي عام ١٥١٥م عاد "البوكيرك" إلى هناك بنفسه ، وبعد مفاوضات مع ملك هرمز ، "سيف الدين" ، تم تسليم الجزيرة مرة ثانية ، ووضعت حاميتهم في الحصن .

تقريباً في هذا الوقت أرسل ملك مصر أسطولاً لمساعدة الأمراء

الهنود ، الذين قد توسلوا إليه من أجل المساعدة ضد طاغية البرتغال ، ووقعت مصر في خلافات مع البرتغاليين منذ هذا التاريخ . توفى "البوكيرك" في "غوا" في عام ١٥١٥م ، تاركاً ابن أخيه "بيرو" في هرمز . خلفه في منصبه "لوبوساريز" كنائب للملك في الهند .

كانت سيطرة البرتغال تقترب من ذروتها ، وكانت مملكة هرمز ، وتوابعها تحت نفوذها ، وتحكمت في تجارة التصدير والطرق الشمالية إلى أوروبا . كانت الهيبة البحرية للبرتغاليين منقطعة النظير ، وكانت أساطيلهم مُنتصرة في كل مكان ، احتفظ ممثل ملكهم بدولة ملكية في "غوا" ، ومن هناك بسط حكمه على الإمبراطورية الشرقية للبرتغال ، ويتم فقط الإخبار عن مقاومة نادرة وضعيفة للاستياء الشديد لتدخلهم وقسوتهم . مثل توابع هرمز الأخرى كانت البحرين خاضعة لمملكة البرتغال .

أعطى "دوارتي باربوسا" "Duarte Barbosa" ، عند ذِكره الجزر المتعددة في الخليج الإيراني ، التي كانت تنتمي في وقت سابق إلى هرمز ، الوصف التالي للبحرين : البحرين ؛ حيث يُقيم عدد كبير من التجار وأناس أثرياء آخرين ، تقع بشكل جيد في وسط الخليج الفارسي ، تُبحر إلى هناك سفن كثيرة جداً محملة ببضاعة كثيرة جداً ، وهي تُربي فيما حولها حبات لؤلؤ صغيرة ، وأيضاً لآلئ كبيرة ذات نوعية حسنة ، يصطاد تجار الجزيرة بأنفسهم اللؤلؤ ، ويحصلون على ربح وفير .

هنا يأتي إلى هرمز تجار لكي يشتروا حبات اللؤلؤ الصغيرة ، ويبيعونها في الهند . مميزات أخرى يذكرها ، هي تنوع الفواكه ، والينابيع العميقة

غير عادية للماء المائل إلى الملوحة ، والتمور ، والقمح والشعير ، والصقور ، والخيول ، وتُذكر المنامة على أنها اسم لمدينة في ذلك الوقت .

إن أول تقرير مفصل عن مجيء البرتغاليين إلى البحرين ، هو وصف غزوها في عام ١٥٢١م ، عندما أمر البرتغاليون تابعهم ، ملك هرمز ، أن يدفع الجزية السنوية ، فقدم عذراً بألا يدفع ، بحجة مشاجرته مع "مُقرن" ، حاكم "الحسا" ، على ملكية البحرين و"القطيف" ، وافق "دايجو لوبيز إسكويرا" ، الحاكم البرتغالي ، على أن يساعد ملك هرمز بإرسال حملة حربية ضد البحرين ؛ لإجبارها على دفع الجزية .

أُعطيت قيادة الحملة الحربية إلى "أنطونيو كوريا" "Antonio Correia" ابن أخ الحاكم ، هذه التي تكونت من أربعمائة جندي برتغالي ، الذين ملؤوا سبع سفن ، وتقريباً ثلاثمائة رجل عربي ، الذين تمَّ حملهم في مائتي سفينة . أبحر الأسطول الحربي "الأرمادا" من هرمز في يوم الخامس عشر من يونيو ؛ ولكنه بسبب الطقس السيئ .

كانت السفن مُبعثرة في الطريق ، ولذلك فإنه حينما وصل "أنطونيو كوريا" إلى البحرين كان معه فقط مائتان وخمسون من البرتغاليين بالإضافة إلى بعض الجنود الهرامزة ، الذين كان يتولى قيادتهم ريس شرف الدين (زارفا) .

لقد أعدَّ "مقرن" الدفاعات ضد العدو ، وبنى حواجز تُرابية وخنادق على طول الشاطئ . كان عنده قوة من ثلاثمائة من رجال الخيالة العرب ، وأربعمائة من رامي رمح إيراني ، وعشرين رجلا تركيا من حاملي البنادق ، وتقريباً أحد عشر ألف رجل عربي مسلحين بأسلحة متنوعة .

كانت تحصيناته مجهزة ببعض المدفعية ، ويتولى قيادة قواته قادة من ذوي التجربة ، ولكنه لم يتم استدعاؤهم أبداً من قبل ؛ ليواجهوا هجوماً بقوات أوروبية مرتدية دروع ومستخدمة أسلحة أوروبية .

بدأ البرتغاليون الهجوم . جاء أولاً "أنطونيو" مع مائة وسبعين رجلاً ، متبوعاً بأخيه مع خمسين رجلاً ، وبقي ريس "زارافا" "شرف الدين" في الاحتياط مسانداً للقوة البرتغالية . خاض البرتغاليون المياه مندفعين نحو الشاطئ ، وانقضوا على الخنادق ، التي كان مدافع عنها بقوة وبغضب من قبل جنود البحرين بقيادة الملك نفسه . كانت الحرارة شديدة جداً ، وعند الظهر أجبر الإعياء والشمس كلا من الطرفين على أن يتوقفا .

في المساء ، تقدم المهاجمون مرة أخرى ، وأصيب مقرن بطلقة نارية في فخذه . كان أتباعه مثبطي الهمة ، وانهارت روحهم المعنوية بشدة ؛ لدرجة أنهم بدأوا يذعنون ، استسلم عدد كبير منهم ، وقُتل كثيرون ، وجرحوا ، وأخيراً في نهاية اليوم حقق البرتغاليون نصراً تاماً ، ويبدأ تاريخ احتلالهم للبحرين من هذا الوقت .

حصل ريس شرف الدين (زارافا) على معلومات بأن جسد الملك "مقرن" ، الذي مات منذ عدد قليل من الأيام بعد أن جرح ، كان محمولاً إلى "الحسا" من أجل دفنه . اعترض طريق السفينة ، واستولى على جسد الملك . تمَّ قطع رأس "مقرن" ، وحُملت عائدة إلى هرمز .

أقيم نصب تذكاري وعليه نقش كتابة بلغتين في المدينة احتفالاً بالعمل البطولي الشجاع الذي قام به "أنطونيو كوريا" ، ومنحه ملك

البرتغال إذناً ؛ لكي يضيف رأس ملك إلى شعار نسبهأن يستأثر بلقب بحرين بعد اسمه ، فأصبح اسمه "أنطونيو كوريا البحرين" ، وشعاره هو صورة رأس الأمير مقطوعة ، وممسوكة في يده" .

إن الوصف الوحيد والمتاح ؛ للاستيلاء على البحرين ، هو من المصادر البرتغالية ، ومن المحتمل أن تكون القوة العددية للقوات غير موصوفة بشكل دقيق ، لكنه على أية حال ، فإن المدافعين لابُد أنهم قد فاقوا كثيراً في العدد على البرتغاليين ، وحلفائهم الهرامزة .

في عام ١٥٢٢م ، نظم ملك هرمز تمرداً في جميع أنحاء الخليج ضد البرتغاليين . في ليلة مُعطاة كان هناك حركات ثورية في وقت واحد في هرمز ، والبحرين ، ومسقط ، و"صحار" ، ففي هرمز تمَّ حصار الحامية البرتغالية في القلعة ، لكنه في النهاية أُغيثت بتعزيزات من مسقط . في عمان لم يكن التمرد ناجحاً ، وعند رؤية أنه قد أخفق ، فر ملك هرمز إلى "قشم" ؛ حيث قتل فيما بعد .

خلفه في الحكم ابنه البالغ من العمر الثالث عشر عاماً ، الذي وقع معاهدة جديدة مع البرتغاليين في عام ١٥٢٣م .

لاقى الثوار المتمردون في البحرين نجاحاً أحسن . طبقاً لتاريخ عربي ، عانى أهالي البحرين بقسوة شديدة من طغيان وظلم الغزاة . في الليلة المحددة ، هاجموا بقيادة زعيمهم ، الشيخ حسين بن سعيد جنود الحامية البرتغالية ، وباغتوهم بشكل تام . ألقوا القبض على الحاكم البرتغالي ، وشنقوه على واحدة من أشجار النخل ، وطردوا الباقين من رجال الحامية .

أعلن الشيخ حسين حينئذ نفسه حاكماً للبحرين . إلا أنه بعد مرور من الوقت ، أبرم شروطاً مع البرتغاليين ، وتم تعيينه من قبلهم حاكماً محلياً مع موظف برتغالي ، "دي مينزيس" "de Meneses" ، كمساعد له ، ومستشار عادت البحرين مرة ثانية إلى الحكم البرتغالي .

هانك قصة ، مروية في أحد التواريخ الشيعية المحلية للبحرين عن إخلالها على يد البرتغاليين : -

كانت الجزر تحكم ، نيابة عن البرتغال ، بواسطة حاكم محمدي ، أو والي ، ينتمي إلى الطائفة السنية ، على الرغم من أهالي البحرين كانوا أفراداً من الشيعة . حصل الوالي على وزير ، كان أيضاً سُنياً ، وأظهر إحساساً شديداً بالكراهية للشيعة للحد ، الذي بدى فيه أنه لم يتوقف أبداً عن تدبير المؤامرات ؛ لإيقاع الأذى بهم ؛ وتدميرهم بكل وسيلة ممكنة .

ذات يوم أتى الوزير إلى الوالي حاملاً في يده ثمرة رُمان . على الرمانة كان منقوشا "لا إله إلاَّ الله ومحمد رسول الله" وأسماء الخلفاء ؛ أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي . تفحص الوالي الرمانة بعناية ، ورأى أن الكتابة في واقع الأمر كانت مجسدة في داخل الرمانة نفسها ، وليست محفورة فقط فوق القشرة ، بدون شك لا يمكن أن تكون مكتوبة بأية يد بشرية .

قال للوزير ، هذه معجزة ، دليل واضحة ضد عقيدة هؤلاء المارقين . الآن ما رأيك في هؤلاء الناس الشيعة في البحرين؟

أجاب الوزير ، لقد أراد الله أن يبين لك الطريق المستقيم . إن هؤلاء هم أناس مُتعصبون . عليك أن تستدعيهم جميعاً ، وأن تعرض عليهم هذه الرمانة ، وإذا هم قبلوا هذا البرهان الإلهي ، وتم تحويلهم إلى العقيدة

الصحيحة ، بعد ذلك فإن الله سوف يجزيك خيراً ، وإذا هم لم يقبلوا هذا البرهان ، وجب عليك أن تأمرهم بأن يُقدموا رداً على المعجزة ، وإذا لم يستطيعوا توضيحه ، بعد ذلك قلل من شأنهم ، وجعلهم يدفعون الجزية ، وأقبض على نسائهم ، وأقتل جميع رجالهم .

قبل الوالي نصيحة وزيره ، واستدعى جميع زعماء الشيعة ، والعلماء ، والنبلاء ، وكل الذين عم أذكياء ومتدينين ، وأراهم الرمانة ، وأخبرهم بما قد قرر أن يفعله . نظروا إلى الرمانة ، وكانوا مذهولين ، وتغير لون وجوههم وارتعدت فرائضهم ، ثم خطى إلى الأمام كل الأفراد الأكبر سناً ، وقالوا ، أعطنا مهلة ثلاثة أيام ، وفي خلال ثلاثة أيام سوف نبحث عن حل مقبول . إذا لم نجد حلاً ، افعل بنا كما تريد .

وافقهم الوالي على طلبهم ، وتركوه وهم خائفون ، وقد أخذتهم الرجفة ، اجتمعوا في أحد منازلهم ؛ لكي ينظروا في الأمر . اختاروا عشرة من رجالهم الأكثر تديناً ، ومن العشرة اختاروا ثلاثة ، وإلى واحد من الثلاثة قالوا ، "اخرج هذه الليلة إلى الصحراء بمفردك واعبد الله ، وتضرع إلى إمامنا ؛ لكي يساعدنا ولكي يعطينا علامة ما سوف تبين لنا مخرجاً من هذه المصيبة .

خرج الملّا إلى الصحراء ، ومكث طوال الليل عبداً لله ، وباكياً ومصلياً له من أجل المساعدة ، لكنه حينما بزغ الفجر لم ير شيئاً ، ورجع إلى أهله حزيناً .

في الليلة التالية خرج الملا الثاني ، لكنه ، أيضاً ، رجع في الصباح

دون أن يرى أو يسمع شيئاً ، وكان هناك عويل ، ونواح بين النسوة في جميع قرى البحرين .

في الليلة الأخيرة خرج الملا الثالث . كان رجلاً تقياً جداً ، واسمه محمد بن عيسى . ذهب إلى الصحراء عاري الرأس وحافي القدمين ، وكان الليل مظلماً جداً ، لأنه لم يكن هناك قمر . بكى الرجل وصلى وتضرع إلى الله لكي ينقذ المؤمنين من الهلاك . قبل الفجر بوقت قليل رأى شكلاً في صوره رجل ، اقترب منه وقال ، "لماذا أراك يا محمد ، على هذه الحالة؟

لماذا أنت خارج منزلك في الصحراء في ظلام الليل؟

أجاب الملك ، "أيها الرجل ، اتركني وشأني . إنني هنا لحاجة ماسة ، لكي أمنع مصيبة كبرى ، وأنا لا أستطيع أن أتحدث ، أو أشتكي عنها سوى إلى إمامي" .

ثم قال الرجل ، "يا محمد إني أنا الإمام . أخبرني ما هي حاجتك التي تريدها" .

إذا كنت حقا الإمام قال الملا ، "تستطيع أن تقرأ ما في قلبي ويمكن أن تعرف ما أحتاج إليه بدون إخباري عنه" .

رد الرجل ، في الحقيقة إنني أعرف بالتأكيد . إنك خرجت بسبب ما هو مكتوب على ثمرة الرُمان .

عندما سمع الملا بهذا كان مقتنعاً ، وأصبح كله آذاناً صاغية ، حينما تحدث الإمام بالكلمات الآتية : – في منزل الوزير يوجد فناء ، ووسط

الفناء هناك تنمو شجرة رُمان حينما تحمل الشجرة بالفاكهة في فصل الصيف ، صنع الوزير قالبا من الطين في حجم ثمرة رُمان واحدة ، وقسمها إلى قسمين اثنين .

في داخل كل نصف نقش الكتابة التي رأيتها على الرمانة ، ثم وضع نصفي القالب الطيني على ثمرة رمان واحدة صغيرة ، وربطها بشدة بينما كانت الفاكهة لا تزال غير ناضجة . بهذه الطريقة أثر فيها ، وجعلها تصبح كما هي الآن .

غداً حينما تعود ، قُل إنك قد وجدت الحل ، ولكن أرفض أن تقدمه إلاَّ في بيت الوزير . عندما تذهب إلى البيت ، ادخل إلى الفناء ، وانظر إلى اليمين . سوف ترى درج سُلم مؤدياً إلى غرفة عليا . قل للوالي ، إنك سوف تقدم حلك في تلك الغرفة العليا ، سوف يرفض الوزير السماح بذلك ؛ لكن يجب أن تصبر على ذلك .

عندما يصعد الوزير درجات السلم ، اتبعه عن كثب ، ولا تتركه بمفرده في داخل الغرفة مهما يكن من أمر . حينما تدخل الغرفة ، انظر تجاه النافذة ، وعلى رف فوقها سوف ترى كيساً أبيض اللون .

احمل الكيس وسوف تجد القالب نفسه الذي استخدمه الوزير من أجل حيلته ، ثم احمل الرمانة من الكيس ، أدخِلها بقوة في القالب ، وضعها أمام الوالي ؛ لكي يرى الحيلة التي تمت ممارستها من قبل وزيره . أخبر الوالي أنه يوجد لديك معجزة أخرى ، واطلب منه أن يأمر الوزير ، أن يكسر الرمان ويرى ماذا سوف يقع .

حينما سمع الملا هذه النصيحة ، كاد يطير فرحاً ، وقبَّل الأرض

عند قدمي الإمام ، ورجع إلى أهله ؛ لكي يبلغهم الأخبار السارة . في الصباح التالي ، اجتمعوا جميعاً أمام الوالي ، وفعل الملّا كل الأشياء التي قد أمر بها الإمام ، وقد حدث كل شيء مثلما قد أخبر به ؛ لكن حينما أمر الوالي وزيره أن يكسر الرمانة ، انبثق منها دخان ، وذرات رماد ، وغطوا وجه الوزير ولحيته .

بعد ذلك تحول الوالي إلى الملّا وسأله ، من الذي أخبرك عن هذه الحيلة؟

أجاب الملا ، "إمامنا وبرهان (آية) الله نحونا" .

عندئذ نهض الوالي من مقعده ، وأخذ الملا من يده ، وطلب من الله أن يكون شاهداً على الحيلة التي لعبها ، ومكر بها على أبناء الشيعة ، واستدعى خدمه وجلاده ، وقطع رأس الوزير ، وطلب الصفح من أهالي البحرين .

في عام ١٥٢٩م كانت البحرين في ثورة مرة ثانية على البرتغاليين . كانت الجزر تحكم على يد أحد أقرباء ملك هرمز ، وقد تم إرسال ملك هرمز نفسه إلى البرتغال لأنه أصبح غنياً جداً في هرمز . طلب البرتغاليون جزية أغلى ؛ ولكي يدفعوا هذه الجزية حاول الهرامزة أن يحصلوا على مال أكثر من البحرين ؛ لكن الحاكم رفض أن يدفعه لهم .

عيّن نائب الملك البرتغالي ، "نونو دا كونها تافاريز دا سوسا" "Nuno da Cunha Tavares de Susa" ، قائدا للبحار ، وكان من المقصود أن يتولى قيادة الحملة العسكرية على البحرين . على ما يبدو

كان كارهاً ، ولا يجب أن يذهب إلى هناك ، وأقنع نائب الملك أن يُعين في مكانه "سيماو دا كونها" "Simao da Cunha" ، شقيق نائب الملك .

بعد انتظار لبعض الوقت وصول التعزيزات القادمة من البرتغال أبحر الأسطول من هرمز . إنه يتكون من خمس سفن حاملة أربعمائة رجل ، وقارب محلي ؛ لكن يقال بأنهم كانوا يمتلكون صندوق ونصف من مسحوق البارود .

وصلوا إلى البحرين في سبتمبر ، الشهر الأكثر حرارة ورطوبة ومرضاً في العام . أضاعوا نصف كمية إمدادهم الصغيرة من مسحوق البارود في تحية الميناء . رفع زعيم البحرين اثنين من الأعلام على برج قلعته ، أحدهما أبيض اللون ، والآخر أحمر ؛ لكي يبين أنه كان مستعداً ؛ إما للسلم أو للحرب ؛ لكن القباطنة البرتغاليين كانوا مصممين على القتال . استمروا مدة ثلاثة أيام في دك أسوار الحصن بمدافعهم ، ونفذ بعد ذلك إمدادهم من مسحوق البارود .

في غضون ذلك عرض القائد العربي الاستسلام بشروط معينة ؛ لكن البرتغاليين ، كانوا مصممين على ألا يُضيعوا فرصة . الحصول على الغنائم ، ورفضوا أن يقبلوا الاستسلام .

أرسلت سفينة عائدة إلى هرمز ؛ لكي تُحضر مزيداً من مسحوق البارود ، لكنها استغرقت مدة ليست أقل من أربعة عشر يوماً ؛ لكي تذهب وتعود ، وقبل انتهاء هذا الوقت قُهر البرتغاليون بعوامل طبيعية .

أصيب الجنود بالحمى ، وانتشر وباء حاد فيما بينهم ، وتأثرت به الجنود والهرامزة بشدة مثل البرتغاليين أنفسهم . نفذت إمدادات

طعامهم ، واضطروا إلى أن يعتمدوا على ما أعطى إليهم من قبل أفراد العدو ، الذين يبدو أنهم قد تصرفوا بإحسان رائع يسترعي الانتباه . حينما بقي خمسة وثلاثون من البرتغاليين مناسبين لأداء الواجب ، قرروا أن يتراجعوا .

تمَّ سحب الجنود المرضى إلى الشاطئ بواسطة حبال مربوطة بأرجلهم ، وحُملوا في القوارب على أيدي البحَّارة المواطنين من أهل البلاد ، وجد الباقون على قيد الحياة التعساء لهذه الحملة العسكرية المشؤومة ، والضعفاء بسبب المرض ، وقليل العدد للحد الذي لا تكاد تعمل به السفن التي تحملهم ، صعوبة شديدة في الوصول إلى هرمز ، فقد هلك عدد كبير منهم في الطريق بما فيهم "سيماو دا كونها" ، الذي يقال بأنه قد مات بسبب الحزن الشديد ، وهو محطم الفؤاد .

حتى هذا الوقت ما زال البرتغاليون هم سادة الخليج ، وافتخروا باعتزاز بأن بحاره كانت مغطاة بسفن خشبية ، منتج العناية الشديدة للحكومة كان أحد طموحاتهم ، هو أن ينشئوا جنساً جديداً من نسل جنودهم وبحَّارتهم ، الذين قد تزوجوا من النسوة الهنود والعرب ، هذا الذي سوف يمدهم بالبحارة والجنود المحليين . عاش الحكام البرتغاليون بترف في مقرات إقامة فخمة ، وما زالت سفنهم ورجالهم المحاربون مُتفوقين جداً على أولئك الذين عند خصومهم .

لكن كانت هناك إشارات بأن قوتهم كانت بادئة في التدهور ، فهم من أجل الذخائر والتعزيزات اعتمدوا على البرتغال ، ولم يعد قباطنتهم يقصرون أنفسهم على عمل الغزو وتوطيد السلطة ، بل انغمسوا في

التجارة الخاصة ، وقبل منتصف القرن تمت مواجهتهم بخصومة شديدة من الأتراك ، الذين قد كانت قوتهم تتزايد تدريجياً ، منذ أن تصادموا لأول مرة مع البرتغاليين في بداية القرن .

في عام ١٥١٧م غزا السلطان التركي سليم مصر ، ونصب نفسه خليفة ، وضَمَّ اليمن ، لذلك كان الأتراك قادرين على أن يزيدوا خصومتهم للبرتغاليين بتهديدهم في البحر الأحمر . في عام ١٥٣٤م ، استولى سليمان الذي يُلقبه الإفرنج بالعظيم ، والأتراك بالقانوني أمين سليم بغداد من الفرس ، ومن هناك بدأ في تمديد نفوذه جهة الجنوب في أسفل الخليج الفارسي .

في نفس العام أرسل ملك الحسا وحاكم البحرين ، اللذين كانا في الوقت الحالي مُستقلين ، مبعوثين ؛ لكي يظهرا خضوعهما لنائب الملك التركي ، على الرغم من أنهما في الحقيقة لم يقدما أي ولاء للأتراك . هذه هي المرة الأولى التي تدخل فيها البحرين .

في اتصال مع الأتراك ، ومن الممكن أن يُحدد تاريخ المطلب ، الذي لا أساس له بأن تركيا تقدمت ذات مرة في الماضي نحو سيادة البحرين من هذه الواقعة .

في الحال بعد الاستيلاء على بغداد وصل إلى الخليج أسطول تركي بقيادة "بيري بك" ، وهاجم مسقط ، بعد الاستيلاء على المدينة ، وأخذ عدد كبير من الأسرى ، قام "بيري بك" بهجوم فاشل على هرمز ، طارده الأسطــول البرتغالي ، وعاد إلى الصرة مع ملاحقه العدو له . كان بين الأسرى في سفينة الحاكم البرتغالي لـ مسقط ، وعملاً بنصيحته ، غادر

بيـــري بـــك الصرة مع ثـــلاث سفن "جالي" مُحملة بالغنيمة ، وما تم نهبه .

استطاع أن يراوغ الأسطول البرتغالي ، وأبحر خارج الخليج ، لكنه فقد واحدة من سفنه ، محملة بمجموعة من الأشياء القيمة جداً ، على مقربة من البحرين ، ووصل أخيراً مصر مع السفينتين الباقيتين . لم يرو التاريخ ماذا حدث للضباط البرتغالي ، لكنه في النهاية تمت محاكمة "بيري بك" ، وأدين ، وأعدم على يد السلطان ، وتمت مصادرة ثروته الطائلة ، التي جمع معظمها من خلال أعمال القرصنة .

في أثناء الأعوام التالية حقق الأتراك عدد كبير من النجاحات في الخليج . استولوا على "قشم" ، ودمروها ، واحتلوا مسقط مرتين ، لكنهم كانوا يطردون في كل مرة من قبل البرتغاليين . في عام ١٥٥٠م كانت "القطيف" التي هي مكان ذو أهمية محكومة من قبل تابع الملك هرمز ، الذي كان خاضعاً لملك البرتغال . ثار أهالي "القطيف" الذين كان يساعدهم ملك الحسا ، على الحكم الهرمزي ، وطردوا الحاكم ، وناشدوا الأتراك من أجل المساعدة .

رحب الأتراك بفرصة تثبيت أنفسهم على البر الرئيس من بلاد العرب ، وأرسلوا قوة من الصرة احتلت الميناء . شكل اقترابهم خطراً شديداً على البحرين ، ولكي يمنعوا احتلالها على يد الأتراك ، أرسل البرتغاليون قوة من هرمز بقيادة "أنطونيو دي نورونها" ، الذي طرد الأتراك ، وسوى قلعة "القطيف" بالأرض ، وأعاد تنصيب الحاكم الهرمزي .

لم يأت منتصف القرن السادس عشر إلاَّ وكان الأتراك يتحدون

بقوة سيطرة البرتغاليين في الخليج ، كان عند السلطان سليمان طموحات نافست تلك التي عند البرتغاليين ، وهدف إلى تمديد مملكته على كل مكان في الخليج الإيراني ، وأمل في أن يمتلك الساحل الغربي للهند ، كانت السفن البرتغالية متفوقة على تلك التي لدى الأتراك ، وكان رجالهم مسلحين بشكل أحسن ؛ لكن الأتراك تمتعوا بمميزات على أعدائهم في نواح أخرى .

كانت التعاطفات الدينية للناس في الخليج مع الأتراك ، ويتم النظر إلى البرتغالــيين على أنهم كفار . كان الأتراك أقرب إلى قاعدتهم ، وأقل تأثير بالمناخ والمرض ، ولم يمكثوا في الخليج وقتاً طويلاً ، للحد الذي يكفي أن يكتسبوا فيه شهرة في أعمال السلب والنهب التي ميَّزت البرتغاليين .

في عام ١٥٥٣م عين السلطان سيدي علي شلبي أميراً للبحر "ادميرالا" للأسطول التركي ، مع أوامر باستعادة السفن التركية التي قد تمَّ التخلي عنها في الصرة بعد الأعمال البطولية التي قام بها "بيري بك" . كان سيدي علي تركياً متميزاً ، وشاعراً ، ومؤلفاً في الملاحة ، ومقاتلاً شجاعاً وألَّف كتاباً عن رحلاته ومغامراته ، التي وصف فيها خبراته في الخليج الإيراني .

سافر من حلب إلى الصرة براً ، في رحلة استغرقت عدة أشهر ، وتولى مسؤوليـــة السفن في الصرة من مراد بك ، حاكم "القطيف" سابقاً . بعد إصلاح وتجهيز سفـــن "الجالـي" التركية ، أبحر سيدي علي من الصرة ، وقام بجولة بحرية في أسفل الخليج ، زائراً موانئ متعددة ،

مشتملة على "بوشهر" ، و"القطيف" والبحرين . مكث وقتاً قليلاً في المكان الأخير .

كانت الجزر تُحكم نيابة عن البرتغاليين بواسطة حاكم محلي ، ريس مواد ، الذي استقبل سيدي علي بالود ، وأراه ، بين الأشياء الأخرى ، الينابيع الغريبة للماء العزب التي تندفع من قاع البحر . حينما أراد سيدي علي الحصول على استفسارات عن البرتغاليين ، تلقى إجابات مراوغة .

عند مغادرته البحرين ، قابل أسطولاً برتغالياً قوياً في المنطقة المجاورة لمسقط ، كانت هناك اثنتا عشرة سفينة حربية كبيرة واثنتان وعشرون واحدة أصغر . نُصبت أشرعتهم الخلفية ورؤوسهم المدببة المنحدرة ، وأعدت مقاعد الربان العالية ، والسواري التي تزهو بقماش الرايات الملونة التي تظلم الأفق .

هاجم الأدميرال التركي الباسل العدو ، وهو غير خائف من أعداد سفنه التي تفوقه . ضربت السفن بعضهم بعضاً مستخدمين قطع المدفعية التي على ظهورها ، ثم جاءوا إلى بعضهم بشكل أقرب ، ثم ألقى المقاتلون رماح وسهام من الأبراج العالية للسفن ، بينما العبيد المتصببون عرقاً يجذبون المجاديف بشدة .

في النهاية ، تصارعوا ، وانقضى بعضهم على الآخر ، وهم يقاتلون بشراسة مستخدمين السيوف والرماح . تمَّ تدمير خمس سفن "جالي" تركية ، وكانت هناك خسارة فادحة في كل من الجانبين ، ونزل عدد كبير من اللاجئين إلى الشاطئ ؛ حيث تمت معاملتهم بكرم على يد

المواطنين الأصليين من أهل البلاد ؛ لكن في الأخير أخذت بقية سفن الأسطول التركي طريقها متجهة إلى أسفل الخليج .

بعد ذلك بفترة قصيرة بذل الأتراك جهداً حازماً ، ومحاولين بإصرار للاستيلاء على البحرين . في عام ١٥٥٩م تمَّ إرسال فرقة عسكرية قوية من ألف ومائتي تركي وانكشاري ، في اثنتين من سفن "الجالي" الحربية ، وسبعين قارباً للهجوم على الجزر . كان ريس مراد لا يزال حاكماً ، وأرسل البرتغاليون أسطولاً من هرمز لمساعدته .

قابل في الطريق بعض السفن التركية ، وطردهم إلى الشاطئ . لقد نزل الأتراك إلى الجزيرة ، وحاصروا القلعة وعندما وصل البرتغاليون ، عقدوا مجلساً للحرب ، وقرروا أن يفرضوا طوقاً حول المحاصرين . لكن الضباط البرتغاليين ، أصبحوا قليلي الصبر ، ونفَّذوا اتفاقاً . اخترق ريس مراد الخط التركي بعدد ثلاثمائة رجل مسلحين بشكل جيد ، وانضم إلى البرتغاليين ، وهزموا معاً الأتراك .

لاحق البرتغاليون الأتراك ، وهم يحصون النصر الذي أحرزوه في وقت سابق ؛ لكن الأتراك استعادوا قوتهم ، وانقضوا على البرتغاليين في كمين ، قاتلين عددا كبيرا منهم ، بما فيه قائدهم ، "دون الفارا داسيلفيرا" ، الذي لم يتم أبداً استرداد جسده من العدو . قُتل عدد كبير من البرتغاليين ، وانسحب ريس مراد إلى قلعته مرة ثانية .

تولى بيروبيشوتو قيادة البرتغاليين ، وبينما قطعت مدافع سُفنه طريق تراجعها نحو البحر ، قام بشن هجوم آخر على الأتراك الذين استسلموا في النهاية . تمَّ السماح لهم بمغادرة البحرين بشرط أن

يُسلموا أسلحتهم ، وكذلك أسرى وحيوانات وذخيرة ، وعشرة آلاف من الروكات . بعد هذه الهزيمة الشنيعة انسحب الأتراك إلى الصرة وأعاد البرتغاليون بسط سلطتهم على البحرين .

يوجد الشيء القليل جداً المسجل حول البحرين في أثناء النصف الثاني من القرن السادس عشر . يذكر مؤلف عربي محلي أن البرتغاليين أصلحوا الحصن في عام ١٥٨٦م ، وأن هذا التاريخ منقوش على بعض الأحجار في ثلاثة من أربعة أبراج ؛ لكن نقشاً كهذه لا يوجد الآن ، على الرغم من شخص ما كتب خلال السنوات الحديثة هذا التاريخ بالطلاء الأسود على الجدران في أماكن متعددة .

بعد عام ١٥٨٠م بدأت قوة البرتغاليين في الشرق تتناقص ، بالتأكيد في الدرجة الأولى بسبب سيطرة إسبانيا في أوروبا على البرتغال ، هذه التي استمرت لمدة ستين عاماً . كانت فترة مُفجعة بالنسبة للبرتغاليين ، ففي الهند والخليج الفارسي ، تم تهديدهم على يد الأتراك ، والهولنديين ، والفرنسيين والإنجليز الذين انتزعوا منهم معظم إمبراطوريتهم الشرقية الكبرى .

هم لم يعدوا قادرين على الإبقاء على حامياتهم ، وحيث تضاءل عدد ونوعية التعزيزات والإمدادات ، فإن العرب والفرس أصبحوا أكثر جرأة في مقاومة طغيان الغزاة الكافرين . انخفضت هيبة واحترام البحرية البرتغالية ، بدأ قباطنة الأساطيل ، الذين كانوا تقريباً لا يقهرون في أول وصولهم ، يتهربون من المواجهات ، بدلاً من حصر انتباههم على القتال ، ركزوا انتباهاً كثيراً على إثراء أنفسهم من خلال التجارة .

في عام ١٦٠٢م تم طرد البرتغاليين من البحرين بواسطة إيران ، ويُقدَّم تقرير عن الحادث بشيء من الإسهاب ، ألَّفه كاتب معاصر لقد عامل حاكم البحرين ، الذي هو قريب لأسرة حاكم هرمز ، أهالي الجزر بقسوة زائدة وظلم . بلغ طغيانه ذروته في جريمة قتل تاجر لؤلؤ بحريني ثري ، ومحترم كثيراً .

حيث تمَّ الاستيلاء على ممتلكاته بما فيها عدد كبير من اللآلئ القيمة من قبل الحاكم . سببت جريمة القتل هذه غضب شديد ؛ لكن الأهالي كانوا خائفين جداً ، فلا يستطيعوا أن يثأروا لأنفسهم .

كان لدى التاجر شقيق ، مخلص جداً له ، هذا الذي قرر أن ينتقم لجريمة قتل أخيه ، فانضم إلى صحبة الحاكم ، وهو يخفي مشاعره ، وفي الأخيرة استطاع أن يكسب ثقته بشكل تام لدرجة أنه حصل على فرصة في يوم ما ، وطعنه بخنجر حتى الموت . بعد أن فعل هذا أعلن نفسه حاكماً ، وانضم إليه معظم السكان المحليين .

تغلبوا على الحامية البرتغالية الصغيرة واستولوا على القلعة ، ثم أرسل أمير شيراز قوة عسكرية ؛ لكي تساعد المتمردون ؛ وتسيطر على الجزر باسم شاه إيران .

في هذا الوقت خارجياً كانت البرتغال وإيران على علاقات حسنة ، وكانت هناك بعثة برتغالية تزور إيران ، وتسعى لإقناع الشاه لكي ينضم إلى البرتغاليين في قتالهم ضد الأتراك . إذا حققت البعثة هدفها ، فإنه من الممكن للبرتغاليين أن يكونوا أحراراً في تعاملهم مع الهولنديين ، الذين كانت سفنهم تجتاح المحيطات .

قدم ملك البرتغال احتجاجه إلى شاه إيران على عمله غير ودي في مساعدة التمرد في البحرين ؛ لكن الأخير أظهر اعتزازاً واهناً بأنه لم يأخذ البحرين من البرتغاليين ولكن من تابع لملك هرمز .

على الرغم من صعوباتهم ، استعد البرتغاليون لكي يستعيدوا البحرين ، وعُيِّن حاكم هرمز ، "دون بيدرو كونتينهو" "D . Pedro Coutinho" ، أحد ضباطه ، القبطان "فرانسيسكو دي سوتو ميجر" "Francisco de Suto Miguer" قائداً لقوة مشتركة من البرتغاليين والهرامزة ، الذين كان هدفهم أن يمنعوا الفرس من إرسال مزيداً من الجنود إلى البحرين ويعيدون الاستيلاء على الجزيرة .

على الرغم من انضمام بعض الجنود والسفن الحربية من الهند بقيادة "دون جورج دي كاستلو برونو" "D . George de Castelo Branco" ، فإن الحملة العسكرية كانت حملة ضعيفة والسفن كان فيها نقص في اليد العاملة .

رتَّب حاكم هرمز "جميع الأمور بصورة حسنة ، باجتهاد وفطنة ، وبدون شك بإمكانه أن يستعيد البحرين مثلما توقع ، بعد حصوله على شهرة واسعة في جميع الشؤون البحرية" ؛ لكن لسوء الحظ ، يوجد عنده أعداء في بلاط نائب الملك في "غوا" ، هؤلاء الذين كانوا يدبرون له المكائد ، وقد أنتجت هذه المكائد في هذه اللحظة الحرجة ثمارها ، فتم عزله بصورة مفاجئة من قيادته ، الأمر الذي لم يكن حدث عادي ، بدون حتى القيام بإعطائه فرصة ؛ لكي يدافع فيها عن نفسه .

كان "ديزو باراتو" ، خَلَفْهُ ، رجلاً مريضاً ، وعند توليه زمام القيادة ،

وجد أن القوات كانت مُستنزفة بشكل حاد من خلال المرض والحاجة إلى نقل الجنود بعيداً ؛ لكي يحاربوا الهولنديين . بذل نائبه

في القيادة ، "جاسبار دي ميلو" "Gaspar de Milo" جهوداً شاقة ؛ لكي يُجهز الحملة لرحلة طويلة ، لكنه بنجاح قليل .

أرسل حاكم إيران ، شاه عباس المشهور ، عند سماعه أن البرتغاليين كانوا يستعدون لاسترجاع البحرين ، جيشاً هائلاً يثير الرعب من خمسة أو ستة آلاف رجل ، بقيادة آدام سلطان ، لكي يهدد الحامية البرتغالية في "غومبرون" (بندر عباس) ؛ ليصرف البرتغاليين عن البحرين .

وأرسلت البعثة البرتغالية في إيران أحد أعضائها بأقصى سرعة ممكنة إلى هرمز ؛ لكي يحُث أبناء وطنه بألا يُعرضوا بنجاح المفاوضات للخطر بإثارة صراعات في العلاقة مع إيران حول احتلال البحرين .

يُذكر في تاريخ برتغالي أن شاه عباس أمر بأنه يجب أن يتم إعادة البحرين إلى البرتغاليين ، لكنه إذا أعطى هذا الأمر ، فإنه لم يكن مُنفذاً . تمردت الحامية البرتغالية في "جو مبرون" ، وسملّت المدينة إلى الفرس ، وفي النهاية لأسباب سياسية إلى حد معين ، وكذلك أيضاً لممارسة ضغوط شديدة عليهم إلى حدٍ ما ، تخلى البرتغاليون عن مشروعهم للقيام بهجوم على البحرين ، من أجل المطالبة بجزيرة نستطيع أن تغزوها بسهولة فيما بعد .

لكن هذا كان تفاخر باطل ، فالبحرين لن تؤخذ أبداً مرة ثانية بيد مملكة البرتغال ، على الرغم من أن ملك البرتغال لسنوات عديدة ، استمر في أن يحتج على احتلال البحرين بواسطة الإيرانيين ، وفي

إحدى المناسبات ، في عام ١٦٠٥م ، أمر نائبه أن يشن الحرب على البحرين بحراً ، وبراً ، وأقترح أنه من المحتمل أن يتم تقديم رشوة إلى قبطان الحصن ؛ لكي يستسلم .

لم يكن ذلك حتى عام ١٦٢٢م ، حينما فقد البرتغاليون هرمز إلى حليف إيراني وقوة إنكليزية ، بشكل أدى إلى تخليهم في النهاية عن كل الأمل في استعادة البحرين .

أحداث عام ١٦٠٣م

صدرت مذكرات كبير الأساقفة في "غوا" الأب "أليكسو دي منيسيس" مبعوث الهند الشرقية من طائفة "سان أوغسطينو" "San Augustino" ، بتاريخ عام ١٦٠٦م ، ويذكر فيها خروج الرسل من هرمز إلى بلاط الشاه ، وهناك كانوا يحثونه على الحرب ضد الأتراك : [٥٢]

الكتاب الثالث الفصل الحادي عشر : كيف أمكن إقامة مستوطنة مسيحيين لم يسبق تعميدهم إطلاقاً ، وكيف أمكن تعميدهم في أبرشية "سيرا" .

أسقف "غوا" يرسل ثلاثة رهبان أوغسطينيين إلى شاه فارس .

استاء الأسقف ، لأن بدون سوقطرة لم يتم تحويلهم إلى عقيدة المسيح الصافية ، ولكن ربنا عزاه بوصول خبرين مختلفين تماما في الوقت ذاته ، جلبهما إليه الرهبان .

---

(٥٢) رقم الوثيقة والهامش.

كان الخبر الأول الذي ورد من أسقف سيرا ، ومفاده أن قرية من المسيحيين تم العثور عليها في "مالابار" ، ولم يسبق أن جرت فيها عمليات تعميد منذ سنوات كثيرة ، ومثل مسيحيين آخرين تم العثور عليهم ، كانوا مسيحيين اسمياً فقط ، وأرسل إلى هناك بعض الأهالي من "كانانور" "Cananor" ، والذين بسبب كونهم وطنيين ، لقوا استقبالاً أفضل وأنصت إليهم هؤلاء الناس ، وقاموا بالتنصير على نحو إقناعي أكثر في تلك الأنحاء .

تم الترحيب به ، وأعادوهم إلى العقيدة والطاعة الكاثوليكية ، وذهب الأسقف ليعمدهم ، وأمضى معظم فترة الصوم الكبير معهم ، وبنى كنيسة لهم تم ربطها مع بقية كنائس الأسقفية ، وتطابقت مثل الأخريات من جميع أمور المجمع الكنسي ، ووجه الأسقف الشكر الجزيل لربنا لاستخدامه كأداة لقدرة جلالته في تحوّل تلك الأسقفية ، وفي الزيادة الكبيرة في النصرانية هناك ، ووضع الكثير من الأرواح في الطريق إلى الخلاص .

الخبر الآخر الذي أسعده كثيراً ، وأسعد دولة الهند برمتها جاء من ثلاثة رجال دين من جماعة القديس "أوغسطين" ، الذين كان أرسلهم إلى الشاه ، ملك فارس العظيم ، لمناقشة أمور مسيحية معه ولرؤية ما إذا كانوا يستطيعون إيجاد طريقة لتبشير الوطنيين بالإنجيل المقدس ، وقد بعثوا معلومات بأنهم وجدوا ، أن الشاه يتخذ موقفاً ودياً ، إزاء أهدافهم ويرغب في الانضمام إلى جميع المسيحيين - كما كان مؤملاً - في الحرب ضد التركي .

أعتقد أن مما يسر القارئ ، أن يعرف السبب الذي جعل رجال الدين هؤلاء يذهبون إلى هذا الملك العظيم ، وما دار بينهم ، ولذلك ، وعلى الرغم من الخروج قليلاً عن غرض هذا التاريخ إلا أن الاستطراد لن يضايق أولئك الذين يقرؤونه .

عندما كان "دوم فرانسيسكو دي ماسكارينهاس" "Francisco de Mascarinhas" – "كونت دو سانتا كروز" "Conde de Santa Cruz" – نائباً للملك في دولة الهند هذه ، بدا ضرورياً ، وقد أمر بذلك أيضاً الملك الراحل "فيليب الثاني" ، أن يذهب سفير إلى ملك فارس العظيم نيابة عن الدولة ، وعن المسيحيين ليؤكد الاتفاقيات التي أبرمها مع ملوك البرتغال ، وجميع الحكام المسيحيين الآخرين ؛ وليشجعه على الاستمرار في الحرب ضد التركي ، وهو العدو المشترك للمسيحيين .

بحث مجلس الدولة موضوع الشخص الذي ينبغي إرساله ، ويكون أهلاً لأهمية المهمة ، وأدرك أعضاء المجلس أن الشخص الذي يرسلونه لملك جبار كهذا .

يجب أن يكون إما سفيراً ذا أبهة وفخامة ؛ ليمثل في البلاط سلطان ؛ وعظمة الملك المهيب الذي أرسله ، الأمر الذي يتطلب مصروفات باهظة لم تكن الدولة في ذلك الوقت قادرة على تأمينها ، أو أن يكون شخصاً ذا مكانة كافية ؛ ليجسد الثقة العظيمة التي تم إيلاؤها له ، وأن يكون ذا مكانة ومهنة بحيث يكون واضحاً أن الأبهة والفخامة التي ستوفرها الدولة إذا سمح أسلوب حياته بها تتلاءم مع سلوكه .

لهذا السبب اختار نائب الملك الكاهن المبجل ، وخادم الرب العظيم الأخ "سيماو دي مواريس" ، الذي أصبح لاحقاً أسقف ، وكاهن جماعة القديس "أوغسطين" في تلك الأنحاء ، وقد حاز كل الصفات التي يمكن أن تكون مطلوبة فيما يتعلق بالشأن والنفوذ والمهابة ، وفوق كل شيء ، كان يجيد اللغة الفارسية إجادة تامة .

وعندما علم ما أراده نائب الملك منه ذهب إلى هرمز ومن هناك إلى فارس .

عندما وصل إلى بلاط الشاه ، رحب به الملك وجميع الأعيان ترحيباً حاراً ، وزاد ترحيبهم به بدرجة أكبر عندما استمعوا له ، يعلن عن بعثته باللغة الفارسية بفصاحة وبلاغة عظيمتين ، وكأنه يتحدث لغته الأم ، الأمر الذي أصابهم بدهشة كبيرة ، وأصبح الملك متعلقاً به إلى حد أنه اصطحبه إلى القصر ، وسُرَّ من أخلاقه إلى حد أنه عينه مدرساً خصوصياً لابنه الأمير ، في مادتي الرياضيات والكرة السماوية (الفلك) اللتين كان ضليعاً فيهما .

عمل الكاهن على استثمار هذه الفرصة ، فأصبح يعامل تلميذه بود بالغ إلى حد ، جعل الأمير يتعلق به ، وجعل وجهاء فارس يتأكدون من أنه سيصبح نصرانياً عندما يتوفى والده ، وكان التلميذ مهتماً كثيراً بالأمور المسيحية ، وكان يبجِّل صورة المسيح التي أعطاها له الكاهن "سيماو" ، وصوراً أخرى للسيدة العذراء وبعض القديسين الآخرين .

في هذا الوقت كان الكاهن "سيماو" يعظ بعض الناس ، ولا سيما داخل القصر ، ولكنه كان يعظ آخرين خارجه ، وقد جاءوا إليه لاحقاً ،

وقام بتعميدهم ، ومن بين أولئك الأشخاص فيلسوف عظيم معروف داخل البلاط بعلمه ، وقد جاء معه إلى هرمز ، وقد شك هذا الرجل في كثير من الأحيان فيما إذا كان الدين المحمدي هو الدين الحقيقي ؛ حيث وجد فيه الكثير من الأشياء غير المعقولة المناقضة للفلسفة والجوهر وخلود الروح الحقيقي .

نظراً إلى أنه رغب في التنُّور في الحقيقة ، ودعا مخلصاً من أجل ذلك الله الذي لا يخيب أبداً رجاء أولئك الذين يفعلون من جانبهم ما هو ضروري لإنقاذه ، فقد كشف له عن أن برتغالياً سيأتي في سنة من السنوات إلى بلاط الملك ، وهو يرتدي ملابس محددة ، وله سمات معينة ، وأنه يلقنه الحقيقة .

عندما رأى الكاهن "سيماو" ، خادم الرب ، أدرك أن هذا هو الرجل الذي تم إبلاغه عنه ، فسعى إليه ، وأبلغه بكل الذي حدث ، وتلقى العقيدة ، وقد عمده الكاهن واصطحبه بعيداً هو وزوجته وأطفاله كما سنرى لاحقاً ، ولم يعد أبداً بعد ذلك إلى بلاد الكفار .

قد تم جني ثمار كثيرة في فارس بهذه الوسيلة من الوعظ السري ، وكان تدريس الكاهن "سيماو" فعالاً إلى حد أنه بدا أن باب هداية تلك الممالك الشاسعة بدأ يُفتح ، وأنها ستعتنق العقيدة التي حملوها خلال الأيام الأولى للكنيسة مع تحقيق مكاسب كهذه للمسيحية .

كان الدافع الأساسي للبعثة هو تأكيد السلام مع النصرانية والحرب ضد التركي ، وفي هذا الصدد كان الكاهن "سيماو" ناجحاً إلى حد أن رسل التركي - الذين كانوا مشغولين في البلاط في التفاوض بشأن

اتفاقيات السلام ، والزيجات لتأكيدها - تم إبعادهم ، وقد حث الملك على شن الحرب ، وقد قرر أن يرسل رسولاً إلى البابا وملك البرتغال والحكام المسيحيين الآخرين ، وأن يتحالف معهم ضد التركي ، حتى يهاجموه أجمعين في وقت محدد متفق عليه .

أراد الملك من الكاهن "سيماو" أن يرافقه ، حتى تكون البعثة أكثر فعالية ، ولكن الكاهن أراد أن يتفادى هذا حتى لا يترك الأمير بسبب الآمال التي ساورته في أن يجعله يعتنق عقيدة المسيحة عند وفاة والده ، الذي كان عجوزاً ، وبذلك يجعل البلاد برمتها تعتنق المسيحية ، ولكن ، وبسبب تحريض من أفراد حاشيته الذين كانوا غيورين إزاء النفوذ الذي كان الكاهن يتمتع به على الأمير ، أصر الملك .

رأى الكاهن أيضاً أن القضية قضية عالمية ، وتخدم مصلحة المسيحية ، ورأى أن كلا هذين الأمرين يمكن أن يتحقق ، بإذن الله ، في حال مضى قدماً مع الرسول ؛ لتطوير الحلف ضد التركي ، وعاد بعد ذلك معه لعمل الهداية إلى المسيحية الذي كان مشغولاً به .

هكذا أبحر بثمار وعظة ممثلة في الأشخاص الذين حولهم لاعتناق المسيحية ، ومن بينهم الفيلسوف وزوجته وأطفاله ، ولم يتم تعميد هذه المرأة بعد ، ولم يتم إدخالها في عقيدة المسيح ، وقد سببت متاعب كثيرة لزوجها ؛ لأنه ترك عقيدة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وأصبح نصرانياً على الرغم من رفضها الشديد .

لكن ، وبسبب حبها لزوجها وأبنائها ، غادرت بلادها ورافقتهم ، وقد حزن زوجها لعدم رضائها ، وعندما أبلغ الكاهن بذلك أعطاه صورة

السيدة العذراء ، وقال له أن عليه في كل وقت يشعر فيه بالحزن أن يخرج صورة السيدة العذراء ، ويطلب منها مساعدته في حزنه ، وأن يرجو من ابنها المقدس – الذي تحمله بين ذراعيها – أن يهدئ زوجته ، ويجعلها تعتنق المسيحية .

فعل المسيحي الطيب هذا ، وحدث في صباح أحد الأيام عندما كان تحميل الجمال جارياً للقيام بالرحلة ، ووضع الزوج زوجته وأطفاله على ظهور الجمال ، وبينما هو يفعل ذلك سقط أحد أبنائه الصغار ؛ ونظراً لضعفه فقد انكسرت ساقاه ، وبدأت الأم بتقطيع شعرها ، وضرب نفسها غضباً ونفاذ صبر نسائي ، وأخذت تنوح جراء الكارثة التي وقعت عليها وعلى ابنها ، وألقت اللوم كله على زوجها لجلبه أطفاله الصغار عبر طرق مجهولة مع جميع هذه البلايا ؛ لكي يصبح مسيحياً .

ودعت محمداً (عليه الصلاة والسلام) لينزل عليه العقوبة التي يستحقها لارتداده عن دينه ، وقالت إنها لن تتحرك من تلك البقعة إلا لتعود إلى بلدها مع أطفالها ؛ لتعيش هناك في ظل العقيدة التي آمنت بها دائماً مع أشقائها وعشيرتها .

لم يتمكن زوجها من تهدئتها ، ولم يعرف ما يفعل للطفل الذي كان يحمله بين ذراعيه ، وقد كسرت ساقاه ، وأثناء حزنه أخرج صورة السيدة العذراء ، وحملها في يديه ودعاها ، وهو يبكي لمساعدته ، وبثقة ألهمتها له السماء وضع الصورة على ساقي الطفل .

عند ذلك شعر بالرحمة الإلهية التي لا تخذله عن الأتباع ، ولا تجلب علينا معاناة ؛ لنتعرض لأكثر مما نتحمل ؛ إذ إن الصورة عندما

لامست ساقي الطفل عادتا كما كانتا في السابق ، وقد لقي المؤمن الجديد التأكيد في عقيدته وأصبحت زوجته غير المصدقة على استعداد ؛ لتلقي هذه العقيدة .

وصلوا جميعاً إلى هرمز حيث استقبل قائد القلعة "ماتياس دي البوكيرك" - الذي أصبح لاحقاً نائب الملك في الدولة - الكاهن "سيماو" بفرح غامر بسبب الأشياء التي حققها في فارس ، والآمال التي أتى بها بتحقيق مزيد من التقدم ، كما كان سيوضح بنفسه لنائب الملك إذا وصل إلى هناك .

عمّد خادم الرب بعد ذلك جميع الذين اعتنقوا المسيحية الذين جلبهم معه ، وأرشد زوجة الفيلسوف وأطفاله أيضاً ، وذهب معهم جميعاً إلى "غوا" ، تحيط بهم ثمار وعظه السعيدة ، ومن هناك اتجه للبرتغال مع رسول الشاه على متن السفينة القرقور "بوا فياجيم" .

أصر الفيلسوف على أن يفترق عنه ، وقال إن لديه أشياء يريد توصيلها إلى البابا عن القضاء على دين محمد (صلى الله عليه وسلم) ، والتي توصل إليها في الوقت الذي علم فيه أن كاهناً برتغالياً سيعلِّمه الحقيقة .

لكن وبما أن أحداً قد لا يستطيع اختراق وسبر أغوار أسرار الرب ، وقمم الحكمة الإلهية ، فإن جميع هذه الورود التي بدا أنها تبشر بتلك الثمار العظيمة ذبلت وذوت وهوت إلى البحر عندما فقدت السفينة التي كانوا على متنها ، وفقد معها جميع الذين كانوا على متنها ، ولم تسمح خطايا الفرس لعمل هدايتهم أن يزدهر ، ولكن الرب كافأ فضائل خادمه الكاهن "سيماو" .

كان هناك نذير بهذه الأشياء منذ اليوم الذي استلم فيه رداء الراهب في مجمعنا في "كويمبرا" في عمر مبكر للغاية ؛ إذ إنه وخلال توجهه من منزل والده مصحوباً به وبآخرين ذوي صلة به ، حطت حمامة بيضاء وجميلة للغاية على رأسه ، وهي ترفرف بجناحيها ، ثم طارت وعادت تحلق في الأجواء التي حطت منها وسط دهشة الجميع الذين شاهدوها ، ورأوا فيها نبوءة بما ستكون عليه حياته ، وما سيكون عليه صفاء وقدسية مهنته .

نتيجة لاتصاله بالكاهن "سيماو" - الذي سمّاه المعلم والراهب - أصبح أمير فارس مرتبطاً بدرجة كبيرة بالنصرانية ومؤيداً لجميع النصرانيين ، وكان غير راغب في أن يصبح أي شخص مسلماً في أراضيه .

لم يبد حماساً أو اهتماماً بالمعتقدات الإسلامية ، وبقي كذلك بعد وفاة والده ، عندما أصبح ملكاً ، وقد جعله هذا مكروهاً من شعبه ولا سيما من المتحمسين لدينهم الزائف ، وكبار رجال الدين الذين شجعوهم على كراهيتهم ، وتآمروا ضده ، وصمموا على قتله ، وقالوا إنه قصد أن يصبح مسيحياً ، وأنه سيقتل جميع الرجال البارزين في فارس الذين لن يصبحوا مسيحيين .

على الرغم من أن المؤامرة تم اكتشافها ، وتم قطع رؤوس عدد كبير ؛ لأنه كان قوياً وجريئاً للغاية ، إلا أنه لقي مصرعه في المؤامرة الثانية على يد حلاق كان يثق به ، فما هي نيات هذا الملك ، وما هي عقيدته ، وما هي خاصية وفاته في عيني الرب؟ إذ إن ذلك كان هو سبب وفاته ، ويعود

الأمر لحكمة الرب العظيمة الذي يخترق قلوب الرجال ؛ ليعرف نيات هذا الملك ، وإلى أي حد يدخل في أمور العقيدة ودين المسيح؟

إلى أي مدى دخل في دين محمد (صلى الله عليه وسلم) وما هو مقدار الأمل الذي كان يراوده بشأن النتائج التي اعتقد شعبه أنه تطلع إليها ، وكل ذلك جاء من حمايته للكاهن "سيماو" ، خادم الرب ، والتعاليم التي تلقاها منه .

جاء من المصدر ذاته الميل الذي كان الملك يجده تجاه جماعة القديس "أوغسطين" إذ إنه ما دام يحكم ، وقد حكم لفترة قصيرة بعد وفاة والده ، كان يحب دائماً أن يكون له أعضاء من الجماعة بالقرب منه ، وأظهر رعاية كبيرة لواحد كان هناك مصادفة .

لكن وبما أن الوقت كان قصيراً للغاية لم تكن هناك فرصة ، ولم يكن بمقدور الأوغسطينيين الحصول على واحدة ، وبالإضافة لعطف الملك الذي كانوا سيتمتعون به ، وحتى من دونه كانوا يحظون دائماً بالتقدير البالغ ، وقد اشتهروا في أنحاء فارس .

كان هذا لأن الفرس في قلعة هرمز - التي يعيش فيها أجدادنا - الذين يلجأون إليهم للمساعدة في المفاوضات مع القائد والضباط ومع القانون في كثير من الأحيان .

عند وفاة هذا الملك خلفه على العرش أحد مريدي الكاهن "سيماو" ، وهو شقيق الملك الأصغر ، ويحكم الآن تحت اسم الشاه عباس ، وعلى الرغم من أنه لم يكن لديه اتصال وثيق بالكاهن "سيماو" إلا أنه كان يبجله ، ويضعه في مكانة رفيعة بسبب شقيقه ، وكان يتحدث إليه في كثير

من الأحيان عن أمور ذات صلة بالعقيدة الكاثوليكية ، وأصبح مهتماً أيضاً بالنصرانية ، وقدم المساعدة للنصارى .

كان يحب أن يستخدمهم ، وهناك الكثير منهم في بلاطه ، وينتمون لجنسيات مختلفة ، ويعيش الكثير منهم في أراضيه ولا سيما الجورجيون ، ولدى الكثير منهم زوجات مسيحيات من تلك العقيدة والدولة والطائفة ؛ إذ إنهم منشقون ويختلفون في أمور كثيرة عن نقاء عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة .

عرف الأسقف "دوم اليكسو دي مينسيس" بهذا من مسيحيين مختلفين جاءوا من بلاط الملك ، ومن بينهم بعض البرتغاليين الذين كانوا هناك ، وكان هناك على وجه الخصوص كاهن من الجماعة الأوغسطينية ، كان هناك ولقي معاملة جيدة للغاية من الملك ، الذي أعرب له عن تعلق خاص بتلك الجماعة التي كانت هناك مشيراً إلى أنها جماعة الكاهن "سيماو" ، مدرس شقيقه .

عندما طلب أنباء عن الهند وعلم – من بين أشياء أخرى – أن أسقف "غوا" ، وهو كبير أساقفة جميع النصارى في الشرق ، كان ينتمي إلى الجماعة ذاتها ، وكان يرتدي رداء الراهب ذاته ، أحس بسعادة غامرة ، وأبلغ الكاهن بأن عليه أن يكتب ، ويطلب منه إرسال كهنة من الجماعة من أولئك الذين عاشوا في هرمز ، وأنه سيكون سعيداً باستقبالهم في بلاطه .

عند إطلاع الأسقف على هذا ، دفعه حماسه والتزامه بهداية جميع كفار الشرق إلى إرسال رهبان إلى هناك للسعي من أجل هدايته وتحويله إلى النصرانية ، وإذا لم يتمكنوا من إنجاز ما سعوا إليه ، فسيقدمون خدمة

عظيمة على الأقل لربنا بمنح الأسرار لكثير من النصارى الكاثوليك ، الذين يذهبون إلى ذلك البلاط أو يزورنه ، وسيعيدون أكبر عدد من المنشقين ، ويتمكنون من إعادته إلى نقاء العقيدة ، والانصياع إلى كنيسة العذراء في روما .

بمقدورهم علاوة على ذلك تشجيع الملك شن حرب على التركي ، عدوه المحدد وعدو النصارى عامة ، وجميع الأمور ذات الأهمية البالغة التي يمكن توقع تحقيق نجاح كبير فيها .

بينما كان الأسقف يدرس هذه الأشياء ، حدث في عام ١٦٠١م ، أن أمر الملك "فيليب الثالث" نائب الملك ، "أيرس دي سالدانها" ، بأن يرسل رسولاً برسائل منه إلى ملك فارس ذاته ، كما فعل أسلافه دائماً ، بشأن المحافظة على السلام والصداقة مع دولة الهند ومع جميع المسيحيين ، ولحثه على أن يكون أكثر مساعدة للشاه في هذه الأنحاء من آسيا ، وللمسيحية برمتها حيث كان الإمبراطور في حرب مع التركي في ألمانيا والمجر .

بما أنه كانت هناك الأسباب ذاتها التي تدفع الدولة لإرسال رجل دين ، إن كان هناك واحد منهم ، كما كان سائداً عندما أرسل الكاهن "سيماو" ، فقد تم ترك اختيار أكثر شخص ملائم للمهمة للأسقف .

كانت نيته هي إرسال أشخاص يستطيعون شغل أنفسهم بالكهنوت ، كما ذكرنا ، واختار ثلاثة رهبان من جماعة القديس "أوغسطين" يتميزون بكفاءات عديدة ، وبكثير من الطاقة .

كان أحدهم هو الكاهن "جيرونيمو دا كروز" "Jeronimo da Cruz" ،

وعمره خمسة وستون عاماً ، ولكنه كان قوياً إلى حد أنه كان يوشك على السفر إلى البنغال ؛ ليبشر بالإنجيل .

قد كان رئيس المترهبنين الجدد بالنسبة للأسقف في دير "لشبونه" حيث التحق بالجماعة ، وأصبح رئيساً لعدد من الأديرة في المقاطعة ، وكان يلقي عظاته في كل مكان في "ساو جورج دا مينا" "Sao George da Mina" و"ساو تومي" "Sao Tomi" ، ولم يرغب بعد ذلك في أن يقبل منصب أسقف الأبرشية في البرتغال ، وقد شارك في حملة ضد إنجلترا ، وبعد أن فر من تدميرها جاء إلى تلك الأنحاء ؛ ليبشر بالإنجيل ، ويهدي الكفار إلى المسيحية .

الراهب الثاني هو الكاهن "كريستوفاو دو اسبيريتو سانتو" "Christofao de Espereto Santo" ، الذي جاء مع الأسقف ، وكان في ذلك الوقت رئيس المترهبنين في دير "غوا" ، وكلاهما متدين ، وأدعو الرب ، فيما يتعلق بهما ، أن يمكنني أو يمكن غيري لتقديم بيانات تفصيلية .

قد تم إرسالي كرفيق لهما ؛ اعتقاداً بأن القليل سيتم توجيهه لتدريس اللاهوت ، الذي انشغلت به ، مقارنة بالدروس المتعلقة بالفضيلة التي كنت سأتلقاها من أمثال أولئك الرفاق .

انطلق ثلاثتنا ونحن نحمل ألقاب رسل ، حاملين الرسالة التي بعث بها صاحب الجلالة إلى الملك وآخرين من نائب الملك والأسقف ، مع حضور شخص ملائم وأشياء بعث بها الأسقف ؛ لتشجيع انتشار المسيحية ، وهكذا غادرنا "غوا" في فبراير عام ١٦٠٢م .

الكتاب الثالث الفصل الثاني عشر : كيف غادر الرسل الأوغسطينيون الثلاثة هرمز وسافروا إلى أن وصلوا إلى بلاط الشاه ، وما حدث لهم في الطريق .

عندما وصلنا إلى هرمز وجدنا حالة الأشياء صعبة للغاية ، ومختلفة للغاية عما توقعناه عندما غادرنا "غوا" ؛ بسبب الحرب التي كان أتباع الشاه الفرس يشنونها على القلعة .

قد فرض سلطان شيراز حصاراً على قلعتنا في "غومبرون" ، واستولى على جزيرة البحرين ، وقتل على نحو غادر "القاضي" (Guazil) الذي عينّه ملك البرتغال وكان شقيق "قاضي" هرمز .

كانت الذريعة هي أن البحرين كانت تابعة له ، وكانت تابعة في الماضي للشاه ، وأن الأتراك انتزعوها من الفرس بقوة السلاح ، وأن البرتغاليين استولوا عليها من الأتراك بالطريقة ذاتها ، ودافعوا عنها لاحقاً مرات عديدة ضد الأتراك بجهود جبارة وبكثير من سفك الدماء .

رأى سلطان شيراز - الذي كان الشاه قد عيَّنه حديثاً في السلطة في مملكة "لار" - أن برتغاليي هرمز عازمون على استعادة البحرين ، ومن أجل إلهائهم عن هدفهم هذا ، هاجم قلعة "غومبرون" ، الواقعة على البر الرئيس الفارسي ، بقوة ضخمة .

عندما وصل رهباننا كان الحصار مفروضاً منذ شهر ، وعلى الرغم من أن هذه الحرب بيننا وبين فارس ، كان يمكن أن تردعنا ، بما أننا وجدنا الوضع مختلفاً للغاية عما كان عليه عندما تم إرسالنا ، لأننا لم نكن رسلاً فقط للملك الدنيوي ، لمعالجة أمور دولة الهند ، بل كنا أساساً

رسل ملك السماء ؛ لنعالج خير الأرواح ولهداية الفرس ، ولذلك نهتم كثيراً ببلايا الحرب بل دخلنا مناطق العدو وتابعنا رحلتنا .

قد حصلنا على فرمان بسلامتنا من سلطان شيراز الذي لم يجرؤ على أن يلحق بنا أي أذى بما أننا كنا نحمل معنا هدية إلى الملك ، وسيتعرض للتقريع في حال مس أي شيء يخصه .

كان السلطان متأكداً أيضاً من أننا سنصل ، وأدرك أن السلطان لم يعرف كل الذي فعله بشأن هرمز ، وأننا كرسل سنبلغ الملك ، وسنتفاوض بشأن السلام ، ومن أجل استئناف القوافل .

بسبب الحرب لم تكن القوافل تأتي منذ سنوات كثيرة ؛ ونتيجة لهذا لم تكن دار الجمارك تتلقى أي إيرادات وكانت المدينة بحاجة ماسة إلى المال .

فور وصولنا إلى البلاط ، باشرنا الاهتمام بحرص بكل هذه الأمور ، وأرسلنا فرماناً من الملك لكي يتم رفع الحصار ، وبدأ تسيير القوافل من جديد ، وساد السلام والمودة على الرغم من أن الشاه لم يعط رداً مرضياً بشأن استعادة البحرين ، وقال إنها لم تنتزع من البرتغاليين ، وإنما من أتباع ملك هرمز ، والذي تابعاً له ، وأن المسلمين التابعين له كانوا أفضل من أولئك الذين هم شعب أتباعه ، وأن البرتغاليين يستطيع إبرام المعاهدات ذاتها معهم كما فعلوا مع ملك هرمز .

من أجل رؤية كل الذي فعلناه خلال رحلتنا ، والتعامل مع الأمور التي تفاوضنا بشأنها مع الشاه فيما يتعلق بالدولة والمسيحية ، رأى كبير الأساقفة أن الرسالة التي بعثنا بها إليه ، والتي ذكرنا فيها بصدق

وإيجاز ما حدث لنا – يجب نسخها هنا ، وهو ما سنفعله باستطالة أكثر (إذا شاء الله) ، وفيما يلي نص الرسالة :

رسالة الرسل "الأوغسطينيين"

نحن غير متأكدين من أن الرسائل الأخرى التي كتبناها لفخامتكم من أماكن متعددة تم تسليمها لكم ، لأننا تلقينا ردوداً من رهباننا في هرمز إلى آخرين ، وقد أرسلناها معهم ، ونحن لا نعرف ما حل بحامليها ، ومن أجل التمشي بشكل كامل مع أمر فخامتكم ، نكرر في هذه الرسالة – باختصار قدر الإمكان – ما حدث لنا منذ أن غادرنا مدينة "غوا" إلى الآن (بمساعدة الرب) .

الذي كتبناه في رسائل أخرى ذات صلة بالأماكن التي كتبناها فيها ، وهناك أشياء نرى أنها ستمنحكم عزاء أكثر ، وهي ممجدة لله بكل تأكيد ، وهو الهدف الرئيس لرحلتنا ، وهو ما يرى فخامتكم أنه يبرر العناية التي أبديتموها ؛ لترتيب حضورنا إلى هنا .

قد شاء الرب أن نصل بسلام إلى هرمز ، على الرغم من التعب والإرهاق خلال الرحلة التي استغرقت أياماً أكثر مما توقعنا ، وقد شعرنا بالأسف تحديداً ؛ لأنها استمرت خلال أسبوع الآلام والفصح ؛ ولأننا حرمنا من سلوى القداسات الإلهية في هذا الوقت المقدس .

كنا نأمل في قضاء هذا الوقت في ديرنا مع إخواننا ، ولا سيما العشاء الرباني في خميس عشاء الرب ، وهو يوم خاص لقساوستنا ، وأداء الصلاة في يوم البعث ، والاحتفال بالوليمة الإلهية ، والابتهاج عند مذبحة مع إخواننا .

من جهة ثانية فقد اعتبرناها بشارة وإشارة جيدة على رضا الرب ،

بالبدء بإماتة أجسادنا بدءاً بالأشياء التي تمس أرواحنا أكثر من غيرها ؛ بحيث إنها عندما تمس أجسادنا لن نشعر بها بدرجة كبيرة ، وقد شعرنا جميعاً بهذا كسلوى وسط هذا الحزن الآخر .

قد وجدنا القلعة في حالة حرب مع قوات الشاه ، التي كانت تحاصر القلعة في "غومبرون" ، بسبب الاستيلاء على البحرين ، كما سيعرف فخامتكم ، وأرسل سلطان شيراز - الذي كان يفرض الحصار - معلومات لنا بأننا نستطيع المرور بأمان ، ولكن آخرين قالوا إننا يجب ألا نثق به ، وإنه بعد كل شيء ، مسلم وعدو عقيدتنا الكاثوليكية وإنه في حالة حرب معنا .

عموماً ، لم نكن خائفين ، ولكن ، وعبر رحمة الرب ، جعلنا ذلك أكثر قوة ، وعندما قيل لنا أن برتغالياً رفض قبل أربعة أيام بعد اعتقاله إنكار عقيدة المسيح عندما أمروه أن يفعل ، وأنهم قطعوا رأسه ، بدا لنا أن هذا الطلب إذا عرض علينا ، فإن أهدافنا ستتحقق سريعاً .

لكن خطايانا كانت كافية لتبعد هذه الميزة منا ، وبدلاً من معاملتنا بطريقة سيئة ، وهو أمر كان سيكون أفضل وكان بمقدوره أن يفعله ، أظهر لنا عطفاً ومودة .

بما أننا كنا نحمل رسالة من ملكنا لملكه وهدية ، فقد أعطانا فرماناً حتى نعطى مقابل ما لنا كل ما هو ضروري للرحلة مع أمان عظيم وعناية كبيرة .

الرهبان يغادرون خيمة سلطان شيراز .

غادرنا خيمته في السابع عشر من مايو راغبين في أن نسرع للقيام برحلتنا ، ولنطلب من الملك أن يضع حداً للحصار ، ويسمح للقوافل باستئناف رحلاتها ، وكان هذا بسبب الدولة ، لأن دار الجمارك لم تكن تتلقى إيرادات للنفقات ، وتزويد القلعة بالمؤن ، والدولة التي كانت تعاني من شح الأموال للحرب في الجنوب .

قد بدأنا رحلتنا ونحن بصحة جيدة وبسرور بالغ على الرغم من أننا كنا سنستمتع بها بدرجة أكبر ، لو أنها تمت بصليب في يد وكتاب صلوات يومية في اليد الأخرى ، وكان ذلك سيجعلنا نبدو رسلاً على نحو أكثر لملكنا الحقيقي والعظيم المسيح وحالة الفقر التي نذرناها .

لو أننا سافرنا بتلك الصورة ، ونحن بأنفسنا نحس أن رسالتنا الأساسية ، وهي الدعوة لربنا العظيم ونشر أنجيله بين هؤلاء الناس البائسين العمي ، سجناء الشيطان ، لكانت رسالتنا أكثر تأثيراً .

لكننا كيّفنا أنفسنا مع نصيحة فخامته ، ومع اللقب الذي أعطانا إياه كرسل لملكنا الدنيوي ، وبدأنا الرحلة ونحن محملين بحقوق مهمتنا غير ذات الصلة مع أهدافنا .

في هرمز استلمنا خمسمائة "برداوس" فقط ، قدمها لنا وكيل الملك التجاري ؛ لإنفاقها على المصاريف الشخصية ، ودواب لتحمل الهدية .

بالنسبة لرحلة طويلة كالتي كنا ننوي القيام بها ، إلى حيث يوجد الملك ، والتي تبعد عن بلاطه العادي في أصفهان كمسافة أصفهان من هرمز ، تعين على رئيس دير الرهبان أن يزودنا بصدقات من الدير ، وبصدقات أخرى من أفراد .

لكن وعلى أي حال ، فقد تمكنا ، بالقدر الذي يعنينا ، من القيام بالمهمة على الرغم من الفقر المقدس والحرمان الملازم لمهنتنا ، وعلى الرغم من أننا كنا مرهقين من قطع الهدية التي كنا نحملها ، إلا أننا وجدنا العزاء في أملنا بالله بأن هذا سيكون بمثابة وسيلة لرغباتنا ، وأنه متى انتهت المهمة ، فإن هذه العوائق - التي كانت هائلة - ستصل إلى نهاية أيضاً (وهي تنتهي فعلاً) ونستطيع أن نبدأ التعامل مع ما جاء بنا أساساً إلى فارس .

صعوبات الرحلة

اكتشفنا خلال الرحلة - جراء المشقة - أو بما يحقق مكاسب لأرواحنا ، مدى القوة التي تتحقق من خلال الطاعة ، وقد سافرنا مسافة خمسمائة فرسخ عبر البلاد ، عندما كانت الشمس في أوج حراراتها ، في أماكن كثيرة دون أي ملاذ سوى خيمة صغيرة لا توفر إلا حماية طفيفة الأمر الذي أجبرنا على السير ليلاً ، وأخذ قسط من الراحة فقط على جانب الطريق إلى أن تلحق بنا الجمال ، وتوقظنا بجلبتها .

في إحدى الليالي لم نتمكن من أن نجد أي مكان لنيل استراحة قصيرة لأن الأرض كانت مغطاة بالحجارة ، وعلى الرغم من ذلك بقينا في صحة جيدة (والحمد لله) .

وجدنا أن المسلمين لا يقدمون العون بسبب الحرب التي بدأت مؤخراً ، وعلاوة على ذلك ، كانوا ميالين لأخذ موقف عدائي تجاهنا ؛ لأنهم كانوا يرتابون في طبيعة أهداف ثلاثة رهبان ، ولذلك اضطررنا

إلى أن نتخلى عن القافلة ، ونسافر وحدنا لعدة أيام ، ونحن نعاني من الخوف من أن نقع في أخطاء أخرى ، تهدد حياتنا .

لم نفكر كثيراً في أنفسنا وشعرنا بالحزن فقط من الاحتمال المعروف لنا جميعاً ، وهو أننا ربما نتوه عن الطريق ، أكثر من خوفنا من المصير الذي قد يلم بنا كأفراد ، وهو أمر مفروغ منه ؛ لأننا سنموت ونحن في طاعة مقدسة .

كنا نثق أيضاً في رحمة الله ؛ إذ إنه إذا كتب علينا ذلك ، فسيمنحنا العلاج له كرب كريم ، وهو يعرف ما عانيناه ، وفي الحقيقة أن كل يوم جديد كان يفوق سابقه معاناة ، وقد نفق نصف الجمال التي استخدمناها لحمل الهدايا - وكانت تلك الجمال حيوانات قوية قادرة على تحمل المشقة - وكانت بقية الجمال ستلقى المصير ذاته لولا أننا غيرنا حمولاتها .

في بعض الأحيان يهلك أحد الجمال في وسط الصحراء وهو ما جعلنا نقف وتعجز عن الاستمرار ، وكانت الشمس تلهب أجسادنا وتجعل جلودنا تتقشر إلى أن أغاثنا الله برحمته .

في إحدى المرات ، فقدنا الجمال عندما كنا على جبال مرتفعة للغاية ، ولم تكن لدينا أي طريقة لمعرفة الاتجاه الذي يؤدي إليه الطريق ، وكنا نعاني من هذه الحال طوال الليل وخلال الجزء الأكبر من اليوم التالي دون أي خيمة أو أي من الضروريات الأساسية التي كانت تحملها الجمال ، ولم يكن هناك أحد يدلنا على الطريق ، ونحن في بلد دون أي سلوى بشرية .

الأمر الذي أدهشنا ، هو الصبر والانشراح والقوة لدى الراهب "جيرونيمو" - وكان عمره خمسة وستون عاماً - الذي كان يذكرنا على نحو مستمر برحمة الله التي يبديها لأولئك الذين يعانون من أجله ، وعلى الرغم من أننا تخيلنا في بعض الأحيان سكون الصومعة إلا أياً منا لم يكن مستعداً ؛ لأن يستبدل مشقات هذه الرحلة بهدوئها وراحتها .

لم يكن السفر عبر فارس بتلك الصورة دائماً ؛ بسبب الموسم الذي كنا نسافر خلاله ، وبسبب أنباء الحرب ، ولحداثة عهدنا في التعامل مع المسلمين - الذين كانوا يرتابون فينا - ولجهلنا بالطرق .

في خاتمة المطاف ، وصلنا إلى الملك - الذي كان في مملكة خراسان البعيدة كثيراً عن بلاطه العادي ، وقد كان سعيداً بالانتصارات الكثيرة التي حققها في الحرب ، وقد وصلنا إلى الوجهة التي كنا نقصدها بعد رحلة شاقة وخطيرة .

الرهبان يصلون ويتحدثون إلـى الملك

فور وصولنا إلى جيش الملك عملنا على إبلاغه ؛ ليعرف بقدومنا ، فأرسل لنا على الفور ، واستقبلنا بحفاوة ، وقد بدت علامات السعادة عليه ، وقضينا معه عند لقائه للمرة الأولى خمس أو ست ساعات ، وطرح علينا أسئلة عن أشياء كثيرة بشأن أوروبا وإسبانيا ، والهند ، وطريقتنا في الحياة والجماعة .

قدمنا له الهدية التي سُر بها كثيراً ، ولا سيما الكتاب التثقيفي الذي أرسله فخامتكم إليه وبه صور عن حياة السيد المسيح ، وكان متلهفاً لأن نشرح له كل هذه الأسرار ، وهو ما فعلناه بكل سرور ،

واعتبرنا ذلك بداية جيدة للغاية لأهدافنا ، ولنشر الإنجيل المقدس – وهو ما أحضرنا إلى هنا – لنفسر الأسرار الكبرى للملك في البداية ، وقد استمع إلينا بسعادة واضحة ، ثم رواها بعد ذلك إلى الأشخاص الذين كانوا حاضرين في بلاطه .

كان يقيم في ذلك اليوم وليمة كبرى لجميع النبلاء ، وطلب منا حضورها لنطّلع على ما يتمتع به من عظمة ، وخلال الحديث قال علانية : "إنني أقدر بدرجة كبيرة ، إقدام هؤلاء الرهبان أكثر من تقديري للمساجد وصلوات جميع الأتراك في العالم" .

الحمد لله على أنه لديه رغبة عظيمة في الأشياء الخاصة بسيدنا المسيح ، وأن لديه كراهية للأشياء الخاصة بالتركي ، ولكن حتى هذه نراها رحمة عظيمة من الله من أجل خير النصرانية جمعاء .

بعد هذا الاستقبال الأول – والذي كان في مشهد ، مرت عدة أيام دون أن يرانا أو يرسل إلينا ، وكان خلالها يستعد للمغادرة إلى أصفهان حيث كان يقيم عادة .

أرسل إلينا بطلب منا مرافقته ، بعد أن أمر بتجهيز جميع اللوازم للرحلة ، وأرسل إلينا أشياء أخرى كثيرة كهدايا ، ولم نقبلها قائلين إن حالتنا ونذور رهبانيتنا لا تسمح لنا بقبول تلك الهدايا ، لأننا فقراء وملزمون بالعيش كفقراء .

اندهش هو وأفراد حاشيته إزاء هذا الموقف وأبدوا إعجابهم ، وهكذا فإن الفضائل الإنجيلية تبدو جميلة حتى بالنسبة لأعداء الإنجيل .

خلال الرحلة غمرنا برعايته وتكريمه البالغ ، ولم يقبل إلا بسفرنا جنباً إلى جنب معه محتفظاً بنا دائماً بالقرب منه ، وفي كثير من الأحيان كان يجعلنا نجلس على مائدته لتناول الطعام ونحن أقرب موقع منه .

الرهبان يدخلون مدينة أصفهان مع الملك .

جرت ترتيبات كبيرة للترحيب بدخول أصفهان في أجواء من الأبهة والاحتفالات .

لأننا اعتقدنا أن من غير الملائم أن ندخل المدينة إلى جانب الملك ؛ إذ إنه جعلنا نتبع خطاه ، فقد أجرينا تغييراً لنتقدم عنه قليلاً ، ولكن ، وعندما أوشك أن يدخل واكتشف أننا لم نكن بجواره أرسل ثلاثة فتيان الواحد تلو الآخر ، لاستدعائنا واصطحبنا معه ، وهو يتحدث إلينا واحداً واحداً عن النصرانية .

عندما كان موضوع الحديث هو القديس "جيمس" "James" ، كبير قديسي الحروب النصرانية ، قال إنه يكن له إعجاباً عظيماً بسبب ذلك ، واقترب الراهب "كريستوفاو" ، وأبلغه أنه يحمل معه أثراً مقدساً من الأب الرسولي ، فطلب منه الملك أن يريه إياه ، وأطلعه الراهب على صليب من خشب اللاك من اليابان ، كان يضعه حول عنقه ، وأخذه الملك من يده وفتحه ليرى الأثر ، وليراه الآخرون الذين كانوا بمعيته ، ثم أغلقه مرة أخرى .

التفت نحو الأمير وجميع النبلاء الآخرين حوله ونحو عدد لا حصر له من الناس ، وأطلعهم على الصليب رافعاً إياه عالياً ، وقال في صوت عالٍ يستطيع الجميع سماعه : "صليب النصارى ، صليب النصارى ، وبداخله عظم من القديس "جيمس" الذي يقود النصارى في المعارك" .

تركه بعد ذلك يتدلى من صدره فوق كل الملابس التي كان يرتديها ، ودخل المدينة ، وأدى هذا إلى دهشة عظيمة وسط شعبه ، وفرحة كبيرة لدينا نحن ، الذين كنا نرجو من الله أن تخترق بركة تلك العلامة المقدسة من خارج صدر الملك إلى قلبه داخل جسده حتى يرى طريق الحقيقة ، ويتمتع بثمار ذلك الصليب ذاته .

عندما رأينا التبجيل الذي أظهره للصليب المقدس ، أظهرنا سعادتنا ، وتوجه كل واحد منا ليقبل يده ، وقلنا له بثقة كبيرة بأننا نرجو من الله أن يصبح نصرانياً بما أنه بجَّل صليب ربنا .

رفع عينيه إلى السماء ، وقال بتواضع أثار دهشتنا : "الرب قادر أن يحقق ذلك" ، والتفت إلى الأمير وإلى الأتامبيك (Atambeg) وهو مستشار بارز يرسل معه كل الأشياء الهامة – وإلى "القويزيلباش كابتن" (quizilbash captain) – وهو قائد "القويزيلباشي" (quizilbzshi) ، وهم الجنود الذين يكن لهم احتراماً كبيراً ، وقال لهم : "إذا أصبحت نصرانياً يجب أن تكونوا نصارى أيضاً" .

ردوا عليه جميعاً : "سنفعل ما يفعله جلالتكم" .

التفت إلينا بعد ذلك وهو يبتسم ، ويقول : "قليلاً ، قليلاً ، قليلاً قليلاً" .

بهذه الطريقة شققنا طريقنا وسط المدينة إلى أن وصلنا إلى ميدان واسع مكشوف ، كان يقف فيه حشد هائل من مختلف الناس ، جاءوا نحوه ؛ لتحيته بصيحات وصرخات عظيمة ، وعندما سمعهم ذرفت عيناه الدموع التي تساقطت ، وعندما رأى أننا شاهدنا ذلك أمسك

بالراهب "أنطونيو" من كم ردائه ، وقال : "الرب يعلم أن قلبي هذا أشد سواداً من ردائك عندما أرى استقبالاً كهذا ينظم لآثم شرير مثلي" .

سيطر علينا العجب ، ووجدنا السلوى ، ونحن نرى هذه العلامات في هذا الملك العظيم ، ورأينا أنها من صنع يد الله القوية ، وعجبنا لأننا أصبحنا نألفه كثيراً في هذا اليوم كما كنا طوال الرحلة ، وأننا أصبحنا نجد شجاعة كبيرة في الحديث عن المواضيع المتعلقة بالنصرانية .

استمر حديثنا معه إلى أن وصلنا إلى ميدان فسيح آخر ، وكان هناك حشد كبير آخر من الناس ، وقال له الراهب "كريستوفاو" : "مولاي ، استناداً إلى ما رأيناه اليوم ، لدينا آمالاً بأن نرى جميع الموجودين هنا يصبحون نصارى" ، ورد الملك قائلاً : "إن شاء الله سنرى ذلك" .

عندما وصلنا إلى قصره صرفنا بعد أن عانقنا ١٦٠٧م ، وقد بدت علامات السعادة العظيمة على وجهه ، وذهبنا إلى خيمتنا ، التي أمر أن تكون بالقرب من قصره ، وركعنا هناك جميعاً وتلونا الـ Te Deum Laudamus بالنشاط الذي منحنا إياه الرب .

قدمنا الشكر مقروناً بدموع الفرح على ما رأيناه في ذلك اليوم ، وعلى تلك البداية لتطلعاتنا (كما اعتقدنا) ، وكان ذلك كافياً ليجعلنا ننسى معاناة الرحلة ، وليجعلنا نحس بالرضا عنها ، ونشعر بأنها استحقت أن نتحملها بسبب الثمار التي كنا نأمل في أن نجنيها بعد تلك المعاناة بفضل قدرة الرب العظيمة .

محادثة أخرى عن النصرانية مع الملك في قصره

في الرابع من أكتوبر ، وهو موعد وليمة القديس "فرانسيس المجيد" ،

أرسل إلينا الملك في مدينة "كاشان" "Cachan" هذه (كذا) وأظهر لنا عطفاً غير عادي ، وكان بمعيته كثير من نبلاء بلاطه وسفراء "جورجيين" ، ونصرانيين منشقين ، وهم من أتباعه بشكل أو آخر .

بينما كان يتحدث إلينا أمر كثيراً من غلمانه بالرقص ، وأشار إلى الذين يدينون بالنصرانية بينهم إذ إن بين من يخدمونه "جورجيون" ، وأرمن والمسكوفيون وأشخاص من بلدان أخرى نصرانية يعيشون في مملكته مثل المسلمين ، ولا جدال أنه كان يحبهم بدرجة أكبر ولا سيما "الجورجيون" - بسبب تحالفات معهم بالزواج بين ملوك "جورجيا" وفارس .

بعد هذه الاحتفالات أقام لنا مأدبة عشاء ، وفي كل مرة شرب كأسا كان واحد منا من الجالسين بجواره ، يطلب منه أن يؤدي إشارة الصليب فوق الكأس طبقا العادة النصرانية - وكان يسأل عن هذا في كل مرة أرسل إلينا ، فيها لنتناول الطعام معه .

بعد الوجبة كان يتحدث إلينا كثيرا عن النصرانية ، ويقول لنا بأنه لن يسمح لأي مسيحي بأن يصبح مسلما في بلده ، وعندما كان يتحدث إلى سفراء الملك "الجورجي" عن إشارة الصليب التي يرسمها النصارى عندما يباركون أنفسهم ، قال الراهب "جيرونيمو" : "كيف ترسمون إشارة الصليب على أنفسكم عندما تباركون أنفسكم؟" .

أجابه الراهب بأن إشارة مقدسة كهذه يمكن رسمها فقط عند الركوع ، وبوقار شديد لأن ملوك وأمراء العالم والسماء والأرض والجحيم يركعون أمامها ، ووقف على ركبتيه على السجادة التي كانوا يجلسون عليها ، طبقا للعرف ، وقال للملك إن على جلالته أن يركع

أيضا ليسمع تلك الكلمات المقدسة ، وقد ركع الملك على الفور ، وركع معه جميع الذين كانوا معه .

رفع الراهب صوته بعد ذلك ؛ لكي يسمعه الحاضرون ؛ وبدأ يريهم إشارة الصليب حتى النهاية ، وأضاف أنها احتوت على أسرار الإيمان الرئيسة ، وتعترف بالأقاليم الثلاثة ، وتجسيد كلمة الله وخلاصنا .

قال الملك إنه يرغب هو الآخر ، في أن يتعلم تلك الطريقة لرسم إشارة الصليب على نفسه باعتبارها شيئا جيدا ، وقد رسمها عدة مرات ، وهو راكع إلى حد أنه أصبح يرسمها كما نفعل نحن تماما ، وأمر الملك جميع أتباعه بأن يرسموا الإشارة ، وهو ما فعلوه جميعا بما فيهم الموسيقيون والمغنون ، وكرروها عدة مرات .

عندما رأى الملك أن الحجرة ملأى بالناس ، الذين كانوا يرسمون إشارة الصليب التفت إلينا ، وعلى وجهه فرح عظيم ، وقال : "هل ترون ، هل ترون ، نحن جميعا نصبح نصارى!" .

رحبنا بهذه الكلمات وبتلك الكلمات التي أوحى لنا بها الروح القدس الذي كان حاضرا بلا شك ، كما بدا لنا ، داخل تلك الحجرة ، على الرغم من أن معرفة القلوب هي أمر يختص به الله وحده .

في هذا اليوم أرسل السفراء "الجورجيين" ، وقمنا بتذكيره بأن عليه أن يرسل رسالة إلى ملكهم – الذي تربطه علاقات جيدة معه – ليوضح له أنه – بما إنه نصراني– فمن واجبه أن يقدم فروض الطاعة إلى البابا بصفته والد وراعي جميع النصارى ولكنيسة روما المقدسة التي تعتبر

الرأس والأم والقيمة على جميع الكنائس في العالم ؛ إذ إن أي نصراني يعارض هذه الحقيقة لن يتم إنقاذه .

فعل الملك ذلك ، وأبلغ السفراء علانية ، وبحضورنا بأن عليهم تبليغ ملك الجورجيين عنه أن من الضروري أنه يعترف بالبابا الأعلى في "روما" ، باعتباره رأس الكنيسة المسيحية ، وأمر بكتابة ذلك في الرسائل التي أعطاها للسفراء ، وعندما قبلنا يده بسبب هذا ، وعد بأن يعمل على أن يرسل "الجورجي" سفراء إلى البابا عن طريق الهند ، وسيقدم من خلاله فروض الولاء والطاعة له ، وقال إن هذا شيء بسيط ، وإنه يأمل من الله أن يرى جميع مساجد الأتراك تتحول إلى كنائس مسيحية .

بعد أن رأينا مدى دماثة خلقه ، وميله الشديد إلى النصرانية ، رأينا أن الوقت ملائم لنعلن نياتنا له ، فقلنا له إننا على الرغم من قدومنا كسفراء لملكنا ولدولة الهند إلا إننا لا نتوقع أن نعود إلى الهند أو البرتغال ، بل سنبقى في بلده طوال حياتنا ، وأن آخرين من جماعتنا سيحضرون لخدمته ، وخلفائه ملوك فارس ؛ وليوضحوا لهم طريق الحقيقة والخلاص ، وأن ذلك هو الهدف الذي جاء بنا إلى تلك الأنحاء .

ورد قائلا بأنه أخ لملك إسبانيا ، وأن مملكته هي للبرتغاليين والفرس ، وإنه سيكون سعيدا للغاية ببقائنا هناك ، وإنه يجب علينا أن نوصي به لدى الرب .

طلبنا منه الإذن بعد ذلك للانصراف ؛ لأن الوقت متأخر كثيرا بعد منتصف الليل ، ورد قائلا : "انتظروا قليلاً ؛ لأنني أريد أن أرى إذا ما كنت نسيت كيفية رسم إشارة الصليب على نفسي كما علمني

الراهب العجوز" ، وركع الراهب "جيرونيمو" مرة أخرى وركع الملك ، والجميع كذلك ورسم إشارة الصليب بطريقة صحيحة للغاية ودون أي أخطاء ، وأمر جميع أتباعه بأن يفعلوا الشيء ذاته .

كانت تلك مناسبة مرضية للغاية ؛ حيث رأينا حشدا من المسلمين والأعيان من فارس يركعون معاً بفرح شديد ، ويرسمون إشارة الصليب الذي يكرهونه كراهية شديدة ، وإننا ندعو الرب - الذي يسره أن يعاني ذلك من أجلنا - أن ينير هذه الأرواح حتى تستطيع معرفة سرها كاملا .

عندما رأى الملك أن الجميع رسموا الإشارة بطريقة صحيحة ، والطريقة التي يركع من خلالها الراهب "جيرونيمو" لتعليمه ، قال لنا : "هذا الراهب رجل صالح ، وقلبه طيب ، وأن ما بداخله يظهر واضحا عليه ، وهو أبي وسأدعوه بأبي دائما" .

استدعانا في مرة أخرى لتناول الطعام معه ، وكان يستمتع بشرب نبيذ أحضروه له من شيراز ، وسألنا أن كان ذلك جيداً ، وعندما قلنا له أنه جيد للغاية لأداء القداس ملأ منه قدحا كبيرا ، وقدمه لنا موضحاً أنه سيعطينا البقية كلها التي نحتاجها لأداء القداس ولجميع الاحتياجات النصرانية الأخرى بما أن زوجاته وغالبية غلمانه نصارى .

قال له الراهب "كريستوفاو" - (الذي كان قريبا منه للغاية) بهدوء حتى لا يسمعه أي أحد من أتباعه - "نحن نريد من جلالتكم أن تكون نصرانيا ؛ إذ إنك متى أصبحت نصرانيا ، فسيصبح شعبك كله نصارى" .

أجاب بفرح قائلاً : "الله قادر على أن يتم هذا" .

وضع عقبات لإحباط نوايا الرهبان

عندما رأى الشيطان مدى نجاح بداية النصرانية مع الملك ، بدأ يستنبط الخدع التي يحاول من خلالها دائما أن يضع حدا للبدايات الحسنة ، وأن يفعل كل ما بوسعه ليمنع هذا العمل الحسن وأن يحرض الملك ضدنا .

تحقق هذا جزئيا بسبب الصعوبات الناتجة عن الحرب ، التي كانت تدور في هذا الوقت في هرمز ، وبوصول مبعوثين أيضا أرسلهما إلى الملك قداسة البابا الذي صدق معلومات خاطئة ، تم نقلها إليه ، وقد قيل له إن الملك يرغب في أن يصبح هو وجميع أتباعه نصارى ، وإنه يريد أن يتم تدريس الإنجيل بحرية في مناطقه ، وأن تبنى الكنائس فيها .

كان ذلك كله غير صحيح ، ولكن قداسته تمنى أن يكون ذلك صحيحا ، ومن أجل أن يتأكد من هذا بعث "فرانسيسكو دا كوستا" - الذي كان قسيساً في جمعية يسوع وهو من مواطني "غوا" - و"ديوغو دي ميراندا" - وهو برتغالي ، وكلاهما مر عبر فارس في طريقهما إلى روما من الهند برا .

قد وصلا وهما يحملان رسائل إلى الملك ، ولكنهما تصرفا على نحو سيئ عند وصولهما إلى حد أن الملك والبلاط أصيبا بصدمة ، واستاء الملك منهما استياء شديداً ، ومنا أيضا لذلك السبب ، وعلى مدى عدة أيام لم يتحدث إلينا ، ولم يبعث إلينا بأي طلب ، ولكننا علمنا سريعا من أتباعه بسبب استيائه منا .

قد أبلغنا هو بنفسه لاحقا - عندما تحدث إلينا - بمدى صدمته

إزاء سلوك المبعوثين ، ولكن ذلك حدث بعد مدة من الزمن ، وبعد أن عانينا من بعض المتاعب لأن الملك لم يظهر لنا أي عطف ، وكانت سمعتنا سيئة مع الجميع .

في تلك الأثناء كنا نؤدي قداسنا علانية في مسكننا لجميع النصارى ، وكنا ننشد القداس أيضا ، ونقرع أجراسنا حتى يسمعها الناس ، وكنا نحتفل بالمناسبات المقدسة بأفضل ما بوسعنا دون أن يمنعنا أحد ، وكان في ذلك سلوى كبيرة لنا ، وكنا نسمع الاعترافات ونمنح القرابين المقدسة في كنيستنا لكثير من المسيحيين .

قد احتفلنا بعيد ميلاد المسيح بأفضل صورة تمكنا من ترتيبها ، وأنشدنا صلاة المساء وقداس منتصف الليل الذي جاء إليه جميع المسيحيين الكاثوليك ، وعزفنا شيئا من الموسيقى خلال صلاة منتصف الليل التي تمكنا من ترتيبها ، وقد وجهنا الشكر الجزيل للرب ؛ لأننا تمكنا من الاحتفال بميلاد المسيح وسط كثير من الأعداء المعادين لاسمه المقدس .

في هذا اليوم اعترف كثير من المسيحيين الكاثوليك ، وتناول العشاء الرباني كثيرون ممن لم يتمكنوا من تناوله لفترة طويلة ؛ نظرا إلى أنهم يعيشون في هذا البلاط ، وحتى لو لم نكن جئنا إلى فارس لأي سبب آخر ، فإن ما حققناه استحق مصاعب الرحلة .

الملك يستدعي الرهبان مجددا

بعد انقضاء عدة أيام دون أن يرانا الملك خلالها ، للأسباب الموضحة ؛ ونظرا إلى أنه دمث الأخلاق بطبعه ، فقد أرسل إلينا مرة أخرى ، واستمر في إظهار العطف ذاته تجاهنا من جديد .

في يوم السبت الحادي عشر من يناير ، أمر ثلاثتنا بالذهاب إليه ، مع الراهب "فرانسيسكو دا كوستا" ، مبعوث قداسة البابا ، ولكن ليس مع رفيقه لأنه كان علمانيا ، وقد اصطحبنا إلى جناح الحريم - الذي كان يضم زوجاته - وهو أمر غير عادي ؛ إذ إن أحدا لم يدخل على هذا الجناح من قبل .

دخلنا مسكناً حسن التجهيز إلى درجة جيدة للغاية وذاخراً بالحلي الصغيرة من الصين ومدينة البندقية وبقطع أخرى نادرة وثمينة للغاية ، وكان معه ثلاثة فقط من مستشاريه الأساسيين ، وأقرب أصدقائه الحميمين الذين يناقش معهم جميع الأمور الهامة ، وهؤلاء هم "عطابيك" ، "كوريباي" = "قرشاكاي بيك" و"بستاماغة" ، الذي نشأ مع الملك ، وبعد أن جعلنا نجلس على مقربة منه قال :

"استدعيتكم إلى هنا سراً بحضور هؤلاء المسؤولين الثلاثة العاملين معي ، وهم الذين أثق بهم أكثر من غيرهم ، والذين أطلعهم على شؤوني الشخصية ، والذين يعرفون أسرار قلبي ، وذلك حتى أجيب خلال وجودهم على العريضة التي قدمتموها لي منذ مجيئكم كمبعوثين وسفراء .

أعني بهذا ، أن عليّ أن أسمح لكم بتأسيس كنيسة علانية ، وأن تقوموا بتدريس عقيدة المسيح ، وأنني أقول إنني أريد منكم أن تكتبوا ما أجيبكم به" .

أرسل في طلب ورق وحبر وأمر بكتابة هذه الكلمات :

"إنني على استعداد لبناء كنيسة ، وأنني أرغب وأنا مسرور لأن كثيراً

من المسيحيين – رجالاً ونساءً – يأتون إلى مملكتي ، ولكن رجال الدين لدي لن يسمحوا لي بالموافقة ، وإنني أخشى الإقدام على هذا لأنهم قد يقتلونني ، وإذا كنتم ترغبون في أن أفعل هذا ، وأواجه هذا الخطر ، عليكم بالتصريح بذلك وسأعلن ذلك ، وستكونون أنتم الرهبان شهوداً بالإضافة لهؤلاء الثلاثة الذين يخدمونني .

لكنني أعتقد أن من الأفضل أن تبدأوا بناء الكنائس ليس في أصفهان فقط بل في جميع مدن مملكتي بعد أن تشنوا الحرب على عدوي التركي ، وعندما يتقدم رجال الدين (الملالي) باعتراضاتهم لي ، أستطيع أن أقول لهم أنهم مخطئون ؛ لأنني يجب أن أبدي الرعاية لأولئك الذين يساعدونني ضد عدوي ، وأن أعطيهم ما يطلبونه .

في الوقت ذاته يمكن أن تكون لكم كنائس في المنازل التي تقيمون فيها ، وأن تكون لكم أجراسكم ، وأن تقوموا بالترتيبات التي ترغبون فيها ، وسأرسل عمالاً ؛ لينفذوا كل هذه الأعمال على نفقتي .

سأصدر مرسوماً أيضاً بأن جميع المسيحيين والمسلمين واليهود والوثنيين لديهم حرية الذهاب إلى هرمز .

إنني أريد منكم أن تكتبوا إلى الباب بأنني سعيد بأن أعتبره في مقام الأب كما اعتبر الملك "فيليب" ، ملك إسبانيا ، أخاً أكبر لي" .

قد وجهنا له الشكر الجزيل على هذا الرد ، وقبلنا جميعاً يده ، وأبلغه الراهب "جيرونيمو" أنه في حال كان جلالة الملك سيبني معابد للمسيح مولانا ، وسيشجع المسيحية فإن الرب سيحرسه ضد أعدائه ، وسينعم عليه بالكثير من الجوائز الروحية والدنيوية .

ناقشنا معه أموراً أخرى أتاح لنا الفرصة خلالها ، لنقول له إننا خلال ذلك الوقت كنا نحتفل بقدوم المجوس الثلاثة من الشرق ، الذين ذهبوا ؛ ليعبدوا المسيح وليعترفوا به إلهاً ورباً ، وأن على جلالته أن يحضر إلى منزلنا ؛ ليرى كيف احتفلنا بهذا السر .

أجاب بأنه سيفعل ذلك بكل سرور متى ما رغبنا في ذلك ، وأبلغنا أننا اليوم التالي هو يوم الأحد ، وهو يوم ملائم للنصارى ولجلالته للذهاب إلى كنيستهم ، وقال إنه سيفعل ، ومن ثم تناول الورقة التي كُتب عليها الجواب المذكور أعلاه ، ومهرها بالخاتم المنقوش الذي يضعه على إصبعه ، وفعل مستشاروه الثلاثة الشيء ذاته وأعطانا الورقة وهو يقول :

"احفظوا وعدي هذا ، وسأتعهد في الوقت المحدد بالوفاء به" .

وأمر بعد ذلك بإحضار وجبة طعام لنا شملت الكثير من فواكه الشتاء ، والأشياء الأخرى ، والتي أكل منها هو أيضاً ، بعد أن أجلسنا بالقرب منه كما يفعل عادة .

نظراً إلى أنه اعتقد أننا تعبنا ، ولا شك من الجلوس على السجاد خلافاً لعادتنا ، وهو ما حدث لنا بالفعل ؛ إذ إننا كنا معه لمدة أربع ساعات ، فقد أمر بإحضار كراسٍ لنا ، وطلب منا الجلوس عليها ، ولم نكن نرغب في أن نفعل ذلك ، من باب المجاملة ، ولكنه طلب منا الجلوس عليها من أجله ، هو ولإدخال السرور على نفسه ، وبعث بعد ذلك لإحضار ثماني من فتياته الشركسيات بالميلاد ، وجاءت الفتيات ، وهن يرتدين ملابس جميلة ومتواضعة ، ورقصن رقصاً جميلاً ؛ ولكن ؛ ونظراً إلى أن هذا لم يكن مناسباً لمهنتنا ، فقد طلبنا منه الإذن

بالانصراف ، لكنه لم يرض أن يعطينا الإذن إلى أن تنتهي الأمسية بعد منتصف الليل .

الملك يذهب لسماع القداس في منزل الرهبان

في صباح اليوم التالي ، قمنا بترتيب الكنيسة على أفضل نحو استطعنا القيام به ، وجهزنا المذبح بالزخارف ، وما أنعمتم به فخامتكم علينا ، ووضعنا فيه مصلوباً كبيراً ، وانتظرنا حضور الملك بشيء من الشك حول قدرته على المجيء ؛ لأنه ذهب للنوم في وقت متأخر من الليلة الماضية ، وبينما كنا في الكنيسة نصلي للرب ليوفق أمورنا ، بما أنها ترمي لخدمته .

وصلت الرسالة في الساعة العاشرة ، تفيد بأن الملك قادم ، ورحبنا به بما نحن فيه من فقر وبفرح شديد ، وفور وصوله قال إنه يريد الاستماع إلى القداس ، وأجبنا بأننا سننشده بالطريقة التي نقولها فقط للمسيحيين الكاثوليك لو أن جلالته كان وحده في الكنيسة مع الذين ولدوا مسيحيين ممن حضروا معه ، فأمر بقية الكفار بالخروج .

التفت الملك إلى أحد الخدم الذين أتى بهم ، يدعى "قسطنطنيو" ، وقال لنا : "أن هذا مسيحي" ، وبقينا صامتين على الرغم من أننا عرفنا أن الفتى كان مرتداً .

استعد الراهب "جيرونيمو" بعد ذلك لينشد القداس الخفيض ، ومضى كل شيء على النحو الذي يعرفه فخامتكم .

اعترف الراهب "كريستوفاو" أولاً أمام الملك ، مع كل الاحترام

اللازم لتائب ، وتصرف كاهن الاعتراف بكل السلطة اللازمة لمنصبه ، بينما كان الملك يراقب كل ذلك عن كثب .

ارتدى مرة أخرى رداءه الكهنوتي وأنشد القداس ، وبدلاً من خبز القربان المقدس رفع يسوعاً طفلاً ، وراقب الملك كل شيء وهو واقف بوقار شديد ، وخلال القداس أنشدنا نشيد الإنشاد "بنيدكتاس" وترنيمة "Laudate pueri Dominum" بمساعدة بعض الأشخاص العلمانيين الذين كانوا تجاراً والذين استدعيناهم لهذا الغرض ، وقد استمتع بالإصغاء لهذا القداس أيما استمتاع لأنه كان شغوفاً للغاية بالموسيقى .

عندما انتهى القداس اصطحبنا الملك إلى المذبح ؛ لنطلعه ؛ ونشرح له أسرار الصور المقدسة الموجودة عليه ، وقد سرّه أن يرى كأس القربان وطبق القربان المقدس والأواني الأخرى ، وكان يطرح أسئلة عن معنى كل واحد منها ، وأما الصور فإن الصورة الأولى التي وقعت عيناه عليها هي صورة المصلوب المقدس .

قد التفت لأفراد الحاشية المرافقة له وقال لهم أن ذلك هو عيسى - وهو اسم المسيح يسوع لديهم - الذي صلبه اليهود الأشرار وجميع معجزات موته الأخرى التي رواها على نحو جيد للغاية ، وعرف أيضاً رافدة مذبح مريم العذراء وسره رؤيتها .

سأل عن رافدة مذبح القديس "أوغسطين" قائلاً : من هو؟ وأجبناه بأنه القديس "أوغسطين" أعظم أطباء كنيسة يسوع ومؤسس جماعتنا ووالدنا ، والذي عشنا في ظل حكمة والذي نرتدي رداءه الذي تركه حتى يرتديه أبناؤه ؛ ولكي يشبهوه في لبسه ؛ ليتم التعرف عليهم

باعتبارهم أبناءه ، وقال إنه سُرَّ كثيراً لمعرفته ذلك ، وأنه شغوف للغاية بالرداء لأن الذين يرتدونه هم رجال طيبون .

عندما قرر الذهاب ، دعا رئيس نجارين كان قد أحضره معه لذلك الغرض وقال له : "عليك بتفقد حجرات الرهبان والاهتمام بها وعمل كل الذي يطلبونه منك" ، وبذلك استأذن منا وهو في سعادة غامرة ، وأرسل في اليوم التالي بنائين للقيام بالعمل .

لكننا أرجأنا العمل لأن هذا الموقع – وعلى الرغم من أنه جيد للغاية لأنه مطوق بطريقة جيدة وتوجد به أشجار فواكه كثيرة ومياه رائعة ووسائل أخرى للراحة يمكن للمرء أن يبني فيه ديراً رائعاً ، فإنه يوجد في جزء من المدينة يهجره أهله ، ولذلك فإننا نأمل في الانتقال لموقع آخر أقرب إلى القصر إذا حقق الرب لنا أمنيتنا يوما ما .

الرهبان يذهبون مع الملك إلـى مهرجان النصارى الأرمن

في السابع عشر من الشهر الجاري دعانا الأرمن المقيمون في بعض القرى القريبة للذهاب إلى مهرجان كانوا يقيمونه ، وهو واحد من احتفالاتهم المألوفة للاحتفاء بتعميد بيسوع .

في هذا اليوم يذهب الجميع إلى نهر وهم يحملون الشموع ويبارك القساوسة مياه النهر ويصبون الزيت المقدس فيه ويضعون صليباً في الماء ليمثل القديس يوحنا وهو يعمّد يسوع .

علم الملك أننا تلقينا دعوة لحضور المهرجان وأننا ذاهبون إلى هناك ، ولذلك أراد أن يشاهده هو أيضاً ، وقد اهتم اهتماماً شديداً بكل شيء

يتم القيام به ، وعندما عرف أهمية ذلك أظهر سعادته بسماع ذلك ، وقد كرم القساوسة الأرمن بكلمات استحسان وبأفعال أيضاً ؛ حيث أمر بإعطائهم جميعاً ملابس .

عندما انتهى الاحتفال جلس على الأرض ، وبدأ يتحدث معنا عن أمور شتى ؛ لأنه يعرف الكثير عن شؤون عديدة وهو متحدث ممتاز ودمث الأخلاق ولطيف المعشر .

من بين الأشياء الأخرى ، شكرناه على العمل الذي أمر بإتمامه لنا ، وحدثناه عن الجانب السلبي للمنطقة ، وأننا لم نرغب في تشييد كنيسة في المكان الذي نقيم فيه حالياً ، وحدثناه عن موقع آخر أكثر ملاءمة .

أرسل على الفور ليعرف مالك المنطقة ، وعندما عرف صمت ، وأننا ندعو الرب أن يمنحنا هذا الموقع أو موقعاً آخر مماثلاً لبناء دير حسب رغبتنا فيه .

أراد بعد ذلك أن يتناول الطعام وأن نتناوله معه ، وأمر - من بين أشياء أخرى - بجبن مماثل للجبن الخاص بنا ، قائلاً إنه يريد أن يتناول الطعام معنا ، وهنأ الأب "جيرونيمو" قائلاً : "لدى الشاه جميع هذه الأشياء" وأضاف الأب "كريستوفاو" : "هناك شيء واحد يفتقده وهو أي منها هو الأفضل" .

سأل عن ماهية ذلك الشيء ، وبما أن من مميزات شخصيته ولطف حديثه أن يصر على أن تقال له الأشياء ، فقد أجابه الأب "كريستوفاو" بأن جلالته يجب أن يجد له العذر لأنه لا يستطيع أن يقول له ذلك هناك ، ورد الملك بأنه يجب أن يعرف الإجابة على الفور ، وأجاب الأب :

"لدى الشاه كل العظمة لكنه يفتقر شيئاً رئيساً والذي تكون قيمة كل شيء من دونه تافهة وهذا الشيء هو أن يكون نصرانياً وخادماً ليسوع عيسى ربنا" .

ضحك بسعادة على ما قاله الأب وأظهر تقديره لذلك القول ، وقال إنه ما دام أسعده بتنفيذه ما أمره به فيجب أن يشرب من الكأس التي شرب منها هو شخصياً ، وعندما اعتذر الأب بأدب بالغ قال له أنه يتعين عليه أن يفعل ذلك من أجل يسوع المسيح .

ورد الأب "كريستوفاو" بأننا ملزمون بأن نفعل كل شيء من أجل ذلك الاسم المقدس ، ولكنه يفضل أن يشرب من أجله كأس الموت من يد طاغية بدلاً من أن يشرب كأس ذلك اللطف والوداعة من يد ملك قوي وودود كجلالته .

يمكن لفخامتكم أن يرى ما إذا كنا على حق في أن نتوقع خيراً كثيراً في حال لم تمنع خطايانا ذلك أو ما إذا كانت نيات الملك تجاه النصرانية لن تظل مجرد كلمات وهو ما ينبغي أن نخشاه لأنه دمث الأخلاق ومهمل للغاية ، وندعو الله الذي يمسك بقلوب الملوك في يديه وأن ينير قلبه حتى يرى طريق الحقيقة .

الرهبان يجرون المزيد من المحادثات مع الملك عن النصرانية ، تحدث معنا الملك مرات أخرى عديدة عن النصرانية ، وأظهر لنا مدى اهتمامه بها ، وفي إحدى المرات قال لنا أن شقيقه عندما كان ملكاً تعرض شعبه للقتل لأنه كان صديقاً للنصارى ، وكان هذا هو حمزة ميرزا ، وهو

الأمير الذي درّسه الأب "سيماو" ، وكان يعتبره ولدا له ، وكان هناك اعتقاد بأنه سيصبح نصرانياً .

من بين الأشياء الأخرى التي قالها لنا أن مولانا الملك رزق ببنت ، وهو أمر أسعدنا سماعه ، وقدمنا الشكر للرب في كنيستنا لأنه بدأ ينجب ذرية ترث ممالكه .

قال لنا أنه لو كان أنجب ولداً فستكون هناك أسباب للفرح والابتهاج ، ولكن البنات لا يجدر الاحتفال بهن .

قلنا له أنه في إسبانيا ترث البنات في حال لم يكن هناك ورثة ذكور وأن ممالكنا تدافع عنها البنات كما يدافع عنها الأبناء .

رد بقوله : "ما دام الأمر كذلك ، دعونا نحتفل ما دمنا أصدقاء" وأمر بأن تعزف جميع آلاته الموسيقية ، وأن تقرع طبوله عبر الطرقات وبتنظيم سباقات ... ، وهكذا تم الاحتفال بميلاد "انفاتنا" "Enfanta" ، حفظها الله .

أمر الملك بأن يعطى مترجمنا "دومينغوس فيرنانديز" "Domingos Fernandes" ثوباً مطرزاً ، وقال إنه لن يهدينا أي شيء لأنه يعرف أننا لن نقبل ، وكانت هذه مفاجأة له ولشعبه ولابد أنها أضافت إليهم الكثير .

في إحدى المرات قدم عشرة آلاف "كروزادوس" للأب "أنطونيو" وحده من أجل الرحلة ، ولكنه لم يقبلها وقال له إنه مبلغ كبير للغاية بالنسبة لراهب فقير .

أما ما كان يعطينا إياه لشراء لوازمنا فقد كنا ننفقه بتواضع وفقر إلى حد أننا خلال الفترة من الرابع من سبتمبر وتاريخ هذه الرسالة - وهو في نهاية يناير - لم نقبل أكثر من ثلاثمائة بارداوس أنفقناها على التغيير والأكل بالاقتصاد في الإنفاق طبقاً لما تربينا عليه ، ولا يزال لدينا البعض الذي يكفي لأيام كثيرة .

نحن نقبل منه هذا فقط لأنه يصر ويقول إن من غير الصواب أن نكون في مملكته وأن نطعم أنفسنا من صدقات الآخرين بدلاً من أن يكون ذلك على نفقته ، وعلاوة على ذلك ، يقول إن المال الذي يأمر بإعطائنا إياه هو مكافأة يرى أنها مستحقة تماماً وإن من حقنا أن نطلب ما نشاء ، وهو يشيد بنا كثيراً أمام شعبه ؛ لأننا لا نطلب أي شيء ولا نرغب في شيء سوى خلاصه وخلاص أتباعه .

في حال توفير احتياجاتنا من الهند فسيكون من الأفضل لهدفنا حتى لا نقبل حتى القليل الذي نتلقاه منه . إذ إنه عندما قال يوماً ما إننا لا نرغب في شيء سوى خلاصه وخلاص أتباعه .

إذ إنه عندما قال يوماً ما أننا لا نرغب في أي شيء من الشاه ، أجبنا بأننا نريد الشاه فقط لنضعه على طريق الجنة من أجل جميع المزايا التي يزودنا بها ، وبينما لا نستطيع أن ندعو إلى العقيدة الكاثوليكية المقدسة بحرية أكثر ، إلا أننا نأمل في نشرها من خلال نموذجنا الذي كان يمثل دائماً موعظة عظيمة للعالم ، ولا سيما لهؤلاء الفرس الذين يلاحظون كل شيء .

الرهبان يسعون لبناء مستشفى لخدمة المرضى فيه

أولينا عناية لوسيلة أخرى لكسب الأرواح للرب ، وذلك بطلبنا من الشاه بناء مستشفى نجلب إليه الفقراء والمرضى ، وأوضحنا له أننا نريد أن نرعاهم ونهتم بالمستشفى .

الملك ذو قلب طيب وعطوف ونحن نأمل في أن يفعل هذا .

في هذه الأثناء نبذل قصارى جهدنا للتعامل مع المرضى والفقراء من أجل خلاصهم وذلك لأنهم بعد أن يتأثروا بالطريقة الخيرة التي نعاملهم من خلالها ، وربما أصبحوا متعلقين بنا بسبب العمل الطيب الذي نقوم به لهم ، فإن الكثيرين منهم ربما ماتوا معمَّدين ودون أن يعلم أي أحد في الخارج بذلك ، وربما غادر آخرون المستشفى وهم مسيحيون أو ميالون كثيراً للعقيدة المسيحية ،

هكذا ، وفي داء الفقراء ، ومن خلال موارد قليلة ، وبفضل الحب والأعاجيب سنبدأ بإشعال نار ، يملك الرب القدرة على إلهابها بخشب ثقيل وصروح ضخمة ، وعلى أن ينير بحبه الإلهي فارس برمتها ، كما كانت سابقاً ، عندما قدمت عدة شهداء الكنيسة .

هناك ميزة جيدة أخرى لدى الفرس تعطي الأمل بأنهم سيتعلقون بالعقيدة بسهولة أكبر من جميع الأمم الأخرى التي تتبع (محمد) (صلى الله عليه وسلم) ، وهو أحد الرموز التي لا يناقشها المسلمون ولا ينصتون للعقل بشأنها ، ولدى الفرس شغف بالجدل والمناظرة ، وهم لا يتركوننا - نهاراً أو ليلاً - إن وجدوا الفرصة ، وهم يستمتعون بسماع الحديث عن الكتب لأنهم لا توجد لديهم أي كتب سوى القرآن لأن

جميع الكتب في فارس أحرقت بناء على أمر من الشاه إسماعيل ، الجد الأكبر للملك الحالي .

قبل ذلك كانت هناك الكثير من الكتابات بالفارسية تتناول عقيدتنا ، وكان هناك أيضاً الكثير من الكتب بالفارسية مترجمة من الكتاب المقدس .

نذكر فخامتكم أنه من المهم للغاية أن يحضر عدد من رجال الدين إلى هنا وأن يقيموا ديراً حتى نحتفل بالطقوس الدينية على نحو مهيب ، ونذهب إلى القداس في منتصف الليل لتنوير هؤلاء الكفار ، وحتى يروا شعائرنا وطقوسنا التي ستترك فيهم أثراً كبيراً ، وسيكون لدى رجال الدين الذين يأتون إلى هنا الكثير الذي يجب عليهم القيام به لأن هناك الكثير للغاية من النصارى .

أنه لأمر هام من أجل إعادتهم لصفاء العقيدة وإدخال الكفار في الدين ودفع المنشقين للاعتراف وتناول العشاء الرباني والعودة للرب ، وهناك الكثيرون الذين انشغلوا بأعمالهم ويتاجرون في هذه الأنحاء منذ سنوات طويلة دون أن يفعلوا ذلك أو يتمكنوا من القيام بذلك إذا أرادوا ، ولكن ، إذا كان هناك المزيد من رجال الدين هنا فسيذهبون إليهم كما بدأوا يفعلون معنا .

الرهبان يتعاملون في أمور الدولة

رأينا حتى الآن أن نقدم لفخامتكم تقريراً عن وضع الغرض الأساسي الذي جاء بنا إلى فارس والذي يتعلق بالنصرانية .

أما الآن فسنتناول ما قمنا به فيما يتعلق بأمور الدولة التي عهد بها إلينا :

أما عن الحرب مع التركي ، ومتى تحدثنا عنها ، فإن الملك على استعداد للغاية للاستمرار فيها ، ويقول إنه عندما يبدأ النصارى هناك ، سيهاجم هنا ، وقد كتب عن هذا للبابا ولجلالته ولنائب الملك ولفخامتكم طالباً موعداً محدداً لبدء الحرب على الجانبين .

كان هناك سفراء من التركي في فارس لوقت طويل دون أن يحصلوا على تنازل ، ومن فرط كراهيته إياهم لم يستجب أبداً لغرضهم ، ونحن نحثه بالإلحاح للاستمرار في ذلك ونشجعه على خوض هذه الحرب ونزيد كراهيته قدر الإمكان .

أما عن هرمز ، وكما قلنا أعلاه ، فقد أصدر فرماناً يعلن فيه أن القوافل يجب أن تستأنف رحلاتها ، وقد أرسلناه بسبب الخسائر التي تكبدتها دار جمارك جلالته عند إيقاف القوافل ، ولو لم نأت إلى هنا لبقي كل شيء في حالة سيئة ولتعرض للخراب لأن المسلمين هناك يكتبون للشاه عن كل الذين يحبونه ولم يكن يعرف أي شيء عما يحدث .

أما عن البحرين ، فلم يكن يتحدث ، وكان يقول إنها ملك له وأنه لم يحصل عليها من البرتغاليين بل من أتباعه هو وأنه لن يسمح بضياعها ولو خسر كل ممالكه ، ولكن ، في حال أراد البرتغاليون أن يكونوا هناك يمكنهم ذلك كما فعلوا عندما كانت تخص المسلمين .

يبدو وكأن الشيطان قد دبر عقبة البحرين هذه ليجعلنا نقلق ونضيع الوقت عليها حتى نسبب الضيق لهذا الملك ، بدلاً من تسخير هذا الوقت لنشر عقيدة المسيح ربنا .

لكن يجب علينا أن نتعامل مع أمور الدولة برمتها ونحن نباشر هذا العمل بحيث إننا عندما نتحدث معه عن أمر ما لا نتناول أمراً آخر بالحديث .

بهذه الطريقة سمعنا عن التحضيرات التي كان يقوم "اللهفيردي خان" ضد هرمز والنزاع حول قلعة شمل (شمال؟ Shamil) ، وشعرنا أن هناك بعض التغيير في الشاه ، وفي نهاية الأمر سألناه ملحين ونتيجة لذلك أمر بكتابة رسالة بواسطة وزيره عطابيك ، أطلعنا عليها ، للهفيردي خان ، سلطان شيراز .

قال في الرسالة أن لديه في بلاطه سفراء من ملك البرتغال ومن أمراء مسيحيين آخرين أبرم معهم سلاماً وصداقة وأنه لا يرغب في شن حرب على البرتغاليين أو في أن يلحق الأذى بأي مسيحي أو بأي ممتلكات له ، وأنه يتعين عليه ألا يأتي أي عقبات في طريق أي تاجر يقصد هرمز ويجب أن يتمتع التجار بحرية الذهاب والعودة متى شاءوا .

أما بالنسبة للبحرين ، فقد كتب ، وكتبنا نحن كسفراء ، إلى ملك البرتغال ونائب ملك الهند ولفخامتكم حتى تتم معالجة هذه الأمور بطريقة مرضية وليس بالحرب ، وقد أعلن أن هذه هي رغبته .

عند تلاوة الرسالة لنا أعطى موافقته عليها ، وتم إغلاقها ، وأرسل فوراً لمن يحملها وأرسله بها ونحن حاضرون .

بعد ذلك قضينا عدة أيام دون قلق ، ووصلت خلالها أنباء عن سفينة القادس والأسطول الذي أرسل به نائب الملك "دوم جورج دو كوستيلو برانكو" ، وقد قيل في البلاط أنه سيسعى لاستعادة البحرين ، أن

هذا الأمر أعطى أهمية أكثر مما يستحق ، وهكذا فقدنا السلام الذي كنا ننعم به ونستمتع بالسلوان السماوي وبالآمال في أن نتمكن من معالجة شرور الكفر في هذه البلاد ؛ إذ إن معظم ما نصبو إليه ، وما لقيناه من حسن استقبال هنا ، يتوقف على السلام بين دولة الهند والفرس .

في الوقت ذاته وصلت أنباء مفادها أن سلطان شيراز كان يتقدم على رأس خمسة وأربعين ألف رجل ليسبب أكبر الأضرار التي يستطيع إلحاقها بـ "غومبرون" وهرمز وليمنع أي محاولة لاستعادة البحرين .

بوصول هذه الأنباء اعتقدنا أن الأفضل هو أن نذهب على الفور ونشكو للملك لأننا خشينا على العمل في هرمز ، وقد استمع لنا وقال إنه في حال لم يشن البرتغاليون حرباً فسوف لن يفعل "الدهفيردي خان" ذلك ، وأقترح أن يذهب واحد منا إلى هرمز والهند ليمنع هذه النزاعات ، ورأى أن هذه أفضل طريقة ليأمر جلالته بوقف القتال .

اختار الأب "أنطونيو" من بيننا لأنه كان أفضل من يجيد اللغة ويستطيع أن يفهمه على نحو أفضل ، وقرر أن يذهب معه سفير منه حاملاً رسائل للبابا ولصاحب الجلالة ونائب الملك ولفخامتكم الذي سيذهب إلى البرتغال بشأن هذه المفاوضات ، وسيبقى شخص آخر ليتعامل معها في هرمز .

أمر بإرسال رسالة إلى "الاهفيردي خان" يطلب منه فيها أن يتوقف عن القتال ويعود إلى شيراز ، وأعطانا فرماناً آخر حتى يستطيع كل التجار ، الذين يريدون ، الذهاب إلى شيراز والعودة منها ، وأرسلنا

على الفور رسولاً يحمل هذه الرسالة والفرمان حتى لا يكون هناك أي تأخير في الوقت الذي يستعد الأب "أنطونيو" للرحيل .

في حال أعاده الرب بسلام سيقدم لفخامتكم تقريراً أطول عن كل الذي قلناه وعن أشياء أخرى كثيرة لا نذكرها في هذا التقرير حتى لا نرهق فخامتكم بالقراءة الكثيرة ، ونحن نرسله لأن الشاه قد يغير رأيه بشأن مغادرة الأب "أنطونيو" .

حتى هذه النقطة هذه هي الرسالة التي كتبها الرهبان في أصفهان ، بلاط الشاه .

الكتاب الثالث الفصل الأخير : كيف أرسل الشاه رسولاً معي إلى نائب الملك في الهند .

ان مدينة أصفهان اليوم هي عاصمة وحاضرة مملكة فارس ، كما كانت في وقت من الأوقات عاصمة مملكة "البارثيانيين" (parthians) ، وعندما كنا هناك بدأنا نتحدث بعجلة أكثر عن السلام والهدوء الضروريين في ذلك الوقت لمملكة وقلعة هرمز .

قد أرسل نائب الملك "دوم جورج دي كاستيلو برانكو" "D . George de Castelo Branco" مع سفينة قادس وبعض الـ "foists" لحراسة القلعة وتأمين المضيق ومدن ملك هرمز بطول ساحلها ، ولكن الأهفيردي خان – سلطان شيراز – اعتقد أن هدف أسطوله هو استعادة البحرين ، فجمع من جديد جيشاً ضخماً زحف به على قلعتنا في بندر "غومبرون" ومناطق أخرى تابعة لملك هرمز بنية (وهو ما قاله لي لاحقاً)

لتحــويل قواتنا من الهجوم المتوقع على البحرين ، بدلاً من شن غزوات جديدة .

هكذا بقي في (جاهروم) لمدة ثلاثة عشر أو أربعة عشر يوماً في انتظار مجيء عرض سلام من هرمز كان يأمل في وصوله ، وكان سيقبل به ما دام فيه من تعهد بأن أسطولنا لن يتوجه إلى البحرين .

لكن ، وبما أن شيئاً لم يصل من هرمز عن المفاوضات ، فقد تقدم مقترباً من أرضنا وعندما رأى مسلمو البر الرئيس في "موغستان" "Mogustan" -وكانوا من أتباع ملك هرمز- ذلك ، استسلموا بدون مقاومة تذكر .

هكذا وعلاوة على فقدان البحرين ، أضيف فقدان البر الرئيس الذي أدى إلى إغلاق طرق القوافل ، ولم يكن حتى الفرمان الصادر عن الشاه - الذي أعطى التصريح للتجار - كافياً لـ"الاهفيردي خان" ليسمح لهم بالمرور ، وبدلاً من ذلك كتب إلى الشاه يفيده بأنه إذا لم يكن يرغب في أن يهاجم البرتغاليون البحرين ، فيجب أن يضمن بقاء طريق قوافل الجمال مغلقاً ، وأن تلك هي الوسيلة لكبحهم حتى يتخلوا عن أي مطالبة لديهم بالبحرين .

لهذا السبب ؛ ونظراً إلى أن الفرس كانوا يسيطرون على البر الرئيس الذي يزود الجزيرة بالمؤن والملاذ ، عانت هرمز من فقدان عائدات ضخمة ، وكانت تعاني من شح كبير في الموارد ، وقد أغلقت دار الجمارك فيها .

في أصفهان عرفنا بما يحدث في هرمز ، وبما فعله "الاهفيردي خان" ، وتقدمنا بشكوى للملك نيابة عن جلالته قائلين إن تلك الإجراءات لا تتماشى مع كلماته التي أظهر من خلالها الكثير من حسن النية تجاه دولة جلالته .

كان رده هو أن ذلك كان خطأ البرتغاليين الذين لم يتخلوا من مطالبتهم بالبحرين بطريقة غير معقولة لأنهم أرادوها لملك هرمز أكثر ما أرادوها له .

أجاب – كما فعلنا سابقاً – بأن استعادة البحرين من الأتراك كلفت البرتغاليين غالياً وان عليه أن يأمر سلطان شيراز بأن يتفاهم مع ملك هرمز حتى لا تكون لديه شكوى يتقدم بها لجلالته أو لنائب جلالته في الهند .

يجب أن يحذر فقدان الكثير من المزايا العظيمة مقابل مزايا صغيرة ، وألا يفقد الفرص لزيادة أراضيه والدول التي يصادقها مع صداقة جلالته ، ويمكنه أن يكون متأكداً أنه إذا فقد الصداقة والتحالف مع ملك "إسبانيا" فسيخسر صداقة كل العالم المسيحي الذي يمثل دعامته الأساسية ودفاعه ، والذي استسلم له الأمراء المسيحيون الآخرون في الجوانب كافة .

قد قبل هذا على الفور ، وأرسل بحضورنا رسولاً إلى "الاهفيردي خان" يبلغه بعدم اتخاذ خطوة أخرى مع جيشه ، أو إيذاء أي شيء برتغالي ، وبأن يسمح للقوافل بالمرور بحرية إلى هرمز .

ينصاع أتباع الشاه له بخضوع لافت ، وقد كانت هذه الرسالة فعالة للغاية إلى حد أنها في الساعة ذاتها التي تم تسليمها خلالها إلى السلطان ، امتطى صهوة جواده وعاد مع كل جيشه إلى شيراز ، وأرسل رداً إلى الشاه مع الرسول ذاته موضحاً أنه لكي يرضيه ويطيع أمره فقد امتنع عن غزو بندر البرتغاليين والأراضي الأخرى التابعة لملك هرمز .

من وضع حد لآمال هرمز في الاستيلاء على البحرين ، ولكن ، وحيث إن جلالته خطا خطوة تجاه هذه المخططات ، فيجب عليه أيضاً أن يوقف المشاكل التي يخشاها لاحتمال ذهاب الأسطول ، الذي كان موجوداً في هرمز ، إلى البحرين .

عندما تلقى الشاه هذه الرسالة أرسل إلينا وأمر بقراءاتها لنا موضحاً أننا يتعين علينا الرد على كلمات "الاهفيردي خان" ، وأنه ما دام قد سرح جيشه فيجب علينا أن نسرح الأسطول .

قبلنا يده بسبب تلك المنة وقلنا له أن هناك المزيد الذي يجب القيام به لأن ملك هرمز لا تزال لديه شكاوى وأن الاعتداءات ضد دولته لم تتم معالجتها بعد .

إذا كان جلالته سيشعر بالرضا فإن واحداً منا سيذهب إلى هرمز ويناقش اتفاقيات محتملة ويجد وسيلة لضمان أن ملك هرمز سيكون راضياً على نحو أكبر .

رد بأننا ما دمنا لن نتحدث عن البحرين فسيفعل ما نريده منه .

طبقاً لمعلوماتنا ، فإن حالة الهند في هذا الوقت تدعو إلى التحلي بالحصافة لقبول كل شيء يتم عرضه علينا ومسايرة التيار السائد في بعض الأمور إلى أن تتحسن الظروف .ومن الأفضل أن يستخدم الشاه قوة جيوشه ضد التركي كما وعد ، والبحرين موجودة عندما تتوفر للدولة قوة أكبر لاستعادتها .

ولذلك قررنا ألا نقول شيئاً عن البحرين في الوقت الحاضر ،

وأرسلني وبرفقتي رسول منه ، برسالة لسلطان شيراز أمره فيها بضرورة منحي أي شيء أطلبه إلا فيما يخص البحرين .

عندما أصبحت مستعداً للمغادرة أبقاني لمدة شهرين مؤجلاً موعد مغادرتي يوما بعد الآخر وهو يقول إنه يتوقع أخباراً في أي لحظة عن قلعة أمر بالاستيلاء عليها من التركي ، وقال إنه سيكون سعيداً بأن أنقل معي النبأ إلى الهند وأرسله إلى البرتغال حتى يعرف صاحب الجلالة أنه بدأ قتال التركي حسب طلبه ، وقد قصد الشاه بهذا تبرير تأخره في شن الحرب على التركي حسب وعده بذلك .

لم تكن القلعة هامة للغاية ولكنه استولى عليها في الواقع بواسطة حلفائه (cardins) واحتفلنا بذلك ، ليس من أجل الاحتفال وإنما لأننا كنا نأمل في أن يشجعه ويدفعه إلى الحرب ضد التركي .

يكشف الزمن أن هذا هو الواقع ، وسأتناول هذا الموضوع باستفاضة أكثر في التقرير الخاص بالأمور الفارسية الذي أقوم بإعداده ، وتسمى القلعة "نهاوند" وتقع بالقرب من "بابل" إلى حد يكفي لإلحاق الأذى بالأتراك الذين ظلوا لسنوات عديدة مصدر خوف أكثر من الفرس في تلك الأنحاء .

بعد مغادرة أصفهان في رفقة السفير المسلم ، وصلت إلى شيراز حيث كان السلطان موجوداً ، وقد استقبلني بحفاوة كبيرة وأظهر رغبة في إقامة صداقة ، وعندما تناقشنا في مهمتي قرر أنه في حال أعطاه ملك هرمز جزءاً من المبلغ الكبير الذي أنفقه في الحرب فسيعيد إليه كل المنطقة التي استولى عليها على البر الرئيس لموغستان .

نظراً إلى أنني كنت في عجلة من أمري للمغادرة بسبب حاجات هرمز ، فقد أرسل خادماً من خدمه معي ومنحه صلاحية التوصل إلى تسوية – بالاشتراك معي – مع ملك هرمز بشأن هذه المنطقة ، وكتب له رسالة ورسالة أخرى إلى نائب الملك في الهند طلب منهما فيهما قبول هذه العودة إلى الوضع السابق و– من أجل ملك هرمز – عدم استفزازه واستفزاز الشاه بإحداث متاعب في البحرين .

قد رافقتني من شيراز إلى هرمز الكثير من قوافل التجار من جميع الأمم تقريباً ممن كانوا محتجزين بسبب إقفال الطريق حتى ذلك الوقت .

هكذا بدأت العائدات تعود لدار الجمارك وتوفرت المؤن للبلاد الأمر الذي أسعد سكان هرمز الذين ظلوا لمدة عام في حال سيئ لعدم وصول القوافل .

قد عانى الفرس أيضاً من نقص القوافل لأن مملكة فارس كانت تفتقر للأشياء التي كانت تزودها بها هرمز .

وصلت إلى هرمز في أول إبريل ، وبدأت التفاوض مع ملك هرمز حول هذه الأمور ، وعند رؤية أن أي اتفاق لم يتم التوصل إليه طلب مني الملك والقائد والمدينة برمتها العودة للتعامل مع السلطان ، وقد علمنا أنه كان يفكر في الاستيلاء على هرمز بالخيانة ، وقد جمع في نخيلو وريشهر أسطولاً من ثلاثمائة "terradas" ، وهي المراكب المستخدمة في المضيق ، ليستولي منا على موقع التزود بالماء في "قشم" والاستيلاء على الجزيرة .

كانت هناك مخاوف أخرى في هرمز بشأن الخطط التي قيل إن "أنطوني شيرلي" "Avtoni Cherley" – الرجل الإنجليزي الذي كان في فارس – ذهب بها إلى إنجلترا .

لذلك فقد اضطررت إلى العودة إلى شيراز ، وبدأت رحلتي في الثامن والعشرين من مايو ، وكانت فترة أعلى درجة حرارة في مملكة "لار" ، التي كنت أمر خلالها ، حارة للغاية ، ومن فضل الرب أننا وصلنا بسلام ، وعندما وصلنا إلى شيراز وجدنا أن السلطان خارجها ويقيم في معسكر بمكان جميل وبارد .

عندما رآني استقبلني بفرحة أقل كثيراً مما استقبلني بها في المرة الأولى ، وسألني عن سبب حضوري في مثل ذلك الطقس الشاق بينما كان يتصور أنني في "غوا" .

أجبته بأن الرهبان ليسوا معتادين على الراحة ، وأنني لم أرغب في أن أرتاح إلى أن تنتهي المفاوضات التي أشارك فيها .

حيث إنه عرف أي مرحلة وصلت إليها المفاوضات التي جئت من أجلها ، فينبغي ألا يندهش من عودتي مجدداً ، وأكدت له أن صعوبات الرحلة – حتى وإن كانت مفرطة – لا تمثل هماً رئيساً بالنسبة لي .

عندما تركته ، أرسلت له مجموعة من الأشياء الصغيرة كالتي يحبها المسلمون والتي أحضرتها لذلك الغرض من هرمز ، وبعث لي يقول إننا يجب أن نلتقي في ذلك المساء لنتناقش حول جميع شؤوننا ، ولكن ، وفي تلك الساعة ذاتها وصل رسول ومعه أنباء بأن مملكة "لار" تمردت ، وأن أفراد الحامية الفارسية قتلوا ، وأن الأهالي الأصليين يعيدون بناء القلعة التي كانت قد هدمت ، ويحصنون أنفسهم داخلها .

غضب السلطان غضباً شديداً لسماعه هذه الأنباء إلى حد أنه ركب جواده واتجه نحو شيراز ، ولم يدخل المدينة ، بل أقام معسكراً خارجها ،

وخلال ثلاثة أيام حشد جيشاً من أربعين ألف فارس ، وخلال أسبوعين أخضع به مملكة "لار" برمتها بعد أن تمردت ، وكان ذلك مثالاً على الاجتهاد الذي يحقق من خلاله انتصاراته .

شملت الأنباء الواردة للسلطان عن التمرد في "لار" معلومات شكلت السبب لعدم استقبالي استقبالاً طيباً إذ إنه تلقى معلومات بأن سكان "لار" تمردوا بناء على اقتراح ومساعدة من البرتغاليين في هرمز ، الذين أرسلوا علاوة على ذلك فنيي مدافع وذخيرة للدفاع عن القلعة .

كانت هناك بعض الأسباب لتصديق تلك المعلومات وكانت للسلطان أسبابه ليغضب غضباً شديداً ، وقد أرسل لي رسالة مفادها أنه لم يستطع التفكير في أن البرتغاليين في هرمز أرادوا السلام معه وساعدوا أعداءه في الوقت ذاته ، وأضاف بأنه تلقى إفادة بأنني عندما مررت عبر "لار" تركتها مزودة بالبارود والذخيرة ، وهو ما لم يصدقه من رجل اعتبره صادقاً في القول والفعل .

كان سبب إبلاغهم السلطان بهذا هو أن بعض البرتغاليين الذين سافروا معي تركوا بعض الطرود التي تحتوي على أدوية وسكر في "لار" لبيعها هناك ، وحتى أن التمرد حدث على الفور بعد أن غادرناها ، فقد ساد افتراض بأن تلك الطرود كانت تحتوي على بارود وذخيرة دون ريب .

على الرغم من أن السلطان كانت لديه شكوك حول هذا الأمر بسبب معرفته بي ، وقد أكد له أتباعه (كما علمت لاحقاً) أنه لا يمكن أن تكون هناك خيانة وسط الرهبان النصارى ، فلم يكن لديه شك أن برتغاليي هرمز شجعوا على تمرد "لار" .

لذلك ، وعلى الرغم من أنه أحسن تكريمي أمام الجميع ، إلا أنه أبلغ حاكم شيراز سراً بألا يسمح لي بالذهاب إلى الشاه في أصفهان ، وألا يسمح لأي نصراني بالاقتراب من النزل الذي أقيم فيه سواء أكان برتغالياً أو أرمنياً أو حتى إذا كان من أهالي هرمز .

لكن يجب ألا يلحق أي شخص بي أذى إلا وتعرض لعقوبة القتل ، وكانت أبوابي تخضع لحراسة من قبل رجال الحاكم بذريعة حمايتي من الأذى ، ولكن الهدف في الواقع هو منعي من الاتصال بأي أحد يخشون من أن ينقل أنباء مني إلى هرمز .

خلال الوقت الذي كان السلطان يهاجم فيه "لار" ، كتب لي عدة مرات بأنني يجب ألا أغضب ، وأعرب عن الأمل في أن العودة سريعاً لإكمال المفاوضات حسب رغبتي ، وفي اليوم الذي استولى فيه على "لار" أرسل لي رسالة قدم لي فيها تقريراً بجميع انتصاراته .

بعد أيام قليلة عاد إلى مدينة شيراز ، وقد حقق الانتصارات وملأه الرضا ، وخرجت من المدينة لتحيته ، وعندما رآني أجيء بنفسي أبدى لي لطفاً وحرارة غير معهودين ، واختلف سلوكه كثيراً عما رأيته منه من غرور وصلف ، وأرسل أربعة من البرتغاليين - الذين كان رجاله أسروهم قرب البحرين بسبب إحدى المشاجرات التي كثيراً ما تحدث في الهند - وأغضبه عدم توقف السفن البرتغالية عن تهديد البحرين .

أكد لي أن أحد البرتغاليين أراد أن يترك عقيدتنا ويعتنق دينه ، وفي الوقت ذاته تمكن فتى أسير ، يخص برتغالي كان ضمن المرافقين لي ، من الفرار ومستفيداً من اثنين من كبار رجال الدين (الملالي) ، وهم

الـ "cacizes" لديهم ، طلب أن يصبح مسلماً ؛ ونظراً إلى أن السلطان كان غير موجود فقد فاتحت حاكم المدينة وشكوت له من سماحه بهذه الإهانة ضد سفير ملك البرتغال ، ولكن أقصى ما تمكنت من الحصول عليه هو أن الفتى لن يتحول إلى الإسلام إلا بعد أن يعود السلطان .

عندما رجع السلطان ، أمر بتسليم الفتى لي خلافاً لرغبة الملالي والفتى ذاته ، الذي صاح أمام الجميع أنه يريد أن يصبح مسلماً وواصل صياحه ذاك طوال الطريق إلى هرمز .

اعتبرت هذا فضلاً غير عادي خلافاً لعقيدته ، وعطفاً أكبر من كثير مما منحني إياه السلطان ، لأنه كان قد غضب من حادثة أخرى مختلفة للغاية وقعت بين زميلي الراهبين "جيرونيمو" و"كريستوفاو" والشاه بعد أن غادرت المدينة ، وقد غضب الشاه من برتغاليي هرمز بسبب إشارات تدل على أنهم كانوا سبب التمرد في "لار" ، ولأن جندياً قتل خادماً من خدم سفيره في هرمز خلال مشاجرة خاصة ، وبسبب شكاوى أخرى كان يتم تقديمها يومياً بشأن البرتغاليين .

كان الشيطان - وهو عدو جميع الأخيار - كارهاً للنجاح الذي حققه الرهبان والسلام الذي يعيشون فيه ، ولأنه كان يخشى مما يمكن أن يفعلوه بعد ذلك ، لذلك حرض رجلاً يدعى "جيوفاني باتيستا فلامينيو" ، وهو رجل من مدينة البندقية نسبه خسيس وروحه أكثر خسة ، وهو نصراني بالاسم فقط ولكنه مسلم من حيث التصرفات ، لكي يتخلى علانية عن مسيحيته .

ذهب هذا الرجل إلى الشاه وطلب منه أن يصبح مسلماً ، فرد عليه

الشاه بأنه إذا كان راغباً في هذا من صميم قلبه فإنه يستطيع الذهاب إلى هرمز ليتحول للإسلام ، ولكن الرجل الفينيسي (من البندقية) لقي التشجيع والصحبة من بعض الملالي الذين روعهم أن الشاه لم يكن موافقاً على أن يحقق له رغبته ، ولذلك اضطر للموافقة على الطلب ، وأمر بتعليمه الدين الإسلامي ليتم ختانه .

فور معرفة الرهبان بذلك تحركوا بدافع من الالتزام الكامن في العناية بالأرواح - بما أن أسقف "غوا" جعلهم قساوسة المسيحيين الكاثوليك في ذلك البلاط - وحرصاً منهم شرف الرب ، ذهبوا إلى الشاه وطلبوا منه بكل تواضع بألا يسمح بحدوث ضرر بالغ كهذا في مملكته ضد البابا الأكبر وضد صاحب الجلالة .

بما أن رده لم يكن محققاً لهدفهم فقد أعربوا وفقاً للحرية المسيحية عن قلقهم البالغ ، ولا سيما الأب "كريستوفاو" - الذي بدت له هذه فرصة جيدة للمعاناة من أجل المسيح ، ولذلك تحدث إلى الشاه بصوت عالٍ وبكلمات قاسية لكنها مهذبة ، وقال له أن من الخطأ أن يسمي نفسه ابن الأب المقدس وأخاً لصاحب الجلالة ويسمح بعد ذلك للنصارى بأن يصبحوا مسلمين في مملكته ، خلافاً لما قاله في كثير من الأحيان ووعد به .

رد بغضب قائلاً : "إنني لا أجعل الناس يسلمون بالقوة ، كما يجعلون المسلمين نصارى في هرمز ، ولكنني ومن الآن فصاعداً سأفعل هذا" .

استدعى الرجل الفينيسي وقال له : "إنني أتعهد بأن أجعلك عظيماً" .

قال الأب "كريستوفاو" : "ربما تجعله عظيماً على الأرض ، ولكنك

لا تستطيع أن تجعله عظيماً في مملكة السماء التي خسرها ، والتي لا يستطيع أتباع شريعة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يدخلوها" .

عند ذلك التفت الشاه عنهم وغادروا المكان وهم في حالة بالغة من الحزن لرؤيتهم مدى تحول الشاه عما كان عليه ، أو مما تظاهر به ، من قبل .

لكن ، ومن باب التقدير للرهبان لم يسمح للمرتد عن المسيحية بإقامة الاحتفالات التي تقام عادة لمثل تلك الأرواح الضالة ، وبعد أيام قليلة أمر بترميم كنيسة الرهبان وبإعادة زخرفتها - على الرغم من أنهم لم يسمحوا بذلك - ليظهروا استياءهم إزاء ما فعله .

هكذا فإن الأفضال التي أظهرها لي السلطان كانت الأعظم بسبب ما حدث بين رفاقي الرهبان والشاه ، ولكن أفضال السلطان تأثرت بالحرب التي خشي من أن يشنها الأتراك انتقاماً للقلعة التي استولى عليها الشاه كما قلنا ، وانتشرت إشاعة بأن جيشاً من ستين ألف رجل موجود بالفعل في "بابل" ، وبدأ السلطان بحضوري بتجميع جيش آخر ضخم لم يستثن منه أي رجل قادر على حمل السلاح في المنطقة برمتها .

في أحد الأيام ، وبينما كنا نتحدث ألح عليَّ في أن أذهب وأرى تأثير بعثتنا : وحيث إن هدفها الرئيس هو هذه الحرب ، فقد تعين عليّ أن أذهب وأرى بعيني كيف يستطيع الفرس محاربة الأتراك .

اعتذرت بحجة بأنني مضطر لأن أنقل رداً إلى هرمز ، وسألته لماذا يريد أن يخرج عن الموسم ويبدأ الحرب في مطلع الشتاء مع أننا كنا نريده أن يبدأها في موعد مبكر .

أجاب أن الحرب فرضت عليه لأن الشاه علم أن هناك خلافاً حول الاختصاص القضائي بين اثنين من باشوات "بابل" ، وأن الناس يطالبونه بالاستفادة من الوضع ليستولي على السلطة في المدينة ، ولذلك اضطر إلى المغادرة على عجل ، واضطررت أنا إلى العودة إلى هرمز الأمر الذي لم يمنحنا وقتاً أطول من الوقت الذي أرسل خلاله خادماً من خدمه معي لتسليم المناطق إلى ملك هرمز وقبول جميع شروط السلام التي عرضتها عليه .

عندما وقع عليها اقترح عليّ بعض الشروط من جانبه ، ومن بينها شرط لم أتمكن من الموافقة عليه إلى أن أناقشها مع نائب الملك وكبير الأساقفة ، وعند هذا الحد أرسلني بعد أن أحاطني بكثير من الود وأكد لي بكل ما يؤمن به أننا إذا أصبحنا جيراناً طيبين خلال غيابه فسيعيد البحرين إلينا ، ولكن المرء لا يثق بالكثير مما يقوله المسلم .

توجهت إلى هرمز ، واتجه هو إلى "ديار بكر" - أو بلاد ما بين النهرين - واعداً بأن يرسل لي أنباء طيبة عن التدمير الذي سيلحقه بالأتراك برفقة الشاه ، وشاء الله أن نيات الشاه لم تزغ بسبب خطايانا إذ لو أن الشاه استمر في هذه الحرب ولو أن التركي شخصياً تعرض لإعاقة بسببها ومن حوله كثير من الأعداء نستطيع أن نأمل في أن تتشتت العائلة العثمانية . نرجو أن تكون مشيئة الله هي أن يدمرها من أجل اتساع رقعة كنيسته المقدسة وراحة الأهالي المسيحيين .

هذا هو الوضع الذي كانت عليه الأمور في ديسمبر عام ١٦٠٣م ، والتي تم إرسالي ورفاقي إلى فارس من أجلها ، وسأختم رسالتي بنص

رسالة أرسلها الشاه إلى صاحب الجلالة رداً على الرسالة التي نقلتها له ، ومن أجل إرسالها إليه ترجمت الرسالة من الفارسية إلى البرتغالية في هرمز :

الرسالة التي كتبها عباس شاه فارس إلى صاحب الجلالة ، مترجمة من الفارسية إلى البرتغالية

باسم الله . إن الرسائل التي أرسلها لي صاحب المقام الرفيع والذي تعطر عظمته التي لا مثيل لها الجو بالفخامة بصفته ملكاً ذا نفوذ وقوة لم تتوفر لغيره أبداً ، والذي تعتبر الشمس عرشه ، والذي يعيش في كنفه جميع النصارى ، وهو السيد الذي يسود جميع الأراضي والذي يضاهي عدد أتباعه عدد النجوم في السماوات ، وهو الملك الأعظم للنصارى .

لا يستطيع أي ملك أن يسود كما يسود "دوم فيليب" ملك إسبانيا ، وهي الرسائل التي أحضرها الرهبان "أنطونيو" و"كريستوفاو" و"جيرونيمو" بعد أن وصلوا إلى هنا في وقت ملائم ، وقد سرني وصولهم ، ولأنك قلت أيضاً في رسالتك أنك في صحة وعافية .

قد رحبت بهم بكل السرور والود الذي يستحقونه لحضورهم من ملك عظيم ولا سيما لأنهم يسعون إلى صداقة أقوى بيننا وإلى أن نتحد ، وقد رحبت بالرهبان المحترمين بما يستحقونه من تبجيل وتكريم وخصوصاً بصفتهم ممثلين للذي أرسلهم .

إنني أدعم المسيحيين في الأمور كافة حتى تقوم صداقة بيني وبين جلالتكم ، ولعل هذه الصداقة تدوم وتزداد من يوم لآخر ويجيء المسيحيون والبرتغاليون ويذهبون من بلدانهم إلى بلادي ، ولن أدخر وسعاً

لتقديم المساعدة لهم وأنني أسأل دائماً عن حياة جلالتكم وأحوالكم كلما قابلت أحداً من الدول البرتغالية والهند ، وعندما أعرف أنكم بخير وعافية ، ولأنك صديق عزيز ، فإنني أشعر بسعادة كبيرة .

يمضي الرهبان المبجلون بعض الوقت معي ويرون عن كثب مدى صداقتي للملوك النصارى ، وكيف أتصرف تجاه البرتغاليين ، وعندما يرون جلالتكم سيقدمون تقريراً شاملاً عن الإجراءات التي أقوم بها .

قد أوفوا بالتزاماتهم عندما كانوا هنا ونفذوا جميع واجباتهم العادية ، وكانوا يؤدون صلواتهم والمهام الأخرى المطلوبة منهم بموجب جماعتهم في عزة وبطهر عظيم ، وقد بدا لي هذا رائعاً للغاية ، وقد فرحت لرؤيتهم وهم يؤدونها هنا وبتفان بالغ .

لم يكونوا يقبلون أي شيء أحاول إعطاءهم إياه لأنهم يزدرون طيبات الدنيا .

قد أرسلت منهم الأب "أنطونيو" إلى نائب ملك الهند المهيب والقوي .

يبقى الأب "كريستوفاو" والأب "جيرونيمو" في خدمتي .

أدعو الله أن يجعلني أبعثهم إليك في الوقت الملائم .

في الوقت الحاضر أرسلت الفارس الشجاع "علاء ألودري ريقيل" ، وهو تركماني وأحد فرسان بلاطي البارزين ليكون في خدمة جلالتكم ، وفور وصوله ليطيع بلاط جلالتكم أرجو إرساله لي بأسرع ما يمكن ، وأرجو الاستمرار في إرسال أخبار عن جلالتكم لأننا وبصفتنا أصدقاء حميمين فسأفرح لسماع هذه الأنباء واحتفل بها .

أرجو من جلالتكم إبلاغي بما تأمرني به باسم صداقتنا وسأفعله دون تأخير ؛ لأنني آمل في أن تدوم الصداقة التي بيننا .

أما بالنسبة لما تكتبه لي بشأن الإنجليز ، فقد كان لدي هنا واحد من الشقيقين ، وقبل أن استلم رسالتك ، أرسلته مع سفيري إلى خدمة جلالتكم والشقيق الآخر سأعطي ما يأمرني به جلالتكم بشأن هذا الأمر ولن أفعل أي شيء لا يأمر به جلالتكم .

إنني أنتهز كل فرصة متاحة لأخدم جلالتكم حتى تصدق أنني صديقكم الوفي .

أدعو الله أن يزيد جلالتكم قوة واتساعاً .

الشاه عباس ، ملك فارس

*

وددت أن أقدم تقريراً عن كل الأشياء التي حدثت في فارس عند وصولي ورفيقي إلى هناك ، على الرغم من أن هذا يقع خارج غرض هذا السرد ، لأن ذلك مطلوب بموجب الطاعة التي قيدتني لأتولى العمل برمته ، ومن أجل رؤية الكيفية التي عوّض الله من خلالها الأسقف بأنباء جيدة أخرى عن شيء كان يأمل في حدوثه ، وهو خراب ما أراد أن يفعله في سوقطرة .

إن المجمع الكنسي الذي أسسه الأسقف "دوم اليكسو" لنصارى "ساو تومي" ، بدلاً عن مجمع "أوتايامبر" - كما يمكن رؤيته في نهاية الكتاب الأول - قدم تقريراً عن العادات الكنسية والسياسية والطقوس

والأخطاء التي يرتكبها أولئك النصارى قبل إعادتهم مجدداً للانصياع لكنيسة روما المقدسة ، والتي تم تصحيحها بأوامر من المجمع الكنسي ، وهذه مساعدة كبيرة لفهم تاريخهم ومعرفة الدولة التي عاشوا فيها عندما كانوا منشقين والتي تختلف كثيراً عما هم عليه حالياً .

بالنظر إلى كل هذا ، وبفضل الله ، تم التصحيح بواسطة المجمع الكنسي ، وبدا لي أن تقريراً من المجمع يجب أن يضاف هنا ، لتوضيح أكثر لما قيل ، وذلك لرؤية جميع هذه الأشياء حسب أصولها ، وكعمل ضخم لخدمة الرب وكمعرفة واسعة ، أعتقد أنه سيحقق المتعة للقراء ، ولا سيما أولئك الكنسيون الذين يقرؤونه بفضول .

للغاية ذاتها أضفت القداس الذي يردده هؤلاء النصارى حالياً بعد تنقيته وتطهيره بواسطة الأسقف ذاته من تلك الأخطاء والهرطقات التي كان امتلأ بها سابقاً بسبب إفساده من قبل المهرطقين النسطوريين .

أرجو أن يكون كل ذلك لشرف ومجد يسوع المسيح الذي يعيش ويوسد مع الأب والروح القدس إلى الأبد . آمين .

النهاية

أحداث عام ١٦٠٤م

بعث "فيليب الثاني" (فيليب الثالث لإسبانيا) رسالة إلى "جوزيه دي ميلو" "Jose de Melo" ، السفير في روما ، بلد الوليد في السابع والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٦٠٤م ، يحثون فيها ملك فارس لشن الحرب ضد الأتراك : (٥٣)

صديقي "جوزيه دى ميلو" ، أرسل لك أنا الملك عظيم تحياتي ، بناء على أوامر "ايريس دي سالدانها" ، نائبي في الهند ، أرسل الأخ "أنطونيو دى جوفيا" ، والأخ "كريستوفاو دي اسبيريتو سانتو" والأخ "جيرونيمو دا كروز" الرهبان في أخوية القديس "أوغسطين" إلى بلاط شاه فارس حتى عبر قدرتهم معاً يتمكنوا من إقامة القداس للمسيحين والكاثوليك الذين يتواجد الكثير منهم دائماً هناك .

أيضاً محاولة إحضار بعض المنشقين لطاعة الكينسة الرومانية ،

(٥٣) رقم الوثيقة والهامش.

وأيضاً لمعالجة بعض الأمور الأخرى التي تتعلق بالمسيحين وتحدث هناك ، ويحثون الملك لشن الحرب ضد العدو المشترك ، الأتراك . طبقاً لما يكتبه لي نائب الملك ولرسالة من الشاه شخصياً ، والتي تسلمتها بواسطة السفن وقد وصلت من الهند هذه السنة والتي أرسل لك نسخة منها طيه ، لقد استقبلوا وعوملوا بطريقة جيدة من قبله .

ذلك لأنهم تصرفوا كرجال دين حقيقيين وجيدين ؛ ولأنهم لم يرغبوا بقبول بعض الأشياء التي طلب منهم القيام بها ، وأبدوا بذلك كيف كانوا قليلي الاهتمام بالأمور الدنيوية ، من الصحيح أن يكرم رجال الدين هؤلاء حتى يجدوا التشجيع للاستمرار في سلوكهم وأخلاقهم العالية الأهداف التي أرسلوا من أجلها .

تكمن تلك الأهداف في الخدمة الخالصة للرب كما هو واضح وأرى أنني يجب أن أطلب من البابا الموافقة على شكر رجال الدين هؤلاء في بيانه الرسمي الخاص لما قاموا به حتى الآن ، وعليه يجب تشجيعهم وحثهم على التقدم للأمام .

لهذا السبب فإنني آمرك وأطلب منك عندما تنقل لصاحب السمو نيابة عني كل المذكور سابقاً أن ترجو منه الموافقة على ذلك ، لأنه وبجانب استحقاقهم لذلك الفضل من سموه فإنهم بلا شك سيجدون في ذلك العزاء والتشجيع من كل ذلك ، وسيرفع ذلك من شأنهم وسمعتهم وستغمرني من كل ذلك السعادة والعرفان والفضل الكبير .

عند إرسال الرسالة مباشرة ستقوم أنت بإرسال نسختين أو ثلاثة منها لي مع كل الرسائل الأخرى ، حتى يمكن إرسالها بواسطة السفن

التي ستغادر في بداية السنة التالية ، وستخبر سموه لاحقاً بأنني أخطرت عن طريقه رسائل من نائب ملك الهند بأن هناك اختلافات معينة في الرأي بين "فرانسيسكو دا كوستا" و"دييجو دي ميراندا" ، وهو برتغالي أرسل من قبل صاحب السمو للشاه والذي نتج عنه قليل من الرضا عنهم في تلك المناطق .

يختلف هذا جداً عما كان عليهم أن يكونوا كمبعوثين لسموه ، وقد وضح لي وجوب إخطاره حتى يتخذ الإجراءات لتأكيد أن ذلك لن يحدث مستقبلاً في مناسبات أخرى . الأشخاص الذين يقوم بأرسالهم يجب أن يكونوا مناسبين وإذا كانوا برتغاليين فيجب عليه استشارتك أولاً فيما يتعلق بموقفهم وأصولهم .

سآمر بأن توفر لهم سفينة وكل ما هو ضروري يمكنهم من الذهاب في راحة عظيمة عن طريق الهند ، وذلك حتى نكون قد خدمنا سموه في كل أمر برغبة وبنحو خاص . ستخطرني مسبقاً وتعرض عليَّ الخطط التي تنوي القيام بها في هذا الأمر حتى أكون ملماً بذلك .

كتب في بلد الوليد في السابع والعشرين من نوفمبر عام ١٦٠٤م

"كونت دو فيلا نوفا" "Conde de Vila Nova"

إلى سماحة "الدوم جوزيه دي ميلو" ، السفير في بلاط "روما" .

وفي العام نفسه (١٦٠٤م)

قدّم "فيليكس دي جيسوس" "Felix de Jesus" ، مسؤول دير رهبان هرمز ، سجلاً تاريخياً للنظام الكهنوتي لدى القديس "أوغسطين" في الهند الشرقية (١٥٧٢م - ١٦٠٤م) ، ويذكر تأسيس الأديرة في هرمز ، ويذكر الأب "سيماو" في بلاد فارس : (٥٤)

مخطوط منشور من قبل "آرنولف هارتمان" "Arnolf Hartmann" ، حيث يوجد اتباع النظام الكهنوتي الأوغسطيني في "غوا" الذهبية ، نسخة مُعاد طباعتها من مختارات أوغسطينية تحمل رقم ٣٠ (روما في عام ١٩٦٨م) .

الفصل الأول : كيف وصل نظام الأوغسطينيين الكهنوتي لكي يتم تأسيسه في الهند الشرقية .

من المعروف جيداً في جميع أنحاء العالم أن ملوك البرتغال دائماً

(٥٤) رقم الوثيقة والهامش.

ما قد رغبوا في نشر عقيدة المسيح وتمجيد اسمه ، مُنتهزين أية فرصة جاءت في طريقهم ليكتشفوا أقطار جديدة وشعوباً ويصنعوا فتوحات .

كان الفتح الرئيس لهؤلاء هو فتح بلاد الهند الشرقية ، الذي تمَّ تحقيقه أولاً على يد ملكنا "الدون مانويل" "D . Manuel" صاحب الذكرى المجيدة ، الذي أرسل الأسطول الأول وتمَّ اتباعه بواسطة الآخرين ، مثلما يحكي بإسهاب في سجلاتنا التاريخية لدى الهند ، وبهذا الفتح يبدو أن مملكة (البرتغال) أصبحت نبيلة ، وواسعة النطاق ، وغنية بينما كانت قبل ذلك محدودة وفقيرة .

كما كانت نية الإله الرب أن يجعل اسمه معروفاً لهؤلاء المسلمين والوثنيين الذين كانوا مُنعزلين وبعيدين جداً ، ولذلك فهو أيضاً قد اختار الأمة البرتغالية لهذا الإنجاز العظيم ، جاعلاً مثل هذه المحاولات ؛ حيث ارتبط المشروع بصعوبة الرحلة البحرية والحروب ، سهلة بالنسبة لهم ، معتمدين فقط على قوة الله .

يبدو لي أننا في الممكن أن نقول عن هذا الفتح ما قاله النبي الملكي عن أشخاص الله وعقيدتهم في سفر العصر القديم ٧٩ :

لقد جلبتم كرماً من مصر : لقد نزعتم الوثنية وزرعتموها ، وتحركتم لنشر هذا الإيمان وغرسه ، وجعلتم قوة صغيرة جداً كهذه تغزو جيوش غير عادية ، مُحضرين إياهم إلى الإيمان ومُحولين عدداً كبيراً من الوثنيين . أنتم أيها الرب كنتم قائد الرحلة البحرية وقائد تلك الفتوحات والمشاريع ، وقد غرستم الجذور . أعطيتم القوة للمؤسسين الأوائل ، "الدون فاسكو دا جاما" و"أفونسو دي البوكيرك" العظيم ، ...

هامش : المسائل (المقدسة بالحرف الأسود) التالية هي من هذا السفر .

الذي استولى على "غوا" ، وهرمز و"مالقا" ، الذين كانوا أُسس هذه المملكة السرقة ، واسمكم الذي غطى التلال بالظل . كانت التلال التي في الكتاب المقدس المغطاة بالظل باسمه تدل على الملوك في الشرق الذين أصبح عدداً كبيراً منهم توابع لأولئك الرجال وكانوا كما لو اختفوا بواسطة ظلهم ، مرسلين فروع الأشجار إلى البحر امتدت أعضاؤهم على طول تلك كل تلك السواحل حيث أصبحوا أسياد البحر .

أخيراً ، أعتقد أن ملوك البرتغال في هذه المناطق يتم تصويرهم في رواية صاحب البيت الإلهي الذي خرج لكي يستأجر عمالاً للعمل في بستان كرمه ، مبكراً في الساعة الثالثة وفي الساعة السادسة وفي الساعة التاسعة .

كان الرجال الأوائل الذين أرسلهم إلى بستان الكرم هم العمال الذين يحبون الفقر من أسرة الأب السيرافيمي" القديس "فرانسيس" "Francis" الذي ذهب لكي يعمل مبكراً في الصباح في بستان الكرم ، وبمجرد أن وصل البرتغاليون إلى هناك ، عملوا فيه كعمال أوفياء ومخلصين وصالحين .

في الساعة الثالثة عادوا إلى مكان السوق لكي يجدوا عمالاً كثيرين لبستان الكرم هذا ، الذي كان ينمو ، وبعد ذلك وصلوا إلى اتفاق مع أولئك الوعاظ الإنجيلين الذين يتبعون البطريرك المجيد القديس "دومينيك" "Dominique" يقدمون وعداً لهم بما هو حق .

في الساعة السادسة تقابلوا مع عمال كثيرين من أجل بستان الكرم ،

وأرسلوا أولئك العمال المخلصين إلى مكان الصلاة (المُجمع الديني) الخاص بالأشخاص المرافقين لجمعية يسوع المسيح ، أتباعه اسماً وعملاً . مع هؤلاء يزرع رب العائلة بستان كرمه الواسع ومن الممكن أن تتم رؤية فاكهته مُتزايدة إلى حد يصل إلى مجده العظيم .

ذلك لأنه في الجانب الآخر يبدو أن عدد عُماله من الممكن ألا يكون كافياً ليجعل كل شيء متقناً ، فإنه إنشاء الإله الرب ، يجب أن يتم دعوة أبناء أبانا القديس "أوغسطين" ، آخر الجميع في الساعة التاسعة ، هؤلاء الذين يتم إعطاء التعاليم إليهم عن محبته ، وتوبته ومعرفته ، والصفات التي أضاء بها العالم وحقق الانتصارات المجيدة على الهراطقة والكافرين .

في العام ١٥٧٢م أرسل الرب هؤلاء العمال المؤمنين في داخل بستان كرمه بالطريقة الآتية .

كان قبطان وحاكم القلعة ومملكة هرمز هو "لويس دي ميللو دا سيلفا" ، ولكنه لم توجد أية تغذية روحية في تلك المدينة لأنه لم يكن يُوجد أي رجال دين في الجزيرة لأي من النظم الكهنوتية التي كانت في بلاد الهند . لقد تركها الجميع لسبب أو لآخر ناشئ عن حاجات العمل على البر الرئيس ، أو الحرارة التي جعلت أرواحهم في خطر .

عندما علم القبطان أن عدداً كبيراً من الأشخاص كان بدون بدون غذاء روحي ، كتب إلى الملك "سيباستيان" "Sebastian" طالباً مساعدته وسائلاً إياه أن يرسل إلى تلك الأراضي رجال الدين من

ذوي صبر كافٍ ، وأفعال حسنة ، ومعرفة بخدمة الإله وسموه[أ] . في ذلك الوقت كان رئيس أساقفة النظام الكهنوتي في البرتغال هو الأب "أوغسطينهو دي جيزيس" الأكثر وقاراً ، الذي هو الآن رئيس أساقفة "براجا" "Braga" والأسقف الأعلى لكل إسبانيا .

تحدث إليه الملك عن هذه القضية وطلب منه إخوة "فرير" لكي يرسلهم إلى بُستان كرم الرب هذا ، لقد تم الطلب منه بمثل ذلك وكان ضرورياً لأنه لم يوجد العدد الكافي منهم في الهند .

قبل القس الأسقفي يديه على هذا الجميل وبعد ذلك مع مساعديه من الكهنة اختار لهذه المهمة ، وهذا المشروع الأب الممتاز "أنطونيو دي بيشان" "Antonio de Bishan " كراهب أسقفي ، فهو أخ واسع الاطلاع ، قد كان مسؤولاً عن دير رهبان "غراسا" في "لشبونه" . اختار الزائران ، الأب "لويس دي مونتريا" والأب "فرانسيسكو دا فيلا فرانكا" "D . Francisco da Vila Franca" ، وأحد عشر رفيقاً له لكي يجعلا العدد يرتفع إلى اثني عشر ، الذين سوف أذكر أسماءهم ؛ لأنهم كانوا الأوائل .

(أ) كانت حاجة "هرمز" الروحية التي هي سبب مجيء الأوغسطينين ناتجة عن اثنين من الرسائل الملكية لدى الملك سيباستيان بتاريخ العشرين من فبراير والثاني من مارس عام ١٥٧٢م "توري دي تومبو" ، المخطوط رقم ٧٣١ ، الصفحات ٩٤ في – ٩٥ في) ، وقد تم نشرهما من قبل إيه . دا سيلفا رجو ، وثائق برتغاليي الشرق ،

(Documentacao Para a Historia das Missoes do Padroado Portugues do Oriente, India)

ونشر في لشبونه في عام ١٩٥٨م ، ٢٤٧ إف ، ويوجد أيضاً في نفس المجموعة : ذكريات الصلوات الأوغسطينية في الهند الشرقية (ومن الآن ذكريات) ١٢ : "يوجد نص الصلوات باللغة البرتغالية" .

الآباء هم : الأب "سيماو دي جيسوس" "Simao de Jesus" ، والأب "جورج دي سانتا ماريا" "George de Santa Maria" ، والأب "جواو دا غـــراسا" "Joao da Graca" ، الأب "بـــدرو دا كـونســيســاو" "Pedro da Consicao" والأب "أنــسـيــلـمــو دو بــــارايـــســو" "Ancelmo da Pareiso" ، والأب "سيماو دا كونسيساو" "Simao da Consicao" ، والأب "دومينجوس دا بيديد" "Domingos da Beded" .

والأب "مانويل دوس ريس" "Manuel dos Reis" ، والإخوة هم : الأخ "جواو دي سانتا مونيكا" "Joao de Santa Monica" ، والأخ "لويس دي سانتا ماريا" "Luis de Santa Maria" ، والأخ "مانويل دي ساو بيدرو" "Manuel de Sao Pedro" ، والإخوة المساعدين ، وجميع الإخوة الذين تم إعطاؤهم التقدير العظيم .

يوجد لدى عدد الاثني عشر الذين تم تعينهم من قبل سموه معنى رمزيا ؛ لأنه عدد ذو دلالة ليس فقط في الأمور البشرية ، ولكن أيضاً في الأمور الإلهية فيما بين أفراد البشر : فالسماء لديها اثنتا عشرة علامة ، والجسم لديه اثنا عشر جزءا رئيساً مشتملاً على الأجزاء الإلهية ، وقسّم الإله شعبه إلى اثنتي عشرة قبيلة ، وتم اختيار اثني عشر رجلاً للبحث عن الأرض الموعودة ، والمدينة الموصوفة من قبل القديس يوحنا لديها اثنتا عشرة مؤسسة واثنتا عشرة بوابة .

هم يُحيطون بمنطقة تحتوي على اثنتي عشرة قبيلة ، وتم اختيار اثني عشر رجلاً للبحث عن الأرض الموعودة ، والمدينة الموصوفة من قبل

القديس يوحنا لديها اثنتا عشرة مؤسسة ، واثنا عشرة بوابة ، وهم يُحيطون بمنطقة تحتوي على اثني عشر ألف فيرلونج مربع ، وربما تكون الدلالة في أن سموه والقس الأسقفي والكهنة المساعدين ، رغبوا في أن يوجد اثنا عشر منهم مثل رُسل المسيح لكي يعظوا ويعلموا الوثنيين في تلك المناطق ويُنفذوا بإتقان العمل الذي تم إرسالهم لكي يقوموا به .

لو تمَّ السماح لي بأن أقــدم تقريراً عن قواعد التعليمات والوثائق التي حملها معــهم هؤلاء الآباء ، فمن الممكن أن تبدو أنها أكثر روحانية وإصلاحاً وتأثيراً بالقدر الذي أملاهم الروح القديس على هؤلاء الآباء المحترمين ، ولذلك سافر هؤلاء الاثني عشر أخاً "فرير" في اثنتين من السفن .

إحداهما تسمى السفينة "ريس ماجوس" والأخرى "سان فرانسيسكو" غادروا "لشبونه" في الثامن والعشرين من مارس من عام سيدنا المسيح ١٥٧٢م[أ] وسافروا مع مخاطر الطقس والمتاعب والأزمات التي عانى منها هؤلاء الذين استمروا في هذه الرحلة المُتعبة[ب] ، وصل جميعهم "موزمبيق" بأمان ولأنهم وجدوا هناك سفينة كانت ذاهبة في

(أ) مانويل دا أفي ماريا ، أو .إس .أيه في كتابه :

(Manuel Eremetico da Congregacao da India Oriental das Eremitas de N .P .S .Agostinhoho) .

المنشــور من قبل "إيه .دا ســيلفا ريجو" ، "لشــبونه" عام ١٩٥٥م يُعطي لنا يوم الخامس عشر من مارس على أنه تاريخ المغادرة من "لشبونه" .

(ب) لمعرفة متاعب الرحلة انظر كتاب ، جي ، دوفي ، تحطم سفينة وإمبراطورية ، (كمبردج عام ١٩٥٥م) وهو يتحدث عن كثير من الحوادث في البحر المتضمنة في هذا المخطوط .

طريقها إلى هرمز فقد اعتقد القس الأسقفي بأن اثنين منهم يجب أن يُبحروا معها لتنفيذ أمر معاليه .

حيث قد تم إصدار الأمر إليها بالذهاب إلى هناك ، وأن يضعوا أيديهم على المباني والأراضي التابعة لها والدير الذي أمر الملك بإعطائه إليهم ، وأن يشغلوا أنفسهم بما هو محدد لهم لكي يفعلوه . اعتقد القس الأسقفي أنه من المناسب أن يذهبا إلى "غوا" لكي يتسلما مكان الإقامة ويُنشئان مركز القيادة للمُجمع الديني ، ومن هناك يمكنهما أن يذهبوا إلى أي مكان حيث تكون هناك الحاجة إليهم .

اختار لبعثه هرمز الأب "سيماو دي كونسيساو" ، كاهن ممتاز ومثقف ، وأعطاه الأخ "جواو دي سانتا مونيكا" كرفيق له . شرعاً في الإقلاع ووصلا إلى هرمز ، ولكن حيث إن خدمة "الرب" تأتي دائماً وتجلب المتاعب في تلك الدولة ، فإن هذا الرب الممتاز لم يعجز عن الشعور بالمتاعب ، وكان من الضروري بالنسبة لهم أن يذهب إلى الهند ويزور نائب الملك .

فيما بعد عامين وضعوا أيديهم على الممتلكات بسلام بواسطة مرسوم ملكي ، تسلموه من الملك "سيباستيان" ، وفي أثناء ذلك عاشوا في منزل صغير وبدأوا بعناية شديدة في وعظ وتعليم هؤلاء الأشخاص .

ذلك لأن حماس الأب "سيماو" كان شديداً فقد بدأ العمل الذي أرسل من أجله ، مُحدثاً نتيجة جهده بين المؤمنين والكفار في تلك المدينة من خلال تعليمه لهم ، وأكثر من ذلك بقدوته الحسنة لأنه كان متمسكاً به من قبل الجميع لكي يكون قديساً مثلما كان هو في الحقيقة .

كان هذا واضحاً من خلال حشد عدد كبير من المغاربة (العرب

المسلمين) وكفار آخرين (لأن أناساً عديدين من كل المعتقدات يعيشون في تلك المدينة) الذين تم تحويلهم بواسطته إلى عقيدتنا الكاثولوكية المقدسة ، والذين لا يزال يعيش عدد كبير منهم هناك .

حيث تزوج كل من الرجال والنساء بالبرتغاليين ، وكذلك النسوة الثريات اللاتي تعلمن الإيمان والممارسات الدينية الحسنة من هذا الأب التقي . كما حوَّل أيضاً إلى المسيحية بعض التجار الزرادشت الذين كانت لهم مكانة عالية هنا ، فلنتركهم وشأنهم مشغولين بهذا العمل المقدس .

الفصل الثاني : كيف وصل القس الأسقفي ممثل الكنيسة إلى الهند وأسس ديراً في مدينة "غوا" .

غادر القس الأسقفي "موزمبيق" ووصل إلى "غوا" في شهر سبتمبر من نفس العام[أ] ومع عشرة إخوة أقام في دير الآباء الفرنسيسكان الذين عاملوه بكرم شديد كما لو كان أخاً لهم .

كان نائب الملك لدى الهند في ذلك الوقت هو "الدون أنطونيو دي نورونها" ، الذي كان مخلصاً بشكل خاص لنظامنا الكهنوتي . استقبل القس بحرارة شديدة وأظهر له كثيراً من المساعدة بشكل تام ، مثلما فعل رئيس الأساقفة "الدون جاسبار" ، الذي قدم له منزلاً ليقيم فيه الإخوة ، وبعد ذلك موقعاً حسناً لكي يُشيد عليه بناء .

لم يقبل حضرة الأب الموقر لأنه أراد أن يكتشف عما إذا كان يوجد

(أ) لكي نكون أكثر دقة كان التاريخ هو يوم الثالث من سبتمبر ، "مانويل دا ايفاماريا" ، المرجع ٩٧ .

مكان أفضل . شيّدوا منزلاً صغيراً بالقرب من الموقع الذي نحن فيه الآن ، ولأنه لم يكن واسعاً بما فيه الكفاية لكي يستقبل فيه الرهبان الجُدد ، فقد أقام القس الأسقفي داراً لإعداد الرهبان الجُدد في كنيسة "إن .إس .دا بيداد" في الجانب الآخر من الجزيرة ، وعيَّن لها "جورج كويمادو" "George Quemado" كأب رئيس ، الذي هو أسقف فيز[أ] الجدير بالاحترام .

هناك بواسطة القوانين المتروكة لدار تأهيل الرهبان التي في "لشبونه" من قبل الأب "لويس دي مونتويا" ، أنشأ مدرسة تدريبية أنجبت عدداً كبيراً من الرجال الممتازين الذين خدموا "الرب" سيدنا المسيح بصورة حسنه في تحويل الأشخاص إلى العقيدة المسيحية وتقدم النظام الكهنوتي .

وكلما كان الإذعان والفقر شديداً ، ذلك الذي تربوا عليه فوق قمة ذلك الجبل ، كلما ارتفعوا عالياً في ممارسة تلك الفضائل الأنجيليكانية التي علمها سيدنا المسيح لأتباعه على الجبل ومن خلالهم إلى العالم بأكمله .

على الرغم من أن بعض الناس قالوا بأنه يوجد عُمال بما فيه الكفاية لنشر المسيحية في الهند ، ولم يتم الاحتياج إلى المزيد ، وحاولوا إقناع القس الأسقفي ممثل الكنيسة بالعودة إلى البرتغال [ب] ، فإن الإله

(أ) كان "هوتيتيو أسقف فيز" ، ومساعد رئيس أساقفة "براجا" ، "أغسطينهو دي كاسترو أو .إس .إيه" ، المنتخب في الأول من شهر فبراير عام ١٥٩٩م .

(ب) بتاريخ الثالث من يونيو عام ١٦١٣م شرح الأب "فينسنت أو .سي .دي" لقائد نظامه الكهنوتي مُبرراته لإقامة مؤسسة دينية في "هرمز" (قارن سجلات أو .سي .دي ، روما ، وثيقة رقم ٢٣٩ب) .

الرب مع ذلك جعلها ضرورية ، عالماً بأنه توجد خدمة كثيرة يمكننا أن نُقــدمها لــه ، لكي نُحول عدداً كبيراً من الوثنيين إلى أحضان الكنيسة الكاثولوكية .

ذلك فإن من بين الأشياء الأخرى التي يكتبها : "بإقامة مؤسسة لنظام ديني في الهند ، ليست هناك أية مساعدة صغيرة لقضية موطئ قدم لنا في هرمز . لأننا لنرى كيف أقام الآباء الأغسطينيون الذين جاءوا فقط من البرتغال ليُنشئوا بعد ذلك مؤسسة في هذا المكان بأمر الملك الدون سيباستيان ، مؤسسة في "غوا" على عكس رغبة الكاردينال الدون هنري خليفته ، وعلى عكس خططه "انظر أيضاً ذكريات ، صفحة ١١٠ .

الآباء الأساقفة ممثلي الكنيسة دائماً ما دعوا الله باستمرار لكي يدلهم على مكان وموقع حيث يمكنهم أن يبنوا بيتاً يستطيعون أن يخدموه فيه بصورة حسنه ، وعلى الرغم من أنه تم تقديم عدد كبير من المواقع بمزايا متعددة إليهم ، فهو دائماً ما راقب ووضع عينيه على موقع في المدينة لم يقدمها له أحد .

اعترف مؤخراً هذا الحبرُ المقدس أن الإله كان يخبره دائماً في قلبه بأنه يجب أن يبني هناك ، ولذلك فقد كان ملهماً من قبل الإله عندما أسس البيت في المكان الذي هو فيه الآن ، وأصبح لدينا ديراً رائعاً ، يمثل روعة المدينة . في موقع هذا الدير من الممكن أن تتم الطبيعة الحقيقية لدى رب البيت ذلك ، الذي دعانا في الساعة التاسعة بعد كل العمال الآخرين .

عندما جاءت الساعة لدفع الحساب كان مسروراً كي يعطينا كثيراً مثل الآخرين الذين عملوا هناك ، وربما أكثر ، لأنه نتيجة لمجده وشرفه من هذا البيت الوحيد والمؤسسة التي أقامها لنا انتشرت أديرة عديدة وبيوت في جميع أنحاء الهند ، حاملة إيانا إلى المناطق الأكثر بعداً ، وسرَّه أن يعطينا بسخاء آخر خدمه ، وأعتقد أنه كان يجب عليه أن يفعل لنا التكريم الأعظم الذي اختاره أخيراً لنا ، وبحكمه علينا بأننا أقوياء في أداء خدمته جعلنا في المؤخرة .

تصف كلمات النبي زكريا هذا ، عندما يقول إن الأربع عربات كانت مجرورة بواسطة خيول بيضاء ، وخيول كميتاء (خليط مع البني والأحمر) وخيول مبرقشة ، وخيول قوية سوداء ، مشابهة للأنظمة الدينية المرتدية لقواعد وألوان مختلفة ، الذين يجرون العربات نحو المدينة المقدسة ، ويعني ذلك أنهم يجرون الأرواح إلى الإله ، وهؤلاء الذين يأتون أخيراً هم الخيول السوداء ، الذي يعني نحن ، الذين ذهبوا أخيراً لأننا أقوياء ، ومثلما يقول النبي .

إن الإله يزن قوتنا بعينه ويجزينا بسخاء لكي نُنفذ أعمالنا الصعبة بل المجيدة بروح وجهد ، لأننا نرى كلمات الإنجيل تأتي إلينا بصدق وأن الأخير سوف يكون في المقدمة ، ونحن آخر من يأتي ، هم الأوائل في العمل واستلام الجزاء . إن الرب كريم جداً للحد الذي فيه لن يتأخر أبداً عن الذين يخدمونه حتى لا يفقدوا جزاء الأعمال الأولى التي فعلوها .

الفصـل الثالـث : كيف ومتى تم تأسيس الأديـرة في هرمز وتانا ، وطول مدة منصب الأسقفية للأب المقدس "أنطونيو دا بيشاو" .

في نفس الوقت الذي كان فيه القس الأسقفي يأمر بتأسيس دير "غوا" ، الذي كان يجب أن يكون المركز الرئيس لإقامة الصلاة ، كان الأب "سيماو دا كونسيساو" يتفاوض في هرمز مع ضباط الملك على أنه يجب أن يتم إعطاؤه موقعاً وأن يحصل على منزل مبني ، وأن الإخوة يجب أن يتم إعطاؤهم ما هو ضروري ، بمقتضى مرسوم ملكي من الملك "سيباستياو" الذي أطلعهم عليه .

لأن الاستخدامات التي سببتها المصلحة الشخصية أصبحت قوية ولا نستطيع أن نضع حداً لها ، على الرغم من أن القبطان والوكيل التجاري أظهرا نيات حسنة في عمل وترتيب كل شيء مثلما أمر الملك ، فمع ذلك حيث إنه تطلب إنفاق المال ، علي الرغم من أنه كان مال الملك ومن أجل أبناء الشعب الذين كانوا فقراء وكانوا يبنون مساكنهم كرجال فقراء ، فإنهم لم يُنفذوا نواياهم الحسنة وجعلوا الملك يشعر بالإحباط وبأنه غير سعيد .

قبل أن تصل الأمور إلى حد سيئ ، فقد اشتروا ، سواء من خلال الشعور بالخجل أو النية الحسنة ، من رجل يهودي ، مواطن من هرمز بعض البيوت الواسعة في وسط المدينة إلى جانب البحر ، التي كانت ملائمة جداً ؛ حيث بدأ هؤلاء الآباء في بناء الدير الذي هو اليوم مثير للإعجاب وجليل في مظهره ، ولديه كنيسة جميلة ، ورواق مغطى بالأعمدة للاعتكاف وأماكن للنوم .

لكي تعرفوا من أي أنواع البلدان تكون هرمز وما يعانيه الإخوة هناك

في خدمة الإله ربنا ، فإنني فكرت في أنه يجب أن أقدم وضعاً مختصراً للجزيرة والدولة وما يفعله الإخوة هنا .

هرمز هي جزيرة في المضيق الذي يسمى مضيق الصرة في البحر الفارسي . في أحد جوانبها تكون بلاد فارس على بعد اثنين فرسخ ، وفي الجانب الآخر رأس مُسندم على بعد تسعة فراسخ ، ولذلك فإن الجزيرة هي بين بلاد فارس وشبه جزيرة العرب ، الجزيرة جافة وقاحلة ولا تنتج شيئاً يستطيع أن يمد بالحياة .

حتى إنه يتم الإمداد بالمياه العذبة من الخارج(أ) . التلال عالية وتحتوي على الملح ، يبدو البعض أنه يتكون من الرماد والأخريات من الكبريت ، والأنهار من الملح وهي تتدفق قليلاً منا لمرتفعات ، وإذا سألت أي من الرجال كبيري السن لماذا ظهرت الجبال كما لو كانت مُحترقة فإنهم يُجيبون غالباً ما اجتازت النار سلسلة الجبال وأنهم لم يعرفوا من أين جاءت ، ولكنه أمكن رؤية الدخان لوقت طويل في أماكن معينة ، وإذا بحثوا عنه فإنهم لم يجدونه ؛ ولأن الجزيرة تقع على خط عرض سبع وعشرين درجة شمالاً .

إن الحرارة تكون شديدة جداً ، ابتداء من شهر مايو حتى سبتمبر ،

(أ) هامش : تسلمت "هرمز" إمداد مياهها العذبة من جزيرة "قشم" ، ونتيجة لذلك كانت عُرضة بشكل شديد جداً للهجوم لأن "قشم" كانت في أيدي الأعداء .

من باب الاهتمام هنا أن فيليكس كتب كشاهد عيان ، فهو كان مسؤولاً عن أديرة "هرمز" في عام ١٥٩٣م (انظر ما يسرد في أسفل) ويكون اسمه مفقوداً في قائمة مانويل دا ايفاماريا ، ولكنه يلاحظ أن قائمته التي تحتوي على مسؤولي أديرة "هرمز" غير كاملة (انظر المؤلف المذكور ، صفحة ١٤٩) .

للحد الذي يقولون إنه لا يوجد أشد منها في أي مكان . من الصعب أن نشرح كيف يتحملونها ، وعلى الرغم من أنها أيضاً قحلة جداً ، إلا أنها واحدة من الأماكن الأكثر تردداً في العالم ؛ حيث يوجد حشد كبير من التجار وبضاعـــة من جميع المناطق وهم مُحمَّلون بجميع السلع ولمواد الغذائيـــة ليـــس فقط من الأشياء التي تمدُ بها الهند ولكن أيضاً تلك التي تأتي من "مالقا" ، والصين ، والبنغال ، والسند ، و"مُمبسا" ، و"موزمبيق" .

يعيش هناك أناس من جميع الأمم ، مشتملين على عدد كبير من أهالي البندقية الذين يُحضرون بضائع متعددة للبيع في هذا السوق اليومي ؛ حيث يوجد مُشترون لكل شيء ويتم بيع كل شيء في هذه الأرض .

ولذلك فإنه يوجد لدينا دير إن .إس ."دا جراسا" "da Graca" ؛ حيث يعيش هناك عشرون أخاً ، وعاظاً وكهنة منشغلون في أعمالهم الكهنوتية تقريباً معظم الوقت ، لأنه حيث نكون بمفردنا في هذه المدينة فإننا نُنفذ جميع التزاماتنا في العمل الخيري الروحية والدنيوية ، وكذلك خدمة الإله ربنا في تحويل الوثنيين ، الذين يتم تحويل عدد كبير منهم بشكل دائم إلى ديانة يسوع المسيح .

حيث إنه يتم منع الأولاد من بلاد الهند من العبور إلى بلاد فارس ليزيدوا الطائفة المحمدية ؛ حيث هناك يتم تحويلهم جميعاً بواسطة الحكام إلى مسلمين (التي هي التجارة الرئيسة التي يتم تنفيذها هناك) .

يبحث إخواننا الرهبان عن السفن بعناية شديدة ، ويؤخذ جميع الأولاد الذين يجدونهم فيهما إلى الدير لكي يتم تعليمهم عقيدتنا

المقدسة ، ويوجد عدد كبير منهم في كل عام من جميع الأمم ، وغالباً لا يوجد لهم مكان كان في البيوت ، ويتم تحويل عدد كبير من مواطني الجزيرة إلى الديانة المسيحية .

يجب أن يلاحظ أن هذا مكلف جداً لأن معظمهم يجب أن يتم إطعامهم وكسوتهم ، وكذلك البحث عن الأزواج والمهور للبنات ، ويتخذ الأولاد تجارة لكي تزودهم بمثل هذه المصاريف . حيث أقول ، إننا حتى الآن لا يوجد لدينا مساعدة أو مال من جلالته[أ] ، ولكن كل أولئك الذين يتم تحويلهم إلى المسيحية يتم إطعامهم وكساؤهم ومساعدتهم على حساب فقرنا والصدقات التي نطلبها من المؤمنين ، (...)

في رسالة إلى نائب الملك مؤرخة في يوم الثالث من شهر مارس عام ١٥٨٧م ، يبحث الملك عن معلومات عن كيف يعيش "الأوغسطينيون" ؛ لكي يرد على طلبهم من أجل الإعانة المالية ، وهو يريد أيضاً أن يعرف مقدار المبلغ الذي يحصل عليه "الفرانسيسكان" و"الدومنيكان" في كل عام ، على ما يبدو لإرشاده في اتخاذ قراره .

في غضون ذلك يصدر الملك توجيهاته إلى نائب الملك لكي يُعطي "الأوغسطينين" ما يحتاجون إليه .

(...)

(أ) يحتوي الأرشيف التاريخي لدولة الهند في "غوا" على مكاتبة مطولة تبين أن الأوغسطينين لم يشاركوا في كل النعم الدنيوية لدى البادرادو (الراعي الملكي في الهند) . إننا نقدم الصفحات التي يتم فيها ذكر المخطوطات في نشرة :

(Boletim da Filmoteca Ultramarina Portugese) ("لشبونه" ١٩٥٤م) .

في يوم الثامن والعشرين فبراير عام ١٥٩٥م يسأل الملك "ماتياس دي البوكيرك" عما إذا وصلت الصدقات الممنوحة "للأوغسطينين" في كل عام من الخزانة الملكية ، وفيما إذا كان يجب عليهم أن يتم منحهم نفس المبلغ مثل النظم الدينية الأخرى ، مثلما طلبوا .

(...)

في يوم الثاني من يناير عام ١٥٩٦م يُعطى الملك توجيهاته إلى نائب الملك لكي يعطي إلى "الأوغسطينين" المواد الغذائية التي كان قد تم التصويت عليهما لأنه يعرف أنهم الوحيدين من كل المتدينين الذين هم في أشد الحاجة إليها .

(...)

يتم اتباع هذه الرسالة برسالة مؤرخة في يوم الخامس من فبراير عام ١٥٩٧م التي تحتوي على النصيحة بأن يتسلم "الأوغسطنيون" نفس قيمة إيجارات السكن مثل النظم الدينية الأخرى .

(...)

في يوم السادس من يناير عام ١٦٠٢م يستفسر الملك فيما إذا كان من الضروري زيادة الإسهامات العادية من الخمر وزيت الزيتون إلى "الأوغسطينين" .

بإمكاننا أن نضيف : (...)

في يوم الخامس والعشرين مارس عام ١٦٠١م يستفسر الملك عن مقدار المبلغ الذي أعطاه "الكونت الميرانت" إلى "الأوغسطينين" في "مُمبسا" لكي يستطيعوا الاستمرار في عملهم في "مالندي" و"مُمبسا" .

يشكو "جوفيا" في المرجع المذكور ، صفحة ٢٠ أنه في عام ١٦٠٢م أنهم لم يحصلوا بعد على معونة مالية ملكية .

لذلك يمكن أن يعيشوا ويتواجدوا متعلمين العقيدة المسيحية ومُعمَّدين فيها ، في أحضان الكنيسة الكاثوليكية ، التي يتم فيها تقديم الخدمة لربنا يسوع المسيح .

في هذا الموسم ، وفي العام ١٥٧٥م ، العام الثالث من فترة الممثلية الأسقفية لهذا الأب الممتاز ، ذكر رجال أتقياء مُعينون اسم "بيدرو فرانسيسكو دا سيلفا" "D . Pedro Francisco da Silva" ، و"أنطونيو دي فريتاس" "Antonio de Freitas" ، الذي كان لديه مؤخراً اثنين من الأبناء اللذين انضما إلى مذهبنا الديني [أ] واللذين ساعداه وسانداه بكل ما يستطيعان حيث أقاما كنيسة صغيرة في جزيرة "تانا" ومنحاها له .

هو بنفسه نظَّم هذه الكنيسة وأسس ديراً في تانا- مكان على الساحل الشمالي ، هناك بكثير من الإرادة في هذه البدايات الضعيفة . يوجد الآن دير كامل وممتاز حيث يقيم اثنا عشر أخاً من الرهبان ويخدمون سيدنا يسوع المسيح وهم يقدمون الموعظة للاعترافات بالخطايا ويأتون ببعض من مواطني هذه الدولة إلى نور الإيمان .

عندما تم الانتهاء من هذا العمل ذهب إلى "غوا" ، مقدماً المساعدة لإخوانه الرهبان من خلال أعماله الطيبة وقدوته الحسنة ، إلا أنه كان منزعجاً من العمر الكبير ونقائص عديدة ، قدَّم التماساً إلى إدارة

(أ) أحدهم هو "فرانسيسكو دا بريسنتاسا" . قارن "مانويل دا إيفاماريا" (المؤلف المذكور ، صفحة ٣٦٠) .

الأسقفيات لكي يرسلوا إليه خليفة له ، الأمر الذي تم تنفيذه ، وبعد أن أسس وأدار شؤون هذا المجتمع الديني لمدة سبعة أعوام ، سافر بحراً وهو مريض يعاني من الآلام إلى البرتغال .

لم يصل أبداً إلى هناك لأنه أثناء الرحلة البحرية قبضه الله إليه ، مُبيناً أنه كان راضياً بشكل حسن عن خدمته ، كما تستحق أعماله ، لأنه على الرغم من أنه كان كبيراً جداً في العمر ، كان يظهر نفسه على أنه مقدس ، وحكيم ، ورجل قدوة ، وفي حد ذاته كان مستخدماً في النظام الكهنوتي في وظائف ذات أهمية عالية .

إننا نؤمن بالرحمة الإلهية التي منحه الرب إياها على المحاولات التي تحملها في خدمته في هذه الحياة .

الفصل الرابع : كيف أرسلت إدارة الأسقفيات خليفة للأب "أنطونيو دا بيشاو" وماذا حدث أيضاً في هذا الوقت .

كما قد قُلنا ، فإن الأب "أنطونيو دا بيشاو" عانى من العمر والضعف ، وقدَّم التماساً إلى إدارة الأسقفيات لكي يرسلوا شخصاً ما ليكون خليفة له . مُتفهمين كيف كانت القُدوة والفضيلة ضرورية لهذا الأب الممتاز في الهند ، اختار الآباء الأب المحترم "دوس أنجوس" "Dos Angos" ، كقسٍ أسقفي ممثل للكنيسة الكاثولوكية في الهند ، الذي كانت لديه الصفات اللازمة لكي يخلف رجلاً ممتازاً جداً ولكي يُشجع على نمو نبت جديد جداً مثلما كان لا يزال هذا المجتمع الديني .

أبحر من "لشبونه" في عام ١٥٧٩م على ظهر السفينة "تشاجاس"

"Chagas" مع ثلاثة رجال حكماء آخرين وإخوة من الرهبان المتقدمين في العمر ، ووصل الهند في نفس العام . كان في حالة صحية سيئة لأنه قد عانى من مرض خطير في أثناء الرحلة ، ولكن الإله أنقذه منه تكريماً لهذا المجمع الديني ، وتولى منصبه ورحل الأب "أنطونيو دا بيشان" ، كما قد قلنا .

في العام الثاني من فترة عمله الأسقفي ، تمَّ تقديم التماس إليه من قبل الإخوة الرهبان من "كوتشين" ، التي هي المدينة الثانية في الحجم والأهمية على الساحل الملاباري .

على الرغم من وجود بعض المصاعب التي تغلب عليها بنفسه الأب الأسقفي لأنها كانت رغبة الشعب والأسقف ذهب إلى "كوتشين" . ترك هناك اثنين من الإخوة الرهبان آمراً إياها أنه عندما يتسلما رسالة يمكن أن يرسلها إليهما من "غوا" ، يجب عليهما أن يؤسسا بيتاً في مكان كان قد تم التخطيط له .

عاد إلى "غوا" ، وأرسل الأب "ماركوس دا جراسا" "Marcos da Graca" ، وهو واعظ ورجل مثقف ، أصبح فيما بعد قساً أسقفياً ، لكي يؤسس هذا البيت الذي أقامه بموافقة الأهالي ، ونحن هنا نمتلك موقعاً ملائماً وديراً مخصصاً لسيدة النور "مريم العذراء" - هذا الدير الذي على الرغم من أنه لم ينته بعد ولم يتم تجهيزه بشكل كامل ، هو في طريقه لكي يصبح هكذا ، وتتم خدمة ربنا يسوع المسيح بصورة حسنة هناك ، بالاعتراف بالخطايا والوعظ وتحويل عدد كبير من الوثنين المواطنين إلى عقيدته المقدسة .

في هذا الوقت حدث هناك في بلاد فارس شيء هام لتاريخي ، لأن عذراء الله فتحت الأبواب للإخوة الرهبان من مذهبنا الديني لكي يخدموه في مملكة بلاد فارس .

حدث بهذه الصورة : أن جاء رجل أرمني إلى مدينة "غوا" هذه(أ) ، وعلى ما يبدو هو شخص موقر وفاضل ، ولكنه كان مملوءاً بالنفاق والتظاهر الذي به يبدو أنه يرغب في الحصول على الأشياء الحسنة لدى الأرض بدلاً من تلك التي في السماء .

روى معجزة قد حدثت لحمزة ميرزا ، ولي عهد مملكة بلاد فارس ، وشقيق الشاه الأعظم الذي يسمى عباس ، ويتولى الحكم الآن ، ولكنه متقدم في العمر ، والذي كان عندئذ يعمل مساعداً في حكومة المملكة . المعجزة هي أنه عندما كان الأمير حمزة ميرزا مريضاً جداً ويئس منه الأطباء ، ذهبت زوجته لزيارته .

كانت في الأصل مسيحية ، ابنة "إسكندر" ملك الجورجيين ، الذين على الرغم من أنهم منشقين دينياً ، بيْد أنهم يحتفظون باسم المسيحيين ويحترمون ربنا يسوع المسيح ، وصليبه المقدس ، ولذلك ذهبت هذه السيدة لتزور زوجها وفيما بين الأشياء أخبرته أنها رأت أن الأطباء يئسوا من حياته ، إلا أنها عرفت دواء قد علمت به في بيت أبيها ، ويمكنها أن تقوم بالحصول عليه لكي تعالجه إذا سمح لها .

(أ) يتم أيضاً رواية هذه الحادثة في كتاب دي كوتو ، المرجع المذكور ، العقد العاشر ، صفحة رقم ١ ، ("لشبونه" ١٧٨٨م) ٥١٤ إف .إن .

أجاب الأمير بأنه بالتأكيد سيكون سعيد أن يفعل مثلما قالت ، وبهذا الوعد جعلته يخرج من البيت كل أولئك الذين كانوا حوله .

عندما كانت وحيدة معه أظهرت له صليباً وقالت بأنه يجب أن يؤمن بأن الرب يسوع المسيح مات عليه ، ويؤمن بالفضيلة التي لديها وألا يوجد لديه شك إلا أنه يمكن أن يستعيد صحته كما رغب .

كان الأمير مندهشاً من الحرية والثقة التي تحدثت بها زوجته في مسألة كهذه ، وعملت الروح المقدسة في داخل نفسه على تنوير فهمه وإخضاع إرادته للإيمان بعقيدتنا .

أخبرها الوثنيون أنها يمكن أن تفعل مثلما قالت إذا أعطاه الإله صحته مثلما قد وعدت .

لقد كان شيئاً معجزاً في أنه عندما دخل الأطباء وجدوا الأمير دون حُمى وقد استعاد صحته كاملة في وقت قصير جداً .

استفاد الرجل الأرمني الذي يشرح "دي كوتو" "De Couto" كيف أرسل ملك البرتغال "فيليب الثاني" رسالة إلى نائب الملك "فرانسيسكو ماسكارينهاس" ، لكي يرى أنه أقنع ملك بلاد فارس ، خودا باندا بمواصلة حربه مع الأتراك ، وكان يبحث عن سفير عندما جاء هذا الأرمني إلى "غوا" .

ذكرته في هذه المعجزة بالمجيء إلى "غوا" وطلب من نائب الملك أن يرسل إخوة رهبان إلى بلاد فارس حيث لا يوجد شك في أن الأمير الذي تسلّم مهام حكومة المملكة رغب في أن يكون شخصاً مسيحياً .

ذلك لأن نواياه كانت أنانية جداً ، مثلما قد قلت ومثلما قد أوضح هو في مناسبات عديدة ، فإن المعجزة بدأت تفقد الميزة التي يجب أن تمتلكها ؛ حيث فقد الراوي الاحترام الذي كان يستحقه . لم يصدق تماماً نائب الملك الذي كان "الدون فرانسيسكو ماسكارينهاس" ، "كونت سانتاكروز" ، الأشياء التي كان يقولها الرجل الأرمني إلى حد ما لأن الأشياء العظيمة دائماً ما تكون صعبة التصديق .

إلى حد ما لأن الأشياء الرمزية التي أحضرها كتعويض لسفارته كانت حجراً واحداً قليل الأهمية وسجادة واحدة ، وهي لم تكن أشياء تبين عظمة أمير عظيم جداً ، مثلما قال بأنه قد أرسلها إليه ، وما زال وعداً أقل كفاية لمسألة لها مثل تلك الأهمية كما كان يطلبها بدون رسالة اعتماد أو تفويض .

مع ذلك ، عندما حدث هذا أحضرت السفن رسالة إلى نائب الملك من جلالته إلى ملك بلاد فارس[أ] وبها أمر بأنه يجب أن يرسل الرسالة إلى ملك بلاد فارس لأنه أصبح من سلطته الملكية أن يفعل ذلك وليس من الواجب أن يتم حراستها بشكل سيئ للحد الذي لا يعتمدها فيه الفرس ؛ متشاوراً في كيف يجب أن يتم تنفيذ هذا الأمر .

أرسل نائب الملك في طلب الأب "ميجيل دوس أنجوس" "Miguel dos Angos" ، القس الأسقفي الذي عرفه واحترمه كما تستحق شخصيته ومهامه وثقافته ، وأخبره بذلك ، وحيث إن الأب

(أ) انظر "إف .مينديز دا لوز" أو قنصل الهند ("لشبونه" ١٩٥٢م) صفحة ٣٠٩ .

"سيماو دا كونسيساو" قد وصل الآن من هرمز ويمكن أن يتحدث اللغة الفارسية بصورة حسنة جداً لأنه قد تعلمها هناك باهتمام شديد ومثابرة ولديه الصفات والثقافة التي تتطلبها المسألة ، وافق نائب الملك والقس الأسقفي على إرسال الأب "سيماو دي موريس" "Simao de Moris" (ما سوف ندعوه) مصطحباً بالرجل الأرمني ، لكي يحمل رسالته إلى بلاد فارس كسفير ، مع تعليمات بالكشف أيضاً عن التحول إلى الديانة المسيحية الذي كان الرجل الأرمني متأكداً تماماً منه .

الفصل الخامس : كيف ذهب الأب "سيماو دي موريس" كسفير لجلالته إلـى بلاد فارس ، وماذا حدث أثناء مهمته .

وافق نائب الملك "فرانسيسكو دي ماسكارنيهاس" ، مع الأب الأسقفي ممثل الكنيسة الكاثولوكية والسادة أعضاء مجلسه على أنه وفقاً لأمر جلالته يجب أن يتم إرسال سفارة إلى هذا الملك القوي الذي لم يرسل إليه أي ملك مسيحي واحداً من قبل .

كان يجب أن يكون السفير إما شخصاً ما يستطيع أن يُمثل بأبهة وشكل رسمي سلطة وعظمة الملك الذي كان مُرسله ، أو فرداً يمكن أن تدل جاذبيته الشخصية على الثقة الكبيرة التي تُوضع فيه ، وبوقار وهيبة كافية وحضور لكي يبين أنه لا يحتاج إلى حب الظهور والفخامة .

اختار نائب الملك الأب "سيماو دي موريس" الذي جسّد الصفات اللازمة والخبرة في لمفاوضات الجادة ، والثقافة ، والفضائل ، والاحترام الديني ، وبشكل خاص ، كما قد قلت المعرفة باللغة الفارسية .

أبصره نائب الملك في طريقه من "غوا" بصحبة الرجل الأرمني في

العام ١٥٨٣م ، مسروراً جداً وواثقاً أن الرب الإله قادر على مساعدة جهوده ، وصل هرمز وسافر من هناك بعدد كبير من الصعوبات ، ليس فقط بسبب طول الرحلة والوقت الذي استغرقته ، ووعورة الطريق ، ولكن أيضاً بسبب إزعاجات رفاقه وبخاصة الرجل الأرمني .

ذلك لأن رحلة هذا الرجل كانت بإيعاز من الاهتمام الشخصي فقط ، كان خائفاً أن يخبر السفير الشاه عما قد حدث في الهند عندما قد أمر نائب الملك بموته ، وكان دائماً ما يترقب فرصة لقتله في أمان .

في ذات ليلة وصلوا إلى مأواهم في وقت متأخر ، وعندما كانوا متعبين جداً ، وبينما كان الأب نائماً في بيت دخل الرجل الأرمني ومعه سكينه كبيرة لكي يهاجمه ، ولكن قبل أن يفعل ذلك استيقظ الأب ، ولذلك لم يقتله كما عنى بذلك وخطط له ، لأن الإله قد أخذ على نفسه عهداً أن يحفظ خدمه من الأشياء التي تغويهم والشدائد التي يضعهم فيها وحفظ هذا الخادم من هذا الخطر العظيم .

حارب الأرمني في الظلام وأيقظت الضوضاء أولئك الذين هم في الخارج ودخلوا عليهما . عندما رآهم الأرمني انصرف عن الأب الراهب وهرب ، اختفى حتى لا يتم رؤية شيء منه مرة ثانية .

عانى الأب من هؤلاء ومن حالات الإزعاج الأخرى وبصعوبات حتى وصل بلاط الشاه ، ولكنه كان في "خراسان" مع ابنه الأمير ، مُنشغلاً بالحرب مع "التتار" هؤلاء الذين حقق عليهم عدداً كبيراً من الانتصارات .

خراسان هي إقليم بعيد عن أصفهان المركز والعاصمة حيث يقيم الملوك ، وعادة ما يكون هناك البلاط الملكي مستقراً ، ولذلك فإن الأب

الراهب اضطر إلى السفر مسافة أطول وبصعوبات أكثر ، والتي ظهرت على أنها سهلة جداً ، لأن هذا كان لخدمة الإله الرب وجلالته . عندما وصل خراسان كان مُرحباً به من قبل الملك "خودابااندا" وابنه الأمير بالاحتفاء المستحق لسفارة من ملك مستقل ذي سيادة مثل جلالته .

عندما سلَّم رسالته وناقش المسألة التي قد أتى من أجلها ، كان الإمبراطور وجميع أهل بيته مُتأثرين به للحد الذي استحوذ على قلوبهم ، ومُندهشين لكي يروا كيف احتقر كل الأشياء الدنيوية ، وهذا واضح من خلال رسالة تمت كتابتها من قبل "خودابااندا" الملك السابق إلى جلالته التي فيها يذكر من بين الألقاب التي يعطيها إلى هذا الأب الممتاز ، أنه يسميه (محتقر كل البضائع الدنيوية) ، ويعترف بأنه من خلال صلواته قد أعطاه الإله انتصارات عديدة على أعدائه .

نتيجة لوعده أصدر أمراً بأن يرافق سفير ذو درجة أعلى الأب إلى إسبانيا ، وأعطاه منزلاً كبيراً حيث أقام ، وتم تأثيثه بأشياء مناسبة لوظيفته الملكية وخدمته للجلالة الإلهية .

عندما غادر الأب ، علم أنه قد استهوى أرواح الفرس الأكثر أهمية وآمالهم كثيراً إلى مسائل عقيدتنا ، وحتى الكهنة رجال الدين الأكثر تعليماً .

بما أن الملك إسماعيل ، ملك بلاد فارس ، والجد العظيم للملك الحالي ، قد كره العقيدة الكاثوليكية وأمر بأن يتم إحراق جميع الكتب المسيحية التي باللغة الفارسية والتي كانت تحتوي على أسرار عقيدتنا .

فقد صدر الأمر إلى الأب "سيماو دي موريس" بأن يترك لهم

التمارين الروحية التي قد جعلهم يؤدونها مرات عديدة ، وكتاب تعليم الدين المسيحي مع أسرار عقيدتنا المقدسة ، المُترجم إلى اللغة الفارسية ، وقد تمت كتابتهما على صفحات الورق من قبل الأب نفسه الذي كان قادراً على فعل ذلك .

عندما تم جمع كل ذلك في الكتب والكتيبات الصغيرة ، جرى تقسيمها فيما بين أصحاب السلطة (اللوردات) الرئيسين لدى المملكة .

غادر الأب بلاد فارس وهو مأسوف عليه من الطبقة الأعلى في المملكة ، وبخاصة من ولي العهد ، الذي كان مُحباً له جداً لأنه قد علَّمه المعادلة الرياضية ، ووعد بأن يعود عما قريب .

الفصل السادس : عاد الأب "سيماو دي موريس" من بلاد فارس .

محضراً معه السفير الذي كان يجب أن يتابع معه السير إلى البرتغال وأيضاً أول ثمار وعظه : رجلاً مسلماً متعلماً مشهوراً ، قد أقنعه بأخطائه وحوَّله إلى عقدتنا المقدسة ، ولأن هذا التحول كان ملحوظاً وجدير بأن تتم معرفته ، فإنني أعتقد أنه يجب عليَّ أن أرويه :

كان هذا العربي فيلسوفاً عظيماً ومثقفاً جداً وبقي على هذه الحال في بلاط الشاه [أ] . كان قلقاً لفترة طويلة من زيف وعدم صدق قانون

(أ) زاره ديوجو دي كونهو في عدد قليل من المرات ، وأعطى انطباعه عنه في المرجع المذكور ، العقد العاشر ، صفحة ٥١٩ :

"كان رجـلاً عرف الجغرافيـا وأطلعني على نموذج كانت مُبينة عليه جميع الممالك والأقاليم التي لدى الشاه" .

في رسـالة إلى "فرانسيسـكو دا جاما" ، مؤرخة في "لشبونه" ، في يوم الخامس من فبراير عام ١٥٣٧م ، طلب الملك من نائبه في "غوا" أن يستقبل سفير الشاه بصورة حسنة/ نشرة فيلموتيكا ، صفحة ٤٤٧ .

محمد (صلى الله عليه وسلم) ، واعتبره على العكس من الفلسفة الحقيقية ، ولرغبته في توضيح الحقيقة دعا الله بحماس شديد أن يفتح له الطريق لكي يزداد علماً ويكون مُتنوراً .

ذلك لأنه يوجد دائماً طريق واحد للخلاص الروحي بالنسبة لشخص يفعل ما في استطاعته للنجاة بنفسه ، كُشف له الستار عن أن رجلاً برتغالياً في عام مُعين يمكن أن يأتي إلى بلاط الشاه مُرتدياً ثياباً مُعينة وله ملامح مُعينة ، أنه بإمكانه أن يُعلمه الطريق الصحيح إلى الخلاص الروحي ويعلمه الحقيقة .

عندما جاء الأب "سيماو" خادم الإله ، خادم الإله إلى بلاط الشاه أدرك أنه هو ما قد تم كشفه له وذهب لكي يبحث عنه ، وأخبره بما قد حدث . علَّمه الأب حقيقة عقيدتنا وحوَّله إلى المسيحية هو ومسلمين آخرين ، قد علَّمهم من قبل . كانوا قادمين معه إلى "غوا" لكي يتم تعميدهم ، ورغب هو أيضاً في المجيء مع زوجته وأطفاله .

تصرفت زوجته بغير إرادتها لأنها لم تكن مشدودة إلى عقيدتنا ، ولكن مُشجعة من قبل زوجها وخائفة من الانفصال عن أطفالها ؛ حيث تركت وطنها وجاءت مع زوجها وأطفالها . كانت منزعجة مثل زوجة أيوب وجربت على مضض صبر زوجها على هذه المسائل ، وعانى هو أيضاً من مضايقات زوجته خلال هذه الرحلة .

أخبر الأب عنها ، هذا الذي أعطاه صورة لسيدتنا "مريم العذراء" وأخبره أنه عندما يُبتلى بمرض يجب عليه أن يصلي للصورة وأن يطلب

من سيدتنا أن تحميه وأن تتوسل إلى ابنها أن يأخذ على عاتقه إعادة السكينة إلى زوجته وتحويلها إلى الديانة المسيحية .

قام المعتنق الجديد حسن الخلق بتنفيذ ذلك ، وبينما كان هو وزوجته وأطفاله جميعهم يركبون على ظهور الجمال ، كما هي العادة في تلك الدولة ، كانت مشيئة الله في اختبار إيمان هذا الأب وسلوكه الحسن ، حدث بالصدفة أنه عندما كانت الجمال مُحمَّلة بالمتاع لرحلة النهار سقط أحد أطفاله الصغار من على ظهر الجمل ، ولأنه ضعيف الجسم تكسرت كلتا رجليه .

بدأت أمه تنزع شعرها بشدة وتلعن حياتها ، ضاربة نفسها بعنف وهي تصيح بغضب أنثوي وضيق ، وموجهة اللوم إلى زوجها الفقير بسبب سوء حظ ابنها وهي تسبه وتلعنه على جرها وأبنائها من خلال أراضي غريبة ، وقائلة إن محمدا (صلى الله عليه وسلم) أرسل إليه هذه المصاعب لأنه كان تاركاً عقيدته لكي يصبح شخصاً مسيحياً ، وأنها مصممة على عدم التحرك من هناك ويمكنها أن تعود مع أطفالها لكي تعيش في الدين الذي تعرفه .

لم يستطيع زوجها أن يهدئ من روعها ، ولم يعرف ماذا يفعل تجاه ابنه برجليه المكسورتين الذي كان يحمله بين ذراعيه ، ولكونه مصابا بالأذى من جميع الجوانب ، فقد استدار إلى صورة سيدتنا "مريم العذراء" التي كانت لديه في سرجه ، متذكراً النصيحة التي قد أعطاها إياه الأب الراهب ، ذرف دموعاً كثيرة .

قال "سيدتي إنك تريني أنني قد تركت عقيدتي وبيتي وهدوئي

وترين ما أعانيه . إنني أعرف أنك تستطيعين أن تساعدينني إذا رغبتي في ذلك ، وآمل أنك سوف تفعلين ذلك من أجل ابنك ؛ ولم تهملي هؤلاء الأشخاص الضعفاء الذين أحضرتهم معي .

بثقة ملهمة من قبل السماء وضع الصورة على رجلي الطفل . أسَّر الجلالة الإلهية أنه عندما لمسته الصورة المقدسة كانت رجلا الطفل بريئتين بشكل تام مثلما قد كانتا من قبل ، ونهض من بين ذراعي أبيه دون أي أذى .

كان المعتنق الجديد أكثر تأكيداً في عقيدته بهذه المعجزة ، وكانت زوجته الكافرة مستعدة لكي تستقبل الإيمان والتعميد المقدس .

شهدت كل الجماعة هذه المعجزة ، وكثير منهم هم أشخاص ذوي ثقة وسلطة لا يزالون اليوم على قيد الحياة . هذا لم يكن الشيء الوحيد الذي حدث ولكن الوحيد الذي سوف أرويه .

عندما وصلوا هرمز تم الترحيب بالأب والسفير والآخرين الذين جاءوا ليتم تعميدهم من قبل القبطان "ماثياس دي البوكيرك" الذي أمدهم في الحال بالسكن المناسب لكي يذهبوا إلى "غوا" .

ذهب الأب "سيماو" على ظهر السفينة محاطاً بالنتائج الجيدة الأولى لوعظه وبالابتهاج الشديد لدى الناس ولدى نائب الملك الذي أرسله ، الكل كان معترفاً به كرجل مقدس ، وكان محترماً له لذلك دون أي سبب آخر .

لقد تم التنبؤ بكل هذه الأشياء في اليوم الذي ارتدى فيه خادم الإله

هذا ثوب نظامنا الديني المقدس في كلية "كويمبرا" "Coimbra" ، فعندما كان في طريقه لكي يتسلَّم الثوب من والده وأقاربه وأشخاصاً آخرين مرتبطين به ، وهو شاب صغير جداً في العمر ، وبينما هو يسير على طول الطريق نزلت حمامة بيضاء جميلة جداً ، وهي تطوي جناحيها وتستقر على رأسه .

بعد ذلك صعدت مرة ثانية بهدوء شديد جداً إلى نفس الارتفاع واختفت ، مسببة الدهشة لكل الذين رؤها ولاحظوها . في الحال تنبأوا بأن خادم الإله هذا لم يكن بسيطاً كحمامة ولكن أبيض ونقياً ، ومملوءاً أيضاً بالصفات الممنوحة بواسطة الروح المقدسة كما بيَّنها هذا الحدث ، وحياته مُرضية للإله الذي هو مستعد لخدمته بصورة حسنة ، مثلما فعل .

لكن حيث إنه لا يعرف كنه تقديرات الإله ، فإن كل هذه الأزهار التي بدا أنها تعد بثمار عظيمة ذبلت واختفت ، ساقطة في البحر مع السفينة التي أبحروا فيها [أ] هو والسفير وكل أولئك الذين ذهبوا معهم . اختفت ولهذا مات الأب سيماو وكل نواياه الحسنة .

إنه كان يتشوق إلى العودة إلى بلاد فارس وأحب ألا يتحدث عن أي شيء آخر ، مُشجعاً الإخوة الرهبان الآخرين لدى المجمع الديني فيها ، وكان يوصي بأنه يجب على معلم الرهبان الجدد أن يتعهد بتربيتهم على

(أ) دي كوتو ، المرجع المذكور ، العقد العاشر ، صفحة ٢١١ و٢٤ :
اختفت السفينة "بوا فياجيم" دون وجود أثر لها في أثناء الرحلة البحرية ، وفيها تم فقدان الأب الراهب "سيماو دي كونسيسا" والذي هو النظام الكهنوتي لدى القديس "أوغسطين" الذي كان قساً أسقفياً ممثلاً للكنيسة لكاثولوكية . كان يقوم بإحضار سفير من مملكة بلاد فارس ؛ حيث قد كان هناك بناء على أوامر من الملك والبابا فيما يتعلق بالمسائل التي كانت ضد الأتراك .

الرغبة والاستعداد لتحويل الفرس إلى الديانة المسيحية ، وعلى الرغم من أنه كان عديم الصبر لكي يجمع ثمار بستان الكرم هذا ، فإنهم لم ينضجوا بالنسبة له بسبب خطايا الفرس .

في ذلك الوقت مات الأمير حمزة ميرزا في بلاد فارس ؛ حيث قتل غدراً على يد حلاقه ، وخلفه عباس الذي يحكم هناك الآن ، وحيث إنه كان صغيراً جداً ولم يتم إبلاغه بشكل تام بما إتفق عليه والده وأخوه مع الأب "سيماو" ، فقد توقفت المعاملات والتجارة بين ملوك البرتغال وملوك بلاد فارس .

كانت رغبات نظامنا الديني لمواصلة ما قد بدأه الأب "سيمان" بصورة حسنة جداً غير ضئيلة على أمل أن يفتح الله باباً من خلاله نستطيع العودة إلى هناك .

ذلك لأن العناية الإلهية توزع كل شيء بهدوء ، فقد تم فتحه في وقته المناسب ، مثلما سوف يرى في مكانه المناسب .

الفصل السابع : كيف أرسلت الإدارة الأسقفية الأب "ميجيل دوس أنجوس" ، وماذا حدث في هذا الوقت .

كانت صفات الأب "سيماو دي موريس" معروفة بشكل حسن في الإدارة الأسقفية وكانت هناك ثقة كبيرة ورضا فيه وفي إدارته للحد الذي عندما تم اتخاذ قرار بإرسال الأب "ميجيل دوس أنجوس" ، الذي كان مريضاً جداً ، إلى البرتغال ، تم اختيار الأب "سيماو" كقس أسقفي وممثل للكنيسة بينما كان مشغولاً في خدمة الإله وجلالته في بلاد فارس ، كما قد تم ذكره .

عندما وصل إلى بلاد فارس تسلَّم مهام منصبه ، ولأنه كان منشغلاً جداً بالمسائل الدنيوية فقد فكر في أنه يستطيع أن يخدم الإله الرب وجلالته بواسطة الذهاب إلى البرتغال لكي يقدم تقريراً عما قد تم حدوثه في بلاد فارس ، وقرر أنه في وقت خروجه في هذه الرحلة بإمكانه أن يترك في مكانه الأب "أنسيلمو دو بارايسو" ، وهو رجل كبير في العمر ، مثقف وأخر راهب فاضل قد خدم كمسؤول عن الأديرة الأخرى ، ولذلك فقد عهد بوظيفته إلى الأب المذكور ، وسافر بحراً إلى البرتغال .

حدث كل هذا في عام ١٥٨٤م .

حكم الأب "أنسيلمو" في كل من القضايا الروحية والدنيوية لإرضاء الجميع ، وبدأ في العام الأول من وظيفته في بناء الدير الكبير في "غوا" ، الذي عمل فيه بجد شديد ، وعلى الرغم من أن وقته كان قصيراً ، فقد ترك أحد الأروقة (أماكن النوم) التي كانت تتم مساعدته .

فيها بحرية من قبل أهالي ونبلاء المدينة ، ونقل أيضاً الكنيسة إلى موقع رائع كانوا يرجون الحصول عليه لمدة طويلة ، لكي يُدخلوا تحسينات على ذلك الدير المشهور وليكونوا أقرب إلى المدينة ، وهكذا يخدمون بصورة أحسن الحاجات الدينية لأهله .

في هرمز في هذا الوقت عام ١٥٨٥م ، تمَّ تحويل "الدون أفونصو نور الدين" إلى المسيحية ، فهو ابن رئيس حكومة هرمز "الجوازيل الرئيس" ، وابن أخ الملك نفسه[أ] ، وصهر وحفيد ملوك بلاد فارس .

(أ) هامش : ذكريات ٦٢ وأنطونيو موريس ، أو .إس .أيه ، (نص باللغة البرتغالية) ، تم نشره بواسطة أيه .دا سيلفا ، المؤلف المذكور ، رقم ١٢ ، صفحة ١٧١ .

هداه الإله الرب لكي يجره إلى حضن الكنيسة الكاثوليكية بطرق غير معروفة لأفكار الرجال .

ذلك لأنه من أسرة مشهورة كهذه ، ثري جداً ومستمتع بالأشياء الحسنة في الحياة ، وفي وسط هذا المجد الدنيوي والمباهج التي عادة ما يعيش بينها المسلمون ، منحه حق مع أخيه ريس فرح خوجه "جوازيل" وزير هرمز لوراثه هذا المنصب ، الذي هو أحد مظاهر التكريم العظيمة ، وبالغة الأهمية في هذه المملكة .

قال "الدون أفونصو" أنه هو الابن الشرعي لوالده ، الوزير السابق ، والآخر على الرغم من أنه كبير في العمر هو ابن غير شرعي . قال الوزير "ريس" فرح خوجه صحيح أنه غير شرعي ، ولكنه فيما بين المسلمين الأطفال الشرعيون ليست لديهم أسبقية .

انفصل الأخان نتيجة لهذا الخلاف والمشاجرة ، وكره كل منهما الآخر وتطلع كل منهما إلى القبطان لكي يُدعِّم مطلبه .

لكن "ماتياس دي البوكيرك" الذي كان حينئذ قبطان هرمز [أ] تحيَّز إلى جانب الدون نور الدين لأنه اعتقد أن قضيته أكثر عدلاً ، وعندما علم أن هذا الشاب ذا نية حسنة ومشدوداً نحو الديانة المسيحية ، أخبره ذات يوم أنه إذا هو أصبح شخصاً مسيحياً يمكنه أن يكون وزيراً لهرمز وقاضياً (للفنديجا) لدار جمارك تلك المدينة ، التي كانت وظيفة تُناسب الآخر .

(أ) يتم التأكيد على قبطانيته لهرمز ، في دي كوتو ، العقد العاشر ، الصفحات ١١ ، ٦٥ إن إف .

اهتم الرجل المسلم بهذا ، ولأن القبطان تقي وراغب في خلاصه الروحي ، شجعه على فعل ذلك ، قدم تقريراً عن المسألة إلى "ماركوس دا جارسيا" ، مسؤول دير هرمز حينئذٍ ، الذي فهمه بشكل جاد جداً ، وجد أنه كان ذا نية حسنة .

أكد له أنه إذا أصبح فرداً مسيحياً لن يكون فقط مثبتاً في تعميده في تطلعاته من قبل جلالته ولكنه يمكن أن يحقق خلاصه الروحي الذي كان يستحق أكثر من كل مطالبه ، ولهذا السبب تم إقناعه بقبول العقيدة المسيحية ، وتلقي التعليمات الدينية في ديرنا وتمت مساعدته بدرجة كبيرة من قبل "ماتياس دي البوكيرك" بسبب مكانته العالية .

لقد تلقى الملك وأقاربه خبر أنه أصبح مسيحياً بشكل سيئ جداً وقدموا شكاوى شديدة عنه . لكن بعد أن حصل على التعاليم وأصبح ثابتاً في نيته أخذ ماء التعميد بابتهاج شديد حيث كان المتكفل برعايته القبطان المعجب به جداً ، وعندما كان على هذه الصورة مُهاجماً من قبل جميع أقاربه وإخوانه ؛ حيث بدا على أنه شخص مُقدر له أن يستمتع بالمجد والبركة التي نأمل أن تستحقها أعماله من الإله الرب .

لكي يتجنب أسرته والمسلمين ذهب إلى "غوا" مع "ماتياس دي البوكيرك" ، ثم سافر معه بحراً إلى البرتغال لكي يحصل على رد على نبالة أصله وليقدم تقريراً إلى جلالته عن مطالبه [أ] .

(أ) عن تحويل نور الدين إلى الديانة المسيحية ورحلته ، انظر دي كوتو ، المؤلف المذكور ، العقد العاشر ، صفحة ١١ ، ٣٢٥ .

"في هذه السفينة "نوسا سينهورا دا كوتسيساو" أبحر ..."ماتياس دي البوكيرك" ، الذي قد

عندما وصل إلى البرتغال ، استقبله جلالته وعامله بصورة حسنة ، فكان مرحباً به لدينا في دير سيده الرحمة "مريم العذراء" في "لشبونه" وأقام هناك ؛ حيث تم إعطاؤه المزيد من التعليم في كل شيء ضروري من أجل خلاصه الروحي .

أبعده جلالته بشكل مُشرف إلى واحدة من قلاع الهند ، وقبله كرجل نبيل وخلع عليه عباءة وسام المسيح وأرسله جلالته بشكل مُشرف إلى واحدة من قلاع الهند ، وقبله كرجل نبيل وخلع عليه عباءة وسام المسيح وأرسل إليه مرسوماً يعترف فيه بعدالة كل مطالبه ، ومانحاً إياه امتلاكها .

بدأ الإبحار إلى الهند من "لشبونه" مع نائب الملك "ماتياس دي البوكيرك" ، الذي اعتبره كوالده ، ولكن في أثناء الرحلة البحرية قبضه الإله ربنا إليه ، مسيحياً جيداً ومهتماً كثيراً بخلاصة الروحي . مات تاركاً كل أولئك الأحياء راضين كثيراً جداً لأنه بين علامات كونه فرداً مسيحياً حسناً جداً ، وقال أشياء عديدة التي أظهرت هذا .

ترك ثروة لنظامنا المقدس امتناناً للرحمة الشديدة التي بيَّنها له الإله في جره إلى رعيته وحضن كنيسته من خلال إخواننا الرهبان . طلب منهم أن يشيدوا كنيسة في الساحة الخلفية في دير سيدة الرحمة في "لشبونه" ؛ حيث اعتاد أن يستمع إلى القُداس والاعتراف بالخطايا ،

انتهــت فترة عمله كقبطان لـ "هرمز" ، وأخذ معه ابن وابنة لدى "جوازيل" وزير "هرمز" وحوَّلهما إلى الديانة المســيحية في تلك القلعة ، سُــمي الابن "أفونصــو" تخليداً لذكرى "أفونصو دي البوكيرك" ، الذي غزا تلك المدينة ، والابنة باسم "فيليبا" ، مشيرة إلى "الملك فيليب" ، ملك البرتغال .

وتحقيق مراده بطريقة نبيلة ، وفي كل يوم كان يُقام قداس على روحه ، التي ندعو الإله أن يرحمها .

الفصل الحـادي عشر : كيف أمر قس المعمورية بأن يتم بناء بيت في تشول وأشياء أخرى حدثت في هذا الوقت

على الرغم من أننا لم ننتشر في كل مكان من الإمبراطورية الشرقية بسبب حرمان وفقر الإخوة الرهبان ، ومع ذلك عندما تحين أية فرصة لخدمة الإله فإنه لم يتم فقدانها سواء مع عدد كبير أو قليل .

طبقاً لذلك فإنه في عام ١٥٩٠م قدَّم الإخوة لدى مدينة "تشول" "Chaul" التماساً إلى القس الأسقفي لكي يقيموا هناك بيتاً ، وعندما تم العلم بضرورة التزود بأماكن سكن من أجل الإخوة الرهبان الذين كانوا في طريقهم إلى هرمز والذين يمكن لهم أن يذهبوا إلى بيوت أخرى ، كان يجب أن يتم بناؤها على ذلك الساحل ، لأن "تشول" هي المدينة الأولى ، على مسافة ستين فرسخاً في الشمال من "غوا" .

أرسل القسُ الأسقفي الأخ "فرانسيسكو دي نورونها" إلى هناك . لديه أقرباء نبلاء من ذوي الممتلكات في المنطقة ، هؤلاء الذين يتلهفون على أن يجعلوننا هناك بدلاً من الآخرين ، وكان هذا الأخ مصحوباً بالأب "بيدرو دا كروز" "D . Pedro da Cruz" الذي كان فيما بعد القسُ الأسقفي ممثلنا لدى الكنيسة .

عندما حصلوا على التصريح اللازم بنوا كوخاً من القش ، بدأوا منه العمل في قطعة من الأرض قد اشتروها . من هذا البيت الصغير بدأوا

ينالون حسن نية هؤلاء الذين يعيشون في المدينة بوعظهم وقدوتهم الحسنة ، ومن هذه المؤسسات الصغيرة ، عندما علموا بضرورة وجودنا من أجل إنقاذ أرواحهم ، ساعدونا ، وبنوا بيتاً سموه "سيدة الرحمة ، مريم العذراء" ، وهو الآن كنيسة جميلة فيها دير يعتبر تقريباً كاملاً ورائعاً أيضاً لأنه في موقع حسن وصحي .

يمتلك الإخوة الرهبان ما هو ضروري للحياة لأن الأرض خصبة وغنية وممتدة في كل اتجاه ، لديها رصيف ميناء ونهر رائع تصل من خلاله بضائع عديدة . هنا نسمع اعترافات بالخطايا ووعظ للمؤمنين ، ونخدم سيدنا المسيح بصورة حسنة ، ويأتي بعض من السكان الأصليين لكي يتم تحويلهم إلى المسيحية ، ولكن بعدد قليل منهم حتى ينور قلوبهم سيدنا المسيح .

في العام نفسه ١٥٩٠م في مدينة هرمز تحولت "الدونا فيليبا نور الدين" ابنة "الجوازيل" الوزير الرئيس لدى هرمز ، الذي هو الرجل الثاني الأكثر أهمية في المملكة إلى عقيدة سيدنا يسوع المسيح . إنها ابنة أخ ملك بلاد فارس والأخت الشرعية لـ "الدون أفونصو نور الدين" ، والذي كتبت أنا عنه ، الذي ضمه سيدنا المسيح إلى رعيته بطريقة مثيرة للإعجاب ، جديرة بأن تتم روايتها .

حاول "الجوازيل" الوزير شقيقها والملك أن يزوجاها إلى رجل مسلم ، ابن الملك ، الذي يُسمى "ميرا ماتولا" ، ولكنها لم تستطيع الموافقة على الزواج لأنها قصدت أن تقدم نفسها إلى سيدنا المسيح وتأخذ زوجاً من خلال الكنيسة الكاثوليكية . إلا أنه تم إجبارها من قبل الملك وأخيها

وأقاربها كي تقبل "ميرا ماتولا" كزوج لها ، وذلك ما فعلته ضد رغبتها مثلما بيَّنت من خلال عدم الرغبة في رؤيته على الإطلاق ، وهي كارهة رؤيته ، ولذلك فهو لم يتمكن أبداً من إيجاد طريقة للعيش معها أو أن يمسها جنسياً ، ووصلت الأمور حداً عنده انفصلا وعاشا مطلقين .

كانت هذه المرأة (المسلمة) مشدودة إلى الديانة المسيحية ومُتلهفة إلى تعلم قراءة وكتابة اللغة البرتغالية ، ولهذا الغرض حصلت على رجل شاب ، ابن رجل برتغالي مُبجل ، قد ولد في هرمز ، وتحدث اللغة البرتغالية بصورة حسنة ، والتي هي ما يتم الحديث بها في هرمز ، وكان مسيحياً حسن الأخلاق .

أعطاها دروساً في القراءة والكتابة من كتاب أبجدية العقيدة المسيحية ، وحينما كانت في حالة الطلاق ، لأنه لا يمكنها ولا تستطيع أن ترى الرجل المسلم ، طلبت من الرجل الشاب الذي علمها أن يُخبر الإخوة الرهبان عن مُصيبتها ، وأنها ترغب في أن تكون امرأة مسيحية لكي تتحرر من الرجل المسلم .

وافق الرجل الشاب على نيتها واتصل بالأب المسؤول عن دير هرمز ، الذي أرسل إليها التشجيع المقدس لكي تتشبث برأيها ، ورتب زيارات لها ، مثلما رغبت ، لكي تناقش ما يجب عليها أن تفعله من أجل خلاصها الروحي .

كانت الفرصة سانحة ، عندما رآها الأب الراهب وأقنعها ، وشاء الرب لها أن تطلب ماء التعميد وتدخل في المسيحية .

كانت امرأة بمثل هذه المكانة للحد الذي كان فيه من الضروري أن

يتم التفكير في حيلة لها كي تترك بيت شقيقها ، ولذلك رتب الأب مع قبطان القلعة ، وتم إبعادها ذات ليلة من بيت الوزير بصعوبة شديدة ، ووضعت في بيت رجل فاضل وثري ليكون من الأسهل مناقشة ما يجب أن يتم فعله من أجل روحها ، وأخيراً تم تعميدها بابتهاج شديد واحتفال لأنها كانت سيدة بمثل هذه الأهمية والثراء .

ساعد الرب هذين الشقيقين النبيلين ، هي وأخوها ، بواسطة إقناع وتدبير الإخوة الرهبان في نظامنا الديني الذي شكرنا الإله عليه . تم مكافأة الرجل الشاب على عمله ، هذا الذي كان أداة هذه النعمة ، باستقباله في صحبتها ، والذي أخذه سيدنا المسيح إليه بعد اعترافه بالخطيئة باسم الأخ "أمبروزيو" "Ambrozio" .

عندما أصبحت هذه السيدة امرأة مسيحية ، اضطهدها أقرباؤها وقاوموها بما استطاعوا بكل الوسائل ، وبخاصة في جمع إيرادات دخلها ، التي أخذوها وتركوها خالية اليدين لأنهم كانوا في أرض مسلمة .

لهذا السبب نصحها إخواننا الرهبان أن تترك هرمز وتذهب إلى "غوا" حيث وصلت بصحبة أفراد لمرافقتها كما يتطلب وضعها . استقبلها نائب الملك "الدون دوارتي دي مينزيس" بصورة حسنة وقدم لها مساعدات عديدة ، أهم هذه المساعدات كان تزويجها لـ "أنطونيو دي أزيفيدو كوتينهو" ، وهو رجل نبيل حسن الأخلاق ، وقدم لها مهراً بالإضافة إلى كل ما احتاجت إليه من قلعة هرمز مؤيداً من قبل جلالته ، الذي كان مثل الملك المسيحي ، مسروراً لكي يتفضل بعمل مقدس جداً كهذا قدوة للسيدات الأخريات .

لكن المرأة لم تأخذ مكانها أبداً كزوجة لقبطان هرمز لأن سيدنا المسيح أخذها إلى نفسه . ماتت بعد مرور عام من زواجها بسبب كآبة سريعة ، والتي يقولون إنها ناتجة عن غياب زوجها الذي أحبته كثيراً ، الذي قد سافر بحراً إلى هرمز لكي ينظم ثروتها .

كان هناك إخوة رهبان لدى القديس "أوغسطين" ، وهي على فراش الموت ، الذين أحضروها إلى عقيدتنا المقدسة .

ماتت وهي امرأة مسيحية جيدة ، متحدثة عن حبها الشديد للإله قائلة إنها قد عرفت عندما كانت طفلة صغيرة أنها يمكن أن تقدم نفسها إليه . ندعو الله أن يرفع روحها إلى السماء ونأمل أيضاً أن يأخذ عظامها إلى صومعة الدون نور الدين أخيها ، في دير "لشبونه" المشهور ؛ حيث يقام في كل يوم قداس على روحها .

الفصل الرابع عشر : كيف تم إرسال خليفة للأب "ماركوس دا جراسا" من قبل الإدارة الأسقفية ، وماذا حدث أيضاً في ذلك الوقت .

يشعر الآباء الرهبان بالسعادة عندما توجد لديهم فرص لخدمة سيدنا المسيح ، وكان وقت الأب "ماركوس دا جراسا" سعيداً ؛ لأن عدداً كبيراً من الفرص أتى إلى طريقه ، ولم يترك واحدة منها دون الاستفادة منها بحماس وعناية ، فقد حكم مجمع الرهبان باعتدال وعظمة وهمة ، مستدعياً الشرف إلى نظامه الديني بشخصيته وسلطته ، وخادماً كنائب لمحكمة التفتيش ، كونه الكاهن الناصح لنائب الملك ، "ماتياس دي البوكيرك" ، الذي عامله ؛ واحترمه كما تستحق ثقافته وأخلاقه الحسنة .

قبل أن تنتهي فترة واجبه ، حدث في مدينة هرمز في عام ١٥٩٣م أن سيدة مسلمة ، التي أنجب منها "ريس توروشا" ابنا تقريباً قبل سبعة أعوام ، تم تحويلها إلى عقيدتنا المقدسة بواسطة أخ راهب ، "فيليكس دي جيسوس" ، الذي كان حينئذ مسؤولاً عن الدير في هرمز . بعد تحول أمه إلى المسيحية جاء الصبي إلى حضن الكنيسة الكاثوليكية ، أتى به سيدنا المسيح إلى رعيته ، منذ نعومة أظافره في عمر حديث كهذا بوسائل جديرة بأن تكون معروفة من أجل مكانة ومجد الإله .

كان هذا الصبي ، وأمه تحت سلطة جدته ، التي قد كانت زوجة "لريس توروشا" ، وعندما حانت الفرص تمكنت الأم من ترك البيت ، وأصبحت امرأة مسيحية ؛ حيث التقى بها الأب "فيليكس" المذكور وعلمها دروساً في العقيدة .

عندما تم تعميد أمه ، عرف الأب أن الصبي بقي في بيت جدته . حاول أن ينقلها من سلطتها التي كانت صعبة جداً لأن الجدة أخفته بعناية شديدة وحرسته ؛ لأنها كانت سيدة قوية ، ولكن بما أنها كانت قوية ، أصبحت الأمور غير سارة بالقدر الذي اضطر فيه الأب بطلب من أمه ، وبموافقتها أن يلجأ إلى القانون الدنيوي ؛ لكي يأخذه من سلطتها ووصاية جدته ويطلق سراحه .

عندما يصل عمر السبعة أعوام كما هو حقه ، يمكن أن يتم سؤاله عن أي طريقة حياة وعقيدة يريد أن يتبعها ، ولكن الآن وجب عليه أن يتم تسليمه إلى أمه ، وبخاصة لأنها كانت سيدة مسيحية . لهذه الأسباب ؛ تم أخذه من سلطة جدته التي كانت تشعر بالضيق إلى

سلطة الملك ، وأقربائه الذين كانوا في صخب وهياج عندما علموا أنه يجب أن يكون فرداً مسيحياً ، وتذمروا جميعهم .

تم أخذ الصبي ، وأمه إلى بيت رجل نبيل كبير في العمر ، يُسمى "سيماو دا كوستا" ، مراقب خزانة جلالته في دار الجمارك "الفنديجا" . كان مسروراً جداً باستقبالهم ، وعمل هو وأم الصبي على تحويله ، وعندما جاء الوقت لكي يتم توجيه الأسئلة إليه ، التي لم تكن مؤجلة طويلاً .

تم استدعاء أشخاص من ذوي المكانة العالية مثل "الجوازيل" الوزير الرئيس لدى هرمز ، و"ريس شرف" ، وعمه "ريس بدر الدين" ، وابن الملك ، وجدته ، وجميع المسلمين وأقاربه العديدين ، وجميعهم كانوا واثقين أنهم عندما يرونه يمكنهم أن يؤثروا فيه ، ويمكنه أن يقبل القانون المحمدي .

في جانب الكنيسة كان كاهن "دا فارا" "Da vara" ورئيس قضاة المحكمة ، ومسؤول الدير الذي حوله إلى الديانة المسيحية . عندما قدمت إليه الأسئلة أمام كل هؤلاء الناس من قبل "سيماو دا كوستا" ، الذي تحدث اللغة الفارسية بصورة حسنة جداً ، مُلهماً من قبل الإله ربنا ، رفع صوته .

واعترف بالإله الحقيقي سيدنا المسيح عيسى واختار أن يكون فرداً مسيحياً ، مع عدد كبير من الكلمات التي أظهرت في عمر السبعة أعوام أنه لم يُدع فقط إلى حضن الكنيسة الكاثولوكية .

لكن أيضاً تم اختياره من قبل الإله ليكون وزيره الروحي ، وأن يخدمه بصورة حسنة ، وأن هذا الشيء صعب يتم معرفته من "ماثيو" ؛

حيث يتم استدعاء الكثيرين ، ولكن القليلين يتم اختيارهم ، ويمكننا أن نقول إنه طبقاً لبعض أطباء الكنيسة .

إن المختارين هم الذين يقمعون أنفسهم ويضحون بها لله في النظم الدينية ، على الرغم من أن المسيح سيدنا يتحدث هنا عن أولئك الذين يدعون إلى عقيدته ، وإلى اختيار الحياة الأبدية ، وعن المجموعة الأولى يقول بأنهم كثيرون ، والثانية بأنهم قليلون .

بعد ذلك تم تعميد الصبي بابتهاج وفرح شديد ، وكان المتكفل برعايته الدون "جيرونيمو ماسكارينهاس" ، الذي كان حينئذ قبطان هرمز ، الذي ساعد وساند تحويل هذا الصبي إلى المسيحية بسبب مكانته . تم تعميده بواسطة الأب الذي حوله ، وأطلق عليه اسم "الدون جيرونيمو جويت" على اسم المتكفل برعايته .

كان هذا الصبي هو الحفيد في النسب المباشر لملك هرمز الذي يُسمى "توروشا" ، وابن أحد أبنائه الشرعيين ، وبالتالي عندما توفي والده كان هو الوريث الحقيقي ، والشرعي لممالك وسلطات هرمز .

أقول شرعي (لأن أولئك الذين يضعون أيديهم الآن على هذه المملكة) هم مغتصبون ، ومالكون غير قانونين . إنهم أبناء أخ الملك "توروشا" ، المسمى "فرح خوجا" وليس حفيده ، مثلما كان هذا الصبي الحفيد السليل الشرعي والمباشر .

علَّمه آباء الكنيسة الكاثولوكية ، ودرَّسوا له في الدير بطريقة ملائمة لشخص كهذا ، وكان تلميذهم إلى ذلك الحد الذي استطاع فيه أن يقرأ ويكتب ، ويعرف بعض اللغة اللاتينية في وقت قصير ، ونمّى مع

الحليب والممارسات الحسنة للنظام ، الذي رغب في ألا يتركه أبداً . أخـذ إلى ديرنا في "غوا" ؛ حيث تمت معاملته بالاحترام المناسب ، وهو يعيش على الدخل الذي قد أعطته إياه جدته ، ولذلك عملنا على تربيته حتى أصبح كبيراً في العمر ، بالقدر الذي يكفي عندما يتقدم لجـلالته بمطالبـه في ممالك وأقاليم هرمز التي آلت إليه بالميراث والخلافة الشرعية .

عندما وصل العمر الملائم لكي يفعل هذا ، ترك مطالبه الدنيوية ، وأصبح مشغولاً بتلك التي تنتمي إلى السماء : ذهب إلى رئيس أسقفية "غوا" ، "الدون اليكسو دي مينزيس" ، الذي قد أثنى عليه سيدنا الملك ، وعلى القس الأسقفي ، وأخبرهم أنه رغب في تبديل الممالك الدنيوية بممالك دينية ، وطلب منهم أن يعطياه ثوب الراهب الذي لدى نظامنا الديني ، الذي يعتبره ابنه بنفسه في داخل الكنيسة الكاثولوكية .

فيما يتعلق بعائق كونه من أصول مسلمة . طلب منهم أن ينظروا في وضعه ، وتنازل عن هذا له رئيس الأساقفة والقس الأسقفي ممثل الكنيسة والكهنة والعرفاء ، ولذلك فقد أعلن عن تخليه عن مطلبه ضد ملك هرمز الذي قد كان موضوع رسالة من جلالته في المكاتبة الصادرة من "غوا" التي تم فيها الإقرار بأن مطلب "الدون جيرينمو" كوريث طبيعي ومباشر لمملكة هرمز ، كان عادلاً .

يعني أنه يجب أن يتم تسليمه إليه . كان العائق الوحيد ، هو الصعوية التي يمكن أن يحصلوا عليها في استقبال فرد مسيحي على أنه ملكهم ، ولكن في النهاية ترك "الدون جيرونيمو جويت" كل شيء

وارتــدى ثــوب نظامنا الديني واسم الأب "جيرونيمو دوس انجوس" "Jeronimo dos Angos" .

اعترف بذنوبه بعد مرور عام ، وابتهج النظام بوضعه على الطريق إلى الخلاص الروحي . أسعد تحويل هذا الأمير مسيحياً وأخاً راهباً أسقفية الأب "ماركوس دا جراسا" ، لأنه حدث في هذا الوقت ، الذي استمر ثلاث سنوات وأربعة أشهر . خلفه في الهند "جاسبار دي سان فيسنتي" "Gaspar de San Vicente" ، الذي تسَّلم وظيفته في عام ١٥٩٤م .

وفي العام نفسه (١٦٠٤م)
قدّم "فيليكس دي جيسوس" ، مسؤول دير رهبان هرمز ، تقريراً عن كيفية تأسيس بيت "مُمبسا" على ساحل "ماليندي" وبيت مسقط على ساحل بلاد العرب السعيدة ، وماذا حدث في هذا الوقت : (٥٥)

الوقائع : "فيليكس دي جيسوس" الكتاب الثاني :

بشأن الجزء الأول من هذا التاريخ ، وموجز عن المسائل المتعلقة بالمجمع الديني للإخوة الرهبان في نظام القديس "أوغسطين" الكهنوتي في منطقة الهند الشرقية ، وعن الشرف والمجد اللذين حازوا عليهما من أجل ربنا الإله من خلال تحويل الأرواح إلى الديانة المسيحية .

الفصل الأول : كيف تم تأسيس بيت "مُمبسا" على ساحل "ماليندي" وبيت مسقط على ساحل بلاد العرب السعيدة ، وماذا حدث في هذا الوقت .

(٥٥) رقم الوثيقة والهامش.

عندما وصل هذا القسيس المشهور ، رئيس الأساقفة "الدون أليكسيو دي مينزيس" إلى الهند ، تردد في استخدام الإخوة باجتهاد باحثاً عن فرص لهذا المجمع الديني ، الذي بواسطته استطاع أن يُبين أنه على الرغم من الفرصة الأولى بالطريقة التالية .

بعد مرور عام من إرسال جلالته لرئيس الأساقفة هذا إلى الهند ، اختار "الأميرال الكونت" "الدون فرانسيسكو دا جاما" ، كنائب للملك ، الذي غادر البرتغال في عام ١٥٩٦م(أ) ، وبما أنه لم يكن قادراً على أن يصل إلى الهند ، فقد قضى فترة الشتاء في "ممبسا" على شاطئ "ماليندي" ، وبينما كان هناك لاحظ أنه من المفيد جداً لخدمة الإله وجلالته ، أن يكون لديه رجل دين مسيحي هناك على ذلك الساحل ، وفي تلك المدينة لكي يعلم أبناء الوطن الأصليين ويحوّل الكافرين المتعددين إلى الديانة المسيحية .

عندما وصل إلى الهند من تلك القلعة ، أخبر رئيس الأساقفة عن فكرته ، هذا الذي وافق على أهدافه وطلب من الأب الأسقفي أن يُمُدَّه بأخوة الرهبان ؛ لكي يعيشوا في تلك القلعة وأن ينشروا الإنجيل في جميع أنحاء الساحل "الماليندي" ، الذي لم يأت إليه أي وعاظ حتى الآن .

(أ) دي كوتو ، المؤلف المذكور ، العقد ١١ "لشبونه" ١٧٨٨م ٤ : على الرغم من أن الأسطول قد تحرك بسرعة جيدة ، لكنه لم يستطيع أن يُبحر حتى يوم الأربعاء العاشر من إبريل عام ١٥٩٦م . أبحر الكونت الأميرال على ظهر السفينة "إن .إس .دا غواد الوب" التي كان قبطانها شقيقة "الدون لويس دا جاما" ، الذي تم تعيينه قبطاناً لهرمز بسبب الخدمات التي قدمها في الهند : بدأ الكونت الإبحار إلى قلعة مُمبسًا حيث وصل إليها في يوم الرابع من ديسمبر ، ولأنه قد انتهت فعلاً الريح الموسمية للإبحار إلى الهند ، فقد نزل الكونت إلى الشاطئ لكي ينتظر حتى يسمح له الطقس بمواصلة الإبحار .

لذلك فقد تم إرسال أربعة إخوة من الآباء الرهبان مع الأب "بيدرو دي نازاريت" "Pedro da Nazarette" وهو قسيس ممتاز ومثقف ، كرئيس لهم في العمل . رحل مع رفاقه في عام ١٥٩٧م هذا ، وعندما عبروا خليج المحيط الهندي ، وصلوا إلى "مُمبسا" التي هي في بلاد العرب الفارسية (Arabia Persica) ، وبأمر من رئيس الأساقفة ، حصلوا على بيت ، ومكان للسكن في كنيسة القديس "أنطونيو" التي يمتلكها رجال الدين ، والتي تم تسليمها إليهم بأمر نائب الملك .وكان رجال الدين العلمانين مُجبرين على التعاون مع الأب رئيس الدير في عناية قطيعهم الروحي .

في هــذه القلعــة والمدينــة ، أنشأنا ديراً في منزل "سان أنطونيو" "San Antonio" هذا الذي تمت تكملته الآن ، وقد زوده جلالته براتب كافٍ من أجل نفقة إخوانه الرهبان ، الذين يوجد منهم ستة أو سبعة(أ) هم مشغولون جداً في خدمة مُنقذنا السيد المسيح ، مستمعون للاعترافات والوعظ ، ومحولون إلى عقيدة يسوع المسيح لعدد كبير من الوثنيين الأفارقة ، الذين من خلال الوعظ وإقناع الإخوة الرهبان ، أتوا للبحث عن مياه التعميد المسيحية ، مشتملين على عدد كبير من الأشخاص من ذوي الشهرة لدى تلك الساحل .

في العام الثالث بعد إنشاء هذا البيت ، تمَّ تحويل ألف ومائتين من القبائل مشتملين على "بانديبو" "Bandebo" ، رجل مسلم كان ابناً لحاكم "ماليندي" ، فرَّ من أبيه ، وأتى إلى ديرنا ليطلب التعميد ، وتمَّ تعميده ، وتحويله إلى النصرانية في احتفال عظيم .

(أ) "جاسبر دي سان بيرناردينو" ، أو .إن .إم . تفاصيل رحلة إلى الهند ، ميناء "تيراسانتا" ، ٥٦– ٦٨ .

في هذا الدير ، يوجد لدينا حلقة دراسية مع عدد كبير من طلاب التعاليم الدينية ، والعرب ، والمسلمين الذين عادة ما نُحوِّلهم لكي يكونوا أفراداً مسيحيين ، والذين أنفقنا عليهم تقريباً كل الوسائل المتواضعة لدى الدير ، وبعد تعميدهم ، نقدم إليهم الوسائل التي بواسطتها يستطيعون العيش كأفراد مسيحيين ، والتي بها يتم تقديم خدمة جليلة للإله وجلالته .

نتجت عن هذا الدير ثلاثة بيوت على ساحل "ماليندي" ، أحدها في "أمبازا" "Ampaza" ، وآخر في "زنجبار" وثالث في "باتي" "Pate" ؛ حيث تم إقامة الكنائس التي فيها كان الإخوة الرهبان مشغولين بتحويل عدد كبير إلى عقيدة سيدنا المسيح"

من الأشياء الأكثر خدمة للإله في تلك الدولة على ذلك الساحل ، هو إرشاد وتوجيه العدد الكبير من البرتغاليين الذين يتاجرون في تلك المناطق ، وهم يشترون العاج ، والكهرمان ، والذهب مع بضائع أخرى ، حصلوا عليها هناك لهذا الغرض ، بالطريقة التي غالباً ما يرتكبون فيها إساءات ضد سيدنا المسيح ، وكثيراً ما يستمرون لعدد من السنين .

يحكي عن إقامته في هذا الدير في عام ١٦٠٦م ، ويقول إنه كان لديه إقامة ومبيت لعدد ستة من "الأوغسطينين" .

في الرذائل والخطايا دون تقديم الاعترافات ، ولكن لأننا قد أقمنا منشآت لنا على الساحل ، فإنه يتم إرشادهم بواسطة إخواننا الرهبان وتذكيرهم بما يحتاجون لكي يفعلوه من أجل خلاصهم بعدما قد فعلوه .

ترك الإخوان كنيسة Pate ؛ لأنهم عانوا من هجمات عديدة من المسلمين ، الذين سمموا كل الإخوة الرهبان الذين عاشوا هناك ، لأنهم كانوا ملاحظين متحمسين للغاية للقانون المحمدي .

واعتقدوا بأنهم كانوا يخدمونه من خلال خدمته بقتل جميع قساوسة المسيحيين . لم يجرؤوا على أن يفعلوها علانية ؛ خوفاً من البرتغاليين ، ولذلك فعلوها بالسم الذي به قتلوا بعض الإخوة الرهبان ، الذين أُغمى عليهم ، وذهبوا لكي يموتوا في "غوا" .

عندما رأى ذلك رئيس الأساقفة أمر بأن يتم سحب الكنيسة من هناك ، وعندما ذهب "الدون فيرناندو ماسكارينهاس" إلى هناك كقبطان ، لهذا ولأسباب أخرى ، أمر بأن تُقطع رأس أمير باتي ، Pate لكن الإخوة الرهبان الذين كانوا بهذه الطريقة من أجل العقيدة سوف يستمتعون بمكافأة السماء ، وتاج الشهادة ، وإذا فقدوا حياتهم من أجل هذه القضية .

في العام نفسه أرسل القس الأسقفي ممثل الكنيسة والكهنة العُرفاء إخوة الرهبان إلى مسقط التي تقع في بلاد العرب السعيدة ، على ما يُسمى بمضيق الصرة ، أو الطريق الفارسي ، وهو ميناء يتم دائماً زيارته بواسطة سُفننا الذاهبة إلى هرمز ؛ حيث يبدون أنهم يؤدون خدمة جليلة إلى سيدنا المسيح بين العرب سكان البلاد الأصليين والأجانب الذين يذهبون إلى هناك مع بضائعهم .

شجع رئيس الأساقفة هذا المشروع ، ولكي يُسهل عملهم منح الرعاية الكنسية الخاصة بالدولة لنا ، مُرسلاً الكاهن الذي كان هناك من قبل في وظيفة أحسن ، ومنحنا جلالته مبلغاً مالياً مخصصاً للإنفاق

على الإخوة الرهبان . لقد تم إنشاء هذا البيت من قبل الأب "باولو دا بورجيس كاسان"Paolo da Borgues Casan" ، وهو قسيس مثقف وممتاز ، مع رفيقه" .

تم الترحيب بهما من قبل أولئك الأهالي الذين ينتمون إلى الدولة بابتهاج وفرح شديد ؛ لأنهم رغبوا بشدة في الحصول علينا ، وأعطوا الصدقات للمساعدة في تأثيث البيت ، ولاحقاً كنيسة رائعة ، لسيدة الرحمة "مريم العذراء" ، مع أروقة للنوم ، ودير ملائم جداً لتلك الدولة . هذا الدير هو من أجل العبادة الإكليروس الروحية في خدمة سيدنا المسيح ، وله أيضاً دور هام في خدمة جلالته ، لأن مسقط محاطة من جميع الجوانب بجبال منحدرة جداً وقاحلة ، على الرغم من أنه أحياناً ما تكون الأرض باردة عبر الجبال و ...

مبهجة ، ولذلك فإنها استحقت كثيراً اسم السعيدة . في أحد هذه الجبال يقف حصن عالٍ جداً ، مرتفعاً بشكل يجعل موقعه على حده كافياً لأن يكون منيعاً . إضافة إلى ذلك ، فإنها تمتلك ميناء وخليجاً آمناً ، محمياً من الرياح ، وتتردد عليه السفن كثيراً ، ولهذا ، فإن سفن الجالي التركية التي تُبحر من خلال البحر الأحمر عادة ما تهاجم الميناء ، وفي حالات طارئة كهذه يتجه السكان نحو الجبال ، لأن القلعة صغيرة الحجم ، مع مخاطرة كبيرة بأرواحهم وممتلكاتهم .

بسبب هذا ، كانت سفن جلالته حريصة على أنه يجب أن يجعل الآباء الرهبان ديرهم حصيناً جداً ، لديه السقف القوي لكي يمكن أن تطلق المدفعية من عليه من هناك ، لأنه يقع في مكان أكثر انخفاضاً من

مدفعية القلعة التي في أعلى الجبل ، لكي يغطي الخليج وشاطئ المدينة ، وتمنع أي إنزال للعدو .

هكذا يخدم كل من الإله وجلالته .

في هذا الدير يوجد خمسة أو ستة إخوة رهبان ، مشغولون على الدوام بسماع اعترافات الخطاة والوعظ وأفعال الإحسان الأخرى ، لأنهم الوحيدون هناك ، وهم يُنصرون عدداً كبيراً من العرب ، الذين يتم تحويلهم من قبل الإله إلى عقيدتنا ، إلى مجد سيدنا المسيح .

في العام نفسه ، توفي الأسقف الدون "ليوناردو دي سا" "Leonardo de Sa" في الصين ، وفي غياب الراهب ، ذلك الذي يجب أن يحكم بموجب القواعد الدينية في فترة الفراغ ، أرسل رئيس الأساقفة ، باعتباره يمثل السلطة المركزية الدينية الأب "ميجيل دوس سانتوس" ، وهو قسيس ينتمي إلى نظامنا الديني ليحل محله" وقد كان منشغلاً بحالات التحويل إلى المسيحية في "كوتشين" و"الصين" ؛ حيث كان رجلاً مثقفاً جداً ، وبارعاً وواعظاً جيداً وإدارياً ، وجاء لكي يكون رئيس أساقفة في البرتغال بنزاهة شديدة ، وعدل وامتياز ، ليجعل كل الناس في الأسقفية يشعرون بالرضا والسرور .

الفصل الثاني : بعض الأحداث التي تستحق أن يتم تسجيلها في هذا التاريخ .

في عام ١٥٩٨م ، هذا ، حوَّل آباؤنا الرهبان في الفلبين عدداً كبيرا من الكافرين ، واحتاجوا إلى عُمال كثيرين في بُستان كرم الإله هناك . أرسلوا الأب "نيكولاو دي ميلو" بحثاً عن إخوة رهبان كثيرين ، وكان يجب عليه أن يذهب من "مالقا" إلى الهند ، وهناك يسافر بحراً إلى البرتغال .

لكن عندما وصل إلى الهند ، وقدم رسائل اعتماده إلى نائب الملك ورئيس الأساقفة ، حدث مصادفة أنه لم تأت أية سفينة من البرتغال في ذلك العام [أ] ولم توجد هناك أية وسيلة يستطيع أن يواصل بها رحلته إلا براً عن طريق هرمز ، ومن هناك من خلال بلاد فارس ، وصل أصفهان حيث تم استقباله بصورة حسنة من قبل الشاه .

حثَّه الأب بقوة على شن الحرب على الأتراك ، ووعده أنه إذا هو أرسل سفراء إلى الملوك المسيحيين وإلى البابا ، فإنهم في هذه المسألة يمكنهم أن يتصلوا به ويساعدوه .

تحدث الشاه عن هذا إلى المسيحيين الأجانب الآخرين الذين كانوا في بلاطه ، وقال لهم نفس الكلام ، لذلك قرر أن يأخذ بنصيحة الأب الراهب .

أعد سفارة مهيبة إلى البابا والحكام المسيحيين الآخرين ، مرسلاً الأب نفسه كسفير ، بالإضافة إلى رجل إنكليزي [ب] كان في بلاطه .

(أ) يوجد السبب في لماذا لم تصل أية سفينة في عام ١٥٩٨م متضمناً في : دي كوتو ، المؤلف المذكور ، العقد ١٢ ، صفحة ١٥٧ :

كان نائب الملك منتظراً السفن القادمة من البرتغال من أجل أخباره عما كان يحدث هناك ، ولكنهم لم يغادروا هذا العام ١٥٩٨م لأن رصيف السفن في "لشبونه" كان مُغلقاً بواسطة أسطول من أنكلترا ، أرسى هناك في خلال شهر مارس .

(ب) السير أنطوني شيرلي (Sherley) ، وفي رسالة مكتوبة في يوم السادس من يناير عام ١٦٠٢م ، يستفسر الملك من نائب الملك "أيريس دي سالدانها" عما هي الطريقة التي أتى بها الرجلان الإنكليزيان "أنطوني" وأخوه "روبرت" إلى بلاد فارس .

وهو يكلفه أيضاً أن يُبلغ الشاه بالسرعة الممكنة أن الاثنين هما عدوّان للكنيسة ؛ لأن عملهما من الممكن أن يكون ضاراً جداً .

"بوليتم دا فيلموتيكا" ١٩٥٤م ، صفحة : ٥٥٨ .

بعد أن بدأ الجميع في رحلتهم ، حاول الرجل الإنكليزي ؛ حيث كان (زنديقاً) كافراً وعدواً لجلالة الملك سيدنا ، أن يقتل الأب الراهب أثناء سفرهما ، وطعنه مرات عديدة . كان يتشافى من جروحه عندما وصلا مملكة "موسكوفي" ؛ حيث بلَّغ عنه إلى الملك كجاسوس واتهمه بأشياء أخرى ، ثم ألقي القبض عليه ، وتم الاحتفاظ به كسجين ، ولا يزال هناك أسيراً .

قبل مغادرته تحدث الأب الراهب مع الشاه ؛ لكي يؤكد الاتفاق الذي يحث بواسطته الأمراء المسيحيين ، كي يحصلوا على آباء وقسيسين هناك .

أجاب الشاه بأنه عرف ، وفهم أنه لكي يتأكد من المعاهدات التي يتطلع إليها مع الأمراء المسيحيين . بخاصة مع جلالة ملك إسبانيا من الضروري أن يحصل على إخوة رهبان في دولته ، وقال أيضاً :

إذا كان لدى ملك المغول ، الذي هو مناوئ جداً للمسيحيين إخوة رهبان في أرضه [أ] ، فلماذا لم أحصل عليهم ؛ حيث أنا الذي أكثر وداً تجاه المسيحية؟

عندما كان الأب منطلقاً في مهمته ، حثَّه رئيس أساقفة "غوا" أن يُبلغه عن الوضع في بلاد فارس ، وموقف الشاه تجاه تحويل الأشخاص الذين نبحث عنهم إلى المسيحية ، ولذلك أجاب أن ملك إسبانيا لا يريد شيئاً أحسن ، وأن رئيس أساقفة "غوا" ورجال دين دولة الهند كانوا مستعدين لخدمته ، منتظرين الحصول على معرفة عن رغباته .

(أ) لقد عمل هناك العيسويون (اليسوعيون منذ عام ١٥٨٠م) .

بعد ذلك أعلم الأبُ رئيس أساقفة "غوا" مبالغاً في وصف كيف كان الشاه مسروراً أن يرى رجال الدين هناك ، وما قد حدث له ، وإنه كان ذاهباً مثل سفيره إلى البابا وحكام مسيحيين آخرين ، مُشيراً إلى سلطته بأن الوقت قد حان لخدمة سيدنا المسيح في بلاد فارس .

بسبب عدم الثقة لدى المبعوثين وصعوبات الرحلة ، وصلت هذه الرسائل إلى رئيس الأساقفة في الهند بعد فترة طويلة من التأخير . بمجرد أن حصل إخواننا الرهبان على معلومات عنهم ، قدَّم عدد منهم أنفسهم من أجل المهمة بحماسة شديدة وشجاعة ، ولكن لأن رئيس الأساقفة لم يلمح في الرسالة أية تصريح أو مرسوم من الشاه يمكن أن يؤكد رغباته ، لذلك فقد كان غير راغب في اتخاذ أي إجراء في الوقت الحاضر .

لكن بقيت الرغبة القديمة لتحويل الفرس إلى المسيحية ، ولأن الإله عادة ما يسمع الأماني ويمنح تمنيات عباده ، وعما قريب سوف يحققها الرب .

الفصـل الثالث : كيف كان سيدنـا المسيح مسروراً أن يموت أحد إخواننا الرهبان شهيداً؟

قُتل الأخ الراهب "أوغسطينو دو روزاريو" "Augustino do Rosareo" على يد بعض المسلمين الغاضبين على ظهر سفينة قرصنة على مقربة من الساحل الملاباري

ملك المغول هو أكبر العظيم ١٥٥٦ - ١٦٠٥م .

الفصـل الرابع : عـن تحويل ملك يمان إلـى المسيحية ، وكيف تم الحصول على المقر في "باسين" ، وماذا حدث في هذا الوقت؟

عام ١٥٩٨م هذا سر سيدنا المسيح ؛ لأنه من خلال إخواننا الرهبان ، تم

تحويل الوارث الحقيقي لمملكة "بمبا" ، جزيرة ليست بعيدة عن "مُمبسا" ، إلى عقيدة يسوع المسيح . حدث ذلك بهذه الطريقة :

كان هذا المسلم مع أخيه الذي كان في ذلك الوقت ملك "بمبا" ، عندما توفي الأخ بسبب مرض مفاجئ جداً ، غير تارك ولداً . على الرغم من أنه كان الوريث الحقيقي وملكاً ، ولأنه كان ذا طبع جاف ومتعجرفاً ، كانت الرعية خائفة أن يُقسموا له يمين الطاعة ، الأمر الذي جعله غاضباً جداً ، ورغب في معاقبة أولئك الذين كانوا طرفاً في هذا العصيان والتمرد .

لذلك ذهب إلى "مُمبسا" ؛ لكي يتابع سيره من هناك إلى الهند ليزور الملك ويطلب مساعدته لكي يستولي على المملكة ، وكانت هذه الطريقة التي أراد الله بها أن يجره إلى حصن الكنيسة الكاثولوكية .

رحَّب الآباء الرهبان به في "مُمبسا" وأرسلوه من هناك إلى "غوا" مع صُحبة حسنة ؛ حيث تم الترحيب به في ديرنا بأمر من نائب الملك وكبير الأساقفة ، وخصص له مرشد ليوجهه وأيضاً يعلمه عقيدتنا المقدسة ، وهو الأب الراهب "جيرونيمو دا كروز" ، رجل كبير في العمر قد وصل من البرتغال في ذلك العام ، هذا الذي أثَّر فيه بتعليمه ، وأخلاقه العظيمة ، وأتى به إلى عقيدتنا المقدسة .

كان مشجعاً من قبل الملك ، الذي وعده بمساعدة كافية ومساندة له ؛ لكي ينال وضع يده على المملكة . تمَّ تعليمه في ديرنا ، وبمظهر كبير للتوبة طلب مياه التعميد .

تم تعميده في احتفال عظيم ، مثلما يتطلب تحويل أمير أو ملك إلى

المسيحية ، كان المتكفل برعايته نائب الملك الذي أعطاه هدايا عديدة ، وأطلق عليه اسم "الدون فيليب" . بين الأشياء الأخرى أعطاه نائب الملك اللقب الشرفي "دا جاما" ، ولذلك كان معروفاً "بالدون فيليب دا جاما" ولكي يزيل إمكانية رجوعه إلى الرذائل والخطايا التي كان يرتبط بها المسلمون بشدة .

تم تزويجه بأمر نائب الملك ورئيس الأساقفة بيتيمة نبيلة من البرتغال ، كان اسمها "الدونا آنا دي ماتوس" "Dona Anna de Matos" ، امرأة من السكان الأصليين لمدينة "إيفورا" ، أنجب منها اثنين من الأطفال ، وهكذا تزوج ، وبمساعدة جنود تم إمدادهم من قبل الملك ، ذهب لكي يستولي على ممتلكاتي في مملكته ، ولكن هذا لم يحدث ، لأنه توفي قبل أن يضع يده عليها . رحمه الله وأدخله جنته .

عندما زار رئيس الأساقفة تلك المناطق في نفس العام هذا ، أخبره سكان مدينة "باسين" أنهم يرغبون في الحصول على إخواننا الرهبان في مدينتهم ، وبما أن هذه المدينة هي المدينة الرئيسة في شمال الدولة ، فإن القس ممثل الكنيسة والعُرفاء كهنة الدير رأوا أنه من الأحسن أن يخضعوا لإرادة هؤلاء الناس ، وكذلك أيضاً أصبح من الضروري أن يتم علاج الإخوة الرهبان ، الذين لا يجب أن يذهبوا إلى أديرة الأنظمة الدينية الأخرى ، إذا مرضوا في تلك المنطقة من الدولة .*

شجع رئيس الأساقفة هذا الإجراء ومنحنا كنيسة البشارة ، التي كانت ملكه ، لأنها كانت بيتاً ملائماً ومزودة بالأشياء الضرورية للإخوة الرهبان ؛ لكي يكونوا قادرين على أن يعيشوا هناك . ذهب الأب "دو

مينجوز دا ترينداد" ، الذي كان قساً أسقفياً جديراً بالاحترام لدى النظام الكهنوتي لكي يتسلم ، وينشئ هذا البيت .

بسبب فضائله ومواهبه تم استقباله بصورة حسنة في المدينة ، وأُعطيت له الصدقات التي بنى بها رواقاً للنوم وشيد ديراً ، يوجد فيه الآن ستة أو سبعة إخوة رهبان ، هم مشغلون بالوعظ والاستماع إلى الاعترافات بالخطايا وبالتحويل إلى المسيحية عندما تحين الفرصة . أيضاً في هذا العام جهَّز نائب الملك أسطولاً كبيراً [أ] لكي يُبحر جنوباً بحثاً عن الهولنديين ، الذين كانوا يفتشون في كل مكان من تلك البحار ، وينهبون السفن البرتغالية ويمنعونهم من التجارة بحراً .

كان قائد هذا الأسطول هو "لورينسو دي بريتو" ، وهو رجل كبير في العمر ذو قدرة عالية . طلب نائب الملك من القس الأسقفي أن يرسل إخوة رهباناً من نظامنا الكهنوتي مع الأسطول في خدمة الإله وجلالته . تم إرسال الأب "جيرونيمو دا مادار دي ديوس" ، والأب "ديوجو دو روزاريو" "Diogo do Rosareo" ؛ حيث كان أحدهما مثقفاً .

عانى آلاما كثيرة ، لأن تلك المناطق كانت مملؤة بالظروف القاسية ، وهم يخدمون الأسطول بأكمله في المسائل الدينية والدنيوية ، بمثابرة شديدة وتوعية لمدة عامين ، خدما في أثنائها سيدنا المسيح وجلالته بصورة حسنة جداً .

في هذا العام أيضاً طلب نائب الملك من القس الأسقفي ، أن يمُد

(أ) غادر هذا الأسطول "غوا" في يوم الرابع والعشرين من سبتمبر عام ١٥٩٧م ميُذكر طريق وتفاصيل مهمته في كتاب دي كوتو ، المؤلف المذكور ، العقد ١٢ ، صفحة ٨٩ .

الإخوة الرهبان بالمعونة ليساعدوا في المستشفى في هرمز ؛ حيث لم تتم خدمة الإله وجلالته بصورة حسنة لأنه تم إعطاء عناية قليلة للمرضى أو الخزانة الملكية . كانت مستشفى هامة ، استطاع فيها أن يُقدم الإخوة الرهبان خدمات جليلة .

شكر القس الأسقفي نائب الملك على إعطاء الفرصة لإخواننا ؛ لكي يخدموا الإله والملك هناك ، وأرسل على الفور الأب "أوغسطينهو" مع رفيق له ، وصلا هرمز وبالأوامر التي يحملانها استوليا على المستشفى ، وأعادا ، وأدارا المسائل الروحية والدنيوية معاً .

ما زال يعمل هناك إخواننا الرهبان ، وهم يرعون المرضى بإخلاص ، مزودين إياهم بكل الحاجات الدنيوية ، وبكثرة حاجتهم الروحية ، ويعملون ليلاً ونهاراً مساعدين إياهم في تحمل معاناتهم ، ومرشدين لهم بصلواتهم وتضرعاتهم في ساعة الموت .

في نفس العام حصلنا على مقر إقامة في الجانب الآخر من هرمز ، في بلاد فارس ؛ حيث تقع مدينة كبيرة في حماية قلعة تنتمي إلى جلالته ، تُسمى "غومبرون" بندر عباس . هناك يوجد لدينا أخ راهب ، يعمل ممثلاً للكنيسة ، يقدم خدمة جليلة إلى سيدنا المسيح ، مُعلماً مسيحيي القلعة والسكان ، ومُعمداً عدداً كبيراً من المسلمين والوثنيين .

الفصل السابع : كيف تم تحويل ملك "باداخشان" إلى المسيحية .

بواسطة الرهبان تم إنجاز تحويل المسلم محمد زمان زامون ، ملك "باداخشان "بمثل تلك الوسيلة الخارقة للعادة ، التي هي دليل على قوة الإله بالقدر التي ظهرت لي أنها تستحق أن يتم روايتها بإسهاب عن عظمته ومجده :

في العام ١٦٠١م جاء رجل مسلم إلى هرمز مصحوباً بخدم ، كانوا جميعهم يرتدون ثياباً من جلود النمر ، وهي "اليوجيين" أتباع مذهب "اليوجا الهندوكي" الذي يشبه الصوفية ، الذي نُسميهم المغاربة الدراويش .

كان المسلمون الذي هو قائدهم مرتدياً جلود نمر ، وذا شعر طويل جداً وقبعة طويلة من القش فوقه ، ظهرت كشيء مثير للسخرية أكثر من هي دلالة على ما تغطيه . كان هذا المسلم ، كما أقول ، هو محمد زمان ، ابن الشاه "روخ باشا" "Rukh Pasha" ، ملك "باداخشان" ، مملكة تحدها مملكة التتار تلك ، واقعة ... بين أراضي التتار وملك المغول العظيم (أ) ويكون الحكام المجاورون أقرباءه ، وطبقاً لتقاليدهم ، فإنهم جميعاً يفتخرون بأنفسهم على أنهم ينحدرون من السلالة المباشرة لتيمور لنك العظيم . (ب)

(أ) أُقيمت أول مؤسسة للبرتغاليين في إقليم الدلتا الواسعة لنهري "الجانجز" و"براهما بتورا" بالقرب من "ساتجاون" مبكراً في عام ١٥٣٨م .

ولكن "بيرو تفاريس" ، قبطان سفينة تجارية مغامر هو الذي حصل من (أكبر العظيم) على إذن بتأسيس (هوجلي) تقريباً في عام ١٥٨٠م . بسبب هذا تدفق عدد كبير البرتغاليين والسكان الأوربيين الآسيويين إلى الميناء . كانت "هوجلي" مستقلة عن حاكم المغول في دكا ، وعن نائب الملك البرتغالي . أصبحت تُحكم بطريقة مستقلة ، وجذبت عدداً كبيراً من المارقين الخارجين عن القانون . من خلال سيادتهم على البحر استطاع البرتغاليون في "هوجلي" أن يُحوّلوا تجارة البنغال من ميناء "ساتجاون المغولي" إلى "هوجلي" ، التي أصبحت بعد وقت قصير واحدة من اغنى الموانئ في خليج البنغال .

في عام ١٥٩٨م جاء اليسوعيون (الجزويت) ، وتبعهم "الأوغسطينون" في عام ١٥٩٩م والدومينكان في عام ١٦٠٠م . لم ينجحوا دائماً في العمل معاً جنباً إلى جنب في الإحسان المسيحي .

قارن "جي . كامبوس" ، تاريخ البرتغاليين في البنغال ، "كالكتا" ، ١٩١٩م ، صفحة ١٠١ .

(ب) يتم وصف سلالة هؤلاء الأمراء المنحدرين من نسل تيمور لنك في دي كوتو ، المؤلف المذكور ، العقد ١٢ ، الصفحة ٤٨٤ .

كان هذا الملك "شاه روخ باشا" باستمرار في حرب مع الملك القوي عبد الله خان ، ملك بخارى [أ] الذي هاجمه وأهانه لدرجة أن "شاه روخ" كان مضطراً لأن يترك حُكامه وقباطنته في الحرب ، ويذهب لكي يطلب المساعدة من أكبر ملك المغول ؛ ولأنه رجل مسلم ، تذكر الأضرار التي تلقتها أسرته من "شاه روخ" ، وعلى الرغم من أنه تظاهر بالصداقة لكي يرحب به ويستقبله ، فهو لم يساعده فقط ولكن سجنه ، وكان بإمكانه أن يبحث عن مستشاريه ويتعقبهم .

عندما علم حكام شاه روخ بوقوعه في الأسر ، وبسبب الاختلافات الخطيرة بينهم فيما يتعلق بالوريث الحقيقي ، أمروا بأنه يجب أن يتم البحث عن ابنه محمد زمان ، الذي كان في إقليم "فيم" "Viem" ، متزوجاً من امرأة مسلمة ، كانت قريبة له ، وقد أنجب منها ابناً ، ولذلك فقد استقبلوا محمد زمان ، الذي كان يبلغ من العمر العشرين حينئذٍ ، كأكبر الأبناء ، الابن الشرعي لوالده .

حلف له يمين الطاعة كملك "لباداخشان" ، واصل الحرب ضد عبد الله خان بشجاعة وحماس لمدة سنتين ، ولكنه بينما كان يفقد قوته ، أرسل سفراء إلى أكبر ليطلب منه إعادة والده ، الذي قد وضعه في السجن ، ومساعدته ضد عبدالله خان ، مرسلاً إياه هدية كبيرة (التي تُعتبر المقدمة لطلب التماس بين المسلمين) .

سخر أكبر من هذا ، وأبعد السفراء بعجرفة شديدة .

(أ) كان سبب هذه الحروب هو قسوة شاه روخ تجاه أتباعه ، انظر نفس المرجع ، صفحة ٤٨٦ .

عندها كان مدفوعاً بهذه الإهانة ، حوَّل الملك الجديد قواته القليلة ضد أكبر واستولى على المدن الهامة لكابول وقندهار [أ] قائلاً قباطنة وأصحاب السلطة لديه .

حينما علم أكبر بهذا ، شكل جيشاً ضده ، واختار هذا الملك المسكين في "تلاس" (تيرميس؟) ، حينما وجد نفسه مُهاجماً من قبل أكبر وعبد الله خان ، أن يغادر المملكة ، ويجد ملجأ لكي يُنقذ حياته .

ذلك لأنه اضطر إلى أن يذهب من خلال بلاد أعدائه ، تنكر في ثوب رجل "يوجى" ، الذي نسميه (الحاج) ، آخذاً معه بعضاً من رجاله ، الذين رغبوا في مرافقته .

حينما انتهى الخطر بدأ رحلته إلى بلاط ملك الترك الأعظم ، زار مكة ، ومرَّ من خلال القدس ؛ حيث رأى عدداً كبيراً من المسيحيين ، وقد تم حشدهم هناك ، ولاحظ سلوك الإخوة الرهبان الذين يعيشون في الضريح المقدس . اعترف أن هذا بدا له شيئاً ما إلهياً ، تم انتقل بتعمق تجاه الطريقة الدينية والمسيحية للحياة .

سافر متنكراً في ثوب حاج لمدة سبعة أعوام ، وجاء إلى بلاد فارس ؛ حيث تم التعرف عليه من قبل الشاه عباس ، الذي أراد أن يُكرمه كملك ، ولكنه رفض وتخلى عن كل نوع من الوجاهة .

حينما كان يتحدث إلى الشاه ذات يوم ، أخبره كيف كون انطباعاً حسناً عن حياة المسيحيين في القدس ، وأنه كان مشدوداً إلى الطريقة

(أ) رويت تفاصيل هذه الحملة في نفس المرجع ، صفحة ٤٨٨ ، (يوجد في النص كابول وكاندور) .

المسيحية للحياة ، وأنه في أثناء أعوام حجه لم يبد له أحداً أحسن من المسيحيين . لذلك قرر أن يذهب إلى هرمز ؛ حيث عرف أن هناك كنائس مسيحية وآباء رهباناً ، رافضاً كرم الضيافة ومظاهر التكريم التي قدمها له الشاه ، إذا هو أراد البقاء في مملكته وصل إلى هرمز بالطريقة التي قد وصفتها .

حيث رأى المسيحيين كما تمنى ، وزار بيتنا ، وبدا له ما رآه في الكنيسة وسلوك آبائنا الرهبان حسناً جداً للحد الذي عندما تحدث إليّ تحدث إلى أتباعه التسعة ، وأخبرهم بأنه يجب أن يستقر هناك ، وأنهم إذا رغبوا في ذلك فيمكنهم أن يسافروا معه .

أجابوا عليه بما أنهم كانوا معه لمدة طويلة من الزمن ، فيجب عليهم أن يفعلوا هذا دائماً ، حتى الموت ، الأمر الذي كان من أجله المسلم شاكراً جداً لهم . تجول في هرمز لبضعة أيام ، التي كره فيها كل الطقوس الدينية ، والاحتفالات وعادات المسلمين لدرجة أنه في يوم الجمعة ، الذي هو يوم راحتهم ، دخل إلى مسجد حيث كان يوجد حشد من الناس للصلاة بما يزيد على ألف وخمسمائة فرد ، ورجل مسلم يعظهم برسالة محمد (صلى الله عليه و سلم) .

دخل وأخبر الرجل المسلم أن صوته كان رائعاً ، وأنه يجب أن ينزل من على المنبر ، وأن ما كان يقوله زيف ومضلل .

كان الملك ووزير (جوازيل) هرمز غاضبين جداً للحد الذي اعتقدا ، وأعلنا أنه كان مجنوناً ، وطرداه من المسجد بمفرده دون أي أحد آخر ، بينما كان يصيح أن كنائس المسيحيين فقط هي بيوت الله ، للإساءة بدين

محمد (صلى الله عليه وسلم) ومُستغيثاً بيسوع المسيح . لاحقة المسلمون ، ولجأ إلى كنيسة تابعة لنا تسمى كنيسة القديس "جواو" ، تخدم كمؤسسة خيرية وتوجد في مجمع القلعة السكني ، ومن هناك صاح لكي يستدعي القسيس الرئيس لنا .

في هذا الوقت كان مسؤول ديرنا في هرمز هو الأب "أنطونيو دا جراسا" "Antonio da Graca" ، وهو قسيس ممتاز ومثقف ، وعندما تم إخباره أن المسلم كان يستدعيه ذهب إلى هناك سريعاً جداً مدفوعاً بالحماس المسيحي . كان الأمير المسلم جالساً على أرض الغرفة ، محتقراً ومصاباً بالأذى من قبل المسلم ، على الرغم من أن شخصيته أظهرت حسن أصله ، وبدا كأمير .

عندما رأى الأب المسؤول عن الدير ، أخبره أنه كان مسيحياً بإرادته لعدة أيام ، وطلب ماء التعميد . هدَّأ الأب "أنطونيو دا جراسا" من روعه وشجعه ، ثم أخذه إلى الدير مع جميع أتباعه ، ورحب بهم بإحسان ووعظهم ، وبعد ذلك قام بتحويلهم إلى أفراد مسيحيين ، مبيناً لهم الطريق الصحيح إلى الخلاص الروحي .

موضحاً لهم بحجج وبراهين من الكتب المقدسة أنه فقط من خلال باب التعميد المقدس يستطيع المرء أن يدخل الجنة . بيَّن لهم زيف وتشدد قانون محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي جرَّبوه ، ولطف وحلاوة تعاليم الإنجيل التي شرحها وقدمها لهم ، وأجابوا جميعهم بأنهم تمنَّوا أن يُصبحوا مسيحيين .

أجاب الأب مسؤول الدير قائلاً ، كدليل على هذا أنه يجب عليه

أن يقص شعره ، لأن لديه كتلة متشابكة من الشعر معطرة جداً ، وطلب في الحال مقصاً وحلاقاً لكي يقصه ، ولذلك فقد تم قص شعره . عندما رآه ملقياً على الأرض كان حزيناً جداً ، وعيناه مملوءتان بالدموع ، وحينما سأله الأب مسؤول الدير لماذا هو حزين جداً ، أجاب بأنه فقد رفاق رحلاته وجولاته .

أخبره الأب أن المسألة تبدو كما لو كان حزيناً من فكرة حياة جديدة ، وأجاب أن تغيير الدولة لا يؤثر فيه بدرجة كبيرة ، ولكن قلبه كان يشعر بالله لأيام عديدة ، وشكوا أيضاً إليه بأنه امتلك كتاباً عربياً ، يقال بأنه يتحدث عن السحر الذي قد درسه في دولته والمملكة ، وأخبروه بأنه يجب أن يحرقه .

بهذه البدايات الحسنة تم إعطاؤه مأوى ، وانتدب مسؤول الدير أباً ، استطاع أن يتكلم اللغة الفارسية بصورة حسنة ليرافقهم ويُعلمهم ، ويبلغهم التعاليم في أسرار عقيدتنا المقدسة .

الفصل الثامن : وهو استمرار للفصل السابق .

كان متحولنا الجديد إلى المسيحية وخدمه التسعة في الدير لأيام عديدة ، وكانت جميع حاجاتهم قد تم القيام بتلبيتها من وسائلنا الفقيرة .

أثناء هذا الوقت كان الأب "أنطونيو دا جراسا" ، مسؤول الدير متردداً ، ومحاولاً أن يكشف حقيقة وضعه وشخصيته ، وسائلاً ومستفسراً عنه كثيراً كلما أمكن ذلك .

حدث أنه في أثناء هذا الوقت وصلت سفن من السند ، ولأن تحويل الأمير المسلم إلى المسيحية قد تم مناقشته كثيراً جداً في المدينة ، فإن

قباطنة السفن من السند كانوا متلهفين لرؤيته ، وبخاصة قبطان كبير جداً في العمر قضى فترة طويلة في بلاط "أكبر" وعرف والده "شاه روخ" ، ولأن هذا الرجل العجوز قد سمع "شاه روخ باشا" يقول إن ابنه "محمد زمان" يشبهه إلى حد كبير ، واستطاع أن يتذكر جيداً ملامحه ، سعى إلى رؤيته ، طالباً تصريحاً من الأب مسؤول الدير لكي يفعل هذا ، والذي تم منحه إياه ، وعندما أخذنا قبطاناً آخر ، كرفيق ، ذهب إلى الدير ، وعندما رآه انحنى وسلَّم ثلاث مرات ، مثلما يفعل المسلمون للملوك ، لامساً الأرض بيده ، وبعد ذلك يقوم برفعها ووضعها على رأسه .

استقبله المتحول الجديد للمسيحية بسرور ولكن بوقار ، وعندما قدم الأب المسؤول الكراسي للقباطنة ، نادى عليه لكي يقف ، وأنهم يمكن أن يجلسوا على أرض الغرفة ، وهذا الذي فعلوه . عندما كانوا جالسين ، تحدثوا ، وأعطاه الرجل العجوز أخباراً عن والده وإخوته ، وأخبره أن عبد الله خان ، ملك بخارى ، الذي شن الحرب ضده كان متوفياً ، وأنه كان مفترضاً أنه ميت عندما اختفى .

قد نصَّب أتباعه ابنه "أتشير زمان" "Acher Zaman" ، الذي قد رحل في "فيم" ليكون ملكاً .دامعاً دموعاً كثيرة ، قال إنه عندما اختفى نشر "أكبر" خبراً أنه كان ميتاً ، وقد كشف عن رأس قائلاً إنها رأسه ، وأن الرؤوس العابسة الوجه التي قيل بأنها له لم يتم عرضها فقط في بلاط "أكبر" ولكن في اثنين من الأماكن الأخرى .

أجاب محمد زمان هذا لم يكن كثيراً ، إنه كان ثعباناً ذا ثلاثة رؤوس . بعد محادثة طويلة قال الرجل العجوز أنه ينبغي أن يذهب

معهم ويترك الدولة التي هو فيها ، وأنهم يجب أن يأخذوه ، وينصبوه في مملكته .

أجاب بأنه لن يذهب لأن الآباء الرهبان يمكن أن يُسيئوا الظن فيه ، وأنه مضطر أن يكشف عما نصحوه به ، الذي هو ألا يراه مرة ثانية ، ولذلك فإنه من خلال هؤلاء القباطنة كان معروفاً في هرمز من هو ، وعلى الرغم من أن هذا أرضى الأب المسؤول عن الدير عن مكانته ، فإن الآباء وقبطان قلعة هرمز ، الذي كان حينئذ هو "الدون لويس دا جاما" ، اعتقدوا أنه من الأفضل أن يُبحر إلى "غوا" لكي يتم معرفة الحقيقة ويتم الاحتفال بتنصيره ، وتحويله إلى المسيحية على نحو ملائم .

لذلك ألبسهم القبطان جميعاً ثياباً حسنة على نفقة جلالته ، وزودهم بالإمدادات ، وأبحر في سفينة "ناو" "Nao" في داخل غرفة ذات شرفة على سطحها .

ذهب جميع الإخوة الرهبان على ظهر سفينة "مانشوا" " manchua" ، التي كانت مُزينة بالرايات ومملوءة بالآلات الموسيقية في احتفال كبير لتوعية المسلمين الذين جاءوا ، لكي يروا من على الشاطئ كيف تعاملنا معهم بطريقة خاصة .

أرسل الأب المسؤول عن الدير أباً راهباً لكي يرافقهم ، هذا الذي فهمهم وتحدث إليهم وعلَّمهم .

وصلوا إلى "غوا" في يوم السابع من إبريل عام ١٦٠١م . ذهب عدد كبير من الإخوة الرهبان ؛ لكي يرحبوا بهم على رصيف الميناء بكثير من العرض والاحتفال ، ورجعوا بهم إلى الدير حيث مكثوا هناك لأيام عديدة .

في يوم عيد القديسة "مونيكا" ، الرابع من مايو ، بين حشود غفيرة من الناس واحتفالات ، تم تعميدهم جميعاً في ديرنا [أ] بدموع الفرح .

يقال إنه قد تم تعميدهم على يد رئيس الأساقفة "الدون إليكسو دي مينزيس" في ملابس بابويه ؛ حيث كان المتكفل برعاية الأمير أسقف "مالقا" "الدون جوان ريبيرو جازو" "D . Joao Rebeiro Jazo" ، كوكيل عن نائب الملك الذي كان مريضاً ، وتم إعطاؤه اسم الدون "أليكسو" كان المتكفلون برعاية الآخرين النبلاء الأكثر أهمية في الهند ، وتم الاحتفال باليوم السعيد بصورة حسنة لتعظيم مجد الإله .

أعطاه نائب الملك منحه باسم جلالته ، وهو يعيش مُكرماً كفرد مسيحي في "غوا" .

في فترة نائب الملك "أيريس دي سالدانها" ، جاء إلى بلاطه سفيراً من عند ملك المغول العظيم . سأل القس الأسقفي الأب "بيدرو دا كروز" عن هذا المسلم ، واعترف بأن أحد الأشياء التي أُرسل من أجلها من قبل ملك المغول العظيم ، هي أن يزور الأمير الذي قد أصبح مسيحياً ،

(أ) "دى كوتو" ، نفس المرجع ، صفحة ٤٩١ ، يقول على العكس أنه قد تم تعميده في "هرمز" قبل أن يغادر إلى "غوا" .

طلب بإصرار التعميد المقدس ، الذي أعطوه له (آباء النظام الكهنوتي الأوغسطيني) في بداية هذا العام ، ومن هناك تم إحضاره بواسطة الإخوة الرهبان الأوغسطينين إلى مدينة "غوا" هذه مصحوباً بعناية ومع خدمه" . ذكريات الرابعة و الستين تتفق مع "فيليكس" .

في رسالة في يوم الثالث و العشرين من مارس ١٦٠٤م محررة في "فالا دوليد" (بلد الوليد) إلى نائب الملك "أفونصو دي كاسترو" ، يوافق الملك على المنحة المعطاة إلى "الدون أليكسو" .(نشرة دا فيلموتيكا ١٩٥٤م ، صفحة ٥٧٧) .

وبما أنه قد تم إخبار "الدون إليكسو" بألا يتحدث عن المسلمين دون تصريح ، وفقط بحضور الأب الراهب الذي علَّمه .

فقد أرسل القس الأسقفي أخاً راهباً لديه معرفة جيدة باللغة الفارسية إلى بيته مع سفير ملك المغول ؛ لكي يتحدث معه بحضوره ، وعندما وصلا كان "الدون أليكسو" يلعب "الداما" مع رجل برتغالي . دخل السفير وأدى الثلاثة انحناءات والسلامات المستحقة لملك ، واستقبله بمثل هذه الغطرسة والغرور للحد الذي فيه أعرض عنه ، واستدار في حضوره لكي ينهي اللعبة التي قد بدأها . أعطاه السفير أخباراً عن والده وابنه وقدم إليه أشياء عديدة ، التي لم يقبل أياً منها .

وافق السفير على أنه شابه أباه إلى حد كبير جداً ، وقال ذلك لوالده .

في هذا الوقت أيضاً تسلم الأب "نيكولاو بيمنتو" ، وهو زائر لدى جمعية يسوع المسيح في الهند الشرقية رسالة من الأب "جيرونيمو شافير" "Jeronimo Xavier" ، الذي كان مقيماً في "لاهور" لسنوات عديدة في بلاط الملك "أكبر" ، الذي يقول فيها ما يلي :

لقد جاء خبر من هرمز أن أمير "باداخشان" الذي يسمى محمد زمان ذهب إلى هرمز بعد فترة حج طويلة ، وهو الآن في "غوا" يوجد والده "شاه روخ باشا" في هذه المملكة ، وهو مع جيش "أكبر" مع ابن له ، وولد آخر صغير هو الآن في البلاط . جاء ليتحدث معي وسألني عن حقيقة هذا .

أخبرني من خلال طريقة التعريف أنه يبلغ من العمر اثنين وثلاثين عاماً ، حاجبا عينيه قريبان جداً معاً ، ولديه أثر جرح في أحد جانبي

رأسه من سقوط عندما كان طفلاً ، وفي داخل أذنه اليسرى ، توجد علامة سوداء من هذا الحجم وعلامة حمراء ذات حجم مختلف على كتفه الأيسر .

ذهب الأب الزائر المذكور شخصياً مع بعض الآباء لكي يروا كل هذه العلامات ، وكان "الدون إليكسو" مسروراً لكي يُريهم لنا ، وقدم دليلاً على إثبات الحق بشأن هذه الحالة العائلية ، لكي يمكن أن يكون أكثر أمناً ، ويعيش في سلام أوسع .

تزوج امرأة نبيلة في "غوا" من أصل برتغالي ، وعاش معها برضا . رجل مسيحي حسن الأخلاق . الحمد لله الذي إن شاء أن نكشف هذا الأمير بالانضمام إلى رعايا كنيسته الكاثولوكية على يد إخواننا الرهبان [أ] .

الفصل التاسع : كيف أرسلت إدارة الأسقفيات خليفة للقس الأسقفي ممثل الكنيسة الكاثولوكية الأب "جاسبار دي سان فيسنت" ، وماذا حدث أيضاً في هذه الفترة؟

(هذا الفصل والفصل رقم عشرة التالي يهتمان بشكل رئيس "بأتشين" و"مالقا") .

في هذا العام ١٦٠٠م ، تم تحويل عدد كبير إلى عقيدة سيدنا المسيح في قلعة "ممباسا" ، بينهم مسلم عظيم صاحب سلطة (لورد) في مملكة "باتي" "Pate" واثنتان من السيدات النبيلات المسلمات ، كانت واحدة منهن قريبة لدى الملك (دامبيزا) . تم تحويلهن إلى عقيدتنا

(أ) يضيف ميموریاس في ذكريات ٦٥ : "في طريقه إلى البرتغال توفي أثناء الرحلة البحرية" .

الكاثولوكية المقدسة على يد إخواننا الرهبان ، وتم تعميدهن في احتفال كبير كمثال للأخريات ، وبعد ذلك تمت مساعدتهن على نفقة ديرنا باهظة التكاليف ، وأيضاً بطريقة .

التشجيع للآخرين لكي يأتوا ويبحثوا عن الطريق إلى الجنة ، وفيما بعد زوَّجنا السيدتين الاثنتين المتحولتين إلى المسيحية في الدولة نفسها لاثنين من الرجال البرتغاليين النبلاء حتى يعيشوا ليس فقط حياة مسيحية ، ولكن حياة ميسورة الحال ؛ إكراماً لعظمة ومجد الإله .

الفصل الحادي عشر : كيف أرسل جلالة الملك رسالة إلى الشاه ، وكيف أرسل نائب الملك في الهند إخواننا الرهبان كسفراء ، وماذا حدث غير ذلك أيضاً في هذه الفترة من الزمن؟

لم يعجز ربنا الإله في إرضاء خدمه عندما يعملون في خدمته لزيادة مجده ، مثلما يُرى في هذه الفترة . كان يأمل إخواننا الرهبان في فرصة لكي يخدمونه من خلال تحويل الفُرس المرتقب إلى المسيحية ، وكان هذا مُبيناً لهم من قبل الإله في العام ١٦٠٠م بالطريقة التالية : وصلت سفن من البرتغال محضرة رسالة من جلالته إلى شاه بلاد فارس وأمراً إلى نائب الملك ؛ لكي يقدمها إليه بأية وسيلة يرى أنها الأفضل .

جاءت أيضاً أخبار أن شاه بلاد فارس قد أرسل سفراء إلى البابا ، وأمراء مسيحيين آخرين فيما يتعلق بالرابطة التي يرغب في تكوينها ضد سلطان الأتراك ، وكانت رسالة جلالته حول هذه القضية .

اعتقد رئيس الأساقفة "الدون أليكسو دي مينزيس" أن هذه كانت فرصة جيدة للرحلة إلى بلاد فارس ، التي قد كُنا مُصرين عليها ، والتي

أرادها أيضاً ، ولذلك أقنع نائب الملك في الهند ، الذي كان حينئذٍ "أيريس دي سالدانها" ، لكي يرسل سفراء برسالة ؛ لافتاً النظر إلى أن هذا كان مُهماً لخدمة الإله والملك ، لأن هؤلاء السفراء يمكن أيضاً يخُصوا أنفسهم بموضوع تحويل الفُرس إلى الديانة المسيحية .

لقد قدم الشاه دلائل حسنة مثل الرغبات التي عبر عنها للأب "نيكولاو دي ميلو" ، في الرسائل التي قد تمت مناقشتها ، بالإضافة إلى هذا ، كان يجب عليهم أن يشجعوا الشاه ضد سلطان الأتراك ، وأن يعلموا جلالته بحكمة عن كل شيء قرره الشاه .

كان من السهل إقناع نائب الملك في الهند بهذا ، وعندما تمت مناقشة إرسال السفراء ، كان من المقرر أن يكونوا إخواناً ورهباناً من النظام الكهنوتي الأوغسطيني ، لأن هذا كان فتحنا في هذه البلاد ، ولأنه أيضاً من الملائم أن يكون لدينا بيتنا في هرمز .

وضعت المسألة في أيدي رئيس الأساقفة والقس الأسقفي ممثل الكنيسة الذي كان يجب عليهما أن يختارا اثنين للقيام بهذه الرحلة .

اختار الأب "جيرونيمو دا كروز" ، هو أخ مثقف ، يبلغ من العمر ستين عاماً وأكثر ، عُمر للراحة من الأعمال بدلاً من البدء فيها ، ولديه مثل هذا الصدق والقداسة لدرجة أنه لم يستطع أن يقبل منصب القس الأسقفي في البرتغال الذي قد تم تعيينه فيه . أتى إلى الهند في هذا العمر ، بعد خدمة النظام الكهنوتي لمدة خمس وأربعين سنة في كل مهمة مهما كانت صعوبتها ، ولم يقبل أي واحدة منها ضد إرادته ، فيما عدا كونه حبراً .

تم إعطاؤه الأب "أنطونيو دي جوفيا" كرفيق ، وهو أخ بارع ذو مواهب متعددة ، قد أنهى لتوه دورة في الفنون ، وكان في الوقت الحاضر أستاذاً لعلم اللاهوت في ديرنا في "غوا" ، ولكنه كان سعيداً أن يتخلى عن علم اللاهوت ؛ لكي يتعلم علماً لاهوتياً أعلى في تحويل النفوس إلى الله ، أو أن يربح تاج الشهادة .

كان هناك أيضاً الأب "كريستوفاو دو إسبيريتو سانتو" ، الذي جاء إلى الهند من أجل الشهادة ، وبعد أن فشل في أن يجدها في الفتوحات الروحية هناك (التي يسعى وراءها الجميع) تمنى أن يذهب لكي يبحث عنها في بلاد فارس ، معتقداً ، لأنها كانت إقليماً تحت المسلمين ، وأنه يمكن أن يحقق هناك مالم يحققه بين الهندوس .

لهذا السبب فإن هؤلاء الرجال الثلاثة المستقيمين أصحاب الفضيلة ، الذين يوجد لديهم تعليمات من قبل نائب الملك مع هدية باسم دولة الهند للشاه ، وأيضاً مع رسائل من رئيس الأساقفة وهدية من الصور والتماثيل ، التي كان مرسلها إليه .

ركبوا على ظهر السفينة في "غوا" في يوم الخامس عشر من فبراير عام ١٦٠٢م بفرح شديد وابتهاج ، ثم ذهبوا إلى ديرنا في هرمز لكي يقوموا برحلتهم من هناك .

الفصل الثاني عشر : كيف تم تأسيس مجمع القديس "أوغسطين" في مدينـة "غوا ، وماذا أصـاب الأخ الأوغسطيني في سوقطرة في هذا العام؟

عندما جاء الأسقف "أليكسو دي مينزيس" إلى الهند ، تم إعلامه

أنه قد وجد هناك ذات مرة أساقفة "نسطوريين" في جزيرة سوقطرة التي تقع في مدخل مضيق مكة والبحر الأحمر ، وأن المسيحيين هناك قد تم تعليمهم ، وتلقينهم مذهبهم على يد الرسول القديس توماس ، ويبدو أنه ، عـندما وقعت هذه المنطقة الشرقية تحت يديه لينشر قانون الأناجيل ، لا يوجد أي شيء ، ولا أي مكان لم يزوره قبل أن يصل إلى هذه الجزيرة .

تعلموا منه المسيحية ، وأخذوا منه الأسماء المسيحية التي يمتلكونها ، لأن معظم سكان اليوم في الجزيرة لديهم أسماء مثل "توماس" ، و"جون" ، و"فرانسيس" ، و"ماريا" ، و"لوسيا" .

قوى هذا رغبات رئيس الأساقفة هذا ، وكذلك أيضاً رغبته مع حماسه الشديد لعمل الخير والنشر عقيدة سيدنا عيسى المسيح ، في معرفة ماذا كان يحدث هناك .

لذلك قرر أنه إذا ذهب لزيارة رعيته في هرمز و"موزمبيق" ، كما رغب وقرر ، فيمكنه أن يذهب بمحاذاة الساحل المالبندي ويزور هذه الجزيرة ، وأن ما قد حدث مع المسيحيين في أقطار مملكة "مالابار" يمكن أن يحدث هناك .

ذلك لأنه أراد أن يقوم بهذه الرحلة في هذا العام ، كتب إلى الأب "بيدرو دي نازاريت" ، مسؤول ديرنا في "مُمبسا" ، الذي كان على وشك المجيء إلى الهند ، وأخبره بما نوى أن يفعله ، حاثاً إياه على أن يذهب إلى تلك الجزيرة ، وأن يُرسل إليه معلومات صحيحة عما كان يحدث هناك ، وما هو محتاج إليه لتحويل هؤلاء الناس إلى المسيحية ، وما طلب

أن يأخذه لكي يمكث في تلك الجزيرة ، من أجل المدة التي أحتاج إليها ليترك هؤلاء الناس متحضرين وعائدين إلى عقيدتنا المقدسة .

فعل الأب "بيدرو" مثلما قد طلب منه رئيس الأساقفة ، ومن "مُمبسا" رتب للذهاب إلى الجزيرة . قضى هناك أسبوعاً سائلاً ، ومستفسراً عن قرب عن طقوسهم الدينية واحتفالاتهم ، ولماذا كان لديهم أسماء مسيحية ، وعن كنائسهم وأشياء أخرى . كان أول شيء سأل عنه هو ماذا عرفوا عن الإله الحقيقي؟ ووجد أنهم لم يعرفوا شيئاً ، وأنهم عرفوا فقط عن القديس "توماس" ، وناشدوه في أوقات الحاجة والشدة ، لأنه هو الذي أخذوا منه أسماء الأفراد المسيحيين .

ما عرفوا شيئاً عن العذراء ، سيدتنا "مريم" ، مثل كل المسلمين في هذه المنطقة من بلاد الهند ، وما عرفوا شيئاً عن أي أسرار مقدسة ، ولا يعرفون من هم بشكل خاص أو بوجه عام ، فليس لديهم أي قديسين ولا أيام أحاد ، ولا تدخل النسوة الكنائس ، وليست الأسماء المسيحية التي حصلوا عليها هي أسماؤهم العادية ، ولكنها الأسماء التي يستخدمونها عندما ذهب البرتغاليون إلى هناك ، ولديهم أسماؤهم الخاصة من آبائهم وأمهاتهم ، التي هي أسماء إسلامية .

كذلك لا يوجد عندهم أي شيء مسيحي عندما يولدون ولا في حياتهم أو في مماتهم ، سوى أنهم يعبدون الصلبان ، ويُقبلون صورنا ، ويعبروننا أناساً صالحين ذوي دين صالح ، ولا حتى يعرف كهنتهم الخاصة كيفية القراءة والكتابة . إنهم في الأصل بدو رُحل ، يعيشون بشكل مختلف عن المسلمين الذين يرون أنهم مسيحيون .

إنهم لا يعرفون شيئاً عن سيدنا المسيح عيسى ، الذي مات على الصليب ، ولا يصلون له ، ولكنهم يعبدونه ، قائلين فقط إن آباءهم وأمهاتهم فعلوا هذا ، وإذا تم ارتكاب أية جريمة أو سرقة فإن القضاة هم القساوسة ، وهم يحلفون بالصليب . لا تمتلك كنائسهم أسماء قديسين ، ولكنه بوجه عام يتم تسميتهم في كنائس .

هذه هي المعلومات التي تتعلق بهذه الجزيرة وشعبها التي حصل عليها الأب "بيدرو دي نازاريت" بجهد شديد في ثمانية أيام قضاها في الجزيرة في عام ١٦٠٢م ، وأحضرها إلى رئيس الأساقفة الذي تخلى عن هذه الفكرة .

كثيراً جداً ما أراد رئيس الأساقفة والقساوسة ممثلو الكنيسة الكاثولوكية في هذا المجمع الديني في الهند كلية خاصة ، يستطيع أن يدرس فيها إخواننا الرهبان لكي يمكن أن يكونوا بمزيد من التعليم أكثر فائدة ، ويمكن أن تجعل الممارسة المستمرة للمدرسين والطلبة أكثر كفاءة ودراسة علمية ، لخدمة النظام الديني بمواهب أكثر رصانة .

في عام ١٦٠٢م هذا ، حدث أن راهباً جديداً ثرياً ، مدفوعاً من قبل الإله ، ترك ممتلكاته الشخصية لهذا العمل الضروري . عندما وجد القس الأسقفي نفسه أمام هذه الفرصة المرتقبة لعمل ما نأمل أن يُعيد الرونق والعظمة للنظام الديني ، قرر هو ورئيس الأساقفة أن يُنشئوا هذه الكلية في "غوا" من أجل ممارسة المعرفة المقدسة دون الاضطرار إلى مواصلة العمل الشاق في ديرنا في "غوا" .

تم شراء موقع قريب من الدير ، ملائم جداً وبارد ، وساعد رئيس

الأساقفة بكرم كثير .بنى القسُ الأسقفي ، الأب "بيدرو دا كروز" كلية هناك تسمى "سان أوغسطينهو" ؛ حيث يعيش ثلاثون أخاً راهباً ، الذي هو شرف ومجد لمدينة "غوا" . إنها أكثر إبداعاً ، وكان رئيس الأساقفة مسروراً بها جداً ومُثرياً إياها في كل يوم بالصدقات والمساعدات المادية .

أضف إلى أنها صالة مُقامة على أقواس مزخرفة جميلة كي يمكن للإخوة الرهبان أن يعبروا إلى الدير ، ويشاركوا عندما يعتقد هؤلاء الأحبار الكهنة أنه يجب أن يكونوا حاضرين في أيام العيد ، وفيها أيضاً منحة كافية من جلالته مالية إلى جانب وقف صغير آخر به .

يتم تزويد الإخوة الرهبان .

في أثناء اليوم الثامن للعيد القديس "أوغسطين" في هذا العام ، أقام رئيس الأساقفة قُداساً بابوياً في هذه الكلية بحضور نائب الملك ، وكل أصحاب السيادة (نُبلاء) الهند في حشد كبير ، والمجد لله .

الفصل الثالث عشر : كيف وصل الآباء الرهبان الذين ذهبوا إلى بلاد فارس إلى هرمز ، ماذا حدث هناك ، وكيف بدأوا رحلتهم إلى بلاط الشاه؟

في الأسبوع الأخير من عيد الفصح ، في اليوم العاشر من إبريل عام ١٦٠٢م وصل الآباء الذين كانوا ذاهبين ، كسفراء إلى بلاد فارس إلى مدينة هرمز (أ) ، تم استقبالهم من قبل إخواننا الرهبان بالحب المستحق والابتهاج ، وجدوا المدينة في هرج ومرح ، وفي حاجة شديدة إلى كل

(أ) ملاحظة المترجم : من هذه النقطة يوجد أشياء مستعارة من الوصف الذي كتبه "أنطونيو دي جوفيا" ، التقرير الأولي لهذه الرحلة .

شيء بسبب الحصار التركي لقلعة "غومبرون" ، التي هي المكان الذي تحصل منه المدينة على كل احتياجاتها .

لقد تم أيضاً الاستيلاء على جزيرة البحرين من قبل الفُرس بواسطة الخيانة ، عندما قتل شخص مسلم الوزير "الجوازيل" باسم الشاه ، كان لدى قائده الإمام السلطان خمسة آلاف مسلم هناك ، ومن أجل الإمداد لهذا العدد الكبير كان هناك نقص في كل شيء في المدينة .

في الحال تعامل الآباء مع هذا السلطان الذي كان على الشاطئ الآخر مع جيش كبير من الجنود لكي يُنقذوا ما هو ضروري . كيف كان من غير المعقول جداً ، أن يصل به الأمر إلى الحد الذي يجب عليه أن يحاصر قلعتنا في وقت عندما كان يُبين فيه جلالته نفسه صديق كهذا لملكهم ، ويكتب إليه عن مسألة ذات فائدة عظيمة وشرف له .

ليس معقولاً أنهم يجب أن يذهبوا في سفارة من عند جلالته موضحين مثل هذه المودة والصداقة لملك ، كان يتصرف أتباعه بمثل هذا العدوان الواضح تجاه دولة الهند . بهؤلاء وبأسباب أخرى أقنعوه أن يرفع الحصار ، ويقدم الإغاثة إلى قلعة جبرون ومدينة هرمز ، على الرغم من أنه يبدو كعائق صغير فقط لرحلتهم ، التي تم الآن القيام بإعدادها مرة ثانية ، علاوة على الخطر الذي يمكن أن يواجهوه بتعريض أنفسهم للأعداء الظاهرين .

لم يبد أنه من الصحيح أن نُقيم سفارة ، ونأخذ هدايا باسم جلالته إلى ملك ، قد أخلَّ بالسلام القائم طويلاً بيننا وبينهم دون الانتظار لمشورة إضافية من نائب الملك في الهند .

مع ذلك ؛ حيث ظهر أن الملك لا يعرف شيئاً عن الخيانة في البحرين ولا عن حصار جمبرون لأنه كان بعيداً بمسافة أربعمائة فرسخ عن اليابسة ، قرروا أن يستمروا ، معتقدين أنها قد كانت خدعة للشيطان ، الذي رغب بهذه الطريقة في أن يمنع رحلتهم ، لأنه خاف من منفعة عدد كبير من البشر الذين يمكن أن يتحولوا عنه إلى الله ، ولذلك غادروا هرمز ، وهم متهكمين على كل المضايقات التي نشأت .

في يوم عيد صعود سيدنا المسيح ، في يوم السادس و العشرين مايو ، وعلى الرغم من أن طريقهم يقع بين مناطق المسلمين ، ومثل هؤلاء المسلمين في وقت الحرب ، لم يجدوا أحداً لكي يُريق دمائهم ويجعلهم محظوظين ومُكرَّمين من خلال تقصير رحلتهم لدخول الجنة ، لم توجد نفس المشكلات والآلام في أي يوم للرحلة الطويلة .

حيث الجبال العالية والبلاد القاحلة والحارة جداً التي هاجمت صيرهم وجلدهم وصلوا مدينة "لار" حيث التقوا مع السلطان المشار إليه ، وقضوا ثمانية أيام ؛ حيث تم معاملتهم بصورة حسنة على يديه ، ومن هناك ذهبوا إلى مدينة "فاسا" "Fasa" ؛ حيث مكثوا هناك يوماً وليلة .

بينما كانوا مسترخين هناك في خارج المدينة ، جاء إليهم مارق برتغالي من جزيرة سان ميجل . لقد كان لديه قبل سنوات خلاف مع هرمز على إهانة ما مع جندي آخر والذي خاف منه ، وقد فرَّ من هرمز إلى "غومبرون" ، وذهب فيما وراء الساحل ، وقد أصبح هناك فرداً مسلماً .

طلب من الأب "أنطونيو دي جوفيا" أن يستمع إلى اعترافه ، وقال إنه كان مسيحياً ، ولن يترك أبداً عقيدة يسوع المسيح ، إنها في قلبه حتى

في ملبسه وحديثه ، وأقنع المسلمين أنه فرد مسلم . سواء فعل هذا من خلال النذالة أو من أجل فائدة ، التي هي مُحتملة كثيراً مع هؤلاء الناس .

حيث إن الأب الراهب كان لديه سلطة من محكمة التفتيش المقدسة بأن يُعيد ويُصالح أولئك الأشخاص بإعادتهم إلى الكنيسة الكاثولوكية ، فقد فعل ذلك إلى هذا الشخص ، عارفاً بأنه مخلص لسيدتنا "مريم العذراء" ، ووهب نفسه ، وخلاصه الروحي لها في كل يوم ، وبحسناتها تم إرجاعه إلى الكنيسة الكاثولوكية ، وحصل على مكان من أجل التكفير عن ذنوبه فيما بين عدد كبير من الآخرين .

عندما عاد الأب الراهب ، مثلما سوف يُرى ، أحضره معه وقدمه إلى ضابط محكمة التفتيش .

واصلوا السير إلى مدينة شيراز ؛ حيث قضوا أياماً عديدة ؛ لأن "اللهفيردي خان" حاكمها لم يسمح لهم بمواصلة الرحلة دون أن يعرف من ملكه فيما إذا كان يريد الآباء الرهبان أن يذهبوا إليه في خُراسان حيث كان يحارب الملوك المجاورين .

لذلك بعث الرسول ، وجاء الرد بالإثبات وانطلقوا في رحلتهم .

في مكان بالقرب من مدينة مشهد ، فيما يُسمونه خُراسان ، رأى الآباء الرهبان أنه يمكن لهم أن يرسلوا رجلاً أرمنياً برسالة من نائب الملك في الهند إلى الشاه ، لكي يُخبرونه عن مجيء الآباء ، والسبب الذي من أجله جاءوا إليه .

لقد تم إبلاغ الملك بشكل خطأ من قبل السلطان ، وآخرين عن

الحرب في البحرين ولأن الملوك لا يعرفون كثيراً عما يخبرهم به رجالهم ، عندما يكون هؤلاء سيئو النية ، فإنهم غالباً ما يجعلون الملوك يقعون في الأخطاء دون أية غلطة منهم ، مثلما حدث مع الشاه وهؤلاء الآباء . لقد تم إخباره أنهم سفراء من عند قبطان هرمز ، وكانوا قادمين ليطلبوا منه البحرين .

بسبب هذا فإن الشخص الأرمني وجد صعوبة شديدة في زيارته لإعطائه الرسالة ، ولكن بالصدفة ، خرج من خيمته وسلَّمه الرسالة .

شكا إلى الرجل الأرمني من قتال البرتغاليين له للاستيلاء على البحرين عندما كان يؤيدهم كثيراً جداً في كل فرصة جاءت في طريقه ، قائلاً هذا على أسس المعلومات التي قد تم إعطاؤها إليه ، ولكن عند قراءة رسالة نائب الملك ، والتأكد من أنهم كانوا يُحضرون رسالة من جلالته كان غاضباً من أولئك الذين أضلَّوه . في نفس الساعة أرسل رجلاً وجيهاً مع بعض الرجال الخيّالة لكي يذهبوا ، ويبحثوا عن الآباء أينما كانوا ، وأن يمدونهم بكل ما احتاجوا إليه .

نفَّذ الرجل الوجيه هذا الأمر على وجه السرعة ، ووجدهم في مدينة "عشتار اباد" على مسافة عشرين فرسخاً من مشهد حيث كان الشاه ، ومن هناك ذهبوا مع الرجل الوجيه وأناس عديدين ، مُحتفياً بهم ومعاملين بصورة حسنة ، وأينما ذهبوا كان الناس أكثر مجاملة ، مبينين لهم اهتماماً أكثر مما أرادوا .

عندما كانوا على مسافة أربعة أو خمسة فراسخ من "مشهد" ، أرسل الرجل المغربي الذي كان يرافقهم لكي يُعلم الشاه بأنهم كانوا قريبين ، وفي

اليوم التالي ، عندما كانوا على مقربة فرسخ من المدينة ، جاءت رسالة إلى الآباء من الشاه قائلة .

كيف كان مسروراً من خبر قدومهم ووصلوهم إلى بلاطه ومقر إقامته ، وطالباً منهم أن ينتظروا أينما كانوا من أجل الأشخاص الذين قد أرسلهم لكي يُرحبوا بهم .

الفصل الرابع عشر : كيف وصل الآباء إلى بلاط الشاه ، وأعطوه الرسالة من جلالته ، وكيف تسلّمها؟

في اليوم الرابع من سبتمبر وصل الآباء الرهبان مشهد في إقليم خراسان ؛ حيث كان الشاه . أرسل تقريباً كل الأشراف (النبلاء) في بلاطه ، والقباطنة ، والحكام ، والمواظفين في بيته كي يستقبلوهم في الطريق ، بالإضافة إلى حشد كبير من الناس ، وهم ممتطون ظهور خيولهم ، وجميعهم كانوا مزادانين بثياب رائعة مصنوعة من الأقمشة الحريرية الملونة المختلفة ، وعمائم ذات تشكيلة مختلفة من الريش ، والأحجار الكريمة ، جميلة في مرآها .

لذلك وصلوا إلى المدينة فرحين ، وفي اليوم التالي أرسل إليهم الشاه نبأ ، أنه كان ينتظرهم بشغف لكي يرى الرسالة من جلالته . حملوا إليه الرسالة ، وأيضاً الهدايا التي قد أرسلها نائب الملك في الهند ، وتم تقديمهم بأمر الرجل المسلم الذي كان يحرسهم في احتفال أكثر مما توقع الآباء الرهبان .

تم حمل قطع الهدايا واحدة بواحدة ، وحيث إن معظمها أشياء من الصين ، ومطلية بالذهب ، كانت كل واحدة محمولة بواسطة رجل

واحد ، ظهروا بأنهم أكثر مما استحقوا ، أو كانوا يُساوون في قيمتهم . حتماً تم الإعلان عنها كهدايا من ملك إسبانيا بسبب الأهمية التي أعطوها لتحالفه وصداقته .

كان الشاه جالساً على منصة ذات سجاد كبير الحجم وكان فاخراً ؛ حيث جلس على جانبيه جميع القباطنة ، والسلاطين ونبلاء بلاطه في ترتيب مناسب (طبقاً لعادتهم) ، فإن عدداً كبيراً من هم الذين جلسوا في صفين في شكل مربع امتدوا إلى الجوانب الأربعة للمنصة .

ها هو وصف لمظهر وشكل الشاه طبقاً لمعلومات من الآباء :

يُسمى شاه بلاد فارس عباس ، وكان في ذلك الوقت يبلغ من العمر اثنين وثلاثين سنة . كان قصير القامة ، ذا وجه مرح ، وقوي ، وكان سهلاً في حديثه ، ومحبوباً لدى الجميع حتى أصحاب الطبقة العليا ، ومهاباً جداً ومحترماً من قبل العظماء .

هو معتدل في الأكل ، ولكنه يشرب كثيراً جداً ، على الرغم من أن عادة الشراب تعني أنه ، مع أنه يشرب كثيراً ، لم يفقد أبداً السيطرة على عقله ، الذي كان نيراً جداً ، إنه رجل قليل الكلام ، وهو صديق حقيقي للعدالة ، ولكنه يتباهى في المعركة ، ولا يرغب في أية شهرة أخرى فيما عدا ذلك . هو الفارس المفضل والأكثر رشاقة في بلاد فارس .

ليس الشاه غنياً جداً ، ولا مدخولاته كثيرة جدا ، ولكنه اللورد (صاحب السيادة) لكل شيء في بلاد فارس ، وأتباعه هم الذين يمتلكون فقط الأشياء التي يسمح بها الشاه في أثناء حياتهم بدخل سنوي معين .

لاحظ الآباء بشكل خاص أنه قلما كان له ، أو ليس لديه على الإطلاق شكلاً خاصاً في مظهره ، ولذلك فإنني أقوم بوصفه في اليوم الاحتفالي هذا بأنه لا يوجد أي اختلاف في مقعده ، أو عمامته ، أو ملبسه ، ولكنه كان في نفس مظهر البقية من الحضور ، ولهذا اضطر الآباء الرهبان أن يجعلوه ظاهراً .

عندما ذهبوا نحوه سألهم الحاجب الرئيس عما إذا كانوا يرغبون في الاقتراب منه ، ويُقبلون قدمه أو يلقون عليه السلام من بعيد ، الأمر الذي أجاب عليه الآباء بأنهم يرغبون في الذهاب إليه ، وينحنون أمامه ، ويلقون عليه التحية مثلما يفعلون لملوكنا بشكل معتاد متعارف عليه .

لذلك صعدوا إليه ، وسجد كل منهم على الأرض على ركبة واحدة وأخذ يده وقبّلها . قبَّل أفراد شعبه قدمه ، على الرغم من أن النبلاء نظروا إليها على نحو غير مرض ، فإن الشاه اعتبرها بشكل أحسن لأنه رحَّب بهم ، واستقبلهم بمرح وغبطة ، وعندما قبَّلوا يده على هذا النحو ، قبَّل أيديهم .

قدم "الأب جيرونيمو" رسالة جلالته إليه قائلاً إنها الهدية الأفضل التي اشتروها ، التي رد الشاه عليها بأنه قدَّر الرسالة تقديراً عالياً بشكل أكثر من كنز ثمين .

بعد السؤال عن صحة جلالته والابتهاج بالأخبار التي أعطيت إليه ، أراد أن يتم إخباره عن رحلتهم الطويلة .

كان مندهشاً أن يسمع أن الآباء الرهبان قد سافروا خمسة آلاف وخمسمائة فرسخ بحراً .

ثم استدار إلى رجاله وقال : "ربما نغزو الرجال ، ولكن هؤلاء هم غزاة البحر والزمان ، وبسبب رضاهم بهما معاً ، فإنهم جاءوا لينشروا إمبراطوريتهم حتى الآن من دولتهم" .

قال عائداً إلى الأب الراهب : "أقصد ذلك هو الهدف الرئيس" ، وقال عائداً إلى الأب "انطوينو دي جوفيا" : "ربما تكون أرضي أحسن من أرضكم في أوروبا" .

ردّ الأب بأنها لا تساويها في الجودة ، وقال بعد ذلك : "ثم لماذا جئتم لكي تبحثوا عنها بمثل هذه المخاطرة بالحياة والصحة؟"

أجاب الأب الراهب أن الهدف الرئيس الذي أحضرهم هو أن يُعلّموا الوثنيين ، وعبدة الأصنام معرفة الإله الحقيقي ، وأيضاً لكي يزيدوا من إمبراطورية الملك .

في أثناء المحادثة ، قدّموا إليه مُجلَّداً ثرياً بالمعلومات ، كتبت فيه حياة سيدنا المسيح ، وقد أُرسل إليه بواسطة الأب "إليكسو دي مينزيس" رئيس أساقفة غوا ، بالإضافة إلى بعض مجموعات نقوش المذبح ، لأنه قد تم إخباره أن الشاه كان مهتماً بالدين المسيحي .

تصفح الشاه الكتاب على مهل ، وسأل بفضول عن بعض الأشياء ، ثم أخبر الأب الراهب إنه يود أن يعرف باللغة الفارسية بصورة حسنة ما كتب في ؟؟ السفر ، وتعهد الراهب أن يفعل هذا بسرور شديد .

بعد أن قضى وقتاً طويلاً ، سائلاً عن حياة وعادات الآباء ، والفرق بين الأنظمة الكهنوتية ورجال الدين العلمانيين ، نهض مع ابنه "سيف

ميرزا" وذهب إلى الداخل ؛ حيث كانت وجبة الغذاء جاهزة . تم نشر المفارش لكل هؤلاء الذين كانوا في خارج المكان ، ثم تمت خدمتهم بأطعمة شهية وفاكهة في أطباق مصنوعة من الذهب والفضة .

عندما انتهت الوجبة أمر الشاه بأن يتم إيواؤهم ، مُعلماً إياهم بأنه مضطر إلى أن يغادر قريباً جداً إلى أصفهان .

الفصل الخامس عشر : كيف غادر الآباء الرهبان مدينة مشهد ، والحديث الذي حصلوا عليه مع الشاه أثناء الرحلة؟

لم تمر أيام عديدة قبل أن يغادر الشاه مدينة مشهد هذه إلى أصفهان ، المدينة الرئيسة ومقر إقامة ملوك بلاد فارس . انصرف مع ثلاثة أو أربعة آلاف من أحسن الرجال في جيشه ، وأمر الآباء أن يتبعوه .

مكثوا يوماً واحداً في مكان بارد فيه جداول مياه جارية وفاكهة ، وهو مكان توقف حيث يُوجد صيدٌ كثير ، تم تقديمه للآباء واستمتعوا به .

ذات صباح كان الشاه ممتطياً حصانه ، وماراً بخيمة الآباء الرهبان . خرجوا وقبَّلوا يده ، وأخبرهم أن يركبوا المطايا ، ويتبعوه إلى خيمته . انتظر حتى تم ركوبهم ، وقادهم إلى خيمته ؛ حيث نزلوا وجعلهم يجلسون معه قائلاً بأنه شعر بالأسى ، لأنه لا يستطيع أن يحتفل بهم كما رغب ، لأنهم سفراء من عند ملك قوي جداً . شكره الآباء على مساعدته ، مؤكدين له أن جلالته استحق الثناء كثيراً منه ، لأنه تمنى زيادة ممالكه ومقاطعات اللوردات التابعة لسيادته .

عندما رأوا أن الشاه كان في مزاج حسن جداً ، رأى للآباء الرهبان أنها فرصة حسنة لكي يقولوا له ما هم في حاجة إليه لكي يسمعه ، وطلبوا منه

الإذن بأن يفعلوا هذا ، الأمر الذي وافق عليه طوعاً بإرادته ، وبعد ذلك لمَّا كان الأب "أنطونيو دي جوفيا" راهباً مثقفاً ، وذا مواهب متعددة وبخاصة حلاوة الحديث ، فقد تحدث إليه بهذه الصورة :

"سيدي ، إن العالم كله يعرف الأخطاء الفادحة التي عاناها ملوك بلاد فارس ، أسلافكم لسنوات عديدة من الأسرة المالكة العثمانية ، منذ أن هزموا جيوشاً كثيرة جداً . لقد اغتصبوا مدناً فارسية غنية وعظيمة ، التي كان فيها الرعايا دائماً ما يعاملون كأبناء على يد ملوك بلاد فارس ، ولكنهم الآن قد أصابهم البلاء كعبيد على يد سلطان الأتراك الأعظم .

لذلك فالجميع يتمنون أن يسير سموكم بجيوشكم لتحرير رقابهم من هذا الحكم الجائر ، وأنه يجب أن يفهم أن سموكم لديه كراهية شديدة للسلطان الأتراك وأن روحكم الكريمة تحثكم على الانتقام العادل .

لذلك فإنني أخبركم مرة ثانية أن الهدف الرئيس لمجيئنا إلى بلاطكم ، هو أن نطلب بكل إصرار نيابة عن جلالته أن تسرعوا في اتخاذ الإجراءات في هذا القضية ، لأن التأخير والتواني ، هما اللذان يضران بكل العمل ، وعادة ما يزيدان عندما تبدأ الحرب ، إننا نطلب من سموكم أن تغتنموا فرصة مفضلة كهذه ، تقدمها لكم السماء وأن تُبينوا من هو الملك الأكثر نجاحاً وقوة الذي قد امتلكته بلاد فارس في فترة الخمسمائة سنة الماضية ، الذي قد جعله الإله شجاعاً جداً ، وراعياً إياه في مهد الحرب هذا لكي يكون المحرر العام لممالكه .

ضعوا في الاعتبار أن جلالتكم محاط في الوقت الحاضر بالشعب الأكثر حُباً للقتال في آسيا ، الذي دربتموه ، بقدوتكم ومرَّنتموه في

الحرب بطريقة جيدة فلا يخاف أحد منهم أي خطر ، ولا يفزع من أي عمل ، وكذلك أيضاً فإنه شجاع جداً ، وكبير في العدد للحد الذي فيه لا يستطيع أي ملك في العالم أن يجمع مدفعية كثيرة وفرساناً مثله .

لم يضطر سموكم حتى الآن أن يذهب مثلما فعلتم بجيش بمائة ألف رجل بحثاً عن التتار ، ولكن الأعداء الذين يجب أن تحاربهم هم في متناول اليد ، وفي المنطقة المجاورة لكم . ضعوا في الاعتبار أنكم تمتلكون كل الملوك المسيحيين ، والأمراء مع أسلحتهم التي في أيديكم ، منتظرين سموكم أن تتحركوا ضد هذا العدو المشترك لهم لكي يقوموا بنفس العمل .

إن البابا الرئيس العالمي للكنيسة الكاثولوكية بأكملها ليحث باستمرار الملوك الآخرين لكي يتولوا نفس القضية . سوف يرى سموكم الإمبراطور "رودولف" الذي لا يُهزم ، السيف المسلول من غمده الذي قد كان لسنوات عديدة منتصراً ومعتاداً على إراقة الدم التركي ، والذي سوف يعطى سلطات الأتراك كثيراً جداً لكي يعمل في أوربا بالقدر الذي سوف يكون فيه مجبراً على ترك كل شيء آخر ليأتي إلى هناك .

ضعوا في الاعتبار أيضاً أن الملك الكاثوليكي للإسبان ، "فيليب الثالث" لسيدنا ، الذي ورث من أبيه اسمه ، وإمبراطوريته ، وحماسه من أجل نشر العقيدة ، والذي هو كاره لسلطات الأتراك يتلهف لكي يُبين للعالم في نفس المشروع أنه ليس فقط مساوياً لوالده وجده ولكنه يفوقهما .

باختصار يبدو العالم بأسره مشاهداً أعمال سموكم ، منتظراً إياكم

أن تعطوا الإشارة المرتقبة لهم لكي تخرجوا في مسيرة حربية ، ولكل فرد لكي ينتقم من طاغية أكثر كُرهاً ، ولذلك نيابة عن جلالته ، فإننا نتوسل إلى سموكم أن تتخذوا إجراء مع كل المراسلة ، قبل أن يتم فقدان فرصة حسنة جداً نتيجة لخطأ ما .

سمع الشاه إلى هذا الحديث بسرور كثير وقال : إن كلماتك وحماسك تستحقان أنه يجب عليَّ أن أستجيب بالأعمال والنتيجة التي ترغبون فيها ، وإن العالم يعرف جيداً الكراهية التي أمتلكها تجاه سلطان الأتراك ، وآمل في فترة قصيرة أن أزور كل مساجد الأتراك ، وقد تحولت إلى كنائس المسيحيين .

أدع الله ألا يساعدني إذا كان يوجد شيء أرغب فيه أكثر من الخراب والتدمير الشامل للإمبراطورية العثمانية . كلمات قليلة ، أيها الأب الراهب ، هي كل ما أحتاجه لكي تقنعني .

على هذه الكلمات أجاب الجميع بأنهم عرفوا جيداً كراهية سموه لسلطان الأتراك ، ورغبته في تدميره ، ولكن هذا التأخير يمكن أن ينتج في خطأ ما ، الذي عليه أجاب :

"إنها بداية الشتاء ، وليس لدى الخيول طعاماً كافياً لكي يأكلونه ، ولا يستطيع أن يتحمل الجنود مضايقة البرد والجليد اللذين ، هما قارصان جداً في "ميديا" "Media" ، ولكن عندما تنتهي ، فإنني سوف أجيب عليكم بالأعمال والنتائج مثلما ترغبون ، ولتكونوا راضين .

أن الرغبة التي أمتلكها من أجل هذه الحرب قد كانت معي منذ ولادتي ، وهي ليست صغيرة تم تقويتها من خلال مجادلاتكم . إنني

أعدكم بكلمتي بأنكم لن تغادروا بلاد فارس دون تحقيق الهدف الذي جئتهم من أجله .

عندها كانوا مسرورين من هذا الرد ، قبَّلوا يده وعانقهم بسعادة ، ولذلك استأذن الآباء الرهبان بانصرافهم ، وذهبوا إلى خيمهم .

الفصل السادس عشر : كيف سافروا إلـى أصفهان برفقة الشاه ، وماذا حدث هناك؟

كان الشاه يقوم بالتجول مع مجموعة كبيرة من حشمه ورجال التشريفات ، وتم استقباله في كل المدن والبلدات والقرى التي مرَّ خلالها بابتهاج وتصفيق . كان دائماً معه الآباء الرهبان وعلى يمينه ، وأظهر لهم تكريماً كثيراً ورعاية الأمر الذي شجع كل فرد على أن يعاملهم بتوقير واحترام .

عندما جاءوا إلى قرية تسمى "جور" "Gur" ، دخل الشاه خيمته ، وعلى الفور طلب الآباء وجعلهم يجلسون معه ، واستدعى أيضاً جميع المسيحيين الذي كانوا يرافقونه ، وفي جلسة على الطريقة الإسلامية أخبرهم أنهم كانوا الأشخاص الذين يثق فيهم كثيراً ، ثم بعد ذلك تحدث عن عدد كبير من أسرار عقيدتنا بمعرفة واسعة جداً كما لو كان قد تعلمها من أستاذ في الجامعة . عندما أتى إلى سر الموت وآلام المسيح سيدنا ، قال :

"يقول البعض أن المسيح لم يمُت ، وهذا خطأ لدى المسلمين (حقيقة قال هذا) إن روح الإله التي أمتلكها لا يمكن أن تموت ، ولكنه مات مثلما يقول المسيحيون" ثم استمر ليسأل الآباء لكي يُعلموه كيف يستطيع أن يضع علامة الصليب .

سجد الأب "جيرونيمو دا كروز" ، مملوءاً بالفرح ، وبصوت عال بدأ يصلب نفسه ، وبعد ذلك سجد الملك أيضاً وقال مستديراً إلى رجاله : "إن الشيطان سوف يأخذ من لا يصلب نفسه" .

شعر الآباء بالرضا التام ، وهم يرون الملك وجميع نبلائه وأقربائه ساجدين على ركبهم وهم يصنعون علامة الصليب لملكهم الحميم ، وقضوا كثيراً من الليل في هذه وفي مسائل أخرى ذات مُتعة روحية .

في اليوم التالي استمروا في طريقهم بنفس الفخامة والبهجة إلى مدينة كاشان ، وكان الشاه مستمراً في الحديث مع الآباء في مواضيع متعددة .

سأل عما إذا كان أياً منهم يحمل صليب المسيح سيدنا ، وعندما أظهر له الأب "كريستوفاو دا إسبيرتو سانتو" واحداً مملوءاً بالرفات ، سأله بلهفة أن يعطيه له . أخذه في يديه ووضعه علناً حول رقبته ، وحيث كان الثوب الذي يلبسه قرمزي اللون والصليب مصنوعاً من مادة "اللاك" السوداء ، وليس صغيراً جداً ، فقد كان مرئياً بشكل واضح جداً لمن ينظر بعينيه إلى الشاه . استمر في لبسه مُخفياً ومثبتاً إياه على ذراعه الأيمن .

في ذات يوم أخبر الأب "أنطونيو دي جوفيا" لكي يتحسسه هناك ، لكي يُبين أنه مازال يحتفظ به معه . عندما وضع الصليب حول رقبته ، قال بابتهاج وسرور عظيم : "الشر يمكن أن يحدث لي اليوم" . إنني أروي كل هذه التفاصيل ؛ لأنني آمل أنها ربما تساعد قضيتنا ، وأنها علامات ودلائل على تحول هؤلاء الملوك والممالك إلى المسيحية ، وأنها يمكن أن

تظهر أن إرادة الإله ربنا لن تسمح لنفس حسنه المزاج ، وتميل إلى فعل الخير أن يتم فقدانها .

في يوم العاشر من نوفمبر وصل الشاه والآباء الرهبان إلى مدينة أصفهان ، المدينة الأم لكل بلاد فارس ، كما كانت ذات مرة مملكة لسكان بلاد فارس القدماء (البارثيان) .

تم الترحيب به بابتهاج شديد ، وبوسائل حربية وسلميه ، مع حشد كبير لا محدود من الناس الذين جاءوا لكي يروا ، ويكرموا ملكهم بالاحتفالات التي هم قادرون عليها . كان مقيماً في قصر يمتلكه ملوك بلاد فارس هناك ، وفيه براعة رائعة وإبداع .

استمر الآباء الرهبان في الزيارة والحديث مع الشاه ، ولم تمر أيام عديدة قبل أن يُعطينا إذناً بالاستقرار في مملكته ، ثم تحدثنا بعد ذلك عن بناء كنيسة عامة على طرازنا المعماري ، وبالثقة التي لدينا فيه طلبنا منه إذناً عاماً ، وعندما علم الملالي وعلماء الدين بهذا ، اعتبروا أنفسهم مهانين جداً بالتماس كهذا ، وذهبوا كلهم معاً على الملك ، وسعوا إلى إقناعه بالعدول عن اقتراح كهذا .

عندما أجروا معه حديثاً عاماً ، أخبروه أنهم كانوا مندهشين منه على الرغم من أنه العمود الأساسي للطائفة المحمدية وماذا كان سامحاً في دولته بكنائس للمسيحيين ، هؤلاء الناس الذين كانوا معادين لدينه من خلال دينهم؟

لم يكن سبباً ، فيما قالوا ، أن سموه يجب أن يقول إن ملك المغول ، وسلطان الأتراك سمحوا للكنائس في أرضهم .

ذلك لأنهم كانوا سوياً كافرين (هراطقة) في دينهم ، فملك المغول لأنه قد ترك دين محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ذلك واخترع ديناً جديداً ، وأما سلطان الأتراك فلا يمكن أن يعترف بالدين ، ويعشقه كدين مقدس ؛ لكن سموه كان حفيد محمد (صلى الله عليه وسلم) وصهراً له ، وجده الأكبر لإسماعيل الصفوي العظيم ، مصلحاً ومدافعاً عن العقيدة المحمدية ، وكانت فضيحة كبرى للجميع أن يسمح لبغض شديد كهذا في مملكته .

على الرغم من أن كل هذه المجالات كانت نتيجة للكراهية العميقة التي يمتلكونها بالنسبة لنا ، فقد ضايقت الشاه ، وفي الوقت الحاضر أخفينا مطالبنا في إقامة الكنيسة ، مُتصرفين بطريقة كهذه للحد الذي كان معروفاً لدى الجميع أن السبب في إقامتنا كان فقط الحرب التي كنا نشجعها ضد الأتراك .

ندعو الله أن تُحطم الرحمة الإلهية الخطط الشيطانية ، وتفتح الطريق لاسمه المقدس ليكون محبوباً ومعبوداً في مملكة بلاد فارس العظيمة .

الفصل السابع عشر : كيف تم إنشاء دير أبينا الكريم القديس "أوغسطين" في مدينة أصفهان ، بلاط الشاه ومقر إقامته؟

على الرغم من أن الآباء لم يناقشوا أبداً بشكل علني مع الشاه أي شيء فيما عدا شن الحرب على سلطان الأتراك ، وللأسباب التي تم شرحها ، أعلنوا أنفسهم أنهم سفراء من عند جلالته لهذا الغرض فقط . لم يتركوا أية فرصة تمر عندما وجدوا أنفسهم سراً بمفردهم معه ، أحياناً عندما يمرح مع الآباء الرهبان ، ويسألهم باهتمام عن أسرار عقيدتنا ،

ولذلك لم تمر أيام عديدة قبل أن يكونوا معه ، متحدثين عن مسائل عديدة متعلقة بالحياة والموت ودفن الموتى الذي يعتبرونه قداسة لديهم .

من السخرية أن نرى أنه من أجل أن يُعتبر ، ويُكرم شخص ما كقديس بواسطة الفُرس ، يكفي أن يُصنع له مقبرة فاخرة يُدفن فيها ، وبهذه يكون على الفور مُقدساً مثل نبيهم . تحدثوا أيضاً عن سيدتنا "مريم العذراء" التي ينظر إليها الفرس بتكريم عظيم ، معترفين أنها كانت عذراء قبل وبعد أن تلد ، ولكن ينكرون أنها أم الإله .

هذا خطأ أخذه النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) من النسطوريين ، ولكن على الرغم من أن هؤلاء الناس قد تم توقيفهم عن هذا الخطأ ، فإن الآباء رأوا أنه من السهل إقناعهم بالحقيقة .

متحدثين في يوم واحد عن هؤلاء وأشياء أخرى ، كما أقول ، قدم الآباء إلى الشاه الأسباب التي كانت لديه . لكي يعطيها إليهم ليبنوا كنيسة عامة ، لأنهم يوجدون لديه في مملكته . إنها لم تقلل من شرفه ، مثلما أخبره علماء الدين ، ولكن زادت عظمته ، مثلما يمكن رؤيته في حالات سلطان الأتراك .

أخيراً ، متحركين بتلك المجادلات الحسنة ، وبمشيئة الإله ربنا ، أعطاهم طوعاً الإذن لبناء بيت في مدينة أصفهان ، مقر إقامته . أعطاهم موقعاً ملائماً وبارداً ؛ لأن مدينة أصفهان تقع بأكملها في منطقة باردة ، وتمتلك كل الأشياء الضرورية للحياة ؛ بسبب كثرة جداول المياه العذبة الصغيرة التي ترويها وتحولها إلى أرض خصبة ، وتجعل هواءها نقياً جداً ، وهي ممتعة في فصل الصيف .

في كل أنحائها توجد بساتين باردة ، وليست محاطة بسياج حولها ، لذلك يتم إمتاع حاسة النظر دون عائق لمنظرها ، وكذلك حاسة الشم مع تشكيلة رائعة من الأزهار المعطرة الجميلة التي تتم زراعتها في هذه الحدائق .

في المدينة التي تم وضعها باختصار بهذه الصورة ، أنشأنا دير القديس "أوغسطينهو" ؛ حيث أقام الآباء كنيسة ، ليست كبيرة جداً ، ولا تمتلك وظائف جيدة ولكن بها زينة بصورة رديئة ، إلا أنها كانت بمثل ذلك النظام والنظافة لدرجة أنها أثارت الحب الشديد في نفوس أولئك الذين يدخلونها ، وبخاصة عندما يُرى أنها يقع في وسط العقيدة المحمدية ، وتُنشد الترانيم الإلهية .

كذلك أيضاً تكون ممكنة بخشوع شديد ؛ حيث يدق الجرس من أجل القُداس في الساعة المناسبة ، وتكون العبادة مستمرة دون نقصان في الأفراد المسيحيين الحاضرين ، على الرغم من أننا يجب أن نفكر في أن جمهور المسلمين والأطفال الذين يحتشدون هناك ، يتم جذبهم إلى الكنيسة من خلال حب الاستطلاع .

لكن بعض الناس المرضى يأتون ليسألوا الآباء الرهبان لكي يعطوهم الصحة من خلال المسيح سيدنا ، متوسلين إليهم أن يقرأوا لهم الإنجيل ، وعندما يفعلون هذا ويضعون يداً على رأسهم بمشيئة الإله ربنا ليشفي بعضاً منهم ، لكي يتم إنجاز حقيقة إنجيل القديس ماثيو[أ] : سوف يضعون أيديهم على المرضى .

(أ) في الحقيقة هو مارك .

وبهذه الطريقة يكون الأب "جيرونيمو داكروز" الذي لا ينضب إحسانه وإخلاصه مشغولاً بشكل مستمر ، وتمت الموافقة والقبول على هذا الدير في الإدارة الأسقفية ، ويعيش هناك خمسة أو ستة رهبان حتى يأتي عدد كثير .

عادة ما يقضي هؤلاء الإخوة الرهبان وقتهم وأيامهم في الصلاة للإله ، كي تحول هذه النفوس إلى المسيحية ، وفي أعمال الخير التي يقومون بها من أجل مصلحة الأشخاص وحتى حياة عدد كبير من الناس المحتاجين في هذه المناطق ، إنهم يقومون بتوعية الجميع ، سواء كانوا من المسلمين أو المسيحيين ، بمثال في فترات حياتهم الخالية من اللوم ، ولذلك يتم إعادة عدد كبير من المارقين الذين يلاحظونهم إلى الكنيسة الكاثولوكية .

على وجه الخصوص كان يوجد رجل إنكليزي في بلاط الشاه ، يُسمى "روبرت شيرلي" ، الذي من خلال الرغبة في أن يكشف شهرته شارك في حروب الشاه وفي خدمته ، بالإضافة إلى شخص آخر ، يسمى القبطان "بول" ورفاق آخرين وخدم ، وبسبب رؤيتهم حياة الآباء الرهبان وحثهم من خلال خطبهم ووعظهم ، توسلوا جميعاً ؛ لكي يتم استقبالهم عائدين في طاعة الكنيسة الرومانية ، التي وافق عليها الآباء لكي يتم إمدادهم . أقسموا بخشوع وبشكل عام على طاعة الكنيسة الرومانية .

جلس البابوات بشكل قانوني على عرش القديس "بطرس" . هذا السؤال والأمر بكل الأخطاء التي لدى المذهب "الكالفينست" الذي يعيشون فيه . قدموا جميعاً اعترافاً عاماً ، وأخذوا طائفة دينية

مُعينة ، واستمروا في مرافقة الآباء والرهبان ، حاضرين الترانيم الإلهية ، وحاصلين على أسرار الكنيسة لمصلحة أشخاصهم .

لنترك خدم ربنا الإله الصالحين هؤلاء ، وهم مُنشغلين هكذا على هذه الصورة .

الفصل الثامن عشر : كيف كان من الضروري للأب "أنطونيو دي جوفيا" أن يذهب إلى الهند ، وماذا حدث بينه وبين الشاه قبل أن يغادر ، وماذا حدث أيضاً في رحلته؟

عندما علم نائب الملك أن الشاه قد احتل البحرين ، ضرب حصاراً على قلعة "جمبرون" لكي يجتاح ويستولي على أراضي ملك هرمز ؛ تابع جلالته وأمر الدون "جورج دي كاستيلو برانكو" أن يرسل سفينة "جالي" وخمس سفن على الأقل إلى هرمز ليأخذ أراضي ملك هرمز وليُبين للفرس بأنه يمكن أن يدافع عنهم .

وصل هذا الأسطول إلى هرمز ، وفي هذه المرة سمع الشاه عن وصولها من سلطان شيراز ؛ في التو عندما كان الآباء يشكون إلى الشاه أن قباطنة كانوا في أرض تنتمي إلى ملك هرمز ، وهو تابع لجلالته . عندما سمع هذا من الآباء أرسل على الفور رسولاً إلى سلطان شيراز ليُخبره بأنه يجب عليه أن يوقف هذه العملية حتى يسمع منه ، وأنه يجب ألا يُلحق ضرراً بالبرتغاليين سوى أن يعود إلى شيراز .

لعلاج هذه الأشياء مع ملك هرمز ، أمر الشاه أن يذهب أحد الآباء إلى هرمز ، ورغب في أن يكون هذا هو الأب "أنطونيو دي جوفيا" ، لأنه عرف كيف يفعل كل شيء بحكمه بالغة ، ويُسوي المسائل كما

هو ضروري ؛ لتأكيد نوياه أراد سفيراً خاصاً لديه لكي يرافق الأب الراهب إلى نائب الملك لدى الهند وملك إسبانيا ، ثم كتب الشاه إلى سلطان شيراز لكي يُعيد إلى ملك هرمز الأراضي إلى البر الرئيس التي قد أخذها منه ، بشرط أنه يجب على الأسطول البرتغالي ألا يذهب إلى البحرين ولكن يدعه يمتلكها بحرية .

بما أن نائب الملك أعطى أوامر إلى قبطان هرمز بألا يشترك في أي حرب ، ويجب أن يعمل ليحافظ على السلام والتآلف مع بلاد فارس ، فقد تمّ تنفيذ ذلك كما أمر الشاه .

وافق الأب "أنطونيو دي جوفيا" على أن يستمر في هذه الرحلة لكي يحقق السلام في خدمة جلالته بسرور عظيم ، الذي أعطى الشاه مثل هذا الرضا للحد الذي أعطاه مالاً كثيراً وأشياء ثمينة . لم يأخذها الأب الراهب ، وهو يرد على الشاه بحضور نبلائه أنه لا يُريد شيئاً من سموه ، إن ذلك الشخص الذي يرتدي ثياباً بصورة رثة .

ليست لديه حاجة لكي يكون ثرياً ، وذلك بين أفراد من مكانته الذين عاشوا في فقر وشدة ، وكانوا أكثر تكريماً . كان الشاه وكل أولئك الحاضرين مندهشين أن يروا رجلاً يحتقر المال الذي يقدرونه كثيراً لدرجة أنه يُقال إن هذا هو الإله الوحيد الذي يعبدونه .

ذلك لأنهم رأوا الأب الراهب كان كريماً في تفكيره ومحسناً في تصرفه بشأنه ، أخذوه على منزل بارد ؛ حيث كانت توجد خزانات ونوافير المياه ، وبتشجيع حار من الأب "جيرونيمو دا كروز" الذي كان معه ، ومُلهماً بروح الإله التي حرّكته عندئذ ، قال للشاه بروح عالية

وقوة : "أيها الملك القوي ، أقوى إمبراطور فارسي رأيته ، إنني أبدأ القيام برحلتي إلى الهند ؛ لكي أُنجز أمركم مع سفيركم ، ولكنني لن أكمل ما أدين به للوظيفة التي أشغلها إذا لم أعطكم هذا التحذير قبل أن أذهب ، آخذاً كشاهد عليّ الإله القوي الذي يرى كل ما يعرفه ، أيها الملك القوي ، ذلك الحماس فقط لخدمته ولمصلحتكم ، هو الذي دفعني لكي أعطيكم هذه الرسالة التذكيرية .

إذا ما كانت الحرية التي أتمتع بها والمؤسسة على الحماس من أجل خلاصكم الروحي وخلاص رعاياكم قد كلّفني حياتي ، فيجب عليكم أن منحي ما أرغب فيه .

إنكم سوف تعرفون ، يا ملك آسيا العظيم ، أن السبب الذي أتيت أنا ورفاقي إلى مملكتكم من أجله ليس هو فقط الحرب ضد سلطان الأتراك ، والتي حتى الآن نقوم بتشجيعكم عليها ، ولكن أيضاً جعلنا من هذه وسيلة منفذاً لكي نهذب خلاصكم الروحي وخلاص رعاياكم . بسبب هذا ، فإنني أخبركم باسم الإله وعيسى المسيح ابنه أن تترك الدين الباطل الذي قد اتبعته حتى الآن ، لأنه لا يوجد خلاص لكم فيه ، وأن تقبلوا دين المسيح الحقيقي منشورا ومعلنا من خلال كلماته الخاصة ، ومؤكدا بدمه الخاص ومعطياً له السلطة من خلال معجزاته .

افتح عيني روحك ، أيها الأمير البارع ، وانظر الفرق بين دينك وديننا . ديننا مملوء بالإحسان والحب ، ودينكم مملوء بالكراهية وفسق الحياة وعدم النقاء . أترك أخطاءك ، أيها الملك القوي ، واتبع حقيقتنا ، وسوف تكون الأمير الأكثر حظاً ممن حظيت بهم بلاد فارس" .

سمع الشاه هذه الكلمات بتعبير حسن ، ولكن حيث كانت إرادته مغرمه جداً بالأخطاء التي قد تمّ بقاؤه عليها . أجاب أيضاً أن دينه كان أيضاً حسناً ، وأنه يمكن أن يتم إنقاذه من خلاله ، مضيفاً أنه إذا أصبح فرداً مسيحياً لا يستطيع أن يحصل على أكثر من زوجة واحدة ، الأمر الذي يهتم به كثيراً ، وبإجابات طائشة وضعيفة كفرد لا يستحق حتى الآن نور الرحمة الإلهية .

إنه قد طرد الأب الراهب ، ولكن احتفظ به يومين اثنين آخرين ، قائلاً إنه فعل هذا لأنه قال بأنه لا ينبغي أن يغادر مملكته دون أن يتم قيام الحرب مع الأتراك . بدأ هذا في الحال في تشوق شديد وبطريقة ؛ حيث كان مُرسلاً أحد قباطنته ليهاجم مدينة "نهاوند" "Nihawand" بين بابل وتبريز ، وسلطان شيراز ضد بابل ، وكل البقية التي أدخلها في هذه الحرب التي قد حصل فيها إلى الآن على نجاحات فردية وانتصارات جريئة على سلطان الأتراك .

انصرف الأب الراهب مع السفير ورسائل لجلالته ونائب الملك لدى الهند ، تاركاً رفاقه يقومون بخدمة الإله ربنا في مدينة أصفهان .

حدثت أشياء سعيدة الحظ في أثناء الرحلة إلى هرمز .

عندما مرَّ من خلال مدينة شيراز جاء إلى بابه رجل برتغالي ، أحد سكان الهند الأصليين وابن الرجل من "غوا" كان والداه كليهما مسيحيين . عندما سأله الأب الراهب ماذا كان فاعلاً في تلك المناطق ، قال إنه تقريباً قبل عامين ، كان مسافراً من هرمز إلى الصرة برفقه رجل أرمني .

قد تركه في "بيريل" ، وهي بلده تقع على مضيق الصرة ، واجداً نفسه وحيداً وعاجزاً بلا مساعدة ، هناك أجبرته الضرورة ليصبح (مسلماً) ، ولكن عندما رأى الأب الراهب رغب في أن يذهب معه إلى الهند ، ويعود إلى العقيدة الكاثولوكية ، التي قد تمّ تربيته عليها .

أثنى عليه الأب من أجل هذا ، مُهدِئاً من روعة ومؤكداً له بأنه ليس في حاجة إلى أن يخاف من عودته ، لأنه كان لديه إذناً من المكتب الكنسي المقدس بأن يُعيد الوئام إلى أشخاص الكنيسة ، الذين وجدوا أنفسهم ، وقد وقعوا في فخ مثل هذه الأخطاء .

من هذا الكلمات أصبح هادئاً ومسروراً ، مقدماً الشكر للإله على هذا اللقاء ، وبقى في البيت مع الآباء الرهبان ، ولكن من العجيب أن نروي أنه لم يذهب إلى هناك منذ ثلاثة أيام قبل أن يمرض على نحو مُميت .

جهّز نفسه ، وأعد نفسه بشكل أحسن بقدر استطاعته ليقدم اعترافه بشكل مطول ، وبعد تسلُمه فائدة الغفران ، وإحضاره عائداً إلى طاعة الكنيسة الأم المقدسة ، فقد قوة الحديث ومات متوقعاً الرحمة الإلهية لروحه . زيادة على اعترافه لم يقل كلمة فيما عدا ما كان ضرورياً لخلاصه الذي يمكن أن يُعطيه له الإله من خلال رحمته الإلهية لأنه منحه الوسائل من أجلها وهو مُشفق عليه .

وصل الأب الراهب إلى هرمز وتمّ استقباله من قبل القبطان والمدينة بالابتهاج الذي استحقته أعماله ، ومن هناك سافر بحراً إلى "غوا" ؛ حيث وصل ببينةٍ على وعظه ، آخذاً معه سبعة وعشرين شخصاً ، وقد دخلوا في العقيدة من برتغاليين وأجانب وآخرين من جنس هندي من

الدولة ، وقد ترك معظمهم عقيدتنا المقدسة ، واعتنقوا عقيدة محمد (صلى الله عليه وسلم) .

حقاً هؤلاء الذين أعادهم إلى الكنيسة من الممكن أن يكونوا مكافأة كافية للإخوة الرهبان الذين ذهبوا إلى بلاد فارس ، ولكن هيا ندعو له بالرحمة الإلهية ، التي سوف تنتشر في هذا الخصوص وتعطيه راحة أكبر . سوف يتم رؤية هذا في الكتاب الثالث من هذا التاريخ .

وفي العام نفسه (١٦٠٤م)
قدّم "فيليكس دي جيسوس" ، مسؤول دير رهبان هرمز ، وصف أحداث ما بين سوقطرة ، وبلاد فارس ، وكذلك حشد الشاه جيشاً ضد السلطان التركي : (٥٦)

الكتاب الثالث :
الفصل الأول : كيف أرسل رئيس الأساقفة "إليكسو دي مينزيس" اثنين من إخواننا الرهبان إلى جزيرة سوقطرة"؟

على الرغم من أن رئيس الأساقفة ، قد تم تهدئته بما قد أخبر به من قبل الأب "بيدرو دي نازاريت" عن تحول البدو إلى المسيحية ، فقد بقيت عنده الرغبة من أجل تحويلهم فترة طويلة من الزمن ، وكان من الصعب عليه أن يعرف أنه يوجد لديهم أسماء مسيحي ، وقد حدث ذات مرة تعليمهم على أيدي أساقفة حتى لو كانوا "نيستوريين" .

أعتقد أنه يمكن أن يكون من السهل تحويلهم إلى المسيحية إذا تم

(٥٦) رقم الوثيقة والهامش.

تعليمهم ، وتنويرهم على يد قساوسة الكنيسة الكاثولوكية ، وكان جاهزاً ومستعداً لكي يذهب إلى هناك عندما وصلت السفن التي أحضرت رسائل من جلالته مانعة إياه بشكل واضح من مغادرة "غوا" دون أمر منه .

عندما رأى هذا ، صمم على أن يرسل اثنين من إخواننا في عام ١٦٠٣م هذا ، واختار الأب "ليوناردو دا جراسا" ، وهو قسيس بارع ذو خبرة في تحويل الكافرين إلى الديانة المسيحية ، والتي يتحدث عنها قليلاً حيث كان رجلاً عاقلاً وحكيماً ، وكذلك من أجل رفيقه الأب "فاليريو دو لوريتو" . علمهما رئيس الأساقفة بشكل تام في "غوا" وأعطاهما رسائل اعتماد وتوصيات منه شخصياً للشيخ ومن نائب الملك في الهند .

وصلا إلى سوقطرة وأعطيا الرسائل للشيخ على النحو المطلوب ، الذي تسلّمها بكل سرور . شرح له الأب "ليوناردو" المسألة التي قد أتوا من أجلها ، طبقاً للأوامر وتعليمات رئيس الأساقفة التي أحضرها معه ، وهذا يؤكد أنه كان قادماً لكي يعيش في الجزيرة ليحافظ على الصداقة التي يكنها له البرتغاليون ولأبيه ملك "قشن" (كاظم) ولمصلحة الناس البدو الذين عرفنا بأنهم كانوا مسيحيين ، ولكن لم يُراعوا ديننا .

لكي يتعرفوا علينا ويطيعونا ، كقساوسة لهم ، طلب منه نيابة عن رئيس الأساقفة ونائب الملك في الهند أن يصدر مراسيم تأمر وتحض الناس المذكورين ، وذلك ما فعله في الحال بكل سرور .

سأله الآباء أن يُرسل في طلب الزعماء ، ورؤساء القبائل وجميع من

في الجزيرة لكي يُخبرهم بهذا ، وليأمرهم بأن يطيعوا الآباء الرهبان في تجميع الأشياء المتعلقة بالدين الذي قد جاءوا لكي يعظوا به ، والتي فعل ذلك أيضاً .

لكن الناس لم يتمكنوا من المجيء قائلين بأن الشيخ يستطيع أن يقطع في رؤوسهم ، ولكنهم أتوا عندما أصرّ على ذلك . ذهب الآباء الرهبان إلى بيت الشيخ ، وبعد ذلك أمر البدو بالدخول . أتى اثنا عشر رجلاً منهم ، معظمهم من كبار السن ، وجميعهم زعماء وبينهم رؤساء قبائل . كان أحد هؤلاء عالم دين (الذي هو إمام في لغتهم) وكان ثرياً ، ويمتلك قطعان ماشية ، يحمل صليباً مُختفياً تحت ثوبه .

انحنى الشيخ وليس للآباء وجلسوا ، وبدون السماح للشيخ أو الآباء بالحديث ، قال أكبرهم سناً هذه الكلمات بصوت عال وغاضب : " إنك أيها الشيخ ترى نساءنا يقفن بالباب باكيات ، لأنهن جميعهن يعتقدن أنهم يريدون أن يقتلونا . أن تعرف أننا على استعداد للموت لأن الهند وأنت أو القساوسة الإفرنج الذين يوجدون لديكم هنا يرغبون فيه . لا يعني الأمر شيئاً لنا . يوجد عدد كبير من أقربائنا في الجبال الذين يستطيعون الحفاظ على جنسنا .

أنت تعرف ، أيها الشيخ ، أنه من قانوننا وعادتنا أننا لا نلبس شيئاً غير هذه الثياب ، وأن ديننا يمنعنا أن نقص شعرنا أو لحانا ، وأننا لا نختلط مع أناس من أمم أو أديان أخرى . إننا نقطع أيدي بعضنا بعضاً عندما تمتد هذه الأيادي بالإساءة لنا . نحن جميعاً قد ختنا ، ولدينا

عادات كثيرة أخرى لم توجد لدى هؤلاء ، فلماذا يأتون لمضايقتنا؟ هل ربما لا يجدون علماء دين هنا؟

هل جعلوا أحداً منا مسيحياً؟ إنهم لن يأخذوا أكثر من اثني عشر "منا" من هذه الجزيرة ، وهنا يكون أحدهم مشيراً إلى نفسه والذي سوف يرجع دون أن يوافق أبداً البرتغاليين في دينهم . لا تخدع نفسك وتخدعهم أيها الشيخ ، لأننا سوف ندعهم يقطعون رؤوسنا بدلاً من أن تتفاوض معه . صاح الآخرون بحدة وغضب قائلين هذه الكلمات وكلمات أخرى بنفس المعنى .

بعد أن تحدثوا طلب الآباء الرهبان من الشيخ أن يجعلهم يلزمون الصمت ، وأن يُعطيهم إذناً بالحديث . سألهم الأب "ليوناردو" عما إذا كانوا قد عرفوا شيئاً عن القديس "توماس" أو من هو ، وقالوا إنهم لم يعرفوا شيئاً عن رجل كهذا ، وعما إذا عرفوا شيئاً عن سيدنا المسيح ، أو عن أمة المباركة)مريم العذراء (أو العقيدة المسيحية .

أجابوا بلا عن كل شيء . سألهم الأب الراهب لماذا استخدموا الصليب؟ ولماذا كان لديهم أسماء مسيحية؟ وقال إنها عادتهم ، ولكن توجد لديهم أسماء أخرى خاصة بهم . أخيراً رأى الآباء أن قلوبهم كانت قاسية ، وعنيدة وقال لهم الأب "ليوناردو" إنهم لم يأتوا لإجبارهم ، ويجب أن ينصرفوا .

عند رؤية الآباء الرهبان لهذا ، قالوا لأنهم كانوا يشعرون بأنهم يجب أن يبحثوا عنهم في الجبال ؛ لكي يحترموهم ويعلموهم قانون الإله ،

الذي أجابوا عليه بأنهم إذا ذهبوا إلى الجبال فإنهم سوف يرمونهم بالحجارة ليقتلوهم .

عندما أدرك الآباء أهمية النتيجة القليلة التي يمكن أن يحصلوا عليها منهم ، والخطر الذي واجهوه منهم ؛ لأنهم لا يستطيعوا أن يتمكنوا ولا يوجد أي شيء يستطيعون فعله ، قرروا الذهاب إلى الجبال ، محاولين أداء هذا العمل بسبب التزامات قساوسة الرب .

عندما كانوا يعانون بقدر كبير من الصعوبات ، وينامون بين الأدغال والشجيرات الشائكة في الجبال ، بحثوا عن قرية ما أو تجمع سكاني صغير يمكن أن يعيشوا بينهم لكي يروا ما إذا كانوا يستطيعون أن يقنعوهم بالحديث وحلاوة ديننا ، وبواسطة تدريسهم الإنجيل وعقيدة سيدنا المسيح .

لكنهم لم يستطيعوا أن يجدوا قرية ولا تجمعاً سكانياً صغيراً ، ورأوا أنهم كانوا يعيشون مع زوجاتهم وأطفالهم في حفر في منحدرات الجبال والكهوف مثل الحيوانات ، يفرون إلى الأحراش عندما يرون أناساً غرباء ، مثلما فعلوا مع هؤلاء الآباء .

عندها أيقن الآباء أنه مضيعة للوقت أن يمكثوا في الجزيرة فترة أطول ؛ لأنه لم يوجد أي تجمع سكاني حيث يمكن أن يعيشوا ، وقرروا أن يرجعوا عائين إلى الهند ، بعد أن صبروا على عدد كبير من المحاولات ، داعين الإلــه أن يقــبل نوايــاهم الحسنة ، وأن يُهيئ هؤلاء الكفار لكي يتلقوا دينه المقدس .

الفصـل الثاني : كيف حشد الشاه جيشـاً ضد السلطان التركي للإيفـاء بمـا اتفق عليـه مـع الأب الراهـب ، والاستجابـة لبعثة جلالته؟

تم إقناع الشاه من خلال البراهين التي قدمها أباؤنا الرهبان إليه لشن الحرب ضد السلطان التركي واقتنع بأن عظمة جلالته مع الإمبراطور والأمراء المسيحيين الآخرين من الممكن أن يحتفظ بقواته مشغولة في أوربا حتى لا يستطيع أن يمتلك القوة ليقاوم في هذه المناطق ، ويستطيع أن ينتظر بصعوبة لكي يجد فرصة ليبدأ هذه الحرب .

ظهرت له فكرة حسنة لكي يعقد اتفاقية سرية مع (كاسيببور)أحد أمراء كردستان ، هو إقليم يقع بين أرمنيا الكبرى وميديا ، والذي عرف منه أنه قد أُهين بواسطة باشا تبريز وكان مُحباً للشاه .

أرسل إليه رجلاً بشكل سري ؛ لكي يخطط بأن يتمرد الأمير ضد باشا تبريز ، الذي كان هو وجميع الحكام الآخرين لكردستان يدفعون إليه الجزية كأتباع للسلطان التركي ، وكان يجب عليه أن يرى عما إذا كان الباشا يمكن أن يخرج من القلعة لكي يخضعه .

مرت بعض الأشهر عندما كان هذا يجري التفاوض حوله ويتطور مثلما رغب الشاه ، الذي كان في ذلك الوقت هو و"اللهفيردي خان" في حالة تأهب .

بعد ذلك تسلم الشاه معلومات بأن باشا تبريز مع سبعة آلاف من أحسن رجاله قد هاجموا الأمير . كان في الحمام عندما تلقى الرسالة ، تركه في الحال وامتطى صهوة جواده ، مرسلاً رسالة في أنحاء المدينة بأن

من أحبه يجب عليه أن يتبعه إلى "كاشان" ، وهي مدينة تقع على نحو مسيرة خمسة أيام من أصفهان .

في الوقت الذي وصل فيه إلى "كاشان" كان لديه حوالي ثلاثين ألف رجل على ظهور خيولهم ، وعندما غادر أصفهان ، ووصل إلى كاشان أرسل مكتوباً إلى "اللهفيردي خان" لكي يقابله بالرجال الذين كانوا معه ، والذين يستطيع أن يضيفهم إليه ، وأنه كان يجب عليه أن يهاجم بابل لكي يمكن تطويقها من كلا الجانبين .

متحركاً بسرعة كبيرة ، وصل الشاه تبريز حيث كان الباشا يتقهقر ، عندما كان على بعد مسافة لا تزيد على خمسة "فراسخ" من القلعة .

عندما علم الباشا بهذا لم يحاول أن يستولي على القلعة ؛ حيث يمكن أن يفعل ذلك بصورة حسنة لأنها بلا أسوار ، ولكن زود نفسه بإمدادات من أجل المال ، وذهب بحثاً عن الباشا .

عندما سمع البشا عن وصول الشاه لم يصدقه ، ولكن عندما كان متأكداً منه ومن القوة التي جاء بها ، تشاور مع قباطنة فيما يجب عليهم أن يفعلوه ، وبناءً على نصيحتهم قرر أن يدخل مدينة تبريز ؛ حيث كانت أشياؤه الثمينة وكنزه ، وزوجته وأطفاله ، مع أشياء كثيرة كان يمتلكها بقدر استطاعته .

كان من الضروري أن يدخل المعركة بقوته الصغيرة ، ويمكن أن يموت هؤلاء الذين يجب أن يموتوا ، وهؤلاء الذين بقوا أحياء يمكن أن يفروا ويدخلوا القلعة ، فكر الشاه في هذا ، ولكي يمنع وقوع ذلك قسَّم .

جنوده إلى فرقتين ، واحدة في المقدمة والأخرى في المؤخرة في تشكيلة هلال . أمر الفرقة الأولى منهما لكي تقوم بالهجوم ، وأولئك الذين هربوا سقطوا بعد ذلك ضحية للفرقة الثانية ، ولذلك فقد قُتل معظمهم وتم أسرُ الباشا وآخرون كثيرون .

بعد هذا النصر أحاط الشاه بالمدينة ، وحاصر القلعة التي كان قبطانها ابنا لعلي باشا من مكان محصن)معقل (حسن جداً ، كان قد تركه له والده . علم الابن بهزيمة والده ، ولكنه مع ذلك دافع ببسالة عن المعقل لمدة واحد وعشرين يوماً . اعتقد أن أباه كان متوفياً ، ولكن عندما أظهروه له وهو حي ، سلم القلعة إلى الشاه الذي سمح لكل هؤلاء الذين رغبوا في مغادرتها بالذهاب بحرية ، وأعطى هؤلاء الذين رغبوا في البقاء في خدمته مكافآت كبيرة .

بهذه الطريقة استعاد الشاه تبريز عاصمة مملكة "ميديا" الأكبر ، وحاضرة جميع بلاد فارس ، بعد أن اغتصبها سلطان الأتراك وامتلكها لمدة عشرين سنة .

وجد الشاه في القلعة ثروة كبيرة وغنيمة وأربعمائة قطعة مدفعية ، جميعها من البرونز ، هؤلاء الذين أمر بأن يتم إرسالهم إلى أصفهان ، وهد القلعة (المعقل) وسواها بالأرض ، مثلما فعل بكل هؤلاء الذين أخذهم ، على ما يبدو بفكرة أنه إذا عاد الأتراك مرة ثانية فإنهم لا يستطيعون أن يمتلكوا مثل هذه الأماكن الآمنة للتراجع والدفاع .

بنجاح هذا النصر ، الذي تمحضت عنه الحرب ، أخذ طريقه إلى

"جلفا" "Gulfa" ، تلك المدينة الرئيسة المزدحمة بالسكان في أرمنيا الكبرى ، التي وصل إليها في خمسة أيام .

خرج السكان من المدينة لكي يرحبوا به بكميات قليلة من الطعام والشراب ، مُحفرين على أسنه رماحهم روس جميع الأتراك الذي قد عاشوا هنا وسلموه إليه المدينة بسعادة بالغة .

من هناك ذهبوا إلى "ناخشيفان" ، وهي مدينة صغيرة ولكن غنية ، استسلمت للشاه دون مقاومة ، وبعد ذلك ، مُتبعاً خططه ، توجه إلى "يريفان" "Erivan" ، التي تقع على نهر دجلة (؟!) ذات قلعة منيعة . كان القبطان هناك باشا تركي مع أربعة آلاف من الأتراك المختارين وخمسمائة قطعة من المدفعية .

لذلك فقد واجه مقاومة قوية ، وقُتل عدد كبير من الرجال . اعتقد البعض أنه يجب أن يتم رفع الحصار ، ولكن الشاه أدرك أهمية هذه القلعة ، وأنه لو تم رفع الحصار هذه المرة ، فإن الأتراك يمكن أن يُعززوها بجيش ضخم إلى هذا الحد الذي يكون دائماً من المستحيل فيه الاستيلاء عليها .

لذلك قرر أن يستخدم جميع موارده لهذا الغرض ، كان هذا في فصل الشتاء عندما كان الجليد والثلج والبرد من الشدة بحيث لا يمكن تحملها ، وهاجمها بكل ثقة جيشه ، بضربات القنابل ، والهجمات ، وبعدد كبير من الخنادق ، وعمل حواجز من تراب الأرض أعلى من أبراج القلعة ، ولذلك كان مُتكافئاً معها ، وأخيراً بعد أن مات عدد كبير من الفُرس ، دخل المدينة واستولى عليها ، متسبباً في مذبحة الجميع حيث أعمل السيف في رقابهم .

وجدت أربع ملايين من العملات الذهبية في القلعة لأن سلطان الأتراك احتفظ بكل ما امتلكه ، وما هو ضروري للحرب هناك ؛ حيث اعتبرها آمنة ، ثم أمر الشاه بأن يتم هدمها ، وأن تُسوى بها الأرض مثلما كانت عادته ، واستراح في المدينة من الأعمال الصعبة التي قاموا بها .

على مسافة أربعة "فراسخ" بعيداً عن مدينة "يريفان" هذه (لأنه لا توجد دائماً حروب) ، يقع جبل عالي دائماً ما يكون مُغطى بالجليد ، صيفاً وشتاءً ، هذا الجبل هو الذي يعتقد الأرمن بشكل تقليدي أن سفينة نوح استقرت عليه . تقع في أسفل الجبل قرية صغيرة ؛ حيث توجد مجموعة من ثلاث كنائس جميلة ، جميع قبابها مشيدة من حجارة منحوتة عليها آثار سيئة بفعل الزمن .

لكنها تظهر عظمة رائعة ، هذه التي يؤكدون أنها عمل ملك . في وسط الكنيسة الوسطى يوجد حجر موضوع على سطح أرضية الكنيسة ، شيء ذو تكريم عظيم ، وهو دائماً مُغطى بقماش من نسيج مُقصّب وشمعة مضاءة . تمَّ بناء الكنائس هنا بسبب هذا الحجر ، طبقاً للكتابات القديمة ، وتقليد كل أرمنيا ، وحدث بهذه الصورة .

حينما عرف القديس المجيد "جريجوري" "Gregori" ، أسقف "أرمنيا" ، أن هذا كان هو الجبل الذي استوت عليه سفينة نوح ، دعا الإله بالصوم المتواصل والصلاة أن يكشف له المكان الذي قدم فيه النبي (البطريرك) نوح التضحية الأولى التي كان راضياً عنها الإله ربنا . إن ذلك الحمل المقدم كأضحية من الحجر كان الأضحية التي كان

الإله ربنا راضياً عنها ؛ لأنها تنبأت بيسوع المسيح ، سيدنا ، حملنا الطاهر المُضحى به على جبل "كالفاري" "Galavari" (أ) .

عندما كان القديس في الصلاة ذات ليلة بدا له أنه رأى المسيح ، فادينا ومخلصنا ، مبعوثاً كما يُصوّره الآخرون ، هذا الذي بعصا في يديه لمس بها حجراً قائلاً : "هذا ، يا "جريجوري" ، هو المكان الذي قد اشتقت إلى معرفته كثيراً" . بعد هذا الوحي قطع القديس الحجر من الجبل ، ووضعه هنا لكي يتم تكريمه وتقديسه . من أجل هذا يعيش بطريرك أرمنيا الصغرى هنا مع الإخوة الرهبان عيشة نُسَّاك زاهدين .

أقام آباؤنا الرهبان مذبحاً على هذا الحجر ، والأشياء المزينة ، والحلي التي يحملونها . يقيمون قُداساً ثلاث مرات مجيئاً وذهاباً تعظيماً للكنيسة الكاثوليكية . قال الإخوة الذين يعيشون هنا إن إخواننا هم أول من أقام قداساً طبقاً لنظام الكنيسة الرومانية الذي هو تكريم لعظمة ومجد ربنا الإله .

الفصل الثالث : كيف أرسلت الإدارة الأسقفية في البرتغال خليفة للقس الأسقفي ممثل الكنيسة ، الأب "بيدرو دا كروز" ، وماذا حدث أيضاً في بلاد فارس في هذا العام؟

في نفس العام ١٦٠٣م حدث شيء ما بين آبائنا الرهبان والشاه يستحق روايته .

أتى إلى أصفهان رجل أرمني من تركيا ، وكان ذاهباً إلى هرمز

(أ) ملاحظة المترجم : (تل خارج أورشليم حيث صُلب السيد المسيح) .

محاولاً أن يحصل على بعض من الخيول ، البضاعة التي يتاجرون فيها ، لأنها غالية جداً في الهند . أمر الشاه بأن يتم أخذه مع اثنين من أبنائه اللذين كانا معه ، أحدهما كان صبياً وسيماً ذا طلعة بهية يُسمى "جوان" ، أراد الشاه أن يحتفظ به كشخص مقرب له ، ولذلك وضعه في الحال بين الصبيان الأسرى والآخرين من الجنس المسيحي ، الذين يكن لهم تقديراً عالياً .

شكر الأب هذا إلى الآباء الرهبان قائلاً بأنه كان فرداً مسيحياً ، ويجب عليهم أن يساعدوه في هذه الإساءة التي قام الشاه بارتكابها عندما أخذ ابنه بالقوة ، وأنه يمكن أن يواجه ضياع كل ممتلكاته الشخصية ، ولكن ليس ضياع ابنه .

ذهب الآباء إلى الشاه مُصرين على الحديث إليه بحرية عن فعل البطش هذا . أخبر الأب "كريستوفاو" الأب "بيلشيور" "Belchior" بأنه في طريقه إلى هناك قابل على مدخل الطريق المؤدي إلى الشاه بعض الكلاب المتوحشة ، الذي من عادة الشاه أن يأمر بهؤلاء الذين قد تم الحكم عليهم بالإعدام ، أن يتم رميهم إليها .

رافعاً عينيه إلى السماء ، قال الأب : "إنني أتوسل إليك ، يا رب ، بأنه عندما أعود من عند الملك ، أن يتم الإلقاء إلى هؤلاء الكلاب من أجل الحماس لعقيدتك" ، وبهذا العزم دخلوا عليه . سألوه عن الصبي بإصرار شديد ، مُخبرين إياه بأنه من غير المستحق لملك قوي جداً أن يأخذ ابن الرجل المسكين منه بالإكراه ، وبخاصة أنه كان شخصاً مسيحياً .

أجاب الشاه أن الصبي رغب طوعاً أن يصبح مسلماً ، وأنه لم يكن فاعلاً أي ظلم به ، ولكن مساعدة عظيمة ، لأنه أراده أن يكون مسلماً لكي يستفيد منه .

أجاب الآباء أنه يجب أن يأمره بالمجيء ، وإذا هو قال علناً بأنه يريد أن يصبح فرداً مسلماً ، فإنه لن يوجد لديهم أي شيء لكي يقولوه لسموه في الموضوع ، ولن يعد لدى أبيه من سبب لكي يتوسل إليهم كفرد مسيحي ، وبعد ذلك يمكن أن يأسفوا على القوة التي استخدمها الشاه ضده في أخذ ولده .

"إنه ليس كثيراً عليَّ أن آخذ فرداً مسيحياً واحداً بالإكراه" قال الشاه : "إنكم عندما أرغمتم جميع الأطفال المسلمين الذين وصلوا إلى هرمز لكي يصبحوا مسيحيين ضد إرادتهم ، وضد إرادات والديهم وأوليائهم ، وعلاوة على ذلك إنني أعطيت إلى أولئك الذين جعلتهم مسلمين ثروة كبيرة وأحياناً وظائف في حكومة مُدني الرئيسة ، مثلما تعرفون وتشاهدون بعيونكم الخاصة ، ولكن أنتم عندما تجعلونهم مسيحيين تتركونهم يموتون من الجوع" .

"نحن جميعاً نقول بأننا نعطيهم ما فيه الكفاية عندما نعلمهم الدين الحقيقي للإله ، الذي هو وحده يستطيع أن ينقذهم" ، قال الأب "كريستوفانو دو إسبيريتو سانتو" ، "وإن سموكم ، بشيء ما ، الذي يجب أن يدفع في مقابله ، نجعله يترك حقيقة دين صالح مثل دينكم" ، ومُتحولاً إلى نُبلائه الذين كانوا يقفون حوله .

قال لهم باللغة التركية ، "هؤلاء يتشوقون لي لكي آمر بأنه يجب أن

يتم قتلهم ، وإلا فلماذا يتحدثون بمثل هذه الحرية؟ ولكنهم بعيدون جداً عن الصواب ؛ لأنه إذا رأوا أنه شرف لهم أن يموتوا من أجل دينهم ، فإن شرفي يتطلب أنه لا يجب أن أعاملهم أبداً بصورة سيئة ، ثم صاح على خدمه لكي يُحضروا له الصبي الأرمني ، وعندما أُحضر أمام الآباء الرهبان وشاهدوه بدأ يبكي بمرارة .

أخبره الشاه متأثراً بجماله بألا يبكي وسأله باللغة الفارسية عما إذا أراد أن يكون مسلماً ، وبعد ذلك أخبره باللغة التركية أن يقول نعم ، مستخدماً تهديدات قاسية لأنه اعتقد أن الآباء لا يفهمون اللغة التركية . لم يصدر الصبي أية إجابة ، واستمر في البكاء ناظراً إلى الشاه والآباء الرهبان .

أراد الأب "كريستوفاو" فرصة لكي يوضح للشاه أثر المهمة الدينية الرسولية متحركاً بقوة ودافع الروح المقدسة ، سحب صليباً من كمه وانحنى وأراه للصبي ، ثم تحدث إليه ، قائلاً : "إنك هنا يا "جواو" ، ترى إلهك الحقيقي ، وملكك الذي عانى من أجل منفعة نفسه على هذا الصليب ، اعبده وخفه وحده .

لا تترك الدين الحقيقي للرب الذي وضع نفسه على الصليب من أجله . تذكر أنه تمَّ تعميدك فرداً مسيحياً مُفتدياً بدمه الثمين ، ولا تخش شيئا ، ولا تكن خائفاً من الشاه ؛ وسوف يساعدك الإله ، وأظهر لهؤلاء الناس حقيقة العقيدة الكاثولوكية التي بها وحدها يمكن أن يتم إنقاذك" .

قال الأب الراهب هذا بحدة وطاقة ، كشفت قوة الروح التي أثّرت في مشاعره ، وعند رؤية هذا بكى الآباء الذين كانوا معه بانفعال

متضرعين إلى الإله أن يساعد هذه الروح التي كانت عالقة في مخالب الذئب الهائج .

عندما سماع الأب الراهب قال الصبي نعم ، إنه كان فرداً مسيحياً ، وإنه اعترف أن الرب (السيد المسيح) إلهه ، ثم أخبره الشاه باللغة الفارسية أن يكون صامتاً ، ويذهب مع الآباء الرهبان ، وقال باللغة التركية أن (أصغر مكان بالنسبة له وكل أمثاله يمكن أن يكون أذنه) . لم يفهم الآباء هذا ، ولذلك فإنهم لم يردوا عليه .

ذلك لأن الصبي لم يذهب إليهم ، ولم يتحرك من الخوف ، أخبرهم الشاه أن يسألوه لماذا لا يرغب في الذهاب . في ذلك الوقت بدأ الصبي التعيس يتراجع ، وأمره الشاه الذي كان سعيداً جداً أن يعود إلى الآخرين ، تاركاً الآباء غير راضين جداً ، وقلقين ، وهم يشعرون بالأسى أن يروا تلك الروح المفقودة من رعايا الكنيسة الكاثولوكية تفقد .

لذلك رجعوا إلى ديرهم ، وبعد ذلك اكتشفوا أن الشاه قد كان يتحدث باللغة التركية ، ويبدو أن الشاه في اليوم التالي كان حزيناً أن يرى الآباء الرهبان وهم يشعرون بالكآبة والأسى ، فأرسل عمالاً ، ونقّاشين إلى الدير لإصلاحه وتجديده ، ولكي يطلوا الكنيسة باللون الذهبي والأزرق إذا هم رغبوا في ذلك .

شكر الآباء الرهبان الشاه على تفكيره من أجلهم ، وهم يدركون أن هذا الأمر هو لكي يظهر لهم أنه لا يشعر بالضيق ، ولا يحمل لهم أية ضغينة ، والسبب عينه أظهر أنهم لم يشكوا كثيراً ، واستمروا في أن يكونوا محترمين ومُكرَّمين من قبل الطبقة الأعلى في الدولة كرهبان

حقيقيين للإله ودينه ؛ لكن هذا هو طريق الإله ربنا لكي يجعل نفسه معظماً من خلال خدمه .

الفصل الرابع : كيف أرسل جلالته سفيراً من بلاطه إلى الشاه ، وكيف أمر بأن يرافقه إخوة رهبان من نظامنا الديني ، والأشياء الأخرى التي حدثت في هذه الفترة؟

غادر البلاط البرتغالي سفير الشاه ، المدعو حسين علي بك ، الذي قد سافر إلى أوربا من خلال "مسكوفي" برسائل من ملكه إلى الأمراء المسيحيين ؛ حيث تلقى حسن ضيافة وكرماً كثيراً . كانت مهمته التالية : بأمر جلالته ، هي أن يسافر بحراً إلى الهند حاملاً رداً من جلالته إلى الشاه قائلاً إن جلالته يمكن أن يُرسل سفيراً من بلاطه لمناقشة المسائل المتعلقة بوضعه الملكي .

رأى مجلس جلالته ، أنه لكي يستمر في صداقته مع الشاه ، ويشجع على الحرب ضد سلطان الأتراك ، فمن المعقول أن يرسل رجلاً ما من غير رجال الكنيسة ، والذي هو بدون شك من البلاط .

ما يفسر لماذا يرسلون أخاً راهباً من نظامنا الكهنوتي ، على الرغم من أن جلالته قد استخدم الآن خدماتنا لتحقيق رغبته العظيمة ؛ حيث أرسل في هذا العام "لويس بيريرا دي لاسيرادا" ، كسفير إلى الشاه ، وهو رجل نبيل من موظفي إدارته ، أعطاه درجات تكريم ومكافآت وتعليمات فيما يتعلق بالخدمات التي كان يقوم بإرساله لأدائها .

كتب أيضاً رسالة إلى نائب الملك في الهند ، "أيريس دي سالدانها" ، والتي عبَّر فيها عن رضائه عن العمل الذي تمَّ تنفيذه في تلك الدولة

على يد الإخوان الرهبان لدى نظامنا الكهنوتي ، وجدد أمره بأن يدفع لنا مُخصصاتنا المالية ومنحاً أخرى ، وأن يُسهِّل عمل الإخوة الذين يقومون بخدمة الإله وخدمته في "مُمبسا" ، والساحل المالندي وهرمز التي سمع بأننا نقوم بتنفيذها بصورة مفيدة وحسنة (أ) .

أمر بأن يرافق اثنان من الإخوة الأوغسطينين سفيره ، "لويس بيريرا دي لاسيردا" "Luis Perriera de La Cerda" ، لكي يتم تعيينهما من قبل إدارتنا الأسقفية ، وليس إخوة آخرين ولا آباء "جزويت" يسوعيين (يبدو أنهم قد كانوا يُلحون من أجل هذا في البلاط) ، وفي تعليماته إلى السفير أمره ، بأنه يجب أن يرافقه الأخوان الراهبان ويجب معاملتهما مثله .

ويجب أن يُطلب منهما المشورة في كل شيء . كتب إلى الأب الأسقفي أن الإخوة الرهبان يجب أن يكونوا مثقفين ومناسبين للرحلة . اختار رئيس الأساقفة والأب الأسقفي ممثل الكنيسة .

الأب "بيلشيور دوس أنجوس" "Belchior dos Angos" ، وهو واعظ ، مواطن من أبناء "لشبونه" ، والذي قد دخل النظام الكنسي منذ عشرين سنة في هذه المناطق من الهند ، ويجمع الصفات التي قد طلبها جلالته التعليم التعقل والفضيلة والذي يمكن أن يفعل كل شيء بمثالية وخبره .

كان رفيقه الأب "جيلهيرم دي سان أوغسطينهو" "Jelherm de San Augustinho" ، الذي جاء من الإدارة الأسقفية وجمع الفضيلة مع التواضع وقوة التحمل . غادرا "غوا" مع السفير

(أ) توجد رسالة بهذا المعنى في نشرة Bolitim Filmoteca ، عام ١٩٥٤م ، ومع ذلك ، فهي موجهة إلى "مارتيم أيه . دي كاسترو" بتاريخ السادس والعشرين فبراير عام ١٦٠٥م .

في يوم الرابع عشر فبراير عام ١٦٠٤م ، وكان يرافقهما الأب "ديوجو دي سانتا آنا" "Diogo de Santa Anna" ، وهو أخ راهب مثقف عرض الذهاب ليساعد الإخوة الذين مازالوا يعملون في الدير في أصفهان .

وصلوا إلى هرمز وغادروا إلى هناك في يوم الثاني والعشرين من إبريل ، وحينما سافروا من خلال دولة بلاد فارس أقاموا قداساً في أعياد القديسين وفي أيام الآحاد وفي الطريق وفي المدن والقرى ، وفي خيمة خاصة قد أحضروها مزودة بأشياء للزينة وأشياء ضرورية أخرى ، مُلحين على المسلمين النبلاء في الأماكن التي وصلوا إليها لكي يكونوا حاضرين في القداس ، سامحين لأولئك الذين يعتقدون أنهم مناسبون بالدخول في وقته .

سافروا بهذه الصورة حتى وصلوا بلاط ومقر إقامة الشاه في أصفهان ؛ حيث تم الترحيب بالسفير والإخوة الرهبان في احتفال كبير وابتهاج ، وخرج إليهم إخواننا الذين يعيشون هناك مع حاكم المنطقة ، وصلوا في يوم "عيد جسد المسيح" ، ودخل خمسة من إخواننا الرهبان بلاط الشاه في موكب ، آملين أن يسمح لهم الإله أن يأتوا في موكب آخر في احتفال مهيب مرة أخرى .

لذلك ذهبوا إلى ديرنا ؛ حيث قضوا بعض الأيام ، وهم يحمدون الإله لأن عدداً كبيراً جداً من المسلمين جاء إلى هناك ، رجالاً ونساءً ، حاملين أطفالهم المرضى ، وهم يأتون ليطلبوا لكي يُقرأ عليهم الإنجيل ، ويجد البعض من خلال رحمة وعطف الإله ربنا أن صحتهم قد أُعيدت ، ومرضهم وعللهم قد شُفيت .

أتى مسيحيون آخرون ، وأرمن ، وأجانب ، والذين يجدون أنفسهم

فقراء محتاجين لكم ، تتم مساعدتهم من خلال وسائلنا غير الكافية ، وآخرون من الذين قد تركوا دينهم يتم إعادتهم من خلالنا إلى عقيدتنا المقدسة . إنهم يرون آباءنا الرهبان يتعلمون اللغة التركية باهتمام شديد ، ويُعلمون أطفال الأرمن قراءة وكتابة اللغة البرتغالية ؛ لكي يتم إحضارهم إلى الكنيسة الرومانية بسهولة .

باختصار ، إنهم حمدوا الله على رؤيتهم كيف قدموا عقيدة عيسى المسيح في وسط الإسلام ، وكيف أنها ضرورية من أجل الخلاص الروحي ، وحيث قد أمر جلالته السفير بأن يُسلم رسالته إلى الشاه ، الذي لم يكن في بلاطه ولكن كان على بعد مسافة طويلة ، في إقليم "أزراروم" التي هي أرمنيا ؛ حيث كان يشن الحرب ضد الجيش التركي ، وبعد أن قضوا بعض الأيام في أصفهان ، كان من الضروري للسفير والآباء أن يذهبوا بحثاً عنه .

لذلك فإنهم غادروا أصفهان وذهبوا من خلال بلاد فارس ، ودولة البرثيانيين ، والميديين ، وتقريباً كل آرمينا ، واستغرقت الرحلة من أصفهان إلى حيث كان الشاه من اليوم الأول من أغسطس حتى السابع عشر من أكتوبر .

عندما وصلوا إلى معسكر الشاه الذي أمر بأنه يجب أن يتم استقبالهم باحتفاء شديد ، ولكن الرهبان وبسبب ثيابهم السوداء وقبعاتهم الكبيرة ، شرح لهم الشاه بنفسه بأنهم كانوا متشابهين لتلك الثياب التي في أصفهان .

أخبر الشاه الإخوة الرهبان أن جلالته يمكن أن يُرسل إخوة كثيرين لأن الأرمن يوجد لديهم عدداً كبيراً من الكنائس ، وأجابوا أن ذلك

هو السبب في لماذا قد أتوا ، وأن عدداً كبيراً منهم يمكن أن يأتي لخدمة سموه . رحّب بالسفير باحترام شديد ، وتسلّم الرسالة والهدية التي أحضرها من عند جلالته مبيناً سروره في كلماته ووجهه .

في اليوم التالي دعا الشاه السفير والآباء ؛ لتناول طعام العشاء معه ، وأعطاهم مكاناً موقراً في مقابله على مأدبة العشاء ، في محادثة معهم سأل أسئلة عديدة عن النظام الكنسي والعقيدة الكاثولوكية ، التي أجاب عليها الآباء بجدية ومعرفة واسعة . حينما انتهت المأدبة أخبر الشاه السفير بأنه يجب عليه أن يذهب لكي يستريح ويمكث في مدينة "غزوين" التي كانت بعيدة إلى حد كبير عن الجيش ؛ حيث يجب عليه أن يذهب لكي يتعامل معهم .

يمكن أن ينطبق نفس الشيء على الآباء الرهبان ؛ حيث قاموا برحلتهم بمنتهى السرعة ، واصلين إلى مدينة غزوين ليلة عيد القديس أندرو ؛ حيث تم استقبالهم بناء على أوامر الشاه بحفاوة وإكرام .

الفصل الخامس : كيف ذهب الأب "بيلشيور" من "غزوين" إلى تبريز لكي يناقش مسائل السفارة مع الشاه؟

عندما كان السفير والآباء في مدينة "غزوين" لمدة خمسة أشهر ، قرروا أن يكتبوا للشاه من خلال "الميهيماندار" "Mehemandar" (الذي هو الموظف المكلف بالاعتناء بالضيوف) وأيضاً إلى "الجوازيل" الوزير الرئيس ، "اللهفيردي خان" ، مستشار الرئيس ، طالباً منه رداً على سفارته ؛ لكن إقامته في بلاد فارس كانت غير ناجحة وعودته إلى إسبانيا يمكن أن تكون ذات خدمة عظيمة للملوك .

أحضر "الميهيماندار" رداً شفهياً بعد شهرين من كتابة هذه الرسائل ، بأن الشاه أخبره أن يقول لأن الطقس كان حاراً ، فإنه يمكن أن يستدعيه ، ولن تكون هناك رسائل مؤجلة بهذه الطريقة ، ولأن رسائله كانت مهملة جداً ، شعر بأنه لا يستطيع أن يمكث لأجل غير مسمى في بلاد فارس مع رجاله ، متضايقاً من كونه محتجزاً هناك ، وأرسل في طلب الأب "بيلشيور دوس أنجوس" .

أخبره أنه يمكن أن يؤدي خدمة عظيمة للإله والملك ، إذا كان يجب عليه أن يذهب ليعرف عن نهاية موضوع سفارته حتى لا يضطر إلى أن يُعرِّض للخطر كرامته في بلاد فارس بسبب قلة المال الذي لا يمتلكه ، أو أرواح عدد كبير من الشباب الذين كانوا خدمه ، والذين مع التأخير الطويل ، يمكن أن تتردى حالهم بسبب الإساءة إلى حريتهم وتوقهم الشديد إلى الوطن .

لذلك فقد توسل إليهم باسم الإله وجلالته أن يقوموا بمهمة الذهاب إلى الشاه والإصرار على هذه القضية ، التي اشتملت على اعتماد سفارته .

وافق الأب "بيلشيور" مُعتبراً إياها خدمة للإله وجلالته ، وغاضاً النظر عن المجهود المبذول ، لأنه كان فصل الشتاء ووقت البرد القارص والجليد ، وبدأ رحلته في يوم الخامس عشر مارس تاركاً الأب "جيلهيرم" في "غزوين" مع السفير لكي يدير الطقوس الدينية له ولرجاله .

طبقاً لتقرير الأب الراهب كان الطريق عميقاً جداً في الجليد للحد الذي غالباً ما يستطيع أن يسافر عشرة أو عشرين فرسخاً ، دون رؤية أي

شيء غير الجليد ، فقط الممر الذي صنعته الخيول ، وإذا قابلوا أي أحد فإنه من الضروري أن يأخذ جانباً لكي يدعهم يمرون ، ويجد المرء نفسه منغمساً في الجليد حتى صدره ، وكل أولئك الذين لا يلبسون أغطية واقية لأعينهم كثيراً ما تُصاب أعينهم .

حتى هذه كانت رحلة أكثر صعوبة ؛ لأنها كانت في فترة صيام الأربعين يوماً قبل عيد الفصح ، وكانوا يسافرون من الصباح حتى الليل دون أن يتناولوا طعاماً ، واجدين فقط خبزاً ولبناً في "المانسيز" "Mansis" (التي هي خانات ينزل فيها المسافرون) لتناول الإفطار بعد فترة صيام الأربعين ، ولا يجدون شيئاً آخر .

في الطريق علم الأب الراهب أن يوم الحادي والعشرين من مارس هو عيد "النيروز" اليوم الأول من عامهم ؛ حيث يظهر الشاه فيه أمام الناس ويوجد احتفال بهيج ، بذل الأب مجهوداً كبيراً جداً لكي يصل في ذلك اليوم لدرجة أنه ترك الرجال الذين كان يسافر معهم وحقائبه ، وسافر بمثل هذه السرعة حتى وصل تبريز في اليوم الذي كان يريده .

كانت هناك بعض خيام منصوبة في مكان فسيح واسع حيث كان الشاه وكل ضباطه من ذوي المكانة العالية والنبلاء يجتمعون معاً ، وجميعهم يرتدون ثياباً مُقصبة ، وملونة ومصنوعة من القطيفة الرائعة المشغولة بالريش ، وعلامات الشرف الذهبية التي يلبسها دائماً الأشخاص الأكثر ثراءً .

وصل الأب الراهب في الوقت الذي كان فيه الشاه لم يدخل خيمته بعد ، وكان دائماً مع الأشخاص الأكثر ثراءً ، وكان واقفاً يتحدث مع

بعض من رجاله في الممر المؤدي إليها . صعد الأب إليه وقبَّل يديه ، وأخبره أنه جاء مسرعاً على عجل لكل يقول له مهنئاً ومتمنياً : "كل عام وأنتم بخير" في ذلك اليوم ، نيابة عن سفير جلالته .

استقبله الشاه بصورة حسنة ، وسأله فيما إذا كان قد وصل الآن ، ثم أخبره أن يجلس بجوار سفير اليابان في مكان مقابل لخيمته حيث كان يوجد فقط ثلاثة من مستشاريه المفضلين إليه ، وجميع القادة الآخرين والسفراء في الجانب الآخر من الخيمة . هناك قدم لهم جميعاً مأدبة غداء ، وعندما انتهت الوجبة صعد الأب ، وذهب في اتجاه المكان مع الرسالة من السفير في يديه ، وعندما رأى الحاجب الرئيس ، الذي يسمى علي كولي بك هذا حاول أن يوقفه ، ولكن الملك لاحظ وأشار إليه لكي يدعه يأتي .

قدم الرسالة إلى الملك الذي أمر "الجوازيل" الوزير الرئيس/ أن يقرأها ورأى أنها خطاب اعتماد ، وسأله ما هو الشيء الذي يريده؟ أجاب الأب أن سفير جلالته كان رجلاً كبيراً في السن ، وكان مريضاً ، وكان يسأل فيما إذا كان هناك أية فائدة من إقامته في بلاد فارس ، وتوسل إليه للإجابة على سفارته .

متحدثاً إلى أولئك الذين هم بداخل وخارج خيمته في القضية ، رد الملك أنه يستطيع أن يعطي أوامر بإرادته ، ويمكن أن يكون الرد على جلالته مكتوباً ومعطىً إليه من أجل السفير ، لكي يمكن أن يعود إلى ملك إسبانيا ، ثم انسحب الملك إلى خيمته ، والأب الراهب إلى مقر إقامته .

الفصل السادس : مواصلة للفصل السابق .

مرت أيام عديدة دون أن يتسلم الأب الراهب رداً من الشاه ، أو حتى لم يره ، ولما كان الوقت يمر بسرعة ، وعرف أن الشاه سيقوم بزيارة لأحد زعمائه ، وذهب لينتظر على بابه لكي يستطيع أن يتحدث إليه عندما يخرج من خيمته .

حدث أن الشاه كان ممتطياً ظهر حصانه ، ورأى الأب الراهب من على مسافة وأومأ إليه للاقتراب منه ، ثم مشى على طول الطريق متحدثاً إليه . بعد سؤاله عن حاله ، أخبره أنه قد هاجم السلطان التركي واثقاً أن الأمراء والمسيحيين يمكن أن يهاجموه من الجانب الأوربي ، مثلما وعدوا ، وسأل إن لم يقوموا بفعل ذلك ، ولماذا لم يلتزموا بكلمتهم؟

أجاب الأب أن الأمراء المسيحيين يمكن أن ينفذوا التزاماتهم في تلك النقطة ولكنهم يحتاجون وقتاً طويلاً ؛ لكي يعدوا أنفسهم من أجل الحرب ومعدات أكثر مما يحتاج إليه سموه في مملكته . يجب عليه أن يستمر في الانتصارات التي كان الإله يعطيها له ، ويمكن أن يرى عما قريب كيف يمكن أن يساعده جلالته عندما يأتي الوقت .

قال الشاه إنه قد كان مسروراً أن يرى أولئك الأمراء متحدين ولديهم اتفاق واحد ، وبخاصة الاتفاق الذي يأتي من إنجلترا . "إن شاء الإله" .

قال الأب : "سوف يسمع سموكم قريباً جداً عن السلام هناك لكي يستطيعوا جميعاً أن يشاركوا ، ويساعدوا سموكم ضد العدو المشترك" .

قال الشاه : "لا يستطيع ملك إسبانيا أن يصنع هذه الرابطة ، فقط البابا ، الذي يمثل القديس بطرس ، وهو رئيس الجميع" .

"حقاً يا سيدي" قال الأب : "إن البابا يستطيع أن يفعل كل شيء ، ولكن ملك إسبانيا هو الملك الأكثر قوة في المسيحية ، وإذا أراد شيئاً ما ، فإنه من المتوقع أن كل الآخرين سوف ينضمون إليه ؛ لكي يتم تنفيذ هذا العمل بسرعة خاطفة .

ومن أجل أن يعرف جلالته عن انتصاراتكم وخططكم يجب على سموكم أن يرسل سفيراً ، يستطيع أن يعرف منه جلالته ، كيف وقف سموكم في ميدان المعركة ضده ، لأن هذا سوف يُثيره ، هو والأمراء المسيحيون لكي يفعلوا ما يرغب فيه سموكم" قال الشاه : "منذ أن جئتم وقد كنت أقوم بالبحث عن سفير لكي أرسله معك إلى إسبانيا ، وهذا هو ما يؤخرني" .

"هل يمكن أن أُذكر سموكم ، أن نتائج الريح الموسمية في البحر لا تسمح بالتأخير ، وأنه إذا لم يسرع سموكم فإن السفير سوف يضطر إلى البقاء في "غوا" لمدة سنة واحدة دون مواصلة" .

"إنني أدري بذلك" قال الشاه : "سوف ترى أنني سوف أرسله قريباً . أذكرك أيها الأب أنك يجب أن تخبر ملك إسبانيا كل هذه الأشياء مثلما حدثت بيننا" .

"سوف أفعل كما يأمرني سموكم ، وإذا لم أفعل ذلك ، فسوف تعلمون" .

عند هذه النقطة وصل عدد كبير من النبلاء واللوردات ، وأخذ الأب الراهب إذناً من سموه بالمغادرة باحترام لائق ، بعد أن قضى تقريباً ساعة واحدة ، وهو يمشي من خلال المدينة معه جنباً إلى جنب .

فيما بعد يومين ، حينما ذهب الشاه لزيارة زوجة "الجوازيل" الوزير الرئيس ، الذي كان متوفياً ، ذهب بادر "بيلشيور" لكي يُحثه مرة ثانية .

بينما هو وسفير البابا كانا منتظرين لكي يتحدثا إليه ، خرج الشاه ، وعندما رأى الأب قال للوزير "طهماسب بك" (تام بك) ، "يجب أن يتم قضاء أمره في خلال عشرة أيام بسبب الريح الموسمية" وقال للأب "سفارتك سوف يتم إكمالها سريعاً جداً وفي وقت قريب جداً" .

في اليوم التالي ذهب الأب لكي يعرف رد الشاه من "طهماسب بك" ، وأخبره أن الشاه ينوي أن يُرسل هدية إلى جلالته ، وأمره أن يسأل ماهي الأشياء التي يحبها ملك إسبانيا من بلاد فارس؟

"ملك إسبانيا يمكن أن يكون أكثر سروراً من خبر الانتصارات التي تم إحرازها على يد الشاه على سلطان الأتراك من أي شيء آخر" ، قال الأب : "تلك هي أحسن هدية يمكن أن يرسلها سموه إليه" .

"إن الشاه يعرف ذلك" قال تاماسب بك" ولكن سفير جلالته يجب ألا يذهب خالي الوفاق ، ولا يعرف الشاه ما هي الأشياء التي لم توجد هناك ، ومن الضروري أن يخبره سموكم" .

ذلك لأن سموكم يرغب في أن يُرسل إلى جلالته أكثر من الأخبار بأنه يرغب في أن يسمع أكثر من أي شيء آخر ، فهو يمكن أن يرسل إليه قوساً وكنانة سهام ، وسيفاً وخنجراً فارسياً ، لأن الملك يُحب أن يرى الأسلحة التي بها تم إحراز الانتصارات على سلطان الأتراك" .

أثناء هذه المحادثة مع "الجوازيل" كان عدد كبير من النبلاء ،

ورؤساء القبائل لدى بلاد فارس حاضرين ، وكانوا مندهشين مما كان يقوله الأب الراهب ، لأنهم جميعاً كانوا الرجال ، الذين اعتقدوا أن الهدايا هي الجزء الأحسن في إقامة السفارات .

كان هناك في بلاط الشاه في هذا الوقت "جيغال أوغلو" باشا ، قائد الجيش التركي الذي كان يتقدم بطلب من أجل السلام وكان بينه وبين الشاه مناقشة حول هذا جانبا إلى جنب .

عرف الأب "بيلشيور" بما كان يحدث وذهب إلى بيت "اللهفيردي" خان قائد جيش الشاه ، وأخبره أنه لا يليق بصدق وعظمة الشاه أن يناقش شروط السلام مع السلطان التركي حتى يكون متأكداً ، مما كانوا يفعلونه هناك بين ملك إسبانيا والأمراء المسيحيين الآخرين . كان من المعروف أن تحركات الجنود كانت تحدث .

يتم القيام بتجهيز معدات المعركة ضد سلطان الأتراك في الجانب الأوربي ، وبما أن هذا قد تم ترتيبه بين الشاه والأمراء المسيحيين ، فإنه لا ينبغي أن يخل باتفاق هذه الحرب التي خصه الإله بها كثيراً ، وأن يفقد فرصة كالفرصة الحالية لكي يستعيد أراضيه ويستولي على كثير من أراضي السلطان التركي .

حيث إن سيادته كان قائد جيش الشاه ، فإن لديه التزام بأن يقول هذه الأشياء إلى ملكه في التو بمجرد أن قالها له .

استمع "اللهفيردي خان" إلى كل هذا باهتمام وأجاب "إن شاء الله ، أيها الأب ، إنه مثلما تقول ، وأن الأمراء المسيحيين يقومون

بالاستعدادات في أوربا ، لأن الشاه سوف يفي بالتزامه ، وحيث إنك سألتني فإنني سوف أُنفذ التزامي" .

قال الأب نفس الكلام لجميع أعضاء مجلس الشاه ، وأقنعهم ألا يوافقوا على السلام الذي كان يتم القيام بمناقشته بوضوح ، وكان بعضهم يأمل في الوصول إلى نتيجة .

استاء الأمير الكردي الذي كان يعمل في البلاد كوسيط من تصرف الأب الراهب كثيراً جداً ، وقال في مرات عديدة إن القسيس المسيحي من الممكن أن يكون سبباً في عدد كبير من المسلمين الموتى ، وكلما وجده بالصدفة في أي مكان أو قابله نظر إليه غاضباً ، وهذا يكفي لكي تُبين كيف وظَّف إخواننا الرهبان الذين كانوا في الداخل والذين ذهبوا إلى بلاد فارس أنفسهم في خدمة جلالته والرب إلاهنا .

الفصل السابع : كيف تسَّلم الأب "بيلشيور دوس أنجوس" رسالة السفـارة من الشاه إلـى جلالته ، وماذا حـدث للآباء الرهبان مع الأرمنيين في جميع أنحاء أرمنيا؟

بينما كان هذا الأب مُنشغلاً برسالة سفارته خرج فجأة الملك مع كل جنوده خمسة عشر ألف من رجال الخيالة ولأنه فصل الشتاء كان هذا مثيراً جداً للاستغراب قائلاً بأنه كان ذاهباً للدفاع عن أراضيه ، ولكي يهاجم أعداءه .

قال كل فرد في المدينة أنه سوف يعود بعد وقت قليل ، ولكن بعد أن انتظر الأب الراهب سبعة أو ثمانية أيام ولم يأت ، جهَّز نفسه واستعد لكي يجده في أي مكان من الممكن أن يكون فيه . في ذات صباح

كان راكباً حصانه عندما أُخبر أن الشاه قد وصل في تلك الليلة ، وكان موجوداً في المدينة . اعتقد الأب أن هذا يمكن أن يكون غير حقيقي لأن سكان بلاد فارس يكذبون عن كل شيء ، ولكنه ذهب لكي يستقصي الحقيقة ووجد أنه (الشاه) قد وصل في الحقيقة مع أربعة أو خمسة من زعمائه .

ذهب الأب لرؤيته بينما كان ذاهباً إلى الحمامات ، واستقبله الشاه بمرح ، وسأله ماذا أراد . هنّأه الأب على عودته ، التي شكره عليها ، ثم قال : "لقد عينت رجلاً تركمانياً كسفير ، يسمى "كولي بك عيسى" إمام الذي خدم سابقاً كسفير في "مسكوفي" "Moscovi" وفي "بلخ" ، وفي مملكة "الأوزبك" . انتهت قضيتك وتم حلها .

قبّل الأب يده على المساعدة التي فعلها بإعطائه رسالته ، ولذلك طلب الإذن بالمغادرة بعدد كبير من الكلمات المشرفة .

في اليوم التالي ذهب لرؤية الشاه ووحده في المكان الذي يسمى "الميدان" ؛ حيث قدم إليه سلسلة من الذهب المطلي مرسلة إليه بواسطة السفير أخذها في يده ، وسأله عما إذا كانت مصنوعة في البندقية ، وأجاب الأب أنها برتغالية الصنع ، وأن السفير أرسلها لكي يمكن أن يرى صاغته جودة الصنعة والتصميم . قبلها بكلمات عديدة من الشكر .

بعد ذلك قال له الأب : "إنني أذكر سموكم بألا تنسوا الآباء الذين هم في أصفهان ، لأنهم تحت حماية سموكم : رد الشاه : استغفر الله ، التي هي تعبير عن الدهشة الشديدة ، والتي يستخدمونها لحمل عبارة

"كيف لي أن أنسى ، لا سمح الله" ، واستمر ، ليس حسناً مني أن أنسى ، لأنهم ضيوفي" . قبل الأب يده واستأذن بالخروج ، وقال له الملك : "الله معك" وكلمات أخرى للمجاملة .

تم الترحيب بالآباء الرهبان بسعادة في "جلفا" ، المدينة الرئيسة لأرمنيا وكانوا محروسين بعد كبير من رجال الدين كهنة وعلمانيين معاً . حمل الآباء كُتيبات القداس في صناديق ، ولوحات مرسوماً عليها بالألوان شكل المسيح المصلوب ، وهم يرتلون الترانيم على طريقتهم ، ومُرحباً بهم بحب ومودة .

بعد أداء الترانيم سألوا أسئلة لأنهم أرادوا منذ زمن طويل أن يعرفوا كثيراً عن عقيدتنا وبخاصة عن بعض أسرارها التي يوجد لديهم عنها بعض الأفكار الخطأ : الثالوث المقدس ، وطاعة البابا ، ووجود التطهير .

على الرغم من أنهم يمتلكون تعليماً قليلاً ، فإن الآباء واسعو المعرفة والاطلاع . أجاب أحد الأشخاص الكبيري السن ، بأنه يؤمن بالفرق بين الثلاثة أشخاص ، ومساواتهم وأنهم إله واحد وموكب الروح القدس . لم يسألوا لأن المترجم لم يفهم اصطلاحات اللغة .

فيما يتعلق بطاعة البابا ، قال ذلك منذ زمن طويل ، لأنهم كانوا بعيدين جداً عن البابا ، بأمره وبإذن منه جعلوا البطاركة يحكمونهم ، ولهذا السبب كانت طاعتهم لبطاركة القسطنطينية ، ولكنهم عرفوا جيداً ، واعترفوا أن البابا قدّم صورة عن المسيح سيدنا والقديس "بطرس" ، وأنه هو وحده كان رئيس الكنيسة ، وأنه إذا استولى المسيحيون على القسطنطينية ، بعد ذلك يجب عليهم طاعة البابا .

عندما تم سؤالهم عما إذا كان يوجد تطهير من الخطايا الصغيرة للبعض بعد الموت أجابوا بنعم ، وأجابوا بصورة حسنة عن كل الأشياء الأساسية ، فإنه يوجد اختلاف كبير في مراسيم الاحتفالات ، ولكن هؤلاء وجميع الأرمنيين الذين تحدث معهم الآباء ، قالوا بأنهم يعترفون بالأسقف الروماني كرئيس عام لكل الكنيسة ، القس الأسقفي الحقيقي الممثل للسيد المسيح وخليفة للقديس "بطرس" .

إذا لم يتصرفوا وفقاً له ، فإنه بسبب معيشتهم بين الأتراك ، وعلى الرغم من أنهم يقولون هذا بأفواههم ، فإن الآباء أدركوا أن أزواجهم وعادتهم تلتصق بدرجة شديدة جداً بمراسيم الصلوات اليونانية التي تربوا عليها ، للحد الذي يكون فيه من الصعب إبعادهم عنها .

عموماً ، قرر الآباء أنه بمساندة الشاه يمكنهم أن ينصلحوا بسهولة لأنهم مُستسلمون جداً وطائعون له ، ولن يخالفوا رغباته .

على مسافة ثلاثة فراسخ من مدينة "جلفا" وجد الآباء رجال دين آخرين ، الذين يُسمون "الأفرنج" "Franks" لأنهم يراعون ، ويتبعون الطقوس الرومانية ، وهم يلبسون ثياباً ذات أكمام وقلانس متصلة بها ، ذات قمصان بيضاء ضيقة وطويلة ، تتدلى من على الأكتاف ، ومعاطف سوداء . إنهم كهنة من نظام القديس "دومينيك" ، وهم حليقو الرؤوس كالإخوة الرهبان .

تم استقبالهم للآباء الرهبان بحب شديد ، وإحسان ، وشعروا بالراحة والتوعية من خلال الأشياء التي رؤها فيهم ، شاكرين الإله على أنه قد حفظهم بين عدد كبير جداً من الكافرين والمنفصلين عن

الكاثولوكية "schismatic" ، مشاهدين نقاوة عقيدتهم والطاعة التامة للكنيسة الرومانية في وسط الأتراك المناوئين لهم .

دخل الآباء كنائسهم ، ورأوا أحواض مائهم المقدس ، الذي لا يستخدمه الأرمن ، والمذابح مثلما عندنا ، وبعدد كبير من تماثيل الإخلاص ، ودخلوا الغرف التي تحتوي على مقتنياتهم المقدسة حيث تم عرض تيجان وحلي أساقفتهم توفي الأسقف الأخير مؤخراً قبل سنتين وبعد ذلك اصطحبوا الآباء بعيداً ، وقدموا لهم مشروبات دينية ومتواضعة .

في اليوم التالي أقام القس المسؤول عن الدير قداساً ، والذي استمع إليه الآباء ، ولم يوجد شيء لم يكن وفقاً للطقس الديني الروماني ، فيما عدا اللغة ، التي كانت اللغة الأرمنية .

بعد القداس أقام لهم الأب "بيلشيور" قداساً قصيراً باللغة الفارسية التي يعرفها جيداً ، هذا الذي حضهم فيه على الصبر والتسامح في كل المحاكمات التي فرضت عليهم من قبل الأتراك ، من أجل الحفاظ على العقيدة الكاثولوكية وخدمة سيدنا المسيح .

عندما انتهى هذا جاءوا كلهم لكي يقبلوا يديه وقدمه وعباءته بدموع الفرح والإخلاص ؛ لأنهم لم يروا من قبل آباء "افرنجاً" آخرين في دولتهم .

عندما انسحبوا إلى الداخل سألهم الآباء الرهبان عن أصل ديانتهم المسيحية ، وكيف كانت لدرجة أنهم كانوا مطيعين للكنيسة الكاثولوكية بين عدد كبير من المنفصلين عن الكنيسة . أجابوا أنه منذ أربعمائة سنة

جاء قسيس يسمى "بارتلوميو" إلى تلك المناطق ونصح باتباع عقيدة سيدنا المسيح ، وحوَّل القرى المحيطة إلى المسيحية .

قد رحل إلى روما ، وعاد كأسقف وواصل وعظه ، لقد حول سبع قرى ، ولكن في إحداها تم إعطاؤه السم الذي مات منه ، ولقد علمهم هذا الأب المبارك ولقنهم العقيدة ، وطلب منهم أن يكونوا دائماً مُطيعين "لبابا" روما .

دائماً ما يأتي أساقفتهم من روما ، وكانوا دائماً مواطنين من أبناء البلد ، لأنه في أي وقت يموت أسقف ، فإن اثنين من الأكثر جدارة فيهم يمكنهما أن يذهبا إلى روما ، ويتم تخصيص أحدهما أسقفاً ، وقد ذهب اثنان منهم منذ عامين ، وحيث تمت إعاقتهما بواسطة الحروب في الطريق ، فإنهما لم يعودا .

في القرى التي يوجد فيها أديره لهذا النظام الديني ، رأى الآباء بعض الآثار المقدسة المشهورة ، مثل زراع ، من الكوع إلى اليد للقديس "جودي ثاديوس" "Jude Thadeus" الذي استشهد في بلاد فارس ، وفي دير آخر الفصل الحديدي لرمح ، يقولون إنه كان ذلك الذي نفذ في جنب سيدنا المسيح .

"إننا لا نعتقد في هذا ، ولكنهم يحترمونه ويُعظمونه ويحملونه في موكب عندما يتضرعون إلى الإله في أوقات الحاجة ومن خلال قوته يحدث عدد كبير من المعجزات في تلك الدولة .

كما تعرف أن أثراً آخر ، أكثر احتمالاً يتم تعظيمه في روما ، إننا

نعتقد أن هذا الأثر كان أداة الشهادة لأحد الرسل الذين قاسوا في بلاد فارس ، الذين من خلال شفاعتهم يصنع الإله هذه المعجزات .

علاوة على تقليد هؤلاء الآباء الرهبان والتأكيد الذي يزعمون به أن رائحته زكية وعبيره غير عادي ، ينبعث من الذي بحث عن الإخلاص والتوبة من أعماق القلب ، فإنهم يعلنون أنه عندما سمع البابا بهذا السلاح المقدس طلبه من أحد الأساقفة ، وأن الأسقف رد عليه أنه بسبب المعجزات التي أجراها الله من خلاله ، .

كان هو عامل للتحول إلى المسيحية لعدد كبير من الكافرين وللحفظ في داخل إيمان كثير من المؤمنين في تلك المناطق ، وأن كل المواطنين من أبناء البلد يمكن أن يفقدوا أرواحهم ، وثرواتهم وزوجاتهم وأطفالهم بدلاً من أن يفقدوا ذلك ، ولذلك سحب البابا مطلبه ، وتركه لمواساة أولئك الناس الفقراء .

الفصل الثامن : بعض الأشياء اللافتة التي حدثت لأولئك الآباء الرهبان في بلاد فارس في خدمة الإله حتى وصولهم مع السفير .

في كل بلاد فارس وأرمينيا فيما وراء أصفهان كانت ملابس ، وهيئات الآباء الرهبان غير عادية ، ولذلك فإنهم لم يصلوا أبداً في أي مكان حيث لم تتم رؤيتهم كشيء ما مجهول وغريب ، عاملهم الناس النبلاء وهم مدفوعون بحب الاستطلاع بلطف ومجاملة ، كانوا مدركين أنه بعمل هذا يفعلون كما يرغب ملكهم ، ولا انعدام نفر من الناس الذين بحثوا لكي يتعلموا عن عقيدتنا لأن الآباء قدموها لهم ، على الرغم من أنهم فعلوا هذا من خلال حب الاستطلاع وحده .

عرف الآباء شيئاً ما عن اللغة التركية ، وبدأ الأب "جيلهيرم دي سانتو أوغسطينهو" يعظهم في الشوارع العامة في مدينة "غزوين" ، مخبراً إياهم عن خلق العالم ، وكيف ارتكب آدم خطيئته ، وكيف كفَّر عن هذه الخطيئة .

جاء ابن الإله إلى العالم لكي يصبح رجلاً ، وكيف أنقذ الرجال ومات على الصليب ؛ ولأنهم عرفوا شيء ما عن هذا ، فقد استمعوا له بانتباه . استمر الأب لكي يبين لهم كيف كانوا جميعاً مُضللين من خلال عقيدة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وأنهم لا يمكن أن يتم إنقاذهم بها إذا لم يندموا على خطاياهم ، ويتم تعميدهم ويتحولون إلى المسيحية .

فعل هذا في الطريق دون عائق ، وأسرعوا لكي يستمعوا له ، وفعل الآباء هذا في مرات عديدة دون خوف كوظيفة رسولية .

في مدينة تبريز ، التي هي مدينة رئيسة ومملؤه بالملالي ، أولئك المثقفين في دينهم . تجمع عدد كبير منهم وذهبوا إلى الآباء الرهبان لكي يسألوهم عن أسرار عقيدتنا ، مدفوعين كثيراً بحب الاستطلاع أكثر من الرغبة في الخلاص الروحي .

من بين هؤلاء جاء شخص متعلم وموقر من بابل ، رجل مقدس بينهم بشكل جعل كل فرد يعتبرهم بأنفسهم محظوظين عندما يصل أي شيء من أيديهم . لبس ثياباً بشكل مختلف عن البقية ، مرتدياً ثوباً كبيراً طويلاً منسوجاً من قطع من قماش مختلف ألوانه ، الذي يبدو ، ممثلاً للفقر وحمل كل الفضيلة في العالم . ابتهج الآباء أن جاء هذا الرجل لكي يستجوبهم ؛ لأنهم عرفوا أن كل المسلمين يحترمونه كرجل مقدس .

بعد أن حيَّاهم وناقش معهم أشياء عديدة عن العقيدة سألهم بعض الأسئلة ، أخبر الآباء أنه لفترة طويلة من الزمن أدرك أن عقيدتنا كانت الحقيقية ، وذم دين محمد (صلى الله عليه وسلم) لينال رضا الآباء الذين قدموا له الفرصة التي يرغب فيها ، لأن يأخذوه معهم ، ولكن لم يمكن التأثير فيه ، وعلى الرغم من أنه عاد مرات عديدة إلى نفس الفكرة ، يبدو أنه لم يكن من الذين كتب الله عليهم الهداية إلى عقيدتنا ، لأنه بقي مع محمده (صلى الله عليه وسلم) ، على الرغم من أنه غالباً ما يؤكد للآباء الرهبان أنه يمكن أن ينضم إلى المسيحيين قريباً .

هناك رجل مسلم آخر ، ثري ، وموقر ، وشجاع ، عاش في قرية خارج المدينة ، جاء إلى الآباء في مسألة خلاصه الروحي . جاء مع أفراد آخرين ولكن انتظرهم كي يرحلوا ومكث في البيت متأخراً لبعض الوقت ، ثم طلب منهم أن تغلق أبواب البيت . قال إنه قد أُتهم من قبل لأنه زار بيوت المسيحيين الأرمن ؛ حيث توجد كنائسهم الصغيرة والتضحية للإله ، وجعلوه يدفع غرامات مالية معينة وعاقبوه ، وبسبب هذا تحدث إلى الآباء سراً .

سأل عن سر الثالوث المقدس ، مُبيناً نية حسنة ، وهو يريد أن يُقنعهم بما رأوه فيه ، وأنه في الحقيقة قد كان مسيحياً لفترة طويلة ، وطلب منهم أن يعلموه الدين الكاثوليكي الذي رغب فيه ، وتمنى أن يموت عليه .

قدَّم الآباء الشكر للإله ، مبتهجين في داخلهم لفتح الطريق أمامهم ؛ لكي يغرسوا إنجيله المقدس في تلك المناطق وفي نفسه ، عندما تحدثوا إليه عن عظمة الإله ورحمته الواسعة الأبدية ، وعن كيف كانت

الحياة قصيرة ولا شيء فيها له فائدة للحصول على الجنة إذا لم يصبح الإنسان مسيحياً ، ذرف المسلم دموعاً كثيرة ساجداً بنفسه تحت قدمي الآباء مُتبركاً بهم ، ومُشتبثاً بثيابهم ، لذلك اعتقدوا أن الإله بنفسه قد فتح عيني عقله لكي يعترف بالحقيقة .

طلب إذناً بأن يقضي هذه الليلة مع الآباء ، واستقبلوه بإرادتهم وقدموا له طعام العشاء ، بعد العشاء استمروا في الحديث إليه بنية تنويره ، وكشف لهم أن السبب الذي لديه للبحث والوصول إليهم هو أنه لم يجد راحة في دينه غير الحقيقي المزيف ورغب في أن يبحث عن دين حقيقي ، هذا الذي كان عقيدتنا المسيحية .

أخبرنا أنه عندما كان والده ، الذي هو رجل زاهد ومُتقشف جداً ومغرم بحياة العُزلة ، على وشك الموت ، طلب في ساعته الأخيرة زوجته وأطفاله وأخبرهم أن دين محمد (صلى الله عليه وسلم) ، الذي اتبعوه لم يكن صالحاً ، وأنهم يجب أن يبحثوا عن الدين الجديد ويتبعوه إذا رغبوا في أين يتم إنقاذهم ، وأنهم يجب أن يفعلوا مثلما أخبرهم به . أمر بأنه حينما يموت ، يجب ألا يدفنوا جسده ، ولكن يضعوه في الشارع العام حيث يمر الناس من أمامه ، ويجب عليهم أن يتبيَّنوا دين من يتعامل مع جسده بإنسانية ويدفنه .

مات الرجل وتم وضعه في الطريق (دلاله واضحة على ما علمه المسيح في الأقصوصه) : مرَّ من أمامه رجل مسلم ، ومر من أمامه رجل وثني ، ومر من أمامه رجل يهودي ، وحيث إنه كان فعلاً مُشتماً منه رائحة كريهة ، أو إنهم أيضاً كانوا متأثرين بقلة الرحمة وعمل الخير

الذي لديهم ، تركوه وحده في الطريق ، وجده رجل مسيحي ، ولم يسمح له قلبه أن يرى جسداً ميتاً دون دفنه ، وأزاحه عن الطريق متأثراً بالشفقة وعمل الخير ، وحفر له قبراً ثم دفته .

كان أبناء الرجل يراقبون مندهشين ، وذهبوا إليه ، وعرفوا أنه كان مسيحياً أرمنياً . أدركوا أن إيمانه كان الإيمان الصالح والحقيقي ، وأنه هو الدين الوحيد الذي يمكن أن يؤدي إلى الخلاص الروحي ، كما أخبرهم به والدهم .

قال إنه حتى ذلك الوقت لم يوجد أحد يستطيع أن ينوره ، ولكن عندما عرف أن الآباء المسيحيين قد وصلوا إلى هناك ، لم يفقد الفرصة ، لأن الإله أحضرهم هناك لكي ينوروه . سألهم أن يُعمدوه وأنه حين عرفت أمه أيضاً وقد سمعت ما قد قاله والده ، كانت دائماً متشوقة إلى أن تصبح مسيحية ومُعمرة .

أجاب الآباء أن التعميد لا يمكن أن يتم بطريقة كهذه الدرجة ، وأن من يتسلمها يجب عليه أن يعيش تقياً ودون خطيئة .

أجاب الرجل المسلم إن أمه كانت في الحقيقة كبيرة جداً في العمر ، ولم ترتكب خطيئة أبداً ، عند معرفتهم أنها كانت كبيرة في العمر ، ومن أجل الخدمة التي يأمل في تقديمها إلى الإله في هذا ، ولكن يعملون على تقوية نيته ، أخبروه أن يرسل لكي يكشف عما إذا كانت أمه مصممة ، فعل هذا بمثابرة ، وتلقى رداً من أمه بأنها كانت كبيرة جداً في العمر ومريضة ، وأنه ليس ممكناً بالنسبة إليها أن تأتي إلى المدينة .

كان من غير الممكن أيضاً للآباء أن يذهبوا إلى هناك بسبب رحلتهم ،

التي كانوا يشعرون كثيراً بالأسف منها ، ولكن لا أحد يعرف أسرار الإله . ألح عليهم الرجل المسلم من أجل تعميده ، وألح عليه الآباء أن يأتي معهم إلى دولة مسيحية ، لأنه لم يكن من الصحيح أن يظل بين المسلمين بعد أن يتم تعميده .

أجاب أنه كان خائفاً جداً من إحدى زوجتيه الاثنتين ، وأنه أيضاً امتلك القرى والضياع . هؤلاء ، من أجل خطايانا ، هم العُقد التي بها يشدنا الشيطان إلى الوراء ، حب الزوجة ، والأطفال والملكية .

لم يستطع الآباء الرهبان أن يجدوا سبباً قوياً من أجله يمكن أن يتم تعميده ، ولذلك تركوه وهم على وعد بأن يترك زوجته ، وأطفاله ، وثروته ، عما قريب ويأتي إليهم في هرمز من أجل خلاصه الروحي .

توسل إلى الآباء الرهبان بحماس شديد ؛ ليتركوا له شيئاً مكتوباً على الورق من أجل راحته ، ولكي يذكره بما قد قالوه . أعطاه الآباء قطعة من الورق مع صليب مرسوم عليها ، وقد كتبت هذه الكلمات في أسفلها :

باسم الثالوث الأكثر قداسة ، الأب ، والابن ، والروح القدس ، ثلاثة أشخاص في إله واحد حقيقي ، ومن يؤمن بهذا بشكل حسن ويصدق ، ثم يُعمد سوف يتم إنقاذه . عام ١٦٠٤م ، أخذ الورقة وقبَّلها واحتفظ بها ، وسافر الآباء الرهبان .

الفصل التاسع : كيف أنقذ الآباء الرهبان بعض الأشخاص وأخذوهم معهم

عندما كان الأب "بلشيور" في تبريز دخل رجل مسلم شاحب اللون

من خلال الباب ، قبعته على رأسه ، هذه التي رمى بها على سطح أرضية الغرفة ، ثم بعد ذلك رمى بنفسه تحت قدمي الأب الراهب ، مبيناً الندم بدموع كثيرة .

طلب منه أن يكون رحيماً ، رحيماً به لأنه قد كان رجلاً مسيحياً ، ومتزوجاً في مدينة هرمز ، وأنه قد كان مسلماً لمدة عشرين عاماً ، وعرف أن روحه قد فقدت ، بدون الإيمان وبدون الإله ، وبدون الحقيقة ؛ ولأنه عرف أن عقيدته لم تكن صادقة ولن تقوده إلى السعادة ، ولأنه قد سمع بأن الأب أراح وساعد كل فرد لكي يعود إلى الإيمان الحقيقي والدين ، رغب في أن يفعل له نفس الشيء وألا يتخلى عنه .

هو مملوء بالفرح ، هدّأ الراهب من روعه ، وواساه وشجعه ، ووعد بأنه إذا تحدث من قلبه ، فإنه من الممكن أن يحميه ويدخله في الديانة المسيحية على نفقته الخاصة ، وأن يساعده ليس فقط روحياً ولكن أيضاً في الأمور المادية ، وقال كلمات أخرى للمواساة ، التي جعلته فجأة ينخرط ويجهش بالبكاء ويذرف الدموع .

أعطاه الأب شيئاً ما لكي يأكله ، وسأله فيما إذا أمكن له أن يبقى في البيت في ذلك اليوم ، وهكذا عرف الأب عنه ، أنه قد تزوج من امرأة مسلمة في جيلان ، وقد أصبح تاجراً هناك ، وقد باع بضاعته وكان في طريقه إلى الوطن . جعله الأب يأتي بحقائبه إلى البيت ويتخلى عن الرحلة ، التي كان مسروراً جداً أن يقوم بها .

عندما كان في البيت لبعض الأيام سأله الأب فيما إذا أمكنه أن يتوجه لإحضار زوجته ويأخذها إلى الهند ، الأمر الذي عرض في الحال

أن يفعله دون تردد ، لأن زوجته كانت فتاة عمرها أقل من ستة عشر عاماً ، وأحبها كثيراً جداً ، ويمكنها أن تتصرف كما أخبرها ، ولو أخذها ذات مرة من دولتها لأمكن أن تكون البقية سهلة .

افترض الأب أنه يمكن أن توجد صعوبات عديدة تمنع هذا ، مثل الحقيقة بأنه توجد لديها أم وأخوات وأقرباء ، ولأنها كانت صغيرة جداً ، ولكن عند رؤية تصميم زوجها والرغبة التي أظهرها من أجل خلاصه ومن أجلها ، أخذ قراراً لصالح الالتزام بوعده ، وأن يسمح له بأن يذهب ويجدها ، الأمر الذي به لا يمكن أن يُفقد شيئاً ، ويمكن تأكيد الروح التي يتم بها إرجاع هذا المارق إلى العقيدة .

عند مناقشة كيف يمكن تنفيذ هذا ، أخذه معه إلى مدينة "غزوين" حيث كان يوجد السفير ، والمدينة التي كانت على مسافة خمسة أيام من مملكة "جيلان" .

من هناك بدأ رحلته تاركاً أمتعة سفره في بيت الأب ، وواعداً بالعودة في خلال اثني عشر أو ثلاثة عشر يوماً . توسل الأب الراهب ألا يرسل مع السفير قبل ذلك ، وإلا فإنه يمكن أن يكون مفقوداً ، بدون الأمل في العلاج من أجل خلاصه الروحي ، في حالة أنه احتاج وقتاً أكثر مما توقع في جيلان لكي يقنع زوجته .

مرَّ الوقت وكان السفير يقوم بالإعداد للرحيل ، وبقي الأب لمدة أكثر من يومين أو ثلاثة أيام وهو حزين جداً لأن الرجل لم يأت .

على الرغم من أن السفير كان متلهفاً على الرحيل ، فإن العناية الإلهية قدَّرت أنه على الرغم من مجهوداته ، لم يكن مستعداً قبل

خمسة أو ستة أيام ، مرَّت بعد أن ينقضي الوقت المتفق عليه ، الذي من خلاله كان الرجل مسافراً من جيلان مع زوجته بسرعة شديدة إلى "غزوين" ولكن سرعته الشديدة لم تمنع مغادرة السفير ولكن مع الإله لا شيء يتم فعله دون جدوى إلا النهاية الحسنة . في يوم الرحيل كان غير قادر على الذهاب أكثر من فرسخين لأن كل شيء عرقل تقدمه .

في خلال ليلة اليوم الذي غادر فيه وصل الرجل مع زوجته ، واجداً أن السفير والأب الراهب قد ذهبا ، ترك زوجته وذهب جرياً وراءهما ، وهو متضايق جداً ومغطى بالغبار ، وعندما أراد الإله أنهما يستطيعان أن ينتظرانه ، كان في خلال وقت قصير مع الأب الراهب وأخبره أن زوجته كانت في "غزوين" . أعطاه السفير شهرين ومُترجمه الخاص ، وعاد إلى المدينة لكي يتوجه لإحضار زوجته .

جاءوا مع الأب إلى هرمز حيث تم تعميد الفتاة المسلمة بابتهاج شديد في ديرنا ، ومن هناك أخذهما الأب إلى "غوا" وحصل على إذن من محكمة التفتيش أمر رئيس أساقفة "غوا" بأنه يجب أن يتم زواجهما طبقاً للكنيسة الكاثولوكية ، وعاشا هناك كأفراد مسيحيين صالحين مدعومين بواسطة الصدقات ، ومنحة مالية من ديرنا في "غوا" ، والحمد لله .

في نفس مدينة تبريز وجد الأب الراهب مارقاً آخر ، "أنطونيو كالديرو" "Antonio Caldero" ، من "كانانور" قلعة على ساحل ملابار ، الذي قد أصبح مسلماً قبل إحدى عشرة سنة في "لار" بناءً على طلب الملك .

جعل منه الملك رجلاً عظيماً بهذا الشكل لدرجة أنه إلى جانب تزويجه لامرأة قريبة الصلة به كثيراً ، جعله رئيس القضاة لدى المملكة ،

المرتبة الثانية الأعلى . تم إلقاء القبض عليه من قبل "اللهفيردي خان" ، قائد جيش الشاه ، عندما استولى على مملكة "لار" ، وقتل الملك وجميع الزعماء الآخرين في الدولة .

على الرغم من أنه أخذ ممتلكات هذا الرجل ، ووضعه في السجن لمدة سنتين ، فإنه لم يقتل ، لأنه فيما بينهم خطيئة كبرى أن تقتل رجلاً يترك دينه الخاص ، ويعتنق دين محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ذلك ، ولأنه كان فارساً عظيماً في هذه الحرب مع سلطان الأتراك ، أعطاه "اللهفيردي خان" أسلحة وحصاناً ، وعند تركه زوجته وأطفاله في شيراز أخذه إلى تبريز حيث وجده الأب .

بذل مجهوداً للبحث عنه بتصميم ، لكي يتحدث معه عما هو ضروري من أجل روحه ، وأثّر فيه كثيراً جداً لدرجة أنه لم يترك بيت الأب الراهب ، وبدموع كثيرة وعلامات الندم ، بحث لكي يرجع إلى الإيمان . اعترف أن الاعتبار الوحيد الذي ربطه وقد شده إلى الخلف لأيام عديدة كان زوجته وأطفاله : له ابنتان صغيرتان وولد واحد .

ألح الأب أنه من أجل روحه يجب أن يقاسي كل القيود ، ولكن إذا أحبهم بصدق ، يجب أن يعيد ما عليه من فروض للإله في مقابل المخالفات التي ارتكبها بإيجاد طريق لكي يسحب زوجته ومن فم العدو ، ويبحث لكي يأخذهم إلى دولة مسيحية قرر أن يفعل كل شيء مثلما نصحه الأب الراهب ، وبصرامة شديدة أعطى أوامر لكي يضع هذا موضع التنفيذ .

ذلك لأن زوجته وأطفاله كانوا في شيراز ولا يستطيع أن يترك تبريز

دون أن يفضح أمره ، كان من المتفق أنه يمكن أن يعطي الأب خادماً مغربياً هذا الذي وثق فيه ، والذي أراد أيضاً أن يصبح فرداً مسيحياً ، وأن الأب من الممكن أن يذهب معه إلى شيراز ، ومن هناك يمكن أن يأخذ الزوجة والأطفال إلى هرمز ، متظاهراً بأنهم كانوا ذاهبين من شيراز إلى "لار" ، وأنه في الرحلة يمكن أن يكشف عن نفسه ويأخذ الزوجة والأطفال إلى بر الأمان بمخاطرة صغيرة .

ثم في حضور الأب الراهب أعطى "أنطونيو كالديرو" والرجل المسلم خمسمائة باردوس نقداً من عملة "لار" لما هو ضروري ، وحيث إنه قد ناقش هذه المغادرة مرات عديدة مع زوجته ، كتب إليها رسالة أخبرها فيها أنه بمجرد أن تراها يجب عليها أن تذهب مع خادمه ، وبعد ذلك يمكن أن يغادرا تبريز من خلال طريق آخر لكي يصلا معاً في نفس الوقت .

لتأكيد أحسن أرسل إليها خاتماً من إصبعه ومجوهرات أخرى كانت لديها ، يمكن أن يُبينها لها الخادم حتى لا تكون لديها شكوك في عمل ما أخبرها به .

أخذ الأب هذا الخادم معه وعندما بلغا "تبريز" أرسل الأب الرجل المسلم مع صبي أرمني لكي يساعده معها .

كتب عليه القدر أن الرجل المسلم مع الرسالة والمجوهرات لم يستطيع أن يجد زوجته في شيراز ، هذه التي أراد أن يأخذها معه بالإضافة إلى زوجة "كالديرو" لأنها قد ذهبت إلى "لار" ؛ لكي تزور أخت سيدتها .ولذلك قال للصبي إنه لم يجرؤ على أن يأخذ زوجة "كالديرو" دون زوجته ، ويجب عليه أن يذهب إلى "لار" ويحضرها ،

وبعد ذلك يحضرهما معاً ، وترك الصبي واعداً أن يعود في خلال خمسة عشر يوماً .

توقعهم الصبي بهذا الرد ، وأعطى الخبر إلى الأب الراهب الذي كان حزيناً جداً ولكن عندما أتوا بالتأكيد واقتنعوا أن الخطة يمكن أن يتم تنفيذها ، عارفين أن "كالديرو" كان راغباً للحد الذي يجب فيه على الأب ، حينما كان الرجل المسلم متأخراً في "لار" ، أن يرسل صبيه مرات عديدة لكي يطلب أن يتحدث مع زوجته ويقنعها ، بأنه حيث إن الرجل المسلم لم يأت ، فهي يجب أن تأتي معه ، لأن زوجها أمر بذلك .

لكنها كانت دائماً تؤجله ، قائلة بأنها وأطفالها كانوا مستعدين ، وتم وضع مقتنياتها في صناديق من أجل الوقت الذي يأتي فيه شخص ما لكي يتوجه لإحضارها لا تستطيع الكلمات أن تصف أسف الآباء بعد كل المجهود الذي وضعوه في المسألة دون نجاح ، وبدون إيجاد أي فرد لكي يتوجه لإحضارها حتى أنهم قد وضعوا مائتي "بارداوس" لزميل أحمق ، قد كان خادماً "لأنطونيو كالديور" مقابل ذلك .

كان السفير غير راض تماماً بأن يحيد عن طريقه لكي يتوجه لإحضارها برفقته ، مُعطياً الآباء سبباً بأنه لا يرغب في أن يتحمل مخاطر بعيداً عن الأماكن المطروقة ، ولا يمكن أن يُعرض رجاله للخطر ، ولذلك فإن عملهم كان في الواقع دون فائدة ، ولأنهم رأوا أن "كالديرو" رغب حقيقة في أن يترك طائفته من أجل عقيدتنا الحقيقية ، رحلوا وهم يشعرون بأسف شديد .

لم يغادر "كالديرو" تبريز لأنه عندما غادر الأب أُصيب بالمرض ، وكان على وشك الموت ، وبقي في بيت الدون "روبيرتو" ، الكاثوليكي الإنكليزي ، وفقاً لأمر تركه الأب الراهب . من هناك كتب رسالة إلى الأب الراهب مُعطياً إياه تقريراً عن مرضه الخطير ، قائلاً بأنه يجب أن يغادر بسرعة بمجرد أن يستعيد قوته .

تم إعطاء هذه الرسالة في شيراز للأب الذي استطاع أن يقرأها . ربما ، عند رؤية رغبته ، سوف يُقدر الإله أن يخذله الرجل المسلم في التوجه لإحضار زوجته وأطفاله ، وسوف يتوجه هو لإحضارهم بنفسه .

افترض الآباء ؛ نظراً للندم الشديد الذي رأوه فيه ، والتصميم الذي نبع منه أن يستدعوا زوجته وأطفاله ، وأنه لا يوجد شك في أنه إما أن يحدث له انتكاس في مرضه فلا يستطيع أن يعود أو من المحتمل أن يتم قتله في أثناء الرحلة .

ولندعو الإله أن تأتي نتيجة هذا العمل في وقت قصير .

الفصل العاشر : مواصلة للفصل السابق .

في نفس مدينة تبريز كان يوجد رجل من البندقية يسمى "جيوفاني باتيستا فلامينو" "Jiovani Batista Flamino" الذي قد أصبح مسلماً في مدينة أصفهان منذ ثلاثة أعوام ؛ حيث تم الترحيب به بشكل ودي من قبل الشاه الذي أغدق عليه عدداً كبيراً من الهدايا والنعم .

علم الأب الراهب به ، وبذل مجهوداً في البحث عنه ، وعامله بلطف مُستصغراً الخطيئة التي ارتكبها ، والتي لم يكن هو أول من يفعلها . هدّأ

من روعه بكلماته ، وبيّن له رحمة الإله مؤكداً على عقيدتنا الكاثولوكية وعلى تجاهل تلك التي لدى المسلمين مهتماً بالخطايا الخاصة .

أعطى الإله كلماته قوة ، ونفذت إلى قلبه لدرجة أنه في حديثهم الأخير عندما كان الأب على وشك المغادرة عرض عليه أن يرافقه في رحلة لمدة يوم واحد ، وذلك ما فعله بنية الإفصاح له عما في قلبه ؛ حيث قام الشيطان بأداء عمله في هذا الوقت : حينما خرج في الطريق متحدثاً مع الأب الراهب .

شعر الأب بأنه كان مضطرباً ، مُدركاً أنه كان هناك شيء ما غريب عنه ، ثم تحدث له بصراحة عن خلاصه الروحي ، وعن الخير لروحه ، وكيف كان الشيطان يضع عدداً كبيراً من الصعوبات في طريقه لكي يمنعه .

تحدثا حتى جاءت لحظة عندما تعرّف كيف كان الإله يُعدّه ؛ لكي يتغلب على إغواءات الشيطان ، وبتنهدات شديدة من قلبه أخبر الأب الراهب أنه اعترف بالمسيح سيدنا على أنه الإله الحقيقي وفادينا ، وأن دينه هو الدين الحقيقي الذي قد تركه كرجل شرير ، وأن دينه السابق لم يكن صواباً ، وهو الأمر الذي من أجله طلب رحمة الإله ، متعرفاً على خطيئته .

أخبر الأب أنه إذا هو أكد له أن دائنيه في الهند ، فقد عفوا عن ديونه ، وأمكن لمحكمة التفتيش المقدسة أن تستقبله برحمة ، فإنه من جانبه مستعد للعودة إلى الإيمان ، وكان مُتحدثاً بتنهدات كثيرة وشهقات ، بدا أنها تأتي من روحه .

هدّأه الأب ووعد بأن يتعهد بالتأكيدات التي طلبها ، وتشجيعه في

خططه التي جاءت منه في الطريق . في مدينة "غزوين" أعطى الأب الراهب رسالة من هذا المارق التي يؤكد فيها نبيته بتعبيرات كثيرة للتوبة ، فهو قد استودع مرة ثانية شؤونه لدى الأب ، متوسلاً إليه أن يسحبه من النار التي عرف نفسه أنه فيها .

وصل الأب الراهب إلى الهند وفي الحال تعامل مع دائنيه وحصل على عفو منهم ، وعلى إجابة مؤكدة من محكمة التفتيش ، وعلى الوعد بأنه يمكن أن يتم استقباله بكل الرحمة .

أرسل الأب هذه الرسائل مع إخواننا الرهبان الذين كانوا مغادرين ، ووجهها إلى الآباء في أصفهان : هيا ندعو لإله ربنا لكي يعمل من خلالهم ، وأن يتم إطلاق سراح هذه الروح من الأسر الذي حبسها فيه الشيطان .

إن الاهتمام الذي يستحق على الأقل أن يذكر هو فضل عظيم أعطاه الله لهؤلاء الآباء في مدينة "كاشان" ، مستخدماً إياهم كأداة لإنقاذ روح ، تمَّ أسرها بواسطة المسلمين في مدينة "رباط أي . باريان" بعد التبرؤ من الشيطان بالتعميد وجعلوها تتبرأ من الإله نفسه ، وتستسلم للشيطان كسجينة لديه ، مستخدمة من قبله كوسيلة للندم لعدد كبير من الأرواح الأخرى .

كانت هذه امرأة أرمنية شابة جداً وذات جمال رائع ، تم إحضارها بواسطة رجل مسلم ، وبسبب جمالها ، فقد تمَّ وضعها لمهمة البغاء العام ، مقدماً إياها لجميع الأنواع من الناس ، وحاصلاً على مقدار كبير من المال مجبراً إياها بالضرب واللكمات لكي تخبر كل فرد أنها كانت مسلمة .

حدث بالصدفة أن خادماً لدى سفير ملك إسبانيا الذي كان أرمنياً ذهب إلى البيت الذي كانت فيه ، وبدموع كثيرة توسلت إليه من أجل محبة الإله أن ينقذها من الحياة التي كان الرجل المسلم مجبراً إياها على العيش فيها ، وإذا هي ذهبت إلى بيت المسيحيين ، فإنه لا يستطيع أن يبعدها إلا بواسطة الخداع .

أخبر الأب الراهب بكل هذا ، وطلب منه أن يساعده في هذه الخدمة العظيمة للإله ، وبحثوا عن طريقه لمساعدة هذه الروح المسكينة ، ولأنه كان عمل الإله ، فقد أمدهم بطريقة حسنة . لقد أمر الشاه أنه لا يجب أن يتم إجبار أية امرأة على أن تصبح "بغياً" وأن كل أولئك اللاتي يتم إيجادهن على هذه الصورة بحب أن يتم إطلاق سراحهن في الحال .

عند معرفتهم أمر الشاه هذا ، أخذ الآباء الرجل الأرمني إلى بيت رئيس القضاة ، الذي يسمونه الرقم "The Rakam" ، رجل عادل ، سريع في تنفيذ أوامر الشاه وصديق للآباء . أخبروه عما كان يحدث وأن الرجل المسلم احتفظ بالمرأة لتلك المهمة الكريهة ، وإنها كانت متزوجة بالرجل الأرمني . قالوا هذا لأنه رغب في أن يتظاهر بأنه كان هكذا ، ثم لكي يجعل ذلك حقيقياً عندما يتم إطلاق سراحها .

أمر القاضي بأن يتم إحضار المرأة أمامه ، وعندما تم سؤالهما اتفقا معاً في ردهما على ماذا كانت أسماؤها الأرمنية ، ومن أين أتوا . حينما رأى القاضي أن إجابتيهما متطابقتان ودموعاً غزيرة تم إراقتها من قبل البنت الأرمنية ، والتعابير اللغوية التي تكلم بها الخادم الأرمني ، أعطاها إياه بحرية ، لأنها كانت زوجته .

في الالتماس المقدم من الرجل المسلم الذي كان ولي أمر الفتاة ، تم إعطاؤه وثيقة من قبل "مُلاَّ" للحصول على بغل لكي يستطيع أن يسترد المال الذي أعطاه لها ، طبقاً لمرسوم الشاه .

كان عجيباً رؤية سرور المرأة المسكينة بل ، والمحظوظة حيث خلصت نفسها من العلاقات الكريهة مع الشيطان التي شاركه فيها عدد كبير جداً ، ومواساة عظيمة للآباء الرهبان .

ألقت بأغطية الرأس الثمينة ، وعقد الباروك واللآلىء النفيسة ، وحلَّت شعرها المُصفر ، وأزالت جميع أدوات الشيطان الأخرى معطية كل شيء إلى المسلم الذي هو سيدها ، محتفظة فقط ببعض الملابس المتواضعة . أراد الرجل المسلم أن يأخذ تلك أيضاً ، ولكن الآباء لم يسمحوا له ، وأخبرهم السفير أن يدفعوا له ثمناً في مقابلها .

ثم أخذوها بعيداً إلى مكان آمن ، وقدَّر عليها الإله ربنا ما قد بدأ خداعاً انتهى حقيقة لأن الاثنين الأرمنيين رغبا في أن يتزوجا كل منهما الآخر ، مُسببين فرحاً شديداً لآبائنا الرهبان .

في مدينة أصفهان ، بناءً على طلب الآباء ، وجد القساوسة بعد تقصي الحقائق فيما إذا كان أحدهما أو الآخر متزوجاً أو أنه توجد عقبة ما أخرى ، أنهما كانا يتمتعان بالحرية ولا يوجد لديهما أي عائق ، ولذلك تم زواجهما في أصفهان حيث عاشا كفردين مسيحيين .

حينما سار الآباء الرهبان في طريقهم تجاه هرمز ، قابلوا بعض المسلمين الذين كانوا يُحضرون امرأة مسلمة مع طفلها . كانوا يجبروها أن تمشي بقربهما ، وإهانتها ، وكانت المرأة المسكينة وطفلها يبكيان وينتحبان .

سأل الآباء الرهبان ، المملوئين بالرحمة المسلمين : لماذا كانوا يفعلون ذلك بالمرأة؟ الأمر الذي ردوا عليه بأنها كانت أسيرتهم .

سأل الآباء فيما إذا كان يمكنهم أن يبيعوها لهم ، قالوا نعم ، ولذلك فقد اشتروها ، مقدمين مالاً في مقابلها هي والطفل وأخذوها بصحبة السفير .

أحضروا معهم أيضاً ثلاث فتيات أتراك وستة من الأرمن ، وامرأة كردية ، وامرأة جورجية ، واثنين من الصبية الأتراك ، وكان هناك صبي مسيحي أرمني آخر ، قد كان المسلمون على وشك أن يجروا عملية ختان له عندما فرَّ هارباً منهم لأنه كان خائفاً ، وأدركه الآباء ، ورحبوا به ، ثم أخذوه معهم .

لقد تم افتداؤهم وشراؤهم جميعاً من المسلمين بالمال الذين جمعوه من أجل هذا الغرض .

عموماً أحضر الآباء عشرين شخصاً معهم إلى هرمز ، وحوّلوا بعضاً منهم إلى أفراد مسيحيين هناك ، أخذوا الآخرين إلى "غوا" حيث وصلوا وسط احتفالات كبيرة ، مُبينين ثمرة وعظهم ومساعيهم .

ابتهج رئيس أساقفة "غوا" والآباء الرهبان وبقية الناس برؤية بواكير ثمار بستان الكرم الذي سوف يرغب سيدنا المسيح في أن يراه متزايداً أكثر فأكثر . هؤلاء الفتيات الجميلات أصبحن مسيحيات وتم تزويجهن لأشخاص وجهاء في "غوا" ويعيش الجميع حياة ورع برعاية الكنيسة الكاثولوكية .

الفصـل الحـادي عشـر : يحتـوي علـى رسالـة شكـر وتقدير للأوغسطينيين في بلاد فارس من البابا كليمنت الثامن مؤرخة في يوم الخامس من فبراير عام ١٦٠٥م .

الفصـل الثـاني عشر : يصـف تأسيـس ديــر أوغسطيـــني في "ساو تومي" "Sao tome" الأعوام ١٦٠٤ - ١٦٠٨م .

وفي العام نفسه (١٦٠٤م)

قدمت شهادة صادرة من "الأرثوذكسية" وتفويض بالنشر ، بتاريخ عام ١٥٨٥م-١٦٠٩م ، ويذكر فيها شط العرب ومبارك المشعشع المقاوم لسلطة الأتراك : (٥٧)

لم يرد في تاريخ ملوك فارس وهرمز فيما يتعلق بالرحلة من الهند إلى إيطاليا ، والذي كتب بواسطة "بيدرو تكسيرا" "Pedro Texiera" أي شيء ضد الديانة الكاثوليكية الإغريقية ، أو ما يتنافى مع المبادئ الدينية والأخلاقية ، إذ أكد لنا ذلك وبشكل خطي ، سعادة الموقر الكاهن "جاكويس تيرنوس" الأستاذ في علم اللاهوت المقدس في جمعية اليسوع عيسى(أ) والذي تم تكليفه بموافقة منا بقراءة النص ومراجعته .

كتب في "أنتويرب" بتاريخ الثاني والعشرين من سبتمبر عام ١٦٠٩م .

(أ) جاكويس تيرنوس هو أحد مواطنى بلدة أنتويرب (١٥٨٠م-١٦٣٦م) انظر .... مكتبة حملة المسيح المسيح ، حزمة ٨ ، ملف ٥٠ .

---

(٥٧) رقم الوثيقة والهامش.

"إيوان دل ريو" "Evan del Reo" ممثل الكاهن وعميد أبرشية "أنتويرب" "Antwerb" (أ) .

"Cum Gratia et privilegio ad quadriennium signat" .

"Wouwere" (ب)

عــام ١٦٠٤م رحـــلة "بيدرو تيكسيرا" ، أخبار رحلتي من الهند إلى إيطاليا .

الفصــل الأول : فيما يختص بالأسباب التي دفعتني للقيام بهذه الرحلــة ، مع ملاحظات موجــزة عن الرحلة السابقــة من الهند إلــى إسبانيا عن طريق الفلبين .

في عام ١٦٠٠م بعد الميلاد كنت موجوداً في المدينة الحصينة "ملقا"(ت) في تلك المنطقة التي سماها القدماء شبه الجزيرة الذهبية ، وفي ظل رغبتي في الإبحار إلى موطني البرتغال ، فكرت في القيام بتلك الرحلة عن طريق جزر الفلبين توفيراً للوقت وأيضاً للتعرف على البعض من بلدان العالم .

(أ) لم أعثر في الكتب التى قرأتها على أية إشارة لهذا الرجل ، ولكن ربما يكون أحد أقرباء مارتن أنطوان دل ريو ، من مواطنى أنتويرب (١٥٥١م-١٦٠٨م) وهو كاتب كثير الانتاج (انظر باكير صمر فوقل المصدر نفسه- حزمة ٢ ، ملف عام ١٨٩٤م وما بعده .

(ب) جان فان فوفيرين ، من مواطني أنتويرب (١٥٧٦م-١٦٣٥م) وهي المدينة التي تم فيها تعيينه مستشاراً لمجلسها في عام ١٦٠٢م . لمزيد من المعلومات عنه انظر ...... ديلفين : سيرة الملك ....

(ت) في المقدمة إشارة لتوضيح مسألة وجود تيكسيرا في قلعة ملقا . D .F .

كما إنني أيضاً لم أشأ إهدار الفرصة الذهبية التي تهيأت لي ؛ إذ كانت هناك سفينة جاهزة للإبحار ، كان القائد "مارتن أفونصو دى ميلو"(أ) يقوم بإرسالها لأجل تحذير حاكم تلك الجزر ، وتنبيهه بدخول الهولنديين في ذلك البحر(ب) .

(.... نص مفقود .....)

ملك فارس ، والتي تقع في الشاطئ التابع له ، وهي محصنة جيداً ، وفي الشمال يوجد رق (سيف الدين) "سيفادين" ، أي ما يعرف بشاطئ سيفادين(ت) مثل معظم بقية مناطق الساحل الفارسي إذ يوجد به مجموعة من العرب من دافعي الجزية للشاه أو الملك ، والبعض منهم يتبعون للبرتغاليين ، وكانوا يحملون معهم قراطيس (أوراقهم الثبوتية(ث)) بصفة مستمرة تفادياً لخطر مواجهة سفن البرتغاليين التي تجوب تلك المياه بصفة مستمرة .

(أ) كان قد تم تنصيبه في هذا المنصب بعدما أصبح شاغراً بعد نهاية فترة فرانسيسكو دا سيلفا دى منسيس في عام ١٥٩٩م- انظر كاوتو- ديسمبر ١٢ الفصل ١٦ ، ثم قارن الملحق ب- الفصل (29- D .F infra) .

(ب) انظر رحلة القائد ساريس (Hakluyt . Soc .ed) .
المقدمة ص D .F . 33 .

(ت) بندر رق (وليس رف) وتعنى بالفارسية الخليج الرملي ومن المحتمل من واقع النظر إلى إنه رق سيفادين- أي سيف الدين وهذا الإسم مشاع في فارس وفي مسلمان الهند وسوف نستعرض أسماء الكثيرين من زعماء "هرمز" فيما بعد ؛ لكن في عام ١٦٦٥م ، لم يكن قد اتخذ اسمه هذا بعد بل كان يسمى بندر رق أو رق ، وانما وضع الإسم بعد نهر بوشافير وبعد ابحار مسيرة يوم كامل من بندر ريشر .
(Travels into the Levant- Lovell's Translation London Pt, 11 chap .Viii) .

(ث) اعتقد أن اللفظين اللذين وردا أن تكون لهما أهميتهما في النص الأصلي بالاسبانية .

فيما بعد ساءت العلاقات بين رجال رق "سيفادين" والبرتغاليين ؛ وذلك نظراً للمظالم التي سبق ذكرها ، وبالتالي ؛ وخوفاً من المراكب الأربعة التي أبحرت معنا ، فقد عمل سكان المنطقة على إخلاء وهجر الجزيرة "خرج" "Karg" التي تبعد نحو ثلاثة أميال داخل البحر ونحو ميلين حسبما تشير إليه إبرة الملاحين .

هذه الجزيرة (خرج) توفر ملاذاً جيداً وآمناً من الرياح الشمالية الغربية . أما تضاريسها فبشكل عام تغلب عليها الملامح الجبلية والسمات الصخرية ؛ لكن تتوفر فيها المياه العذبة ، وبعض بساتين النخيل بالإضافة إلى قطعان الضأن والأغنام .

هنا تتم زراعة البصل بكميات وفيرة تكفي حاجة السكان ، ويتم شحن الكميات المتبقية إلى باسورا الصرة وبقية الموانئ الأخرى .

عموما يلاحظ أن معظم السكان من العرب[أ] .

في هذا المكان ألقينا مراسينا وذلك في يوم الخامس والعشرين من يوليو ؛ حيث بقينا مدة أربعة أيام في انتظار هبوب رياح مواتية .

في هذه المنطقة تبدو الأماكن العالية في فارس قريبة من البحر حيث تقف سلسة جبلية على مرأى من أنظارنا ، ومن هنا تبدو داخلة في البر الرئيس [ب] ، ومن ثم تختفي عن الأنظار ، أما اليابسة ، فتبدو منخفضة نوعاً ما بحيث لا تتيسر رؤيتها حتى من مسافة قريبة .

(أ) تلك هي كارانج التى وصفت بألفاظ مماثلة في قبطان الخليج الفارسي حيث ورد الحديث بتوفر بعض الخضروات .

(ب) وبالمثل قبطان الخليج الفارسي .

هناك نهران عميقان يوفران مياهاً عذبة يصبان في الجوار في منطقتي "ريشيل" ورق "سيفادين"[أ] .

عليه أبحرنا نحو الغرب حتى اختفت الجزيرة عن أنظارنا ، بالرغم من علمنا بأنها قريبة ؛ نظراً لانخفاضها ، وقد تولى قيادة مركبنا في هذه الرحلة أحد القباطنة المسلمين الذي رافقنا في (خرج) هذا الرفيق ، وبالرغم من أنه يتمتع بسمعة كبيرة في مجال الملاحة في تلك البحار الضيقة إلا أنه أجزعنا ، وانحرف بنا في مسار يطلق عليه المسلمون اسم "الكرب / الكر" أي الخراب [ب] .

يقولون إن هناك مدينة عظيمة قد غمرت بالمياه ؛ نظراً لوقوعها في منطقة منخفضة يبلغ عرض هذا القنال حوالي أربعة أميال ، وله العديد من الضفاف ، وغالباً ما يتم عبوره بواسطة دليل ؛ نظراً لاختلاف الأعماق ، وتباينها حتى ثلاث قامات في أحسن الأحوال ، وبعدما تجاوزناها ، وجدنا المزيد من المياه واليابسة على كلا الجانبين .

بعدما أبحرنا على طول الساحل الفارسي ألقينا مراسينا في قنال شط العرب "بمعنى نهر العرب" وكان ذلك في شهر أغسطس . الذين يطلقون على النهر لفظ (شط) والأقل منه لفظ (خور) أو (وادي) .

(أ) يعرف نهر ريتسيل باسم خور سلطاني وهو عبارة عن خليج واسع ذي حاجز ضحل في أبوشهر . أما بندر رق فهي منطقة ذات خور صغير (قبطان الخليج الفارسي) وتبرز خرائط P. G. S نهر شهبور بمشهد رائع في وسط المسافة بينهما .

(ب) خراب هي ترجمة للكلمة التى وردت وذلك باللغتين العربية والفارسية . أما اللفظ في لغتنا الهندوسية المعروفة فيعنى السيئ أو الردئ ، ومؤخراً استعاد المكان اسمه لكنه اختفى الآن من خرائطنا ومن خرائط (قبطان الخليج الفارسي) .

أما في إسبانيا فهناك أسماء مثل ودي الكبير ، ودي القصير وديانا وأسماء أخرى .

يتكون النهر الذي عمل الرجال على التذود بالمياه العذبة على بعد ثلاثة أميال منه ، من نهرين عظيمين هما "الدجلة" و"الفرات" ، اللذان يلتقيان في القرنة آخر منطقة في بلاد الرافدين وتقع وسطهما وتبعد هذه على مسافة مسيرة ثلاثة أيام من الصرة ، وللأتراك في هذه المنطقة قلعة اسمها قرنة ، وهي بمثابة مركز مراقبة في كلا الرافدين[أ] اللذين يلتقيان فيها ؛ لتفريغ مياههما بين الشواطئ الموازية في كلتا الضفتين .

بما أن الأجزاء الشمالية أو السهول الفارسية تؤول لملكية مبارك ابن مطلوب ، وهذا من زعماء العرب المناوئين للحاكم التركي ، وهو في حالة حرب ضده بسبب ادعائه بحق ملكية هذه المناطق وإقليم الصرة[ب] ، وفي أقاليمه تلك نجد أن أهم مدنه هي مقدوم- عويزه ودوريكا [ت] .

هنا نلاحظ حالة الإهمال لهذه المناطق بسبب القحل ، وأيضاً بسبب

(أ) كورنة- قورنة- قرنة في الخرائط الحديثة ، ومن المحتمل أن يكون الاسم الصحيح كورنا- قرن- أو نحوه مجازاً (موقع (؟) ، واللفظ شائع في الجغرافيا الاسيوية في الشاطئ أو البحر .

(ب) بخصوص مبارك انظر أيضاً ديلافالى : رسالة رقم ١٧ من بغداد ١٠ ديسمبر - ٢٣ عام ١٦١٦م . [مجموعة من الرسائل الملكية في وثيقة تشير إلى مباريكا] . Doc . Rem, tom I and ii . وهو الاسم الذي أشار به أو أطلقه عليه البرتغاليون لأجل دفعهم إلى تكوين حلف معه دفاعى وهجومي ضد الأتراك (D .F) .

(ت) مكتوبيه - أهواز - أو من المحتمل هوازيه - دوراك - داوراك أو فلاحية - خرائط R .G .S فارس .

الخوف من الأتراك ، أما المناطق التي تقع على الضفاف العربية ، فهي خصبة ، ومستصلحة ، وتكثر فيها بساتين النخل والفاكهة والحدائق[أ] .

بجوار هذه المنطقة يتجه النهر بحيث يكون عرضه هنا نحو ميلين بعمق ست قامات في موسم انخفاض منسوب المياه ، وبتيار قوي نوعاً ما .

يُشاهد على كلا الشاطئين قطعان كثيرة من المواشي ، وأسراب الأوز ، والبط والطيور الأخرى وقطعان البهائم .

معظم السكان هنا من العرب ، ويتم التواصل بينهم عن طريق السباحة ، ويستخدمون جلوداً منتفخة ، وقد جاءت مجموعات كبيرة منهم إلى سفينتنا ؛ بقصد بيع الدجاج ، والبط ، والأوز ، واللبن ، والجبن ، والتمور ، ومأكولات أخرى رخيصة السعر .

كانت هناك رياح رأسية قوية ، لذا فقد شرعنا في الإبحار ببطء في أعلى النهر ، وبعدما قطعنا مسافة ثمانية أو تسعة أميال ، أدركنا أن النهر يتفرع إلى قسمين متساويين ؛ بحيث يتدفق أحدهما ناحية الجنوب ، عبر الجزيرة العربية ، بحيث يصب في الخليج الفارسي عند قطيف بالقرب من البحرين مكوناً تلك الجزيرة التي يمكن أن يبلغ طولها حوالي ثمانية أميال[ب] .

(أ) ما يزال هذا الاختلاف موجوداً – (قبطان الخليج الفارسي والخرائط) لكن ليس بالإمكان التثبت الآن من مضائق تيكسيرا . لأن مجرى النهر تغير كثيراً .

(ب) تلك الترجمة تبدو لفظية .. ، ومن الصعوبة بمكان أن يُفترض أن تيكسيرا قد اعتقد أن يكون مدخل شط العرب قد وصل القطيف . بالقرب من جزيرة البحرين بحيث إن ذلك آخر ما يجعلنا نعتقد أنه قد زارها ، ومع ذلك فإن المسافة حسب بعدها الجغرافي بواقع ٢٠ درجة تتفق مع ذلك الموقع . لكن يمكن للمرء أن يفترض أن مؤلفنا قد اختلط عليه الأمر بسبب جهل ذلك القبطان الكذوب .

أما القنال الآخر ، فهو الذي أتينا عبره ، ومن هذه النقطة اتبعنا مجرى عريضاً وعميقاً إلى أعلاه حتى وصلنا إلى جزيرة في وسط النهر ، بطول ميل واحد ، وعرض يبلغ حوالي نصف الميل ، وهي جزيرة تنتشر فوقها الغطاءات الخضراء ، وتمتلئ بساتين النخل والحدائق[أ] .

في الجانب العربي يبدو النهر عميقاً ، وقد واصلنا الإبحار حتى الثامنة صباحاً من يوم السادس من أغسطس حتى وصلنا "سيراج"[ب] التي تبعد حوالي خمسة عشر أو ستة عشر ميلاً من الحاجز حيث تقوم السفن بتنزيل حمولاتها من البضائع .

في هذا الموقع ألقينا المرساة بالقرب من متن قلعة كان الأتراك قد شيدوها على جانب النهر في إقليم "ممباريكا" ، وقد تبين لنا أنها ليست الوحيدة ، وإنما هنالك العديد من القلاع المشيدة بجوارها ؛ لأجل حماية المنطقة ، وحماية أتباعهم ضد غارات العرب .

غادرت السفينة ودخلنا في قنال بلغ عمق الماء فيه حوالي قامتين عند انحسار المياه عن اليابسة (الجزر) وأكثر من ثلاث قامات عند المد .

في ظل الإحساس بحركة المد والجزر في تلك المياه العذبة[ت] تنهمر

وفي وصف البصرة المأخوذ من سالون .

MS . 197- in The Comment of Aj Dalb, VoL IV, pp 232-238.

يورد الكاتب الافادة نفسها فيما يتعلق بالفرع الذي يصل إلى قطيف . (D .F) .

(أ) يبدو الوصف يتلاءم وينطبق على جزيرة (المحلة) الحديثة التى تقع أدنى المدخل الذي يؤدى إلى الحفر أو القتال في كارون (قبطان الخليج الفارسي) .

(ب) لم يُشر لها في (قبطان الخليج الفارسي) أو الخرائط ، غير أن كيبرز آت إلى (سراجي)– وهي تقع في أسفل منطقة البصرة في الضفة الغربية .

(ت) صعوداً وهبوطاً في البصرة حوالي ٩ أقدام ، ويصل تأثير حركة المد والجزر نحو ٣٠ ميلاً ما وراء

المياه من ذلك الجدول على كلا الجانبين في الأراضي المحروثة ، فتجد أشجار النخيل والمزارع كميات وفيرة للري .

بعـــدما قطعـــنا مسافـــة أقـــل مـــن مـــيل واحد وصلنا إلى مدينة باسورا (البصرة) .

"باسورا"[أ] (البصرة) هذه مدينة عربية تقع على بعد ميلين غرب منطقة التقاء نهري دجلة والفرات وتربط ....

...... صفحة ٢٨ - نص مفقود

...... صفحة ٢٩ - نص مفقود

من داخل وخارج الأسوار التي تم تسريع عملية بنائها ، ولعل السبب أنه قبل مضي ثمانية أو تسعة أيام من تعرض مخزن البضائع للحريق حدث أن تعرضت كمية من عبوات جلدية مليئة بالبارود لانفجار عظيم ، صاحبه صوت مدوي ، بحيث إن الناس حسبوا أن العالم قد وصل إلى نهايته .

تبين أن أضراراً بليغة قد طالت المدينة التي ربما كانت قائمة هنا منذ قرنين من الزمان وهي الآن في موقعها[ب] الثالث ، وقد ظل الأتراك

القرنة بينما يستمر النهر في الجريان و تتقلص حركة الارتفاع والهبوط تدريجياً حتى تنعدم تماماً (قبطان الخليج الفارسي) المياه هنا حارة وآسنة أكثر من تلك التى توجد في كارون ولا شك أن السفن تفضل الأخيرة (المصدر نفسه) .

(أ) انظر وصف البصرة المشار إليه في الحاشية (سوربرا DF) .

(ب) تجدر الاشارة هنا إلى أن التنقل الكثير لمواقع المدن الأسيوية وإعادة بنائها من حين لآخر إنما يعزى بصفة خاصة إلى تواجدها في السهول الغرينية . ، ويبدو أن تيكسيرا يعلم تماماً عن انتقال موقع البصرة ، وقد أشار إلى موقعها الثاني في ص ٣٤ وللأول في ص ٣٥ .

يسيطـرون عليها قرابة الخمسين عاماً أو يزيد ، وذلك بعدما قام أحد الطغاة العرب بالاستيلاء عليها وبعدها تنازل لهم عنها مقابل حمايته[أ] .

أما بخصوص عادات سكانها ، وأزيائهم ، وتقاليدهم ، فلا شيء يمكن أن يُقال ، لأنهم جميعاً من العرب والأتراك وعادات هؤلاء معروفة تماماً .

هنا يتم التعامل بجميع العملات من الفضة والذهب ، وتجد طريقها إلى هذه المدينة حيث تستخدم في عمليات البيع والشراء . غير أن العملات التي تصل هنا هي من الفضة والنحاس .

بداية نجد أن العملات الفضية تتمثل في "اللارين"[ب] وهي تعادل خمسة وستين "مارافيدساً" . أيضاً هناك عملة دائرية تعرف باسم "شايز"[ت] تماثل الريال "سيشللو" ، وهي أقل قيمة عن الأخرى .

هنا لا توجد أية مبان جديرة بالذكر والأهمية ؛ أما في المدينة فهناك العديد من المسابح الشعبية وهي نظيفة ومربحة ، وهناك قانون يسمح بوجود الرجال ابتداء من الصباح وحتى الظهر ، وللنساء فترة من بعد الظهيرة ، وحتى مغيب الشمس ، ويفرض هذا القانون عقوبة صارمة لكل من يتعمد إلحاق الضرر والأذى بالغير أو مخالفة هذا القانون .

(أ) حدث هذا في عام ١٥٤٦م (انظر كاوتو/ ديسمبر/ الفصل الخامس D.F .

(ب) سميت بذلك نظراً لمدينة "لار" إذ يقال إنها المدينة التى ضربت فيها تلك العملة ، ويقال إنها في ذلك الوقت كانت تعادل عشرة بنسات . يمكن العثور على ملحوظة مفسرة في هذا الموضوع في كتاب" قراى" المجلد أ – ص ٢٣٢ انظر أيضاً الملحق سي D.F .

(ت) في ذلك الوقت بلغت قيمة الشاهز حوالي ٤ بنسات إنجليزية/ انظر الرسائل التى تلقتها شركة الهند الشرقية/ المجلد ٣/ ص ٣٢٦ . D.F .

أما القنال الصناعي كما ذكرت ، فينساب إلى داخل البلاد ؛ بحيث يستفاد من مياهه في ري الحقول والمزارع الضخمة ومجموعة كبيرة من حقول وبساتين النخيل والفواكه .

يؤكد الرجال القدماء لي أن ذلك القنال قد كان في يوم ما صالحاً للملاحة بحيث يمكن التوغل فيه لمسافة ثلاثين ميلاً ، وبالرغم من أن هذا الأمر أصبح عسيراً في الوقت الراهن إلا أنه عموماً يشهد بجهد وإبداع إنسان ذلك العصر .

في أحد الأيام كانوا قد أخذوني برفقتهم حيث أبحرنا لمسافة ثلاثة أميال تقريباً ، وذلك بغرض زيارة (شيخ) أو اللورد ويطلق عليه اسم شيخ محمد ابن رشيد ، وهو رجل له حضوره ، وحقيق بذلك المقام بل أرفع منه .

بواسطة المترجم[أ] كان قد تحدث معي كثيراً مظهراً سعادته برؤيتى لأنه لم يسبق قط أن رأى أحداً من الفرنجة ؛ حيث يسمون مسيحيي أوروبا بهذا الاسم . كان اللورد قد أعجب بالزي الذي أرتديه ، وبحديثي الذي أولاه الكثير من الاهتمام .

بعدها أكرم وفادتنا ، واستمتعنا بالطعام الذي أعده لنا "حيث ذبح لنا شاة" استأذنت بالانصراف ، وبدأت رحلة عودتنا ممتعة ، وفي أحد المواقع أبصرت بعض المسلمين ، فتوجهت للرب بالدعاء بكل وقار ، ومرة أخرى رأيت على الشاطئ منزلاً صغيراً يبدو كصومعة ،

(أ) هذه إحدى الفقرات التى تشير إلى أن تيكسيرا لا يعرف اللغة العربية بشكل يفوق معرفته بالفارسية ، ومؤخراً بدأت معرفته بالتركية أقل من معرفته باللغة العربية .

ولما سألت عنه قيل لي إنه مخصص لعيسى بن مريم ، وقد أطلعوني على البلاد والكثير من بساتين النخيل والحقول التي خصص ريعها لمساعدة الصومعة وخدماتها الأمر الذي عجبت له كثيراً لأننى علمت أن المسلمين يعظمونه ، ويجلونه ، ويدعونه (روح الله) ، لكنني لم أعلم قط أنهم قد خصصوا له معبداً .[أ]

(أ) إن التعابير الحذرة في هذه القطعة لا تسوى شيئاً ، (كيزر لنق المصدر نفسه (انظر ص ١٧٠) ولقد اقتبس هذه الإفادة من تكسيرا وأضاف ما يلى (إنه مما لا شك فيه أن تلك بقايا المجتمعات المسيحية) ويستطرد كيزر لنق قائلاً : "من الغريب ألا يتطرق لذكر يهود هذه المدينة الذين بلغ تعـداداهم في زمن بنجامين توديلا حوالي ٢٠٠٠ نسمة ، وعموماً إذا اعتبرنا أن الـ ٣٠٠٠ أسرة اليهودية الذين سكنوا المنطقة لمدة ٢٠ سنة فقط قد تزايدت أعدادهم حتى بلغت ٥٠ فلا يستبعد قط أن يكون عددهم .... (نص ناقص ....) .

دليل الباحثين

الوثيقة رقم : ١

صدور خطاب من الملك إلى نائب الملك "ماتياس دي البوكيرك" "Mathias de Albuquerque" ، بتاريخ الخامس عشر من شهر فبراير عام ١٥٩٣م ، ويأمره بتحصين القلاع في مسقط وهرمز .

(صفحة رقم ٩)

الوثيقة رقم : ٢

صدرت رسالة من الأب "أنطونيو مونسيرات" "Antonio Monserrate" (جمعية يسوع) إلى الأب "كلاوديو أكوافيفا" "Claudio Aquaviva" (جمعية يسوع) الأسقف العام لجمعية يسوع في "روما" ، صنعاء (الجزيرة العربية) ، في الثاني والعشرين من شهر يوليو عام ١٥٩٣م ، ويذكر فيها الاستيلاء على السفينتين البرتغاليتين بعد مغادرة ظفار .

(صفحة رقم ١٣)

الوثيقة رقم : ٣

صدرت رسالة من الملك ، إلى نائب الملك "ماتياس دي البوكيرك" ، "لشبونه" ، في يوم الثالث من شهر فبراير عام ١٥٩٤م ، ويذكر فيها مراسلات مع ملك فارس . **(صفحة رقم ١٧)**

الوثيقة رقم : ٤

وردت تعليمات خاصّة ، يأمر جلالة الملك بأن تُعطى إلى "الكونت" أمير البحر ، نائب الملك في الهند ، "مدريد" ، في يوم الثالث من شهر مارس عام ١٥٩٤م ، ويذكر فيها أنه سيرسل سفيراً لشاه فارس ، والتهنئة على انتصاره على السلطان التركي . **(صفحة رقم ٢٠)**

الوثيقة رقم : ٥

صدرت رسالة من الملك ، إلى نائب الملك "ماتياس دي البوكيرك" ، "لشبونه" ، في يوم الثالث من شهر مارس عام ١٥٩٤م ، ويذكر فيها المراسلة مع ملك فارس . **(صفحة رقم ٢٣)**

الوثيقة رقم : ٦

صدرت رسالة من الملك ، إلى نائب الملك "ماتياس دي البوكيرك" ، "لشبونه" في السابع عشر من شهر فبراير عام ١٥٩٥م ، يخبره فيها بأن ملك هرمز لقلة الدخل يطلب منه أن يسمح له باحتلال قلاع قريبة . **(صفحة رقم ٢٧)**

الوثيقة رقم : ٧

صدر خطاب من الملك إلى نائب الملك "ماتياس البوكيرك" ، "لشبونه" ، الثامن عشر من شهر فبراير عام ١٥٩٥م ، ويأمر فيه بأن مسقط يجب أن تعتمد على هرمز .

(صفحة رقم ٣٠)

الوثيقة رقم : ٨

صدر مرسوم ملكيّ ، "غوا" ، في يوم الثامن من شهر مارس ١٥٩٥م ، ويذكر فيه أن ملكة فارس امرأة مسيحية ، وهي والدة الملك شاه عباس .

(صفحة رقم ٣٤)

الوثيقة رقم : ٩

صدر مرسوم من نائب الملك ، "غوا" ، في يوم السابع عشر من شهر يناير عام ١٥٩٦م ، يذكر فيه أن لجنود هرمز مخصصات إضافية على رواتبهم .

(صفحة رقم ٥٥)

الوثيقة رقم : ١٠

صدرت رسالة من الملك إلى نائب الملك "الكونت أمير البحر" ، "لشبونـــه" ، فـــي يـــوم الثامن والعشرين من شهر يناير عام ١٥٩٦م ، ويذكر فيها اتفاقـــية سـلام مـــن قبل البرتغالـــيين مع ملك "لار" .

(صفحة رقم ٥٩)

الوثيقة رقم : ١١

صدر خطاب من الملك إلى نائب الملك الكونت الأميرال ، "غوا" ، الخامس من شهر فبراير عام ١٥٩٧م ، يخبر فيه الملك بأن هرمز هادئة وملك "لار" يشن الحرب في عدة مناسبات . **(صفحة رقم ٦٥)**

الوثيقة رقم : ١٢

بعث الملك رسالة إلى نائب الملك الكونت الأميرال ، "غوا" ، الخامس عشر من شهر فبراير عام ١٥٩٧م ، بشأن الخيول القادمة من هرمز . **(صفحة رقم ٦٨)**

الوثيقة رقم : ١٣

صدر أمر من نائب الملك ، بشأن البضائع المرسلة من الهند إلى قلعة هرمز ، "غوا" ، السادس من شهر نوفمبر عام ١٥٩٧م ، بشأن منع جميع السفن الواصلة ليلاً أو المبحرة من هرمز . **(صفحة رقم ٧٤)**

الوثيقة رقم : ١٤

صدر أمر من نائب الملك ، بشأن البضائع الواصلة إلى دار الجمارك في قلعة هرمز ، "غوا" ، السادس من شهر نوفمبر عام ١٥٩٧م . **(صفحة رقم ٧٧)**

الوثيقة رقم : ١٥

صدرت صورة من الالتماس والملاحظات المقدمة لجلالة الملك ،

بتاريخ عام ١٥٩٨م ، ويذكر فيه طرد أفراد الحامية التركية في مصوع ، وأن الأتراك لديهم قلاع على جزر في البحر الأحمر مثل مصوع وسواكن .

(صفحة رقم ٨١)

الوثيقة رقم : ١٦

صدر خطاب من الملك إلى نائب الملك "الكونت الأميرال" ، "لشبونه" الثامن من شهر يناير عام ١٥٩٨م ، قد كتب فيه أنه لم يكن هناك من عائد في مصلحة الجمارك في هرمز ذلك العام ؛ لأن القوافل من البصرة وفارس لم تأت .

(صفحة رقم ٩٦)

الوثيقة رقم : ١٧

صدر خطاب من "فيليب الأول" "Philipe I" إلى "د . فرانسيسكو دا جاما" ، نائب ملك الهند ، "لشبونه" ، الخامس عشر من شهر يناير عام ١٥٩٨م ، ويذكر فيه أن ملك فارس كان بصحة جيدة ومزدهراً وفي سلام .

(صفحة رقم ٩٨)

الوثيقة رقم : ١٨

صدرت رسالة من "فاروق شاه" ، ملك هرمز إلى نائب الملك ، هرمز ، في الحادي والعشرين من شهر مارس عام ١٥٩٨م ، ويشكر فيها قائد هرمز .

(صفحة رقم ١٠٨)

الوثيقة رقم : ١٩

صدرت رسالة من الملك إلى نائب الملك ، "الكونت الأميرال دوم فرانسيسكو دا غاما" ، "كونت فيديغويرا" ، "غوا" ، في الثلاثين من شهر مارس عام ١٥٩٨م ، يأمر ببناء قلعة على التل بمسقط التي ربما دخل منها الأتراك .

(صفحة رقم ١١٠)

الوثيقة رقم : ٢٠

صدرت رسالة من "فيليب الأول" إلى "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند ، "لشبونه" ، الثالث من شهر إبريل عام ١٥٩٨م ، ويذكر فيها العناية بقلعتي هرمز ومسقط .

(صفحة رقم ١١٢)

الوثيقة رقم : ٢١

صدرت رسالة من الملك إلى نائب الملك "الكونت الأميرال" ، "لشبونه" ، الخامس من شهر إبريل عام ١٥٩٨م ، ويذكر فيها العناية بقلعتي هرمز ومسقط .

(صفحة رقم ١١٤)

الوثيقة رقم : ٢٢

صدرت رسالة من "ديوغو فيلهو" "Diogo Velho" إلى "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند ، "لشبونه" ، السادس من شهر إبريل عام ١٥٩٨م ، جاء فيها أمر بإزالة العوائق التي بهرمز ومسقط لتسهيل وصول الفلفل إليهما .

(صفحة رقم ١١٦)

الوثيقة رقم : ٢٣

صدرت رسالة من ملك هرمز "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند ، هرمز ، الرابع عشر من شهر إبريل عام ١٥٩٨م ، يطلب فيها من نائب الملك تعيين ابنه مكانه لأنه مرهق . **(صفحة رقم ١١٨)**

الوثيقة رقم : ٢٤

صدر خطاب أمير هرمز "مير فيرو شاه" ، إلى "دي فرانسيسكو دا جاما" ، نائب الهند ، هرمز ، السادس عشر من شهر إبريل عام ١٥٩٨م ، ويذكره بالخطاب السابق . **(صفحة رقم ١٢١)**

الوثيقة رقم : ٢٥

صدر خطاب من أمير هرمز "تورون شاه" إلى "د . فرانسيسكو دا جاما" ، نائب ملك الهند ، هرمز ، بتاريخ شهر شهر إبريل عام ١٥٩٨م ، يطلب فيه تنصيبه ولياً للعهد . **(صفحة رقم ١٢٣)**

الوثيقة رقم : ٢٦

صدرت رسالة من "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند إلى "فيليب الأول" ، "غوا" ، بتاريخ عام ١٥٩٨م ، ويذكر فيها الموافقة على ولاية العهد ، وطلب شاه فارس لمرور قواته في أراضي هرمز لمجابهة الأوزبك . **(صفحة رقم ١٢٥)**

الوثيقة رقم : ٢٧

صدرت رسالة من الملك إلى نائب الملك "الكونت الأميرال" ، "غوا" ، الثاني عشر من شهر نوفمبر عام ١٥٩٨م ، ويذكر أن ملك فارس سلم مدينتين للأتراك .

(صفحة رقم ١٢٧)

الوثيقة رقم : ٢٨

صدرت رسالة من "فيليب الثاني" "Philipe II" إلى "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند ، "لشبونه" ، في الحادي والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٥٩٨م ، يذكر أن هناك تلاً عالياً في مسقط مقابل قلعة مسقط ، ويستطيع العدو الدخول منه ، ولذلك أمر ببناء قلعة على ذلك التل .

(صفحة رقم ١٣٠)

الوثيقة رقم : ٢٩

صدرت رسالة من "فيليب الثاني" إلى "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند ، "لشبونه" ، في الحادي والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٥٩٨م ، وطلب فيها من "دوم فرانسيسكو دا غاما" عدم نشر الأخبار عن ملك فارس .

(صفحة رقم ١٤٨)

الوثيقة رقم : ٣٠

صدرت رسالة من "فيليب الثاني" إلى "دوم فرانسيسكو دا غاما" ،

نائب الملك في الهند ، "لشبونه" ، في الحادي والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٥٩٨م ، ويذكر أنه لن يكتب لملك فارس لأنه لا يرد على الرسائل الموجهة إليه .

(صفحة رقم ١٥١)

الوثيقة رقم : ٣١

صدر مرسوم ملكي ، بشأن تعيين أشخاص في مناصب القانون أو الخزانة ، "لشبونه" ، في الثاني والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٥٩٨م ، جاء فيه عدم تعيين اليهود في مناصب في القانون أو الخزنة أو الحكومة .

(صفحة رقم ١٥٣)

الوثيقة رقم : ٣٢

صدرت رسالة من "فيليب الثاني" إلى "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند ، "لشبونه" ، العاشر من شهر ديسمبر عام ١٥٩٨م ، جاء فيها أن ابن أخي ملك هرمز ، تم تعميده بواسطة الرهبان في الدير .

(صفحة رقم ١٥٦)

الوثيقة رقم : ٣٣

صدرت رسالة من "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند إلى "فيليب الثاني" ، بتاريخ عام ١٥٩٨م ، يذكر فيها أن "فرانسيسكو دي ألميدا دي سامبايو" "Francisco de Almeida de Sampaio" ،

سيكمل فترة شغله منصبه وهناك شكوى بأنه سمح للفلفل بأن ينقل إلى البصرة .

(صفحة رقم ١٦٠)

الوثيقة رقم : ٣٤

بعث "فيليب الثاني" رسالة إلى "دوم فرانسيسكو دا غاما" نائب الملك في الهند ، "لشبونه" السادس عشر من شهر يناير عام ١٥٩٩م ، يذكر فيها الإشارة إلى الجرم الذي ارتكبه "فرانسيسكو دي الميدا" ، القائد في مسقط ، والمتعلق بالفلفل ؛ وإلى التحقيقات التي أمر بإجرائها ، نتيجتها بأنه مذنب ، ويجب معاقبته ليكون عبرة للمذنبين الآخرين .

(صفحة رقم ١٦٣)

الوثيقة رقم : ٣٥

صدرت رسالة من "دوم فرانسيسكو دا غاما" نائب الملك في الهند إلى "فيليب الثاني" ، "غوا" الثامن عشر من شهر ديسمبر عام ١٥٩٩م ، ويذكر فيها أن نقل الفلفل يجب أن يكون بتصاريح من المسؤولين .

(صفحة رقم ١٦٤)

الوثيقة رقم : ٣٦

صدر خطاب من "دوم فرانسيسكو دا جاما" نائب الملك في الهند إلى "فيليب الأول" ، "غوا" ، في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٥٩٩م ، وذكر فيه إخضاع مسقط لهرمز .

(صفحة رقم ١٦٦)

الوثيقة رقم : ٣٧

صدر خطاب من "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند إلى "فيليب الثاني" ، "غوا" ، في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٥٩٩م ، ويذكر فيه أن شيوخ مسقط يتصرفون بطريقة جيدة ، والعرب في البحر الأحمر ثاروا على الأتراك ، والبصرة ثارت على بغداد .

(صفحة رقم ١٦٨)

الوثيقة رقم : ٣٨

صدر خطاب من "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند ، إلى "فيليب الثاني" ، "غوا" ، في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٥٩٩م ، وذكر فيه أن وفداً تركياً وصل إلى شاه فارس يطالب بتسليم سيد مبارك المشعشع الذي ثار ضد الأتراك .

(صفحة رقم ١٧٠)

الوثيقة رقم : ٣٩

صدرت رسالة من "دوم فرانسيسكو دا غاما" نائب الملك في الهند إلى "فيليب الثاني" ، "غوا" ، في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٥٩٩م ، جاء فيها علاقة شاه فارس مع السلطان المغولي .

(صفحة رقم ١٧٢)

الوثيقة رقم : ٤٠

صدرت رسالة من "دوم فرانسيسكو دا غاما" نائب الملك في الهند

إلى "فيليب الثاني" ، "غوا" ، في الخامس والعشرين من ديسمبر عام ١٥٩٩م ، تتضمن الرسوم التي وضعت على العرب الذين يذهبون إلى البصرة .

(صفحة رقم ١٧٤)

الوثيقة رقم : ٤١

صدرت رسالة من "دوم فرانسيسكو دا غاما" نائب الملك في الهند إلى" فيليب الثاني" ، "غوا" ، في شهر ديسمبر عام ١٥٩٩م ، ويذكر فيها أن أسطولاً يبنى في نهر السند لمهاجمة قلعة هرمز .

(صفحة رقم ١٧٦)

الوثيقة رقم : ٤٢

صدرت رسالة من "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند إلى "فيليب الثاني" ، بتاريخ عام ١٥٩٩م ، يذكر فيها أن ملك فارس يخوض حرباً دائمة مع الأوزبك والولايات المجاورة .

(صفحة رقم ١٧٨)

الوثيقة رقم : ٤٣

صدر خطاب من "دوم فرانسيسكو دا جاما" ، نائب الملك في الهند ، إلى "فيليب الثاني" ، بتاريخ عام ١٥٩٩م ، ويذكر فيها تحالف شاه فارس مع الممالك المسيحية ضد الأتراك .

(صفحة رقم ١٨٠)

الوثيقة رقم : ٤٤

صدرت رسالة من "دوم فرانسيسكو دا غاما" ، نائب الملك في الهند

إلى "فيليب الثاني" ، "غوا" ، بتاريخ عام ١٥٩٩م ، ويذكر فيها تعيين رئيس سماسرة الخيول في هرمز .

(صفحة رقم ١٨٥)

الوثيقة رقم : ٤٥

صدور تعليمات بشأن الجنود المتوجهين في سفينة إلى هرمز برسالة في خدمة سمو (الملك) ، "غوا" ، بتاريخ شهر يناير عام ١٦٠٠م ، يبيّن فيها المواد التموينية للسفن المغادرة من هرمز .

(صفحة رقم ١٨٩)

الوثيقة رقم : ٤٦

بعث "كليمنت الثامن" رسالة إلى "شاه عباس" ، في روما ، في الرابع عشر من شهر فبراير من سنة ١٦٠١م ، ويذكر فيها أن تلك الرسالة تبرهن عن حب ملك البرتغال لملك فارس ورغبته العميقة في إنشاء صداقة بينهما .

(صفحة رقم ١٩١)

الوثيقة رقم : ٤٧

وردت معلومات من سجل حاجب جلالة الملك ، في يوم الثاني والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٠١م ، وبشأن قيادته لمسقط .

(صفحة رقم ١٩٧)

الوثيقة رقم : ٤٨

حدث أن أعلن ملك فارس الشاه عباس الحرب على هرمز ،

واستولى على جزيرة البحرين "وغمبرون" "Gombron" التي كانت مقابلة لهرمز ، جـاءت تلـك الأحـداث في كتاب : "مؤتمر العالم البرتغالي" "In congress do Mundo Portugues" للأب "أفيلينو دي جيسوس دا كوستا" "Fr . Avelino de Jesus da Costa" ، المجلد السادس ، الصفحات ٢١٨-٢٤٢ ، عام ١٦٠٢م .

(صفحة رقم ٢٠١)

الوثيقة رقم : ٤٩

قدّم بيان حال السيد " أنطونيو جورجي" "Antonio de Logo" ، في الحادي والعشرين من شهر أغسطس عام ١٦٠٢م ، وذكر فيه أنه قد تمّ إلقاء القبض عليه من قبل الأتراك ، وسجن لمدة سبع سنوات .

(صفحة رقم ٢٠٥)

الوثيقة رقم : ٥٠

بعث "دوم فري اليكسو دي مينسيس" "D . Frei Alexo de Meneses" ، كبير الأساقفة رسالة إلى "الكونت أدميرال دوم فرانسيسكو دا جاما" ، "كونت دي فيديجويرا" ، "غوا" ، في الثلاثين من شهر ديسمبر عام ١٦٠٢م ، وذكر فيها أن سلطان شيراز في "لار" مع خمسة عشر ألف رجل ولا يعبر أي شيء من فارس .

(صفحة رقم ٢٠٧)

الوثيقة رقم : ٥١

ورد تقرير في العام ١٦٠٢م ، عن البرتغاليين في جزر البحرين ، وبداية قضية الأمير مقرن مع البرتغاليين .

(صفحة رقم ٢١٠)

الوثيقة رقم : ٥٢

صدرت مذكرات كبير الأساقفة في "غوا" الأب "أليكسو دي منيسيس" مبعوث الهند الشرقية من طائفة "سان أوغسطينو" "San Augustino" ، بتاريخ عام ١٦٠٦م ، ويذكر فيها خروج الرسل من هرمز إلى بلاط الشاه ، وهناك كانوا يحثونه على الحرب ضد الأتراك .

(صفحة رقم ٢٣٧)

الوثيقة رقم : ٥٣

بعث "فيليب الثاني" (فيليب الثالث لإسبانيا) رسالة إلى "جوزيه دي ميلو" "Jose de Melo" ، السفير في روما ، بلد الوليد في السابع والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٦٠٤م ، يحثون فيها ملك فارس لشن الحرب ضد الأتراك .

(صفحة رقم ٣٠١)

الوثيقة رقم : ٥٤

قدّم "فيليكس دي جيسوس" "Felix de Jesus" ، مسؤول دير رهبان هرمز ، سجلاً تاريخياً للنظام الكهنوتي لدى القديس "أوغسطين" في الهند الشرقية (١٥٧٢م-١٦٠٤م) ، ويذكر تأسيس الأديرة في هرمز ، ويذكر الأب "سيماو" في بلاد فارس .

(صفحة رقم ٣٠٤)

الوثيقة رقم : ٥٥

قدّم "فيليكس دي جيسوس" ، مسؤول دير رهبان هرمز ، تقريراً عن

كيفية تأسيس بيت "ممبسا" على ساحل "ماليندي" وبيت مسقط على ساحل بلاد العرب السعيدة ، وماذا حدث في هذا الوقت . **(صفحة رقم ٣٥٠)**

الوثيقة رقم : ٥٦

قدّم "فيليكس دي جيسوس" ، مسؤول دير رهبان هرمز ، وصف أحداث ما بين سوقطرة ، وبلاد فارس ، وكذلك حشد الشاه جيشاً ضد السلطان التركي . **(صفحة رقم ٤٠٧)**

الوثيقة رقم : ٥٧

قدمت شهادة صادرة من "الأرثوذكسية" وتفويض بالنشر ، بتاريخ عام ١٥٨٥م-١٦٠٩م ، ويذكر فيها شط العرب ومبارك المشعشع المقاوم لسلطة الأتراك . **(صفحة رقم ٤٥٩)**

هوامش المجلد الثالث عشر

1- Arquivo Nacional da Torre do Tombo (TT), Lisboa, Arquivo Portugues Oriental. Nova Goa, Imprensa Nacional. 1861 (fasc. 3. , p.II); 1865 (fasc. 5. P. I); 1876 (fasc. 6. , suplementos), (Arquivo 1) , Fasc. 3, p. I, doc. 117,

- Arquivo de Goa (AG), Livro das Moncoes 2 f 126 2nd via, f 195 5th via.

2- TT, *Documenta*: Documenta Indica. Edidit Iosephus Wicki S. I. Romae. Apud «Monumenta Historica Soc. Iesu». volumes: I (1540-1549), 1948; II (1550- 1553), 1950, XVI, doc 35,

- TT, Arquivo Romano S. I., Rome (AR), Goa 39 I ff 83v-84.

3- TT, Arquivo 1 , Fasc. 3, p. I, doc. 139,

- AG, Livro das Moncoes 2 f 273 3rd via.

4- TT, Arquivo 1 , Fasc. 3, p. II, doc. 208,

- AG, Livro das Moncoes 4 f 731 2nd via, f 617 5th via.

5- TT, Arquivo 1 , Fasc. 3, p. I, doc. 150,

- AG, Livro das Moncoes 2 f 291 3rd via.

6- TT, Arquivo 1 , Fasc. 3, p. I, doc. 169,

- AG, Livro das Moncoes 3 f 490 3rd via, f 497 4th via, f 505 5th via.

7- TT, Arquivo 1 , Fasc. 3, p. I, doc. 162,

- AG, Livro das Moncoes 3 f 529 3rd via, f 579 4th via, f 537 5th via.

8- TT, Arquivo 1 , Fasc. 3, p. II, doc. 185,

- AG, Livro 1 of Alvaras f 52v.

9- TT, Arquivo 1 , Fasc. 3, p. II, doc. 225,

- AG, Livro 1 of Alvaras f 80.

10- TT, Arquivo 1 , Fasc. 3, p. II, doc. 206,

- AG, Livro 1 of Alvaras f 81v.

11- TT, Arquivo 1 , Fasc. 3, p. II, doc. 239,

- AG, Livro das Moncoes 4 f 780 2nd via.

12- TT, Arquivo 1 , Fasc. 3, p. II, doc. 245,

- AG, Livro 2 f 367 2nd via.

13- TT, Arquivo 1 , Fasc. 3, p. II, doc. 292,

- AG, Livro 1 of Alvaras f 135.

14- TT, Arquivo 1 , Fasc. 3, p. II, doc. 293,

- AG, Livro 1 of Alvaras f 136v.

15- TT, Miscelâneas Manuscritas do Convento da Graça (1487-1696), Tomo VII-D, pp. 173-178.

16- TT, Arquivo 1 , Fasc. 3, p. II, doc. 304,

- AG, Livro das Moncoes 2 f 430 2nd via.

17- TT, Arquivo 1 , Fasc. 3, p. II, doc. 307,

- AG, Livro das Moncoes 2 f 448 2nd via,

- Bibliotheca National de Portugal-Portuguese National Library (BNL), Fondo Gesuitico (FG), 6919 ff 112v-113r.

18- TT, Miscelâneas Manuscritas do Convento da Graça (1487-1696), Tomo III, f 321.

19- TT, Arquivo 1 , Fasc. 3, p. II, doc. 365,

- AG, Livro das Moncoes 2 f 438 2nd via.

20- BNL, FG, 6919 ff 100r-101v.

21- TT, Arquivo 1 , Fasc. 3, p. II, doc. 337,

- AG, Livro das Moncoes f 425 2nd via.

22- BNL, FG, 1975 f 293r-v,

- AG, Livro das Moncoes f 425 2nd via.

23- TT, Miscelâneas Manuscritas do Convento da Graça, Tomo II-E, pp. 393-394.

24- TT, Miscelaneas Manuscritas do Convento da Graça, Tomo III, p. 263.

25- TT, Miscelâneas Manuscritas do Convento da Graça, Tomo III, p. 289.

26- TT, FG 1976 f 92r.

27- TT, Arquivo 1 , Fasc. 3, p. II, doc. 364,

- AG, Livro 2 f 419 2nd via.

28- TT, Arquivo 1 , Fasc. 3, p. II, doc. 365,

- AG, Livro das Moncoes II fl 438r,

- BNL, FG6919 ff 14r, 15r, 185r, 193-4v.

29- BNL, FG, 6919 ff 19r-v, 22v.

30- BNL, FG, 6919 f 189r.

31- TT, Arquivo 1 , Fasc. 3, p. II, doc. 363.

32- BNL, FG, 6919 ff 37r-39v.

33- TT, FG 1976 f 136v.

34- BNL, FG, 6919f 127v.

35- TT, FG 1976 f 127r.

36- BNL, FG, 1976 ff, 173v-174r.

37- TT, FG 1976 f 141v.

38- TT, FG 1976 f 180r.

39- BNL, FG, 1976 f 120r.

40- TT, FG 1976 f 171r.

41- TT, FG 1976 f 160r.

42- TT, FG 1976 f 8r-v.

43- BNL, FG, 1976 ff 144r-145r.

44- TT, FG 1976 f 33v-34r.

45- BNL, FG, 1978 f 59r.

46- BA, 46-X-1726 ff 409-416v.

47- Arquivo Nacional da Torre do Tombo (ANTT), Lisboa, Arquivo de Simancas, Secretarias Provinciales Codice 1461 f 18.

48- In congress do Mundo Portugues, Fr. Avelino de Jesus da Costa, 1940, vol. VI, pp. 218-42.

49- ANTT, Arquivo de Simancas, Secretarias Provinciales Codice 1463 f 46.

50- TT, Miscelaneas Manuscritas do Convento da Graca (1487-1696), Tomo II-E, pp. 571-574.

51- Journal of the Royal Central Asian Society in 1935, vol. 22, pp. 617-630.

52- BNL, Res. 5371 V, fols. 137v-152r.

53- BNL, Colleccao Pombalina (Biblioteca Nacional de Lisboa), Lisboa (POMB), No. 490 f 48r-v.

54- The Augustinians in Golden Goa, Hartmann O. S. A., Arnulf, A Manuscript by Felix of Jesus, O. S. A. Rome, 1968, Book 1, Chapters: 1-14.

55- The Augustinians in Golden Goa, Hartmann O. S. A., Arnulf, A Manuscript by Felix of Jesus, O. S. A. Rome, 1968, Book 2, Chapters: 1-17.

56- The Augustinians in Golden Goa, Hartmann O. S. A., Arnulf, A Manuscript by Felix of Jesus, O. S. A. Rome, 1968, Book 3, Chapters: 1-12.

57- The travels of Pedro Teixeira, Hakluyt Society, London, 1902, Chapter 1, pp. 23-27, 30-31.

ISBN 978-9948-720-01-0
9 789948 720010
www.alqasimipublications.com